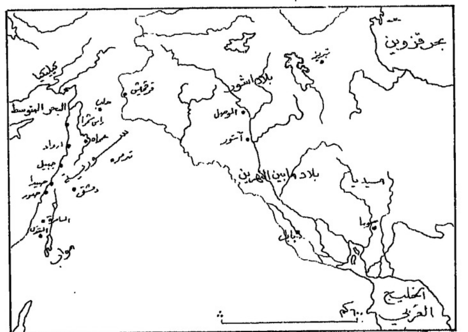
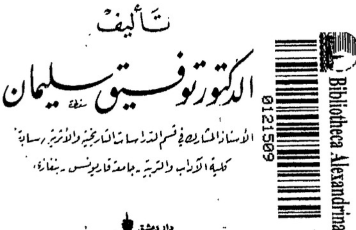
دراسات

في حضارات غرب آسية القديمة

من أقدم العصور الى عام ١١٩٠ ق.م



(الشرق الأدنى القديم «بلاد ما بين النهرين / بلاد الشام»)



تأليف

الدكتور توفيق سليمان

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات التاريخية والأثرية «سابقاً»
كلية الآداب والتربية - جامعة قاريونس - بنغازي



دراسات
في حضارة الجزيرة العربية القديمة

دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة

(١)

من أقدم العصور الى عام ١١٩٠ ق.م

(الشرق الأدنى القديم «بلاد ما بين النهرين / بلاد الشام »

تأليف

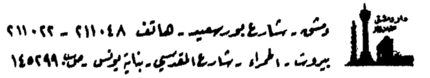
الدكتور توفيق سليمان

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات التاريخية والأثرية - سابقاً ،

كلية الآداب والتربية - جامعة قاريونس - بنغازي



طبعة أولى
١٩٨٥



المقدمة*

يصعب على الباحث المعاصر معرفة دقائق ما يدور حوله من أحداث قد تحدد مصير الانسانية عامة ومستقبله بصورة خاصة ، في وقت يعتقد ان تحت تصرفه كل ما يحتاجه من وثائق ومستندات تسهل عليه مهمة البحث كعالم هدفه تقصي الحقائق وتدوينها ثم نشرها لتستفيد منها الأجيال المعاصرة واللاحقة . فإذا كان الباحث المعاصر يجد صعوبات في تحليل أحداث عصره التي يعيشها وفي تدوينها ، فكيف به حين يتناول دراسة الأحداث السياسية والانجازات الحضارية لشعوب العالم القديم ، التي مضى عليها آلاف السنين ؟ فالأخير باحث قد امتلأت طريقه بأشواك نبتت على مر الزمن في هذه الثغرة وتلك ، وهو يحاول ازالتها بالحجج معتقدا انه أصاب عين الحقيقة استناداً على ما تجمع لديه من الحقائق المادية أو اعتمادا على المنطق الجدلي يرمم به بعض المداميك المتداعية في بناء دراسته هذه . لذا تبقى دراسته نسبية في صحتها لا تخرج عن كونها آراء شخصية تمثل وجهة نظره مدعمة ببعض الحجج المادية حينا والمنطقية الجدلية حينا آخر .وتستند إلى ما قام به السابقون من دراسات وتحليلات في هذا المجال . وهي مهمة شاقة ينبغي على صاحبها أن يقر بنسبية مافي آرائه من صواب .

* طبع لي في عام ١٩٧٣ في بيروت كتاب بعنوان «حضارات غرب آسية القديمة» . ولكن المطبعة تصرفت بأصول هذا الكتاب دون اذن مني . لذلك اختلفت النصوص المطبوعة عن اصولها في الاسلوب وفي المضمون على حد سواء . وبناء على ذلك طلبت من الناشر «المكتبة الوطنية في بنغازي» عدم توزيع نسخ الكتاب ، وقد فعل ذلك مشكورا . وعليه فإني لا أتحمل أية مسؤولية علمية كانت أو قانونية ، قد تنتج عن تسريب المطبعة أو أية جهة اخرى نسخة من كتاب «حضارات غرب آسية القديمة» الى المكتبات أو إلى أي قارىء مهما كانت صفته .

ولما كان تطور المجتمعات في غرب آسية القديمة لايزال ـ حتى الآن ـ يشكل في نظر الباحثين المرحلة الأولى في تاريخ تطور المجتمعات الانسانية ، فان دراسته تبقى بعيدة عن الصحة المطلقة ، شأنها في ذلك شأن أي علم من العلوم الأخرى وخاصة العلوم الانسانية منها .

وحاولت ـ وأرجو أن أكون قد وفقت بعض الشيء في ذلك ـ عرض تطور هذه الحضارات في سلسلة من المؤلفات بعنوان «دراسات في حضارات غرب اسية القديمة» بناء على أهم المخلفات الأثرية المكتشفة حتى الآن ، بدءاً بالعصور الحجرية القديمة وانتهاء بغزو الاسكندر للشرق القديم عام ٣٣٣/ ٣٣٢ق.م .

لقد ركزت في هذا الجزء على اثبات أهم الوثائق المكتوبة ـ من وجهة نظري ـ وحاولت الاختصار في كثير من المواضيع في تحليلاتي الشخصية تاركا الى القارىء والدارس أمر انجاز بعضها . ولكني رأيت ان ألقي على جوانب بعض المسائل المعقدة ضوءاً جديداً ، منها على سبيل المثال : أصل العبريين وموطنهم الأصلي ، وهل كانوا حقاً من الساميين ؟ وهل لنا من الوجهة الموضوعية الحق في استخدام تعبير «الساميين» في أبحاثنا العلمية ؟ وهل كان لهم موطن معين محدد انطلقوا منه إلى بلاد الشام وبلاد مابين النهرين والمناطق العربية الأخرى ؟ ثم من هم العرب وما علاقتهم بـ «الساميين» ؟ ومن المواضيع الهامة الأخرى ، التي رأيت من الضروري اثبات تحليلاتي الشخصية لها مسألة «نشوء المدينة والدولة والأسرة» في مراحلها الأولى وتطورها في مناطق غرب آسية القديمة [1] .

ولاتخص هذه المواضيع الأخيرة غرب أسية القديمة بمفهومه الجغرافي المتعارف عليه فحسب ، بل تشمل أيضاً أقطاراً أخرى مما يسمى «عالم الشرق القديم» . لذلك وجدت ـ انطلاقا من متطلبات البحث العلمي الضرورية ـ ان تشمل معالجتها أيضا اقطارا اخرى تقع خارج حدود غرب اسية كمصر وليبيا . ومثلها أيضاً موضوع «انسان ما قبل التاريخ» الذي لابد فيه من سرد الأمثلة المقارنة من

---

١) تعتبر دراسة هذه المواضيع شرطا أساسيا لنجاح أية دراسة عن تاريخ هذه المنطقة القديم ولذا فإن اهمالها بمثابة الغاء لجميع مراحل التطور الاجتماعي ، الذي شكل النواة الأولى للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية اللاحقة .

مصر وليبيا والسودان ، إذا ما أريد استكمال بحث جوانبه ، لأنه لايمكن دراسة حضارة الانسان الحجري بمراحلها المختلفة إلا بذكر أمثلة مقارنة من أقطار اخرى غير أقطاب غرب آسية [٢] .

وقد عرضت أيضاً في هذا الجزء من القسم الأول أهم الأحداث السياسية وبخاصة التسلسل الزمني لعصور المالك والامبراطوريات وعلاقتها فيما بينها وتوسيعها لحدودها ونشوب الحروب وابرام الاتفاقيات الدولية ومعاهدات الصلح والمراسلات الديبلوماسية ، كما عرضت لمقومات الدولة والقوانين فيها خاصة . وذكرت حيثما اقتضى الأمر بعض المخلفات المادية المهمة ، وقد اكتفيت بها هنا لأنني خصصت كتاباً مستقلاً للجوانب الحضارية المادية منها والفكرية .

*****

***** ***

٢) اقتصرت في هذا الجزء الأول على ذكر الهام من الخطوط العريضة للمراحل الرئيسة لتطور الانسان الحجري ، التي هي في صلة بنشوء الأسرة والمدينة والدولة والهجرات البشرية ، وارجأت بحث أهم المخلفات المادية الأثرية إلى القسم الثاني .

هجمة الشعوب البحرية حد زمني فاصل
في تاريخ غرب آسية القديم

جعلت القسم الأول في جزئين يتناول احدهما تطور شعوب غرب آسية منذ العصور الحجرية حتى حوالي عام ١١٩٠ ق.م . وهو العصر الذي وقعت فيه هجمة الشعوب البحرية على ممالك وإمارات غرب آسية ومصر . ويشمل الثاني منهما العصور اللاحقة لهذه الهجمة حتى غزو الاسكندر للشرق القديم .

وثمة سبب هام يلزم الباحث بهذا التقسيم ، وهو سبب يتجسد في التحول الجذري الذي ترتب على هذه الهجمة ، وأهم معالمه :

١ ـ انهيار المملكة الحثية ، التي كان أيضاً بيدها تحديد مصير شعوب غرب آسية وممالكها لعدة قرون خلت على هذه الهجمة .

٢ ـ انهيار جميع ممالك وإمارات ساحل بلاد الشام حتى الحدود المصرية .

٣ ـ تداعي أركان الدولة المصرية ، بالرغم من صد رعمسيس الثالث لهجوم المغيرين .

٤ ـ هجرة بعض القبائل الليبية القديمة إلى مصر وتسلمها الحكم في الديلتا .

٥ ـ تراجع السلطة الآشورية الى داخل حدودها الأصلية الاقليمية الضيقة .

٦ ـ استقرار القبائل الفلسطينية على ساحل أرض كنعان .

٧ ـ اغتنام العبريين فرصة انهيار الدول «العظمى» وبخاصة ضعف الدولة المصرية في تأسيس مملكة «اسرائيل» المتحدة من «يهودا» و «اسرائيل» .

٨ ـ ظهور الميديين كقوة كبرى على مسرح الأحداث السياسية في غرب آسية .

لقد تجاهل كثير من الباحثين في تاريخ غرب آسية القديم وآثاره الأهمية الكبرى لهذا الحد الزمني الفاصل في سلسلة الأحداث السياسية والانجازات الحضارية لشعوب هذه المناطق وممالكها ، فظهر تاريخها في ابحاثهم وكأنه سلسلة لا انقطاع بين حلقاتها . بينما كان الواقع عكس ذلك ، اذ ولدت ممالك وامبراطوريات جديدة واختلت موازين القوى السياسية والعسكرية والحضارية التي كانت قائمة

حتى ذلك الوقت في سائر انحاء النصف الغربي من عالم «الشرق القديم» وليس في مناطق غرب آسية وحدها .

وعلى أثر هذه الهجمة نشأت ثلاث قوى جديدة تصارعت فيما بينها لتسلم زمام القيادة السياسية والعسكرية والحضارية في غرب آسية القديمة وهي الامبراطورية الآشورية والممالك الآرامية والمملكة الميدية ، فولد بذلك عالم جديد في تركيبه وفي انجازاته السياسية والعسكرية والاقتصادية والحضارية [٣] .

بلدان غرب آسية مهد نشوء الدولة ونموها

وتبقى كل دراسة لتطور تاريخ البشرية ناقصة ان لم يبدأ الباحث أولاً بسبر تطور شعوب غرب آسية القديمة لأنها كانت الشعوب التي صنعت أولى المؤسسات السياسية . وكانت مجموعاتها البشرية متصارعة تارة ومتصالحة تارة اخرى ، وفرضت عليها بيئتها قوة حيوية في تطورها واستمرارها ، وزاد من حدة ذلك كله طباع قبائلها ومجموعاتها البشرية المتناقضة فيما بينها .

ولقد تمكنت قبائل منها ـ بحكم بيئتها ـ من الاستقرار وبناء القرى واقامة المدن والمجتمعات المتحضرة ، بينما بقيت قبائل اخرى تحيا على الصيد والرعي حياة بدوية متنقلة ترى في المجتمع المستقر عدوها الذي يجب قتاله ، لأنه عالم يخالف عالمها . ولكن كان عليها من جهة اخرى ان تكسب صداقة هذا العالم لحاجتها الماسة لمنتجاته الزراعية والحرفية . وهكذا كانت الحروب بين هذه المجتمعات المتناقضة في بنيانها وجوهرها . ومن ناحية اخرى وجدت القبائل المستقرة ، التي اقامت القرى والمدن والممالك نفسها مضطرة بحكم ظروف بيئتها الى انشاء قوات مسلحة مهمتها الحفاظ على منجزات المجتمع الجديد ضد اطماع المغيرين من

٣) هناك مجموعة من الباحثين تعتبران ما يسمى «مملكة اسرائيل المتحدة» كانت قد شكلت القوة الرابعة بين هذه القوى . ولكن الواقع ان هذه المملكة لم تستطع خلال تلك العصور أن تحتل مركزا يؤهلها للقيام بدور قيادي على المستويات السياسية والعسكرية والحضارية في غرب آسية القديمة (راجع الجزء الثاني) .

المجتمعات البدوية المتجولة والمجتمعـات المستقرة على حد سواء . وقد كانت كل دولة تحاول تدمير الكيان السياسي واحيانا الكيان الحضاري لعدوتها من بين الدول والممالك القائمة . وقد نجح كثيرمنها في ذلك . وهكذا اجهضت تطلعات شعوب في دول وممالك عديـدة كانت أهـلا لتسلـم زمام القيــادة السياسيــة وبناء صرح الانجازات الحضارية . ونتج عن ذلك تعثر تاريخ الانسانية في خطاه على طريـق تطوره الطويل . ولكن ما لبثت ان ظهرت من جديد هنا وهناك دويلـة أو مملكـة اخرى دفعت ثانيـة بعجلـة التاريـخ الانساني إلى الأمام . ولـذا يمكننا القول ان الحضارات القديمة لم تكـن دائما وليـدة التطور السلمي بل كانت في كثير من الأحيان ـ خلال حقب معينة من التاريخ ـ نتيجة لصراع المجتمعات فيما بينها .

وفرضت البيئة الجديدة ، على بعض القبائل التي استقرت في بعض المناطق انشاء مؤسسات اقتصادية وروحية تمثلت في المعبد ، الذي شكل النواة الأولى لنشوء الدولة :

وكانت هذه الدولة خلال مراحل نشأتها الأولى اشتراكية في تنظيمها ، عمل الفرد فيها من أجل المجتمع ، ولم يمارس المشرفون على تسيير شؤون اقتصادهـا اضطهادا أو تعسفا على أفراد المجتمع . وكان ممثلو الشعب خلال تلك المراحل يرون في اعلان الحرب على الدول الأخرى وفي مسألة ابرام معاهدات السلام أمرا يخص مصير الشعب ، ولذلك كانت تقر من قبلهم بحكم تمثيلهم الديمقراطي له . انها ديموقراطية سبقت ديموقراطية الاغريـق باكثر من الفي سنة . فلـم يشأ مثلا الملك «جيلجاميش» (*) اعــلان الحرب على «كيش» الا بعــد أن طرح الأمر في مجلسي «الشيوخ» و «النواب» ، اللذين مثلا شعب دويلة المعبد ، للاقتراح عليه . وهذا

(*) لايوجد حتى الآن اتفاق بين الباحثين العرب حول صيغ أسماء العلم والمكان الخاصة بآثار وتاريخ الوطن العربي قبل الاسلام . لذلك استخدم كل منهم ـ أحياناً ـ صيغا لها تبعا لاجتهاده أو للغة الأجنبية التي نقل عنها هذه الأسماء . وقد اعتمدت بدوري في هذه السلسلة من الكتب الصيغ المتعارف عليها في أمهات المراجع الألمانية . وفي هذا الصدد كم نحن بحاجة لعقد مؤتمر علمي بهدف توحيد جميع صيغ أسماء العلم والمكان الأثرية والتاريخية في اللغة العربية ، خدمة للقارىء العربي في شتى انحاء وطنه الكبير من المحيط إلى الخليج .

برهان ينقض ما يراه كثيرمن المستشرقين من «أن جميع ملكيات الشرق القديم كانت تتصف بالاستبداد المطلق» .

وعـرفت بعض مجتمعـات غرب آسيـة القديمة قواعـد نظمت على أساسهـا علاقات افرادهـا بعضهـم ببعض . فأوجدت قوانين وتشريعـات أصبحت تعتبر بمفهومها العام حجر الأساس في تسيير مجتمع الدولـة . وكـذلك حددت الضوابط للأفراد والفئات بعد انتقال المجتمع من النظام الاشتراكي الى نظام الملكية الخاصة خلال الاحقاب الأولى من تاريخ غرب آسية القديم :

لقد وضع «اورنامّو» خلال القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد قانون دولته ، وبعد قرن من الزمن فعل «بيلالاما» الأمر نفسه في مدينة «اشنونّا» وحذا حذو هذا الأخير بعد نصف قرن «ليبيت عشتار» في مدينة «اي - سن» . وبعـد هؤلاء أتى «حمّورابي» بشريعته الشاملة لجوانب المجتمعات القديمة المتحضرة في غرب آسية . وقد وضع الحثيون والآشوريون قوانين خاصة بهم . فشريعة «حمّورابي» كانت قد ظهرت قبـل ظهـور أقدم مجموعـة من القوانين الأغريقيـة - المعـروفة حتى الآن - كقوانين مدينة Gortyn في «كريت» بأكثر من اثني عشر قرنا من الزمن : لقد عثر على هذه القوانين خلال عامي ١٨٨٤/ ١٨٨٥م في مكان المدينة القديمة Gortyn منقوشة على الواجهة الداخلية لأحد الأبنية ، ويرقى تاريخ القسم الأعظم منها إلى القرنين السادس والخامس قبـل الميـلاد . ولا ترتفع قوانين «سبارطة» القديمة إلى المستوى الرفيع لقوانين بلاد مابين النهرين ، ناهيك عن أن «سبارطة» لم تعرف عند نشأتها القوانين المدونة . وليست القوانين السبارطية المعروفة باسم المشرع Lykurg الذي لم يعرف في البداية إلا اسمه ، من صنع هذا «المشرع» حقا ، وانما وضعت على مر الزمن وصار منها ما نعرفه بالقوانين «السبارطية» المدونة [4] . ولا نعرف حتى عن قوانين Drakon التي صدرت في عام ٦٢١ ق.م . إلا القليل الذي وصلنا عن نسخة متأخرة من عامي ٤٠٩/٤٠٨ ق.م.. وقد عدلت هذه النسخة من قبل «الاجتماع الشعبي العـام» فاضيفت اليهـا فقرة خاصة بالجريمة واقتباسات اخرى من القانون القديم . وبقيت هذه القوانين معمولا بها في «اثينا» حتى القرن الثالث قبل الميلاد ،

4) Plutarch, Lykurg, 5a. 6.

بينما لم ينس المشرعون في غرب آسية قبل ذلك بقرون زمنية عديدة سرد حالات الاجرام وتثبيت العقوبات الخاصة بالمجرمين . ومن ناحية اخرى لم تكن جميع القوانين الشرقية القديمة تتصف بالقسوة والعقوبات الصارمة ، وذلك على عكس قوانين «دراكون» التي قال عنها ارسطو [٥] :

«لقد اقتبس الكثير من قوانين دراكون حتى في ظل دستور دائم بالرغم من أن هذه القوانين لا تذكر إلا بالقسوة والعقوبات التي لا حد لها» .

وليست القوانين الرومانية القديمة المعروفة بالألواح الاثني عشرة والمؤرخة بعامي ٤٥١/ ٤٥٠ ق.م. [٦] أو قوانين Mankian في عهد القيصر تراجان (١١٥ - ١١٧م) أو قانون «هادريان» المدون بالأحرف اللاتينية على قاعدة مذبح عثر عليها في تونس ، بمنزلة «قوانين الشرق القديم» :

لقد أصدر الملوك والأمراء الشرقيون قوانين منظمة واضحة في تعابيرها دقيقة في كلماتها ، بحيث لم تترك مجالا لاجتهادات القضاة الشخصية : فشريعة «حمّورابي» مثلا كانت قد منعت ، في احدى فقراتها ، القاضي من التراجع عن حكم أصدره ، وفرضت عليه ، في حالة اقدامه على ذلك ، عقوبة صارمة هي طرده من المحكمة أمام زملائه القضاة ورفع «الحصانة» القضائية عنه .

وعلى النقيض من ذلك جاءت أكثر القوآنين الاغريقية والرومانية مسهبة في جملها وتفتقد النظام الذي عرفته قوانين «الشرق القديم» :

فإذا كانت القوانين الاغريقية والرومانية القديمة قد صدرت بصورة عامة في عدة لوائح خلال عصور مختلفة ، فاننا نجد قوانين غرب آسية القديمة وخاصة قانون حمّورابي ، قد وضعت دفعة واحدة ولم يعمل بها في عهده وحده ، بل عمل بها خلال عهود خلفائه ، اذ نقل المشرعون اللاحقون محتويات كثير من فقراتها إلى قوانينهم . وبينما وضع القوانين الشرقية القديمة مستشارون مختصون في القصر فجاءت مبوبة ومعللة ، كانت القوانين الاغريقية والرومانية في معظمها بشكل أوامر قيصرية .

---

5) Aristo, Deplomatie, II. 12- 1274- b 152.

6) Livius, III, 34- 37

-) Diodor, XII, 63- 26.

وبالاضافة إلى ذلك كله كانت شعوب المناطق العربيـة القديمة اسبق من الأغريق والرومان في بناء السلطة التنفيذية التي تمثلت في يد الملك والـوزراء (= الـكتّاب) ونوابهم وفي يد الجيش والشرطة كذلك. وتقدمت كذلك على الاغريـق والرومان في المراسلات الديبلوماسية وعقد الأحلاف وابرام الاتفاقيات ومعاهدات الصلح الدولية. وتعتبر معاهدة الصلح الحثية ـ المصرية أم المعاهـدات الدوليـة المعروفة في العصرين القديم والوسيط وتوضع عند مقارنتها بمعاهدات الصلح خلال العصور الحـديثة، في مصاف أدقها تعبيرا.

وإذا كانت بعض القوانين الاغريقية قد حددت ملكية الأفراد للأراضي (٧) وكـان القانون الـروماني الـذي صدر في عام ١١١م قد نظم توزيـع الأراضي الزراعية (٨)، فان العاهل السومري «أوروكاجينا» كان قد فعل أمرا شبيها بذلك خلال القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، عندما سلخ الأراضي الزراعيـة من أيدي افراد بيت الأمير واعادها الى مالكيها الأصليين أفرادا كانوا أم معابداً.

ولم يسبق الاغريق والرومان الشرق في تحديد الأسعار والأجور، فيا تم في ذلك من قوانين سواء في عهد ديوكليتيان(Diokletian)عام ٣٠١م أم بعده حتى القرن السادس الميلادي لا يرقى إلى نظيره من قوانين الشرق القديم عامة وقوانين بلاد مابين النهرين خاصة وكانت قد عرفت قبل القوانين الرومانية بأكثر من ألفي سنة.

وقد يجد البعض تطرفا في اشادتي بانجازات الشعـوب القديمة في المنطقة العربية في غرب آسية ويعتبره «تجنيا» على الاغريق والرومان وانقاصا من مكانتهم الحضارية. ولكني لا أقصد التجني على حضارتي الاغريق والرومان أو الانتقاص من المنزلة الرفيعة التي تحتلها كل منهما في صرح الحضارة الانسانية ومعارف أجيالها المتعاقبة. ان ما دفعني إلى سرد هذه المقارنات هو ابراز الحقيقة التاريخية وانصاف حضارات غرب آسية في ذلك: ولو كانت الحضارة الكلاسيكية انسانا حيا واعيـا منصفا لما انكر انه اقتبس الكثير من انسان غرب آسية القديمة عامة وانسان المنطقة العربية خاصة. وقد اعترف «هيرودوت» نفسه أن «الهيللينيـين» مدينون بالـكثير

7) Arsto, Deplomatie, II- 4, 1266 b.

8) Hardy, E. G., Six Roman Laws, Oxford, 1912, P. 53- 85.

للشرق القديم وخاصة لأرض «بابل» ، التي اخذوا عنها العديد من الانجازات الحضارية الهامة . فإذا كان «شيخ» المؤرخين الاغريق قد اعترف بهذا الفضل «الشرقي» على العالم «الهيلليني» فكيف يجيز البعض من الباحثين المعاصرين لنفسه الدفاع عن الهيللينيين في هذا الصدد ؟.

وقد حاولت أن أتحاشى الاطناب في نقلي نصوص بعض الوثائق المكتوبة إلى اللغة العربية ، لأفسح للدارس مجال العودة إلى مقارنة النص العربي بالنص الأصلي والتحقق من صحته . ولذلك قد يظهر في النص العربي تكرار لالفاظ ركة في الاسلوب ، وقد قصدت إلى ذلك لكي يظهر النص الوثائقي في اسلوبه الأصلي .

وأرجو أخيراً أن أكون قد وفقت فيما بذلت من جهد مساهمة مني في بناء علم دراسات الحضارات القديمة التي سبقت فجر الاسلام في المنطقة العربية ، ولو بالقدر الذي يسمح بفتح باب الحوار بين الباحثين وبخاصة فيما يتعلق بوجهات النظر الجديدة التي سجلتها لأول مرة في هذا الكتاب .

وفي الختام أرجو أن يعذرني القارىء للاختلافات التي قد يجدها بين صيغ بعض أسماء المواقع الاثرية الواردة في النص وفي الخرائط من جهة وبين صيغها التي يعرفها أهل مناطق هذه المواقع نفسها ، لأنني أخذت معظمها من المراجع الاجنبية .



الدراسة الأولى
غرب آسية

أولاً - المفهوم الجغرافي والحضاري والزمني لتاريخ غرب آسية القديم

أ - المفهوم الجغرافي :

يصطلح المؤرخون وعلماء الآثار بتعبير «الشرق القديم» على المناطق الشاسعة الممتدة مابين خط العرض ٤٢ شمالا ومدار السرطان جنوبا بمسافة يربو طولها على ثلاثة آلاف كيلو متر . وتتكون حدودها الغربية من أطراف الصحراء الكبرى الواقعة غربي خط الطول ٢٠ شرقي غرينيتش . أما امتدادها الشرقي فينتهي بشواطىء المحيط الهادىء على امتداد خط الطول ١٩٠ غربي غرينيتش أي بمسافة يزيد طولها على اثني عشرة ألف كيلو متر .

وتنقسم هذه البقاع الفسيحة المترامية الأطراف الى منطقتين كبيرتين تختلفان فيما بينهما في التركيب الجغرافي والنتاج الحضاري :

تشمل الأولى منهما «القسم الغربي من عالم الشرق القديم» الذي يتكون من **«غرب وجنوب غرب آسية» و «مناطق شمال افريقية والسودان والقرن الافريقي الحالي»** .

وتعرف الثانية باسم **«الشرق الأقصى»** وتشمل الهند والصين والأقطار المجاورة لهما .

وتقوم بين هاتين المنطقتين حدود طبيعية صعبة المسالك تؤلف جبال سليمان المنتصبة كالجدار المنيع على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية من الهضبة الايرانية قسما كبيرا منها . وتتكون الأولى من البلدان الآتية : ايران وآسية الصغرى والعراق وسورية ولبنان وفلسطين والمنطقة الشرقية من نهر الاردن وشبه الجزيرة العربية ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش وموريتانيا (الخارطة ١) . ونستطيع تجزئة

هذه المنطقة استنادا إلى طبيعة بقاعها الجغرافية الى قسمين : يتكون الأول منهما من الهضبة الايرانية وآسية الصغرى ، أما الثاني فيتكون من العراق وبلاد الشام (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) وشبه الجزيرة العربية والأقطار العربية الحالية في افريقية. كما تتألف هذه المنطقة جغرافيا من قسمين تتكون بقاع الأول منهما من جبال وهضاب صعبة المسالك تمتد الى مسافات شاسعة تفصل ما يعرف الآن بالمنطقة العربية عن جنوب شرق آسية . وتخترق بعض هذه المرتفعات انهار غزيرة وأودية خصيبة اكتشفت في بعض منها مستوطنات للانسان الحجري ، وهي مستوطنات تعتبر حالياً من أقدم البقايا الحضارية التي خلفها الانسان القديم . وتفصل مرتفعات ايران الغربية جزءا من الهضبة الايرانية عن العراق . وتعزل جبال زاغروس وجبال كردستان شمال غرب ايران وجنوب آسية الصغرى عن شمال العراق . وتكمل هذه الأخيرة من ناحية الغرب مرتفعات الأناضول وجبال طوروس التي تعزل أواسط وغرب آسية الصغرى عن شمال سورية . ومن هذا نجد أن الاقطار العربية الحالية تحتل القسم الأعظم من بقاع النصف الغربي من عالم «الشرق القديم» وهو قسم تزيد مساحته على ثلاثة عشر مليون كيلومترا مربعا .

وتجمع بين الأقطار العربية الحالية أوصاف جغرافية عامة متشابهة وتميزها عن سائر مناطق «الشرق القديم» وتتمثل في خمسة معالم رئيسة تتعاقب رتيبة بظهورها على الشكل التالي :

سواحل وسهول وجبال أو هضاب ثم سهول تليها بواد أو صحارى . وتشكل السواحل الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط والشواطىء الشمالية للبحر العربي احدى هذه الظواهر الجغرافية ، وتعقبها مباشرة سهول تختلف في اتساع عرضها بين منطقة واخرى مثل سهول كيليكيا واسكندرون واللاذقية وسهول فلسطين ودلتا النيل وسهوب وسهول ليبيا وتونس والجزائر ومراكش ومضائق السهول الغربية والسهوب الجنوبية على سواحل شبه الجزيرة العربية . وتتميز هذه السهوب والسهول في بعض مناطقها بخصوبة تربتها ، بينما تتألف اقسامها الاخرى من بطاح رملية جرداء .

وتنتصب على امتداد هذه السهول الساحلية ـ باستثناء القسم الأعظم من

السواحل الليبية والمصرية ـ جبال عالية احيانا ومنخفضة أحيانا اخرى يسرّت ـ أحياناً ـ في العصور القديمة الاتصال بين سكان السهول الساحلية والمناطق الداخلية . وتطل في معظم المناطق سفوح هذه الجبال من الداخل على سهول فسيحة تخترقها في بعض أجزائها انهار غزيرة كالعاصي في سورية ودجلة والفرات في سورية والعراق والليطاني في لبنان والأردن في فلسطين . وتتحول هذه السهول الداخلية في نهاية المطاف الى بواد وصحارى مثل بادية الشأم والعراق وصحراء الأردن وصحارى أواسط شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى . ونجد احيانا ان الصحارى والبوادي تتقدم في بعض هذه المناطق نحو البحر حتى تصل الى سواحله .

وتشق هذه البوادي وبعض المناطق الصحراوية اودية جف بعضها على مر الدهور ومازال بعضها الآخر يفيض خلال الشتاء بمياه الأمطار ، ويشكل مصدرا هاما من مصادر تموين البدو الرحل بالماء والكلأ . وهكذا تكونت بفعل فيضان هذه الأودية بمياه الأمطار تربة خصبة كانت خلال أحقاب فجر الحضارة الانسانية مقرا صالحا لاستقرار الانسان القديم أقام فيها أو بالقرب منها مستوطناته الأولى ومارس فيها الزراعة في مراحلها الأولى . لذلك لابد من اجراء تحريات اثرية واسعة النطاق في هذه الأودية بهدف الكشف عن مراحل تطور حضارات الانسان الأول فيها .

ونقصد بتعبير «غرب آسية» من الوجهة الجغرافية مفهوماً آخر غير مفهومنا لـ «**الشرق الأدنى أو الأوسط**» وهو مفهوم يقصد به البلدان الآتية :

المضبة الايرانية وآسية الصغرى وبلاد الشام وكامل شبه الجزيرة العربية .

ب ـ المفهوم الحضاري :

لعب التكوين الطوبوغرافي لمناطق عالم «الشرق القديم» دوراً حاسما في تحديد لون الحضارات التي نشأت فيها وبالتالي في قدرة هذه الحضارات على الصمود ثم الاستمرار خلال الصراع الدائم الحاد الذي نشب بين شعوبها بغية تسلم زمام القيادة السياسية في هذا العالم القديم المتحضر .

وقد كونت الحدود الطبيعية التي تفصل مستوطنات الانسان القديم في القسم الغربي من «الشرق القديم» عن بقية المناطق الأخرى منه ، وتوفر المياه الغزيرة والتربة الخصبة في كثير من بقاعها والموقع الاستراتيجي الهام بين قارات ثلاث كون كل ذلك عوامل دفعت الى نشوء الحضارات ونموها وخاصة خلال حقبها الأولى . ولكنها اصبحت خلال العصور التاريخية اللاحقة عقبة كأداء في سبيل التطور والتقدم :

لم يكن بامكاننا تقسيم عالم «الشرق القديم» الى قسمين لولا جبال سليمان الشاهقة الارتفاع التي تفصل بينهما . لقد حدت هذه الجبال خلال الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد كثيرا من اتصالهما بعضهما ببعض ، مما جعل حضارات شعوب القسم الواحد تختلف في كثير من جوانبها عن حضارات شعوب القسم الآخر . كذلك حالت هضاب ايران الغربية وجبال زاغروس وجبال كردستان في شمال العراق وشماله الشرقي وطوروس والأناضول في شمال بلاد الشام دون الاتصال المستمر بين شعوب بقية أقطار غرب آسية وشمال افريقية من جهة وبين شعوب مناطق ايران وارمينيا التركية الحالية (ارارات القديمة) ومناطق أسية الصغرى الأخرى من جهة ثانية وبخاصة خلال العصور التي سبقت الألف الثاني قبل الميلاد .

وعلى العكس من ذلك لم تقم بين الأجزاء الأخرى من النصف الغربي لعالم «الشرق القديم» وهي الأقطار العربية الحالية ، حدود طبيعية تفصل بعضها عن البعض الآخر ، وهو أمر سهل قيام علاقات وثيقة جدا بين شعوب مابين النهرين وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية وبلدان شمال افريقية ، حتى ليصعب علينا دراسة العديد من جوانب تاريخ هذه الشعوب اذا لم يتحقق لنا الفهم الشامل لحضاراتها المشتركة الاصول . ومن ناحية اخرى لم يكن النصف الغربي من عالم «الشرق القديم» معدوم الاتصال بنصفه الشرقي ، فقد برهنت البحوث اللغوية والأثرية على وجود صلات حضارية بينهما ، ولكنها لم تكن من حيث القوة والعمق كتلك التي ربطت بين شعوب ايران وآسية الصغرى من جهة وبين شعوب الاجزاء الأخرى من غرب آسية وشمال افريقية منذ الألف الثاني قبل الميلاد من جهة اخرى . وقد

توطدت هذه العلاقات مع مرور الزمن ، لدرجة اصبحت دراسة التاريخ القديم لايران وآسية الصغرى امرا هاما لفهم الأوضاع السياسية والحضارية والاقتصادية لهذه المنطقة ، وخاصة منذ بداية الالف الثاني قبل الميلاد .

كذلك شكلت الحدود الطبيعية بمسالكها الصعبة خلال العصور القديمة وخاصة خلال الفترات الأولى التي قامت فيها القبائل والعشائر بهجرات كبيرة من مناطق الى اخرى بحثا عن الماء والكلأ لقطعانها وعن الغذاء لافرادها ، شكلت هذه الحدود سدا منيعا حال بينها وبين حرية التجوال باتجاه ايران وآسية الصغرى . فاضطرت الى اقامة مستوطناتها على منحدرات المرتفعات الخصبة وضفاف الأنهار وفي الواحات الواقعة على طريق هجرتها ضمن البلدان التي تشكل حاليا المنطقة العربية . ثم انصهرت هذه القبائل بعضها في بعض خلال قرون طويلة فكونت شعوبا وبنت مدنا وانتجت حضارات ولكنها لم تحقق خلال ذلك إلا اليسير من الاتصال بغيرها من قبائل ايران وآسية الصغرى وشعوبها .

وقد نتج عن التنوع الجغرافي في معظم مناطق النصف الغربي من عالم «الشرق القديم» (= المناطق العربية الحالية) من بحار وسهول وجبال وانهار وبواد وصحارى تفاعل حيوي مستمر بينه وبين العنصر البشري خلال العصور القديمة . وهو تفاعل الانسان مع طبيعة ارضه وبيئته ، فتشكلت بذلك المعطيات المادية الضرورية لانتاج اقدم الحضارات الانسانية في هذه الاقطار : انها حضارات متعاصرة احيانا ومتعاقبة احيانا اخرى ، ولكن بعضها يكمل بعضها الآخر في سلسلة متعددة الحلقات وتكون المدماك فوق الآخر في بناء صرح اقدم الحضارات الانسانية واخصبها انتاجا . ولذلك اختلفت لغات شعوب هذه المناطق ونظمها الاقتصادية والاجتماعية في لونها وتركيبها عن تلك التي ظلت شعوبها تعيش على الجبال والهضاب المرتفعة في ايران وآسية الصغرى وأواسط افريقية . ولم تتمكن هذه الأخيرة من اكتشاف الممرات والطرق التي تخترق الحواجز الجبلية الشاهقة الارتفاع وتشق بطاح الصحراء الى التربة الخصيبة في مابين النهرين وبلاد الشام وسواحل شبه الجزيرة العربية وبلدان شمال افريقية الا في عصور متأخرة ، وعلى وجه التحديد منذ بداية الالف الثاني قبل الميلاد .

أما قبائل المنطقة العربية فقد كانت تهاجر منذ أقدم العصور من قطر الى آخر ضمن هذه المنطقة ، من أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية الى مابين النهرين ومن بلاد الشام الى مابين النهرين ومصر ومن ليبيا الى مصر وتونس والجزائر ومراكش ومن هذه الأخيرة الى شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق . ولذا يحق لنا ان نشبه هذه الأقطار خلال تلك العصور بحوض بشري ضخم ذي جدران طبيعية من الجبال والبحار والصحاري ، مياهه قبائله المختلفة ، وامواجه هجراتها المحلية المتعاصرة منها والمتعاقبة ، وتياراته صراع دويلاتها ودولها الغالبة احيانا والمغلوبة احيانا اخرى . وهو اشبه ببركان دائم الثورة ، تأتي ثورته هذه دائما بالجديد من باطن هذا الحوض البشري وتعطي بحكم موقعه الجغرافي الاستراتيجي الهام بين قارات ثلاث الكثير من الجديد للغير .

ولكن كان لهذا الموقع الجغرافي من ناحية اخرى آثار سلبية على شعوب مناطقه اذ وجب عليها ان تتلقى الضربة المخربة تلو الأخرى عن طريق البر والبحر من شعوب غريبة عن هذه المناطق ، بعد ان اهتدت هذه الشعوب الى الممرات والطرق في الجبال الوعرة المسالك واكتشفت اخرى نظيرها على امواج البحر العاتية وعبر الصحارى المترامية الأطراف . وعندها ركزت هجومها الوحشي المدمر على الحضارات العريقة القدم القائمة في هذا الحوض ، وخاصة في غرب آسية ، ثم استوطنت في بعض بقاعه . ولكن امواج هذا الحوض الهادرة ثارت من جديد فحطمت هذه الشعوب وصهرتها حمم بركانه واستقر ما تبقى منها في قاعه . وكان يحدث احيانا ان يقذفها هذا الحوض خارج حدوده لعجزها عن التلاؤم مع البيئة الجديدة . وتعود شعوبه الاصلية بعد ذلك لمتابعة بناء حضارتها في مستوطناتها التقليدية ، التي استطاعت البقاء فيها أو في تلك التي اقامتها من جديد .

ج ـ المفهوم الزمني :

شارك انسان غرب آسية خاصة وانسان الاقطار العربية عامة ببناء حضارات العصور الحجرية ، ثم اخترع الكتابة وصنع احداث التاريخ المكتوب ودونها حتى بداية غزو الاسكندر للشرق القديم ٣٣٣/ ٣٣٢ قبل الميلاد ، ويشكل هذا الغزو الحد الزمني الأعلى لموضوع بحثنا في تاريخ هذه المنطقة .

ولكن شعوب هذه البقاع لم تتوقف عن العطاء الحضاري بغزو الاسكندر لها ولـم تنطفيء شعلتهـا الحضاريـة ، التي اضاءت للانسانيـة الطريـق عبر آلاف السنين . لقد تابعت بناءها الحضاري في ظل حكم الغزاة الجدد بالرغم من افول نجمها السيـاسي . وبذلك صمدت هذه الشعـوب في وجه موجات «التغـريـق» و«الترويم» و«التفريس» في غرب آسية وشمال افريقية[٩]. وكان قادة المقاومـة هم أحفاد الكنعانيين ـ «الفينيقيـين» والآراميـين والكلدانيـين والبؤر البشريـة المحليـة الأخرى ، الذين حافظوا على تراثهم الحضاري أمام المد الجديـد للغـزو الفارسي والاغريقي والروماني والبيزنطي ، فبقيـت لغتهـم ثابتة الجذور في اقطار عدة من غرب آسية وشمال افريقية . وكادت مقاومتهم تضعف وتتلاشى ولغتهم تندثر لولا المد الهائل الذي رفدها باسباب القوة على يد الدعوة الاسلامية المجيدة التي حررت بتعاليمها كافة سكان مناطق الجزء الغربي من آسيـة وشمال افريقيـة من السيـطرة الاستعمارية الفارسية والبيزنطية . وأتت باللغة العربية الفصحى بين دفتي القرآن الكريم ، فوحدت بذلك لهجات سكان ما نعرفه اليـوم بالأقطار العربيـة ، التي تشكـل القسم الأعـظم من مساحة النصف الغـربي مما يسمى «عالـم الشرق القديم» .

ثانياً ـ مصادر تاريخ غرب آسية القديم

أ ـ التلال واللقى الأثرية :

لقد أقامت شعوب غرب آسية القديمة خلال مراحل تاريخها الطويل القرى والمدن وساهم كل منها بنصيبه في بناء الحضارة الانسانية ، فتأثرت اللاحقة منهـا بالتراث الحضاري للسابقة . واضافت مالديها من جديد لهذا التراث فغيرت قليلا في تركيبه احيانا وكثيرا احيانا اخرى ، تارة سلما واخرى حربا . وكان يحدث أيضا ان تتعرض المدنيات القائمة لدمار شامل بسبب همجية الغزاة وعقمهـم الحضاري .

٩) اي جعلها اغريقية أو رومية أو فارسية .

وشكلت احيانا المواقف السياسية والعقائدية أيضا أسبابا لتدمير مدنيات شعوب غرب آسية وطمس معالم حضاراتها . وقد كونت بيئة المواطن الأصلية لبعض الشعوب عاملا ايجابيا تارة ، وسلبيا تارة اخرى في تطوير الحضارة الانسانية أو عرقلة نموها . لذلك هجرت مدن كثيرة من قبل بناتها أو من قبل أحفادهم الى منطقة اخرى لأسباب سياسية أو اقتصادية أو نتيجة لعوامل ضغط خارجية ، فتركت منازلها بما تحويه أحيانا من كنوز ثمينة وكتابات قيمة تنهار وتغوص في الرمال أو تطمرها الأتربة بفعل الرياح والعوامل الطبيعية الأخرى على مر الأجيال . وحدث أحياناً أن أقامت الأجيال اللاحقة مدناً جديدة على أنقاض المدن السابقة ورممت أو وسعت أحياناً اخرى ما بقي من أبنيتها بما اتفق مع مستلزماتها الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية الجديدة . كما حدث ايضا ان اقدم الغزاة على ترميم هذه البقايا القائمة أو تهيئة المكان المناسب في موقعها لاقامة الجديد من المدن . وقد اهملت احيانا هذه المدن فاصبحت خرابا خلال العصور اللاحقة ، فزادت الأتربة والرمال والانهيارات المتعاقبة لجدرانها من حجم موقعها وارتفاعه ، فتشكل ما نسميه الآن «التلال الأثرية» المنتشرة في ربوع بقاع عديدة من اقطار غرب آسية .

واصبحت هذه التلال وما عليها من معالم أثرية ظاهرة احيانا للعيان شاهدا على وجود مدنية مندثرة وجهود حضارية لأجيال عديدة من البشر لم تزل الأرض الأمينة تحتفظ ببقاياها للأحفاد والباحثين. ويضم هذا التراث أيضاً اللقى الأثرية من أدوات صوانية أو حجرية اخرى أو معدنية أو فخارية أو رسوم ملونة أو كل هذه مجتمعة . وهناك المشاهد البارزة المحفورة على الحجر أو الجص أو النصب التذكارية المنحوتة من الحجر والمصهورة من المعدن أو المطروقة منه . وتلعب هذه اللقى الأثرية دوراً كبيراً في تذليل الصعاب العديدة التي ما زالت تعترض سبيلنا عند كتابة التاريخ السياسي والحضاري للشعوب القديمة في غرب آسية ، وخاصة خلال الحقب التي لم يكن انسانها قد عرف الكتابة بعد . ولهذه اللقى أيضاً شأن كبير حتى خلال الحقب التاريخية التي عجز كتابها عن تدوين الأحداث العسكرية والسياسية ووصف المستويات الاجتماعية والاقتصادية التي بلغتها تلك الشعوب :

فمثلا لم يرد ـ حتى الآن ـ في الكتابات من بداية الألف الثالث قبل الميلاد

ذكر لمعرفة الانسان «عجلة الفاخوري» واستخدامه لها في صناعة الفخار بدلا من اعتماده على اليد وحدها . . ولم تتناول هذه الكتابات ايضا موضوع الأفران التي اخترعها الانسان واستخدمها لشي الفخار ثم لصهر المعادن ناهيك عن عدم ذكرها لصنع القوالب التي صب فيها الانسان المعدن المصهور وانتج اعدادا ضخمة من أداة واحدة . وإلى جانب ذلك نجد الكثير من أساليب تحسين الحرفة والصناعة كأدوات الغزل والنسيج وصناعة الأحذية وصياغة المجوهرات . . ولم يذكر لنا الكتاب القدامى ايضا الا القليل النادر عن المقاييس المعمارية التي اعتمدها مهندسو الأبنية السكنية والقصور الملكية والمعابد الضخمة عند تشييدهم لهذه المنشآت الخاصة منها والعامة . ولم تحدثنا الكتابات بشيء عن نسب تركيب الألوان التي خلد الفنان بواسطتها المشاهد الجميلة على الطوب المشوي أو الفخار أو زين بها جدران المعابد والقصور الملكية . . فمن لنا أن نعرف ذلك والكثير الكثير من امثاله الا بواسطة اللقى الأثرية ؟ولا شك في أن الكتابات ذكرت اشياء كثيرة عن الحروب والغزوات والتجارة ، ولكن اللقى الأثرية التي خلفتها لنا شعوب غرب آسية القديمة وخلدت لنا حصار مدينة وسجلت لنا مشاهد من معارك حربية في نقوش روائية تبين لنا من جانبها بكل وضوح التكتيك العسكري الذي استخدم خلال هذه المعارك . وتدلنا اللقى الأثرية ايضا على الصلات التجارية التي كانت تربط اقطار غرب آسية القديمة بعضها ببعض من جهة وبمناطق الشرق القديم الأخرى من جهة ثانية . ولم تبخل علينا اللقى الأثرية حتى بالبراهين المادية التي نستطيع ان نتعرف بواسطتها على لباس شعوب غرب آسية القديمة وعاداتها وتقاليدها في مناسبات الأفراح والأتراح وممارستها الطقوس الدينية . ونستطيع ايضا بواسطة بعض انواع هذه اللقى ان نخترق جدار صمت الكتابات القديمة لنعرف تصور الشعوب القديمة لآلهتها في اشكال آدمية ، ثم تطور اشكال هذه الآلهة ورموزها عبر جميع المراحل التاريخية حتى عصور وصول الانسان الى مرحلة العبادة الوحدانية وخلالها .

وتجسد لنا هذه اللقى كذلك تطور الفن عبر تاريخ الانسانية ونمو الذوق الفني عند الانسان من خلال قدرته على التعبير عما يجول في خاطره من تصورات واحساسات فنية تعكس فهمه لذاته ولذات اخيه الانسان ، اذ ترجم لنا هذه التصورات والاحساسات في رسوم مجسمة معبرة ، مكننا بعضها من معرفة اصول

كثير من الشعوب القديمة . ومن هنا تأتي أهمية دراسة الآثار والدور الكبير الذي يقوم به عالم الآثار في سد ثغرات كثيرة تعترض المؤرخين عند دراستهم وكتابتهم للتاريخ السياسي لشعوب الشرق القديم وخاصة شعوب غرب آسية القديمة منها .

ب ـ الكتابة المسمارية ونصوصها :

يجب الا يحط تأكيدنا على أهمية اللقى الأثرية المادية من شأن ومكانة كتابات شعوب غرب آسية القديمة ، التي نقشها كتاب عاشوا أحداث تاريخ شعوبهم . لقد دون هؤلاء بخط يدهم ما أمرهم به ملوكهم وأمراؤهم واحيانا كهنتهم أو ما أمكنهم فهمه وملاحظته بدافع ذاتي . وقد جاء ذلك باسلوب مختصر احياناً ومستفيض احيانا اخرى تبعا لغنى لغتهم بالثروة اللفظية وقدرتها على مد الكاتب المعني بالمفردات اللغوية . وحدد ذلك ايضا تنوع رموزهم الكتابية وتأمين متطلبات مقاطع أو احرف الكلمة المكتوبة ، لأن اللغة والكتابة خضعتا للتطور شأنهما في ذلك شأن تطور الانسان الفيزيولوجي وجوانب حياته الحضارية والسياسية الأخرى . ولعبت ايضا درجة وعيهم الاجتماعي وفهمهم للمواضيع دورا كبيرا في تسجيلهم هذه الأحداث خلال كل حقبة من حقب تطور حضارات شعوبهم .

وكانت اولى كتابات شعوب غرب آسية هي المعروفة حاليا بـ «المسمارية» التي انبثقت عن التصويرية البدائية . وهي عبارة عن رموز في شكل «مسمار» أو «اسفين» نقشها الكتاب القدامى على لوحات من الطين المشوي ، وتراوح سمك معظمها مابين ١ و ٢,٥ سم تقريباً . ونقشت هذه الكتابة ايضا على النصب التذكارية وعلى المعدن والأختام الاسطوانية والفخار .. لقد تمكن الكتّاب خلال الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد في بلاد مابين النهرين أولاً من تدوين بعض اسماء العلم . ثم طوروا هذه الكتابة مع مرور الزمن واغنوا ثروتها اللفظية بالمفردات الجديدة ، حتى اصبحت نسبيا قادرة على سد حاجاتهم عند تدوينهم لحوليات ملكية متسلسلة كاملة وقوانين وتشريعات عامة واتفاقيات دولية ذات نصوص دقيقة . وكذلك سجلوا بها وصفا لمعارك الحروب وكثيرا من الأحداث السياسية والنصوص الدينية والملاحم والأساطير وغير ذلك من الانتاج الادبي .

ولذا تفوق اهميتها بدون شك ما وصلنا من الكتاب الكلاسيكيين حول تاريخ غرب آسية القديم (انظر ص ٢٧ - ٣١) .

لقد طاف رحالة اوروبيون في انحاء عديدة من ربوع اقطار اغرب آسية منذ بداية عصر النهضة الاوروبية وزاروا كثيرا من مواقعها الأثرية . ولكنهم لم يتنبهوا الى وجود نقوش محفورة على جدران من بقايا بعض قصور ملوك غرب آسية القدماء ، التي لم تزل قائمة حتى الآن . واخيرا اهتدى الرحالة الايطالي بيترودلاّ فاليّ (Pietro Della Valle) خلال القرن السابع عشر الى رؤية بعض هذه النقوش من الكتابة المسمارية في بلاد فارس ، فقام بنقل بعضها عن نص منقوش على جدران قصر الملك «داريوس» في عاصمة فارس القديمة «بيرسيبوليس» واتى بها إلى اوروبة .

وبعد ذلك حاول الدارسون الغربيون فك هذه الرموز ولكنهم فشلوا في ذلك ، الى ان قام الباحث الدانماركي نيبهور (Niebhur) في نهاية القرن الثامن عشر بالخطوة الأولى . فبالرغم من انه لم يستطع ان يذلل الصعاب التي اعترضته في انجاز مهمته الصعبة ، فقد تأكد من ان النص مؤلف من ثلاثة نماذج من الكتابة المسمارية وان اسهلها مؤلف من اثنين واربعين رمزا «أبجديا» . وجرب باحثون آخرون حظهم في هذا الميدان فاكتشفوا ان الخط المائل في هذه الكتابة يعني «اشارة الفصل» بين كلمات النص .

وكان العالم الألماني الشاب كروتفند Grotefend (١٧٧٥ - ١٨٥٣م) اثناء ذلك منكبا على دراسة هذه الرموز خلال عمله مديرا لمدرسة ثانوية في مدينة كوتّنكن Göttingen . وقد تأكد في عام ١٨٠٢م ان هذه الكتابة ترمز الى القاب ملكين فارسيين هما «داريوس» و «كسيركسيس» ومعهما والد «داريوس» المعروف باسم «هيستابسيس» وتوج نجاحه هذا بعمل رائع عندما فك تسعة رموز من هذه الكتابة ، وبذلك وضع حجر الأساس لبناء علم الكتابات المسمارية [١٠] .

وتابع المهتمون في الغرب ابحاثهم في هذا المجال فتأكد لهم صحة ما توصل اليه العالم الألماني ، وذلك بواسطة نص مسماري آخر لأربع لغات ورد فيها ايضا

10) Meyer, W. Nachrichten Göttinger Gesellschaft, 1893.

اسم الملك الفارسي «كسيركسيس» بالكتابتين المسمارية والهيروغليفية . ثم اكمل الالمانيان لاسّن Lassen و بُرنوف Burnouf ابحاث كروتفند Grotefend في فك الرموز المتبقية من الكتابة الفارسية القديمة وظهرت النتيجة في بحث نشره العالم بُرنوف Burnouf خلال عام ١٨٣٦م اعلن فيه حله بشكل صحيح لأربعة وثلاثين رمزا من نقوش هذه الكتابة .

وأثناء ذلك انتشرت في بلدان اوروبية اخرى حمى ابحاث علم الكتابات المسمارية اذ نقل الرحالة الانكليزي هـ. رولنسن H. Rawlinson بيده خلال عام ١٨٣٦م ، أي في نفس العام الذي صدرت فيه نتائج ابحاث الألماني بُرنوف Burnouf عددا من الكتابات المسمارية ومن بينها الكتابة المشهورة المعروفة بـ «كتابة بهيستون» المنقوشة على جدران صخرية شاهقة الارتفاع في بلاد فارس . وتمكن هذا الرحالة وقبل أن يطلع على ابحاث كروتفند Grotefend من فك ثمانية عشر رمزا من الكتابة الفارسية القديمة . وقد شكل تنوع هذه الكتابة مادة غنية لابحاثه ودراسات آخرين غيره في هذا المجال ، اذ مكنتهم هذه الكتابة من حل رموز الكتابتين الأخريين خاصة الثانية منهما والمعروفة باسم «العيلامية الحديثة» . وبلغ مجموع الرموز التي فكهما العالمان رولنسن Rawlinson و لورنس Lowrens ما يقارب المائتين . وتضافرت جهود رولنسن Rawlinson مع جهود هِنْك Hink وأتُّن Atton من أجل حل رموز الكتابة الثالثة ، ففكوا ايضا اكثر من مائتين من رموزها المقطعية وعددا آخر من المقاطع المساعدة . وتبين لهم أنها تنتسب الى مجموعة اللغات المعروفة بـ «السامية» [١٠-آ] في حين تعود «العيلامية الحديثة» في اصلها الى ما تسمى «اليافيثية» (= الآرية) . وبعد أن وضع هؤلاء الأوائل المداميك الأولى لأساس بناء علم اللغات المسمارية انكب خلفاؤهم من بعدهم على متابعة الدراسة ، وأقاموا المدماك فوق الآخر ، حتى تمكنوا اخيرا من حل معظم الرموز المتبقية من هذه الكتابات المقطعية . وما كاد القرن التاسع عشر يشرف على نهايته حتى اصبحت الطريق ممهدة لقراءة وترجمة نصوص مشهورة ساعدت العلماء في كتابة تاريخ شعوب غرب آسية القديمة .

---

١٠ ـ آ) : انظر توفيق سليمان : نقد النظرية السامية ، ١٩٨٢م، دار دمشق للطباعة والنشر ـ دمشق .

وبالاضافة الى الكتابات المسمارية المنقوشة على النصب التذكارية والآثار الظاهرة الأخرى ، كشفت لنا اعمال التنقيب عن الآثار في كثير من تلال مناطق غرب آسية عن اعداد ضخمة من اللوحات الطينية نقشت عليها كتابات مسمارية مازال علماء أصول المسمارية (Philologie) منكبين على دراستها وترجمتها الى اللغات الحية : لقد عثر منها على اعداد ضخمة كونت ما يشبه مكتبات كاملة في مدن ما بين النهرين القديمة مثل «أور» و «تللو ـ لاجاش» و «لارسا» و «اومّا» و «اوروك» (الوركاء) و «بابل» و «كيش» و «ماري» . . وغيرها وفي مدن سورية مثل «اوغاريت» (رأس الشمرة) . و «ابلا» (تل مرديخ) ويضاف الى هذه المجموعة الرقم الطينية الضخمة التي عثر عليها في العاصمة الحثية «خاتّوشا» (بوغازكوي) في آسية الصغرى وفي «تل العمارنة» في مصر . ولتبيان اهمية هذه الكتابات ، نذكر على سبيل المثال ما يتطرق من بينها لموضوع العلاقات التجارية مثل صكوك البيع والشراء وقوائم السلع التجارية والمبيعات اليومية . ومنها ايضا الخاص بالقوانين والتشريعات كالقوانين السومرية وقانون «حمّورابي» والقوانين الآشورية والحثية . . وكان من بينها ايضا نصوص المراسلات الديبلوماسية بين الملوك الكاشيين في بلاد مابين النهرين والميتانيين في شمال شرق سورية وبين بعض فراعنة مصر ، وكذلك نص المعاهدة الدولية التي ابرمت بين الحثيين والمصريين . كما علينا ألا ننسى النصوص الأدبية والشعرية كالأساطير والملاحم وغير ذلك من الانتاج الفكري لشعوب غرب آسية القديمة .

ج ـ الكتاب الكلاسيكيون :

ويأتي الى جانب هذين المصدرين الرئيسين لتاريخ شعوب غرب آسية القديمة ومنجزاتها الحضارية ايضا ما خلفه لنا الكتاب الكلاسيكيون والشرقيون من كتابات حول غرب آسية القديمة . منهم من عاصر آخر فترة من هذا التاريخ السياسي مثل هيرودوت (حوالي ٤٨٠ ـ ٤٢٥ق.م) وكتيسياس ـ كنيدوس (Ktesias-Knidos) الذي ولد في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد والكاهن البابلي بيروسّوس Berossos (=برعوثا) الذي عاش خلال الثلث الأخير من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد . ومنهم الآخر الذي عاش خلال

العصر الروماني مثل ديودور (Diodor) (القرن الأول قبل الميلاد) والرحالة الجغرافي سترابو (Strabo) حوالي الميلاد .

ويعتبر هيرودوت اعظم المؤرخين الكلاسيكيين الذين كتبوا حول الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لشعوب غرب آسية وشمال افريقية القديمة . ولم يتناول هذا الكاتب في مؤلفه الضخم موضوع دراسة الأحداث التي عاصرها وحسب ، وانما ركز جهده ايضا على وصف الأحداث التي سبقت ولادته : لقد كتب باسهاب حول الحروب الفارسية - اليونانية (٤٩٠ - ٤٧٩ ق.م) . كيف لا ، طالما كان الفرس الأعداء التقليديين للهيللينيين ؟ ومن خلال اهتمامه بالفرس تعرض في كتاباته بين الحين والآخر الى وصف عادات وتقاليد شعوب الأقطار التي خضعت للحكم الفارسي وخاصة شعب مصر . وبالرغم انه لم يخصص بحثا مستقلا حول غرب آسية الا انه استطاع ان يعطي لمحة حول واقع بعض اقطار هذه المنطقة . لقد وصف مثلا مدينة «بابل»أنها «اهم واحصن مدينة» في بلاد مابين النهرين، وتعرض ايضا لوصف الهندسة المعمارية الهامة فيها . وكتب حول غزو الملك الفارسي «كيروش» لهذه المدينة وعصيان اهلها في عهد «داريوس» . كما تناول في بحثه ايضا غزو الملك الآشوري «سانحيريب» لمصر [11] .

وقد كان «هيرودوت» مصمما ايضا على تخصيص مجلد ضخم عن بلاد آشور ضمن سلسلة ابحاثه حول اقطار غرب آسية وشمال افريقية ، غير ان المنية عاجلته قبل أن ينفذ هذا المشروع . ولكنه خلف لنا عوضا عن ذلك وصفا لعادات شعوب مابين النهرين وتقاليدها . فذكر لنا مثلا بعض احتفالاتها في مناسبة الأفراح وطقوس دفن الموتى . ولم ينس كذلك ان يركز انتباهه على اهمية خصوبة تربة البلاد وان يعدد انواع المحاصيل الزراعية التي تنتجها ، وأشار الى تنظيم شبكات الري فيها .

ويأتي «كتيسياس» في الدرجة الثانية من الأهمية بعد «هيرودوت» بين الكتاب الكلاسيكيين ، الذين تعرضوا في ابحاثهم لمناطق غرب آسية القديمة . وترجع اهميته الى اطلاعه على الملفات ، التي كانت تحويها مكتبة العاصمة الفارسية «سوسا» ونسخه نصوصها بيده . وقد استطاع ان يصل اليها بحكم عمله في

11) Herodot, II 150.

العاصمة الفارسية كـ «طبيب» للملك الفارسي «ارتاكسيركسيس» . ولكن لم يصلنا للأسف من نصوص هذه «الملفات» الا نتف من بعض مضامينهـا بواسطة كتاب كلاسيكيين متأخرين امثال «ديودور» . وكتب «كتيسياس» كسابقه «هيرودوت» حول عادات سكان مابين النهرين وتقاليدهم خلال الحقبة التي عاصر احداثها في تلك المنطقة .

وبالرغم من ان هذين المؤرخين عاشا خلال الحقب الأخيرة من تاريخ استقلال شعوب غرب آسية القديمة ، وكان بامكانهما الاقتصار في كتاباتهما على مشاهداتهما الشخصية لأحوال الاقطار التي زاراها ، الا انهما اعتمدا في كثير من هذه الكتابات على اقوال الآخرين واعتبراها وقائع مسلما بها . فمثلا اخذ «هيرودوت» الكثير من معلوماته عن اقوال الكهنة العاديين وقواد الجيوش وما سمعه هؤلاء بدورهم عن غيرهم وادعوا ان رواياتهم اعتمدت على ما شاهدوه باعينهم او عاشوا احداثه بانفسهم ، في حين ان معظم هذه الأقوال لم يكن سوى أساطير أو روايات وخرافات شعبية تناقلتها السن الناس آنذاك . ويؤكد هذا المؤرخ مثلا ان المدعو «نينوس بن بعل» قد انحدر من سلالة الهيرقليين وانه هو الذي اسس الدولة الآشورية [١٢] . ويقول «كتيسياس» ان «نيونس وسميراميس قد اسسا الدولة الآشورية» واعتبر «اخيقار الحكيم» شخصية حقيقية شغلت منصب وزير لدى الملك الآشوري «اسار حدّون» . وبالرغم من هذه الأخطاء المتكررة ، يبقى بعض ما جاء في مؤلفات هذين الكاتبين جديرا بالاعتماد ، لأن الأبحاث العلمية الأثرية المعاصرة اثبتت ايضا صحة عدد كبير من الروايات ، التي سجلها هذان الكاتبان عن غرب آسية القديمة . وبالاضافة الى ذلك كان «هيرودوت» يتحلى بنظرة نقدية تتصف في كثير من جوانبها بالموضوعية كقوله ان **«الهيلليين اخذوا عن البابليين الساعة الشمسية والمؤشر الشمسي وتقسيم النهار الى اثنتي عشرة ساعة»** .

واما البابلي «برعوثا» فقد كان كاهنا في اكبر معابد بلاد مابين النهرين وهو معبد الاله «مردوك» في العاصمة «بابل» ، وكان اغنى البيوتات المقدسة في الشرق القديم بكنوزه الثمينة من الوثائق القيمة المكتوبة على رقم طينية محفوظة في اجنحة

12) Herodot, I, 7.

مستودعاته الضخمة . وكان «برعوثا» على درجة كبيرة جدا من الثقافة شأنه في ذلك شأن الكثيرين من كهنة المعابد وخاصة كهنة معابد «مردوك» الاله الذي سجدت له شعوب كثيرة وأمم غفيرة في العالم القديم لمدة زادت على خمسة عشر قرنا من الزمن خلت على عصر هذا الكاهن الكبير العالم . ولذلك حوت مكتبته هذا التراث الضخم ، الذي وجد «برعوثا» طريقه مفتوحة اليه بحكم مهنته . وهناك ايضا عاملان آخران يضفيان على اعماله اهمية خاصة ، هما :

١ ـ معاصرته للاسكندر المكدوني . ٢ ـ اتقانه الى جانب «اللغات الشرقية» المعروفة في عصره ، اللغة اليونانية كتابة وحديثاً ، وقد اختارها كذلك وسيلة لتأليف مجلده الضخم وتدوينه . لقد توفرت له اذن جميع الأسباب التي مكنته من انجاز مهمته الضخمة ، والاستفادة من مكتبة معبد «مردوك» قبل أن تأتي يد الغزاة المخربة على ما تبقى قائماً من معابده في «بابل» وغيرها من مدن بلاد ما بين النهرين القديمة . وبدأ «برعوثا» حوالي عام ٢٨٠ ق.م. بكتابة ثلاثة مؤلفات حول التاريخ البابلي وقدمها هدية للملك «انتيوخوس» الأول :

كان المؤلف الأول بعنوان «الحكمة» سرد فيه الأساطير البابلية ، وبحث في الثاني تاريخ بلاد مابين النهرين منذ «بداية الخليقة» حتى عهد الملك الآشوري «تيغلات بيليزر» الثالث . وخصص المؤلف الثالث لتدوين تاريخ بلاد مابين النهرين حتى وفاة «الاسكندر» .

ولكن لم يصلنا ـ للأسف الشديد ـ هذا المجلد الضخم بنصوصه الأصلية وانما وصلنا منه بعض الفصول والأخبار التي نقلها عنه فلافيوس يوسفوس Flavios Josephus ويوليوس افريكانوس Julius Africanus واويزيبيوس Eusebius وخاصة اسكندر بوليهيستور Alexander Polyhistor (حوالي ٧٠ ق.م.) الذي عرّف العالم اليوناني بهذه المؤلفات القيمة . ونقل عنه اتينايوس Atenaeos [١٣] ونجد أيضاً عند اويزيبيوس Eusebius تسجيلاً لقائمة الملوك التي وضعها «برعوثا» [١٤] : لقد حدد «برعوثا» المدة التي شغلتها العصور الزمنية بدءاً من الطوفان الكبير وانتهاء بوفاة

13) Atenaeos, XIV 639 c.

14) Schnabel, Die babylonische Chronologie des Berossos, Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 1908.

الاسكندر بـ ٣٦٠٠٠٠ سنة ، والمـدة التي سبقت عصر «الـطوفان» بـ ٤٣٢٠٠٠ سنة . فإذا كان هذا العالم الكاهن قد عنى بالدهور التي سبقت «عصر الطوفان» العصور الحجرية ، فيكون تحديـده لها قد جاء قريباً من تقديـراتنا الحاليـة للمدة الزمنية التي استغرقتها العصور الحجرية وهي نصف مليـون عام . ان هذا يؤكـد بلاشك الدقة التي اتصفت بها دراسات هذا العالم البابلي [١٥] .

---

١٥) يعتبر البعض ـ وخاصة المؤرخون الصهـاينة ـ نصوص التوراة كأحد المـراجع المهمة في أبحاثهم الخاصة في تاريخ وآثار مناطق غرب آسية القديمة . غير ان معظم نتائج أعمال التنقيب عن الآثار في ربوع هذه المناطق اكـد على وجوب الحذر الشديـد في اعتماد هذه النصوص كمرجع «تاريخي» علمي . وفي هذا الصدد يجب ان نتذكر ان نصوص التوراة الأصلية لم تصلنا بصيغها الأولى الحقيقيـة ، لأنها حرفت لأغـراض سياسيـة ولـدوافع دينيـة ـ صهيونيـة (راجع ص ٩٠ ومابعدها) . ولذلك لايجوز ان نعتمد هذه النصوص الا في بحثنا للتطور الفكري والسيـاسي لليهود الصهاينة. الذين تبنوا تراث المنطقة العربية قبل الميـلاد ، علما ان هذا التراث هو تراث العرب انفسهم . كما لم يتم وضع هذه النصوص الا خلال عُصور متأخرة جدا من تاريخ غرب آسية القديم ، وذلك بعد ان تناقلت الأجيال بعضها على مر قرون زمنية عديدة . واذا كانت اعمال التنقيب عن الآثار قد اكدت صحة بعضها ، فان ذلك لا يشجعنا على الأخذ علميا بغير المؤكـد منها . ومع ذلك صدرت كتب وابحاث كثيرة في علم آثار ولغـات غرب آسيـة القديمة حاول اصحابها ان يبرهنوا فيها على صحة ماورد في نصوص التوراة من روايات «تاريخية !» . ولكنهم ظلوا يدورون في حلقات مفرغة من الظنون والتخمينات بسبب عجزهم عن ايجاد اثر مادي واحد او وثيقة مدونة تؤكد صحة تخمينهم أو صدق ظنهم (راجع بهذا الخصوص ايضا الدراسة الثانية عشرة من هذا الكتاب) .

وفي الروايات التوراتية التي يفترض ان احداثها تعود الى مابعد بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد نجد في سياقها تناقضات وتشويشا ظاهرا في ربطها الأحداث بعضها ببعض . فمثلا عندما يتحدث كتّاب التوراة حول اسحق يذكرون الفلسطينيين ايضا ، علما ان هؤلاء لم يعرفوا في ارض كنعان الا بعد بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد . ولابد ان اسحق عاش قبل ذلك بعدة قرون من الزمن ، وذلك في حالة افتراضنا جدلا انه كان شخصية حقيقية على مسرح التاريخ .

ـ) أنظر أيضاً بهذا الخصوص ، توفيق سليمان : «نقد النظـرية السـاميّة» ١٩٨٢ م ، دار دمشـق للطباعة والنشر ـ دمشق .

ثالثا ـ مراحل تطور أهم التنقيبات الأثرية الأولى في بلاد مابين النهرين (الخارطة : ٢)

منذ ان نجحت محاولات بعض العلماء بفك أول مجموعة من رموز الكتابات المسمارية ، قامت فئة اخرى بدراسة الآثار الظاهرة على سطح الأرض من المدن البائدة في غرب آسية دراسة ميدانية . ثم اعقبوها بدءاً من منتصف القرن التاسع عشر بمرحلة جديدة من الكشف عن الآثار المدفونة في باطن الأرض ضمن التلال الأثرية المنتشرة في كثير من ربوع اقطار غرب آسية . وكان السباق في هذا الحقل العلمي الجديد العالم الفرنسي بوتّا Botta [١٦] عندما كشف بدءاً من عام ١٨٤٣م عن انقاض قصر الملك الآشوري «سرجون» الثاني في عاصمته «دور شاروكين» الواقعة بالقرب من مدينة «كورس آباد» الحالية . ثم أجرى لايارد Layard بين عامي ١٨٤٥ و ١٨٤١ تنقيبات اثرية في العاصمتين الآشوريتين كلخ (=نمرود) و «نينوى» . فكشف في الأولى عن بقايا خمسة قصور لعدد من الملوك الآشوريين . وعثر فيها أيضاً على تماثيل ضخمة رائعة في دقة نحتها ، من بينها ثيران مجنحة كانت قائمة على جانبي المدخل الرئيسي للقصر الملكي وكأنها حراس أمينة قادرة على حماية ساكنيه أمام المهاجمين ! . وقد وجد هذا المنقب معها أيضاً صفائح من الحجارة كانت تغطي جدران هذه القصور من الداخل وتحمل أشكالاً أجاد الفنان في نقشها حتى تكاد تنطق تعبيراً عن قوة حيويتها . وقد جسد فيها الفنان الحياة التي كان يعيشها الملك وأفراد حاشيته بين جدران هذه القصور في أوج مجدها. ويصور لنا بعض هذه المشاهد فصولاً من رحلات الصيد الملكية ويروي بعضها الآخر بزخم بالغ العنف حكاية حصار المدن واحتلالها ونجد فيها اعداء الآشوريين يساقون الى المنفى ، ويحمل الملوك المغلوبون على أمرهم الهدايا والأتاوات تقدمة للملك الآشوري المنتصر .

ولم يكن حظ هذا المنقب في «كلخ» (= نمرود) أقل منه في «نينوى»، حيث تمكن بدءاً من عام ١٨٤٢م من الكشف في هذه العاصمة الآشورية عن بقايا قصر

---

١٦) تجنبا للتكرار فقد غضيت النظر هنا عن ذكر المراجع الخاصة بالحفريات ، لأنها سترد مراراً خلال الدراسات اللاحقة من هذا الكتاب وأيضاً في القيسم الثاني منه .

ضخم يضم عددا كبيرا من الصالات والغرف والممرات . واصطدم معوله ايضا بلقى اثرية متنوعة من بينها الأسلحة والفخار والتزيينات الجدارية والأدوات المنزلية والحاجيات اليومية المتنوعة الأخرى . وعثر بالاضافة الى ذلك على عدد ضخم من الرقم الطينية المنقوشة بالكتابة المسمارية . ثم تابع عالما الآثار رسام Rassam وسميث Smith عمل لايارد Layard فوفقا ايضا بالعثور على لقى أثرية هامة .

ومن هنا شكل عمل هذين الأثريين بداية حملات استكشاف واسعة النطاق عن الآثار . ثم تطورت فروعها وتعددت جوانبها حتى شملت جميع اقطار غرب آسية ، ولم تزل أعمال التنقيب عن الآثار مستمرة في تلك الأقطار حتى يومنا هذا .

ونقبت بعثات مختلفة الجنسيات في مواقع عديدة من بلاد مابين النهرين : فكانت في اشور بدءا من عام ١٨٤٧م واوروك من عام ١٨٤٩م ولارسا ١٨٥١م وبابل ١٨٥٢م واور واريدو عام ١٨٥٤م .

وقد نقب عالما الآثار سارز de Sarzec وهوزي Heuzey في المدينة السومرية «تللو ـ لاجاش» بدءا من عام ١٨٧٧م وعثرا بين انقاضها على عدد كبير من الرقم الطينية خطت نصوصها بالكتابة واللغة السومريتين . وابتداء من عام ١٨٩٩م نقب العالم المهندس كولدِوي Koldewey في العاصمة «بابل» ، التي شكلت المركز الروحي لبلاد مابين النهرين قرونا عديدة ، كما استطاع أن يضع مخططها الطوبوغرافي القديم :

وحرر اسس وجدران بعض بقايا قصور الملك الكلداني «نيبوخد ـ نصّار» من باطن الأرض ومعها ماتسمى بالحدائق المعلقة ، التي ورد وصف لها عند بعض الكتّاب الكلاسيكيين . . وكشف معوله ايضا عن بعض بقايا انقاض المعابد واقنية الري التي طمرتها الأتربة لمدة تزيد عن عشرين قرنا من الزمن . وأزاح بعناية ودقة فائقتين الانقاض التي كومها الغزاة وعوامل الطبيعة مع مرور الزمن على شارع «النصر» وفي «باب عشتار» ، الذي مازال جزء منه محفوظا في متاحف الدولة في برلين الشرقية . وكانت حفرياته على مستوى رفيع من الدقة بحيث لم يفلت من يده نص البيان الذي اصدره الملك الفارسي «كيروش» معلنا فيه سقوط العاصمة البابلية خلال ٥٣٩/٥٣٨ ق.م. في يد جنوده .

وازداد عدد الوفود الأثرية الى أقطار غرب آسية ، والكل يبحث عن صيد ثمين ، علـه يوفق كالأوائـل بالعثور على مواقع مدن هامة قديمة وخاصة عواصم الدول والمالك منها. وهكذا شملت الحفريات الأثرية مواقـع عديدة اخرى[17] ، مثل شوروبّاك (=فارا) في عام ١٩٠٢م وادب (بسميّا) في عام ١٩٠٣م وتل حلف ١٩١١م وفي كيش في عام ١٩١٢م والعبيد في عام ١٩١٩م ونوزي في عام ١٩٢٥م واورباتشيّا ولارسا وماري في عام ١٩٣٣م وغيرها من المواقع الأثرية الأخرى . ولم تحل الحرب العالمية الثانية دون القيام بأعمال التنقيب في بعض المواقع مثل العقير في عام ١٩٤٠م ودور كوريجالزو في عام ١٩٤٢م وحسونة في عام ١٩٤٣م وتل الهرمل في عام ١٩٤٥م .

وقدمت لنا الحفريات في هذه التلال والمواقع الأثرية كنوزا ضخمة من تراث حضارات شعوب غرب آسية القديمة :

لقد كشف المنقبون في مدينة«اور» عن قبر الملك «ميشكلمدوج» وقبر الملكة «شوباد» بمحتويـاتها من الحاجيـات الثمينة والمجوهــرات الراقيــة الصنع وحفظ معظمها في المتحف البريطاني . واتت الينا هذه الحفريات بحصيلة وفيرة من مباني حي كامل في المدينة كان قد اقيم في عهد الملك العيلامي الأصل «ريسم - سن» ، الذي عاش في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وبثروة ضخمة من الرقم الطينيـة . وكانت نتائج الحفريات الأثرية في «اشنونّا» من عام ١٩٣٠م حتى عام ١٩٣٦م في غاية الأهمية ايضا ، اذ كشفت عن بعض الأبنية التي يرقى تاريخ اكثر اساساتها الى الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميـلاد .. وأعطتنا الحفريات في هذه المدينة وفي مدينة «خفاجي» عددا كبيرا من الرقم الطينية .

وقد برهنت جميع هذه الحفريات الأثرية وغيرها في المدن الأخرى على تفاعل الحضارتين الأكّادية والسومرية ، كما أكدت لنا توطد العلاقات السياسية والحضارية وتشابكها بين أكّاد وعيلام خلال الألف الثاني قبل الميلاد .

أما اعمال التنقيب عن الآثار في مدينة «ماري» فكان من حصيلتها الكشف عن ما يسمى بقصر الملك العموري «زيمريليم» ، الذي امتد تاريخه مابين القرنين

---

١٧) تجنبا للتكرار فقد ارجأت ذكر الحفريات الأثرية التي اجريت في سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، الى الدراسة الثانية عشرة من هذا الكتاب .

التاسع عشر والسابع عشر قبل الميلاد والذي اضرمت جيوش «حمّورابي» النيران فيه فانهارت منشآته المعمارية على مافيه من كنوز ثمينة . وقد عثر بين انقاضه على مكتبة ضخمة قيمة من الرقم الطينية تحدثنا نصوصها عن علاقة مملكة «زيمريليم» بمملكتي «بابل» و «اوغاريت» ، وتؤكد لنا ان علاقات اقتصادية متينة كانت تقوم بين غرب آسية من جهة وجزيرة «كريت» من جهة اخرى .

وتوقفت معظم نشاطات التنقيب عن الآثار خلال الحرب العالمية الثانية ثم استمرت بعدها في بعض المواقع الأولى وفي مواقع جديدة اخرى بحثا عن استكمال الجوانب الحضارية والسياسية التي لم تزل غامضة في تاريخ شعوب غرب آسية القديمة . ولكن هذه الحفريات لم تضف الا القليل الى التاريخ السياسي لشعوب المنطقة . ولذلك انحصرت اهميتها ضمن اطار استكمال الجوانب الحضارية الأخرى ، التي لم تتضح من خلال نتائج حفريات ماقبل الحرب العالمية الثانية .

رابعا ـ التأريخ السياسي والحضاري لاحداث تاريخ غرب آسية القديم

تبقى دراستنا للتاريخ السياسي والحضاري لشعوب اقطار غرب آسية القديمة ولأحداث اية حقبة زمنية من تاريخ البشرية اشبه بقصة مفككة الأحداث ، مهلهلة الأفكار ، اذا لم تحدد هذه الأحداث والوقائع التاريخية والانجازات الحضارية بارقام زمنية متسلسلة احيانا ومتعاصرة احيانا اخرى ، بحيث تمكننا من تعقب هذه التطورات وتشخيصها بصورة مستقلة بذاتها أومرتبطة بغيرها ، ثم من تبين اثر هذه التطورات على نظيرها وتأثرها به . وعندها فقط نخرج بدراسة منسقة الأحداث مرتبة الفصول والمراحل لتطورات هذه الشعوب . كذلك تسهل علينا هذه الأرقام الزمنية موضوع تقويم سرعة هذه التطورات والانجازات الحضارية والسياسية للانسانية جمعاء . لذلك وجد العلماء أن الحاجة تقضي بوضع «تقويم زمني» يعتمد في الدراسات الحضارية والسياسية لتاريخ شعوب اقطار غرب آسية القديمة . ولم يكن طريقهم الى هذه الغاية سهلا ، وهو لايزال في بعض مراحله شائكا معقدا لعدم

وجود تقويم واحد لجميع دويلات المنطقة وممالكها في تأريخ أحداثها السياسية . لقد استخدمت كل دويلة او مملكة منها تقويماً زمنياً خاصاً بها ، وتناول هذا التقويم مدة حكم ملك واحد فقط ، اي انها كانت تؤرخ الأحداث السياسية نسبة الى عهد الملك أو بناء على عدد السنين التي جلس كل ملك خلالها على العرش ، ونطلق على هذا الاسلوب اسم «التقويم الملكي» . فالمعارك الحربية وتشييد الأبنية كالمعابد والقصور وغيرها من المنشآت كانت تؤرخ بناء على هذا التقويم المحدود. وعلى سبيل المثال كان الكاتب القديم يؤرخ وقوع الحدث على الشكل التالي :

«في عام ... لحكم الملك ... احتلت مدينة ...» أو «شيد المعبد ....» . وقد تمكن العلماء من تذليل هذه الصعاب بالأناة والصبر والمثابرة على البحث والتنقيب فأوجدوا نقاط استناد اعتمدوها في عملية التأريخ ، فكان أولها «المعاصرة» وثانيها «تعدد مصادر ذكر الأحداث» وثالثها «الحوليات الملكية» ورابعها «الظواهر الفلكية» .

أ ـ المعاصرة :

وتعني تعاصر حكم ملكين أو أكثر . فمثلا تبرهن الوثائق التي وجدت في مدينة «اشنونّا» و«ماري» ان «ابي ـ بعل» ملك «اشنونّا» و«زيمريليم» ملك «ماري» و «حمّورابي» ملك «بابل» و «ريم ـ سن» ملك «لارسا» ومعهم «شمشي حدد» الأول ملك «آشور» قد تعاصروا في حكمهم لمدنهم أو لممالكهم لفترة من الزمن .

ولم تساعدنا هذه الطريقة فقط ، في تحديد تأريخ احداث دويلات المدن المتجاورة بل ساعدتنا ايضا في تحديد تأريخ احقاب كاملة من تاريخ اقطار تفصل بينها مسافات شاسعة : فمثلا نستنتج من المراسلات الديبلوماسية التي عثر على نصوصها في «تل العمارنة» في مصر ان الملك «اخناتون» كان معاصرا للملك الميتاني «توشراتّا» وللملك الحثي «شوبيلوليوما» وللملك الكاشي «بورنا ـ بورياش» وللملك الآشوري «اشور ـ موبلّيط» . ويؤكد لنا نص معاهدة الصلح الحثية ـ المصرية ان الملك المصري «رعمسيس» الثاني قد عاصر خلال حكمه الملوك الحثيين «موواتاليّ» و«اورشي ـ تيشوب» و«خاتّوشيلي» الثالث .

ب ـ تعدد مصادر ذكر الحدث التاريخي الواحد :

ويتفرع عن «التقويم الملكي» اسلوب آخر يفوقه دقة وشمولا ، وهو ما نسميه «الحوليات الملكية» المتسلسلة لملوك عديدين حكموا بالتعاقب لفترة طويلة من الزمن . وقد اعتمد بعض الملوك الآشوريين هذا الاسلوب المتطور في التأريخ وثبتوه في كتاباتهم التي وصلنا جزء كبير منها . وتبين لنا هذه الحوليات ان الملك الآشوري «توكولتي ـ نينورتا» الأول حكم قبل «سانحيريب» بحوالي ٤٠٠ سنة وان الملك الآشوري «اشور ـ بانيبال» غزا أرض عيلام حوالي ٦٣٩/ ٦٣٨ق.م. ، ووجد هناك تمثالا للربة البابلية «نانّا» ، كان الملك العيلامي «شوتروك ـ ناخّونتي» قد نقله الى بلاده من بين غنائم حربه ضد «بابل» خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد . والأمر الذي يزيد من أهمية هذه الحوليات انها تسمي الأعوام بأسماء الملوك الحاكمين ، مما يجعلها اكثر دقة من سابقاتها .

ج ـ الظواهر الطبيعية :

والى جانب ذلك كله ، هناك نصوص بالخط المسماري ، تذكر لنا بعض الظواهر الطبيعية وخاصة الفلكية منها مثل كسوف الشمس . وقد حاول الكتّاب الكلاسيكيون الاستعانةبها في تأريخهم احداث تاريخ اقطار غرب آسية القديم ، فذكروا ان حكم الملك البابلي «نبيوخد ـ نصّار» قد بدأ في عام يعادل ٧٤٧ق.م. . وقد ورد ايضا في احد التقارير الحولية الآشورية ان كسوفا للشمس قد حدث خلال حكم احد الملوك الآشوريين وقد حدد هذا الكسوف بالوسائل العلمية الحديثة في ١٥ حزيران (يونيو) من عام ٧٦٣ق.م وتيسر لنا هذه الحقيقة ان نحدد تعاقب الملوك الآشوريين في الحكم بشكل صحيح ودقيق حتى عام ٩١١ ق.م. .

ولم ينته العلماء من تأريخ حقبة كاملة حتى وضعوا بداية تأريخ الحقبة اللاحقة لها ، تارة بالاستناد الى «الحوليات الملكية» واخرى بالاعتماد على «تعدد مصادر ذكر الحدث الواحد» وعلى «تعاصر الملوك في فترات حكمهم» حتى استطاع بعضهم اخيرا ان يحدد حكم الملك البابلي «حمّورابي» بصحة نسبية تصل الى ٩٥٪ من

«التاريخ المطلق» . ولايزال الخلل الزمني يعتري ابحاثنا حول بعض العصور اللاحقة لعهد «حمّورابي» وخاصة خلال العصر الكاشي في بلاد مابين النهرين . ويزداد ايضا الخلل الزمني في تأريخنا للحقب السابقة لعصر حمّورابي اذ لانكاد نصل بداية الألف الرابع قبل الميلاد حتى نجد صحة ارقامنا لا تتجاوز حتى الآن الـ ٨٠٪ من «التاريخ المطلق» ، وفي هذه الحالة نسميها «التأريخات النسبية» .

ونتيجة لذلك توجد الآن ثلاث طرق في احدث البحوث والمؤلفات التي نشرت حول حضارات غرب آسية القديمة تعـرّف عادة بتعبير «التأريخ الطويل» و«التأريخ المتوسط» ثم «التأريخ القصير» ، الذي تحدد بموجبه فترة حكم «حمّورابي» البابلي من ١٧٢٨ الى ١٦٨٦ ق.م. . وهو تاريخ اخذت به في هذا المؤلف ، لأني أراه اكثر دقة من التأريخين الآخرين .

الدراسة الثانية
انسان ما قبل التاريخ في المنطقة العربية

أولا ـ بعض معطيات الواقع المادي لانسان العصور الحجرية

أ ـ ملاحظات عامة :

كانت الثلوج الكثيفة وطبقات الجليد السميكة تغطي الجزء الأكبر من النصف الشمالي من سطح الكرة الأرضية خلال العصور الجليدية (البلايستوسين) [١٨] . ثم بدأت درجة الحرارة تسجل ارتفاعا ملحوظا في بعض المناطق ، مما أدى الى ذوبان جزئي للثلوج والجليد على سفوج الجبال والمرتفعات الأخرى وتدفق المياه الى المنخفضات والوديان . ورافق ذلك ثم اعقبه تغير مناخي عنيف في بعض مناطق الكرة الأرضية ومنها انحاء حوض البحر المتوسط ، حيث اخذ مناخ هذه المناطق يميل الى الاعتدال النسبي [١٩] ، مما مكن الانسان من العيش في بعض بقاعها .

وقد اكدت الأبحاث التي اجريت حتى الآن في آثار ما قبل التاريخ في ليبيا [٢٠] وسورية ان الانسان استوطن بعض هذه المناطق خلال الحقبة المبكرة من تاريخ حضارته وانه كان يقتات بالحبوب البرية . اذ عثر المنقبون عن الآثار في «قرقر» الى الشمال الغربي من «حماه» في سورية على حبوب من هذا النوع يرقى تاريخها الى النصف الثاني من دهر البلايستوسين الحديث [٢١] .

---

18) Hamann, R., Geschichte der Kunst (Von der Vorgeschichte bis zur Spätantike), 1957, Bd, I, S. 41.

19) Hamann, op. cit. S. 41.

20) Mcburney C. B. M., Stone Age of Northern Africa, P. 192 ff.

راجع ايضا «طه باقر» : عصور ماقبل التاريخ في ليبيا . . . (ليبيا في التاريخ . القسم العربي ، ص ١ ـ ٤١) .

21) Van Liere, W. J., The Pleistocene and Stone: (Age of the Orentes River, Syria), in AAAS, XVI, 2, P. 13-14.

ولايزال تحديد الوقت الذي بدأ فيه الانسان يستقل فيزيولوجياً عن بقية الأحياء الأخرى أمراً صعباً ، ولكن علماء الأحياء وآثار ماقبل التاريخ ، اعتادوا عند الاشارة الى ذلك ـ فيما يخص جنوب اوروبة مثلا ـ ان يضعوا له رقما تقريبيا يربو على نصف مليون عام [٢٢] . وكان الانسان قبل أن يدخل المرحلة الأولى من تاريخ صناعته أدواته البدائية الحجرية يستخدم الحجارة المتوفرة في الطبيعة كوسيلة من وسائل الدفاع عن نفسه ضد الحيوانات البرية التي كانت تهدده بالانقراض [٢٣] .

ب ـ السكن والحياة المعاشية :

قطن الانسان الأول في مناطق حوض البحر المتوسط الكهوف القائمة على سفوح الجبال والمرتفعات الأخرى ليتفادى خطر فيضانات المياه وليتحاشى شر الوحوش الكاسرة التي كانت تنتشر بكثرة في ادغال الأراضي المنخفضة وبالقرب من المستنقعات . ويؤكد لنا ذلك العثور على آثار انسان هذا العصر في مناطق عديدة من مرتفعات اقطار البحر المتوسط مثل كهوف جبال الكرمل في فلسطين [٢٤] ومغاور يبرود في سورية [٢٥] وكهف «هوافطيح» في ليبيا [٢٦] .

لقد عاش انسان البحر المتوسط خلال هذا العصر في مجموعات بشرية صغيرة ، كان افرادها يحصلون على قوتهم الضروري بواسطة جمع الغذاء الذي توفر حرا في الطبيعة ، وكان قوامه في بعض البقاع اللوز والزعرور وغيرها من الثمار البرية الأخرى [٢٧] . واقتات الانسان في بعض المناطق الأخرى بالحبوب البرية ،

---

22) Jirku, A., Die Ausgrabungen in Patästina + Syrien, 1956, S,. 5.

23) Solyman, T., Die Entstehung und Entwicklung der Götterwaffen im alten Mesopotamien und ihre Bedeutung, 1968, S. 12.

24) Kenyon, K., Archaeology in the holy land, 1960, P. 38.

25) Hooijer, D. and de Heinzelin, J., The Dicerorhinas Hemitoechus (falconen) It Jabroud, in AAAS, XVI, 2, P. 155.

٢٦) طه باقر ، نفس المرجع السابق ص ٢٧ من القسم العربي ، وانظر في نفس المرجع ايضا Mcburney, C. B. M., Libyan Role in Prehistory, P. 1 -31.

27) Van Zeist, W. and Bottema, S., Palaeobtonical Investigation at Jabroud, in AAAS, XVI, 2, P. 188.

بدليل استخدام انسان فلسطين المنجل الحجري في حصادها [٢٨] وهذا يعني ان المواد المتوفرة حرة في الطبيعة كانت تحدد نوع الطعام الذي اقتات به الانسان الحجري .

وكانت ثمة جماعات بشرية اخرى عاصرت الجماعات السابقة الذكر ، ولكنها لم تبق مغلقة على نفسها مستقلة ضمن اطار محيطها الجغرافي . لقد كانت تنتقل خلال فترات من مراحل العصور الحجرية من منطقة الى اخرى ضمن اطار منطقتها الجغرافية الكبرى التي تفصلها عن الأخرى الحدود الطبيعية التي استحال عليها اجتيازها . ويدل على ذلك ايضا ماعثر عليه في بعض مغاور أواسط فرنسة من قواقع بحرية لايتوفر نوعها الا على شواطىء البحر المتوسط [٢٩] .

ولم تكن هناك علاقات انتاجية تربط افراد المجموعة البشرية الواحدة بعضهم ببعض خلال الأحقاب المبكرة من تاريخ البشرية ، وانما وجدت روابط معاشية ارتكزت - كما ذكرنا - على جمع الغذاء من ثمار وحبوب برية . ويختلف هذا - في رأيي - عن العلاقات الانتاجية التي يشكل انتاج السلعة «قاعدتها الأساسية» . وبالرغم من ان الانسان بذل جهودا ضخمة في سبيل الحصول على قوته الضروري ، فاننا لا نستطيع ان نطلق على هذه العملية صفة «الانتاج» كما يفهمها بعض المؤرخين وعلماء الآثار [٣٠] .

ولم يكن على انساننا القديم الا ان يبحث عن المواد الغذائية التي كانت متوفرة حرة في الطبيعة وان يقوم بجمعها . وهذا يجعل مفهوم «الجهد المبذول» مختلفا في جوهره عن مفهوم الانتاج والعلاقات الانتاجية التي تعتمد اساسا على انتاج سلعة ما من قبل الانسان نفسه . وقد حدث ذلك خلال عصور لاحقة عندما عرف الانسان الزراعة اوتربية الحيوانات اومزاولة احدى الحرف . ولا نستطيع - كما هو معروف حتى الآن - تلمس بداية مثل هذه الحقبة الا خلال العصر الحجري الحديث عندما عرف الانسان تربية الحيوانات ومارس الزراعة .

---

28) Kenyon, K., Archaeology in the Holy Land, 1960, P. 37.

29) Childe, G., Der Mensch schafft sich selbst, S. 66.

٣٠) نشير هنا في هذا الصدد الى احدث المؤلفات السوفييتية وهو «تاريخ العالم : الجزء الأول» .

وكانت هذه العلاقات المعاشية بطبيعتها محدودة جدا ومحصورة ضمن نطاق المجموعة البشرية الواحدة الجغرافي . ويعود ذلك الى ان الطبيعة كانت تقدم للانسان مالديها من خيرات . ولكن التجارب الانسانية المتعاقبة صقلت جانبا أو أكثر من مدارك الانسان ودفعت فكره خطوة الى الأمام : فأخذ يصنع بعض الأدوات التي يحتاجها من الحجارة - وخاصة الصوانية منها - مثل : المكاشط والأزاميل والفؤوس والمناجل . . . وغيرها من الأدوات التي استخدمها في صيد الحيوانات البرية .

وبعد انقضاء عشرات الألوف من الأعوام على بداية حضارته المادية ، استطاع فكره الانطلاق من قيود المنظورات المادية الملموسة الى مجال رسم بعضها وفي مقدمتها شكل الحيوان البري ، الذي كان يؤلف مصدرا هاما من مصادر غذائه . فرسم شكله على جدران كهوفه الصخرية احيانا ونقشه احيانا اخرى على بعض الصخور المتوفرة في مناطق اقامته . ثم كانت المرحلة التالية ، التي جسد الانسان خلالها بعض حيواناته في شكل دمى من الطين[٣١] .

اما الاكتشاف الحاسم في حياة انسان هذا العصر فكان معرفته النار ثم كيفية ايقادها . وهو اكتشاف مثّل بداية مرحلة جديدة في تقدمه الحضاري ، وخاصة عندما اخذ يستخدم النار في انجاز عملية الطبخ والشيّ . ولابد أن تناوله للطعام الساخن كان قد اثر على تطوير خلايا دماغه . كذلك صارت النار مصدرا هاما للتدفئة عنده ، ووجد فيها بطريق الصدفة سلاحا رادعا يخيف الحيوانات الكاسرة ويبعدها عن مكان وجوده .

ج - تربية الحيوانات واكتشاف الزراعة وبداية عصر الاستقرار :

ودفع الجفاف والبرودة انسان كهوف الجبال وبعض المرتفعات في انحاء عديدة من مناطق غرب آسية وشمال افريقية الى الهجرة من ملاجئه والنزول الى المنخفضات

31) Hamann, R., Geschichte der Kunst (Von der Vorgeschichte bis zur Spätantike), 1957, S. 43 - 46.

والسهول المجاورة [٣٢] ، للبحث عن مصادر جديدة للعيش بدلا من المصادر المنقرضة بفعل التبدلات المناخية في مناطق سكناه الأولى .

ونتيجة لعلاقات الانسان بالحيوانات البرية اثناء صيده لبعضها ، تمكن من تدجين انواع منها . وقد كان أولها «الكلب» ، الذي بحث بالقرب من كهوف الانسان ومغاوره عما يلتهمه من نفايات ، قذف بها الانسان خارج مسكنه . وهكذا الف الكلب الانسان وصار فيما بعد عونا له في رحلات صيده وحارسا لحيواناته ثم اكتشف الانسان طريقة اخرى في تدجين بعض الحيوانات البرية ، تختلف عن التدجين الغريزي للكلب :

فقبل ان يعرف الانسان حياة الاستقرار الزراعي ، كان قد مضى حوالي نصف مليون عام على بداية تاريخ حضارته المادية . وخلال ذلك عرف الصياد الحيوانات البرية ولاحظ عملية تكاثرها في البراري ، وأثارت «مواليد» الحيوانات اللبون غير الكاسرة فضوله وانتباهه فنقلها الى كهفه ليقتات بلحومها . ولابد انه اكتشف مع مرور الزمن وعن طريق التجربة سر تربيتها والاستفادة من لحمها في المستقبل . ويدفعنا هذا الى القول انه لايمكن ان يكون صحيحا ما يعتقده البعض عن الانسان الحجري من انه قتل اخاه الانسان سواء في الاسرة أو العشيرة الواحدة ليلتهم لحمه ، اللهم الا في حالات جد نادرة ، انحصرت في سني القحط الشديد ، ولكنه حتى في هذه الأوقات تحمل مشاق الهجرة الى بقاع اخرى أمنت له الغذاء الذي كان يبحث عنه :

وكانت الأغنام والماعز والأبقار والخنازير أولى الحيوانات اللبون التي عرف الانسان القديم تربيتها [٣٣] ، بدليل النقوش الفنية التي وصلتنا من مخلفات الألف الرابع قبل الميلاد ، والتي ترينا أن معظم قطعانه كانت من هذه الحيوانات . والشيء الأكيد ان انسان اقطار غرب آسية عرف الماعز البري ، الذي شكلت عظامه في عدة مناطق نسبة لابأس بها بين كميات عظام الحيوانات البرية المكتشفة التي كان الانسان

32) Van Liere, W. J., The Pleistocene an Stone Age of the Orentes Syria, in AAAS, XVI, 2, P. 13-14.

33) Awdijew, W. I., Geschichte des Alten Orients, 1953, Beni-Salami und Badari, S. 13.

يصطادها قبل أن يتوصل الى اكتشاف طريقة تدجينها [٣٤] . ولاشك في أن تربية الماعز والأغنام كانت قد انتشرت بشكل واسع في غرب آسية وخاصة في بلاد مابين النهرين خلال الألف الرابع قبل الميلاد [٣٥] . ولكنها كانت محدودة الأنواع والأعداد خلال هذه المرحلة . واذن فقد دخل الانسان هنا مرحلة جديدة اخرى هي مرحلة **«انتاج الأطعمة»** عن طريق تربيته الحيوانات بدلا من اعتماده الكلي على صيدها وجمع الطعام . وفي هذا الصدد يشير عالم الآثار «بريد وود» الى وجود «حقبتين مبكرتين لمرحلة انتاج الأطعمة» وكانت الأولى منهما حقبة **«بداية الاستقرار وتربية الحيوانات»** [٣٦] .

ويرقى التاريخ التقريبي لبداية عصر الاستقرار الزراعي ـ كما هو معروف حتى الآن في غرب آسية ـ الى حوالي ٨٠٠٠ ق.م. حسبما دلت عليه اللقى الأثرية التي اكتشفت في منطقة«ده ـ لوران»في كوزخستان الأيرانية[٣٧]. وعرف «العراق» بداية هذه المرحلة في عصر متأخر عن جارته الشرقية [٣٨] . غير ان عملية استقرار الانسان الزراعي لم تكن خلال هذا العصر ظاهرة عامة في جميع اقطار غرب آسية ، بل كانت محدودة الانتشار واقتصرت على بعض الجماعات والبؤر البشرية ، في الوقت الذي ظلت خلاله الجماعات والبؤر الأخرى تعيش في بدائيتها داخل الكهوف والمغاور وتحت الملاجىء الصخرية أو تقوم برعي مواشيها متنقلة من منطقة الى اخرى بحثا عن الماء والكلأ . لذلك انتشرت مستوطنات هذين المجتمعين جنبا

---

34) Hooijer, D. A., Preliminary notes on the animal remains found at Bouqras and at Ramad in 1965, AAAS, XVI, 2, P. 194.

35) Moortgat, A. VR, 1940, Nr. 9.

على الرغم أن تاريخ هذا الختم الاسطواني يعود إلى الرابع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد الا انه لابد ان تكون عدة قرون زمنية قد مضت على معرفة الانسان لتدجين الماعز قبل وصوله إلى مرحلة نقش اشكال هذه الحيوانات على الأختام الاسطوانية .

36) Braidwood, R. J., Prehistoric men, seventh edition, 1967, P. 194.

37) Braidwood, R. J., op. cit. P. 94.

38) Braidwood, R. J., op. cit. P. 146.

الى جنب خلال هذا العصر في معظم اقطار غرب آسية وشمال افريقية [٣٩] . اما مصر والسودان فقد عرف الانسان فيهما الزراعة في عصر لاحق لظهورها في ايران والعراق وبلاد الشام ، بدليل اللقى من الحبوب التي عثر عليها في منطقة «الفيوم» ، ويعود تاريخها الى حوالي ٤٢٧٥ ق.م. وفي «ميريمدي بني سلامة» الى حوالي ٤١٠٠ ق.م.[٤٠]. وفي منطقة «شهنيب» القريبة من الخرطوم الى حوالي ٣٣٠٠ ق.م. وقد تأكدت هذه التواريخ بواسطة تحليل هذه اللقى من الحبوب بطريقة الراديو كاربون (١٤) [٤١] . وأما في شمال افريقية وخاصة في ليبيا وكذلك في شبه الجزيرة العربية ، فمازالت ابحاث علم ماقبل التاريخ في بداية طريقها وهي تشترط بذل جهود ضخمة للقيام بتحريات اثرية مستمرة في الصحاري وفي المناطق المجاورة لها بحثا عن مستوطنات انسان ماقبل التاريخ . ومن ثم اجراء حفريات اثرية طبقية في بعضها لنتمكن ـ استناداً الى نتائجها ـ من تحديد بداية هذا العصر الانتقالي الهام في تاريخ تطور الحضارة الانسانية في هذه المناطق المترامية الأطراف .

وكما دلت حتى الآن الأبحاث الأثرية في ما قبل التاريخ ، فان انسان غرب آسية القديم لم يعرف خلال المرحلة الأولى من بداية عصر الاستقرار الزراعي ، اي مابين ٨٠٠٠ و ٦٠٠٠ ق.م. سوى زراعة الحبوب البرية كالقمح والشوفان [٤٢] . بيد انه تمكن من خلال جمعه لها وزراعتها من تحسين انواعها واختيار الأجود من بينها لغذائه وبذار ارضه مثل القمح والشعير [٤٣] ، وبعد ذلك انتشرت زراعتها لدى عدد كبير من المجتمعات البشرية المستقرة في مناطق غرب آسية .

---

39) Solyman, T., Introduction, in AAAS, 1966, XVI, 2.

40) Braidwood, R. J., op. cit. P. 94.

41) Braidwood, R. J., op. cit. P. 127. op. cit. P. 127.

42) Van Loon, M., Results of the Ist Excavations at Mreibet, in AAAS, XVI, 2, P. 215.
ويعتقد في هذا الصدد ان المرأة كانت المسؤ ولة الوحيدة عن اكتشاف الزراعة ، لأنه كان لديها الوقت الكافي لمراقبة بذور النباتات ونموها ، عندما كانت تقضي كل وقتها في الكهف وفي المنطقة القريبة منه .

43) Braidwood, R. J., op. cit. P. 135

ويبدو أن مهنة تربية المواشي كانت قد رافقت بداية الزراعة في مراحلها الأولى . فقد عثر في «تل الصوان» الواقع الى الجنوب من مدينة «سامراء» في العراق على كميات كبيرة عن عظام الحيوانات الأهلية ، دلت تحريات الراديوكاربون (١٤) ان تاريخها يرقى الى حوالي ٥٥٠٠ ـ ٥٠٠٠ ق.م. [٤٤] .

ولاشك في أن الانسان كان قد ذلل صعابا كثيرة وعقبات جمة في طريق تطوره قبل أن يبلغ هذه المرحلة من التقدم :

لقد فتك البرد القاسي بجسده وسبب له الأمراض الفتاكة ، واتى الجفاف الشديد في بعض المناطق على مصادر تموينه الغذائي . وهددت الحيوانات الكاسرة والفيضانات وجوده بالزوال. كما حالت الغابات والمستنقعات باديء الأمر دون استقراره في المناطق الخصيبة الدافئة ، لذلك كان عليه أن يذلل جميع هذه الصعاب ليحفظ جنسه من الانقراض .

لقد عمد الانسان اولا لكسب ما يستطيع من مساحات الأراضي لزراعتها ولتأمين العلف لحيواناته. ولتحقيق هذا الهدف اخذ يقلع الأشجار في الغابات والأحراج ويهيء أرضها للاستغلال . وكانت الأدوات الزراعية التي استخدمها باديء الأمر ، بسيطة جدا مثل العصا الخشبية والفأس الصوانية والمنجل الصواني . وجعل من بعض أنواع الحجارة رحى لسحق الحبوب ، اذ عثر على نماذج منها في «تل المريبط» الواقع على نهر الفرات في سورية [٤٥] .

وكان استغلال الانسان لقطعة الأرض الزراعية محدودا جدا ، لأنه لم يستثمرها الا لعدة مواسم أولدورات زراعية قليلة ، هجرها بعد ذلك وجدّ بالبحث عن منطقة اخرى صالحة لزراعته . ثم سوى جزءاً منها واستغله ايضا لعدة مواسم متعاقبة . وقد حدد عدد هذه المواسم قدرة الأرض على متابعة العطاء . ولما اصبحت كسابقتها هجرها وانتقل الى قطعة اخرى وهكذا دواليك [٤٦] .

---

44) Abu- es Soof, Excavation at tell es- Sawwan, in Sumer, XXIII, No. 1a, III, 1967, P. 179- 182.

45) Van Loon, M., Results of 1st Excavation at Mreibet, in AAAS, VI, 2, fig. 4.

46) Rachel, H., Kulturvölker und Staaten von Urbeginn bis heute, 1931, S. 4- 5.

وباستقرار الانسان على ضفاف الأنهار وفي الواحات وبالقرب من المستنقعات حصل على تربة خصبة وتمكن مع مرور الزمن من ريها بطرق اصطناعية . ونتيجة لهذا الواقع الجديد تطورت خبرته ، فانتقل باسلوب تهيئة التربة من طريقة «نكشها» الى «حفرها وقلبها» . وهذا يعني انه كان قد طوّر أدواته الزراعية باستخدامه المعول الحجري . وكسب بذلك مساحات أوسع من الأراضي الزراعية المهيأة للاستغلال . وهكذا ارتفعت نسبة الانتاج الزراعي - بالقياس إلى العصور السابقة - فازداد عدد السكان نتيجة لذلك وانعكس هنا بدوره على الانتاج الزراعي وتربية الحيوانات الداجنة ، التي زاد عددها وكثرت أنواعها عن ذي قبل ودخلتها سلالة جديدة هي «الأبقار» التي اصبحت منذ نهاية العصر الحجري الحديث وسيلة رئيسة من وسائل الانتاج اذ استخدمها الانسان في جر المحراث والعربات .

وقد علّمت الكوارث الطبيعية - كالجفاف مثلا - الانسان ان عليه ان يختزن بعض المواد الاستهلاكية ليسد بها النقص التمويني ، الذي قد ينتج عنها . اذ قبل أن يعرف الانسان اسلوب «الري الاصطناعي» كان - ومازال - يكفي أن يتأخر هطول الأمطار عن مواسمها الدورية أو يسبق وقت الحاجة إليها ليدمر معظم محاصيله الزراعية . وهكذا اكتشف اسلوب «تخزين» بعض الحبوب التي اصبحت تفيض عن حاجته اليومية والشهرية ثم السنوية . وعرف أيضاً أنه بتربيته للحيوانات واحتفاظه بالاناث منها للتناسل يحفظ لحومها الى أوقات الشدة ، ولهذا السبب - على الأرجح - لم يكن يذبح إلا الذكور من قطعان مواشيه . ولكنه لم يعرف اسلوب «التخزين» إلا بعد أن تمكن من اقامة المستودعات من الطين المجفف بأشعة الشمس أو الهواء لحفظ تموينه داخلها . ومن ناحية أخرى كانت اقامته لهذه المستودعات - من الوجهة الحرفية - بمثابة الخطوة التمهيدية لصناعة الفخار ، التي أصبحت تشكل العمود الفقري لحرفه اليدوية ما بين حوالي ٥٠٠٠ و ٢٠٠٠ ق.م.[٤٧] في مناطق غرب آسية خاصة .

---

٤٧) كان التخزين نتيجة طبيعية لحاجة المجتمع الضرورية للتموين الاحتياطي من أجل البقاء وليس نتيجة لـ «فائض القيمة» أو «نشوء الدولة» كما قد يظن لأول وهلة .

ونتيجة لاكتشاف الانسان في بعض المجتمعات هذين المصدرين التموينيين شبه الثابتين انحسرت أهمية الصيد وجمع الطعام كمصدرين تموينيين وحيدين له ، وأصبح بالتالي الانتاج الثابت للطعام العلامة الفارقة للمجتمع الانساني المتحضر . وتلا ذلك اكتشاف المعدن ، الذي صنع منه الانسان أدواته ، التي اختلفت عن الأدوات الحجرية لسهولة تصنيعها وصلابتها . وهذا يعني أيضا ان الانسان سار الخطوة الأولى على طريق طويل من معارف «التفكير التقني» . لقد اكتشف الانسان في البداية اسلوب «طرْق» المعادن قبل أن يكتشف سر «صهْرها» . وكان النحاس أول المعادن ، التي عثر عليها العلماء بين اللقى الأثرية في «شاينبو» الواقعة الى الشمال من «ديار بكر» في سورية . وتتكون هذه اللقى المعدنية من قسم من «دبوس» و «رأس مثقب» ومن «عقد» . وقد صنعت جميعا باسلوب «الطرْق» . وبرهنت تحريات الراديو كاربون (١٤) أن تاريخها يرقى الى حوالي ٧٠٠٠ ق.م. [٤٨] .

وعلى ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نسمي بداية عصر استقرار الانسان الزراعي عصر نشوء «نواة» القرية . وتدلنا تحاليل الراديو كاربون (١٤) لعيّنات من اللقى الأثرية التي وجدت في أسفل الطبقات الأثرية في كثير من أطلال المدن القديمة ، ان تاريخ جميعها يعود إلى احقاب العصر الحجري الحديث ، التي تمتد ما بين ٧٠٠٠ و٣٥٠٠ ق.م. مثل «تبة سيالك» و«حجي فيروز» في ايران و «تل حسونة» في العراق و «تل الجديدة» في سورية بين ٥٦٠٠ و ٥١٠٠ق.م. [٤٩] و «تل الرماد» [٥٠] و «تل حلف» [٥١] في سورية و «تل الصوان» [٥٢] و «تل العبيد» [٥٣] في العراق بين ٥٠٠٠

---

48) Brakidwood, R. J., op. cit P. 125.

49) Brakidwood, R. J., op cit P. 126.

50) de Contenson, H., et Van Liere, W. J., Premiers pas vers un Chronologie Absilut a tell Ramad in AAAS, XVI, 2, P. 175-176.

51) Brakidwood, R. J., op. cit p. 144.

52) Abu es-Soof, Excavations at tell es-Sawwan, in Sumer, XXI, 1, 2, P: 17-32.

53) Brakidwood, R. J., Prehistoric men, P. 148.

و ٣٧٥٠ق.م. وكذلك «الفيوم» ٤٢٧٥ ق.م. و «ميريمدي بني سلامة» في مصر ٤١٠٠ ق.م. (٥٤) .

وقد احتاج الناس في مناطق استقرارهم الجديدة مقرات لهم وزرائب لماشيتهم تقيهم أخطار العوامل الطبيعية وشر الحيوانات الكاسرة في البيئة الجديدة بدلا من الكهوف والمغاور التي اتخذوها مساكن لهم على مر مئات الالوف من الأعوام . لقد بنوهـا بادىء الأمـر على شكل أكواخ من الأخشـاب المتوفـرة آنـذاك في هذه المناطق (٥٥) .

وبعد أن تطورت معارف الانسان ونمت مداركه اكتشف من خلال التجربة والمعاناة ان الأخشاب لا تصمد أمام العوامل الطبيعية كالحجارة والطين ، ولذا عمل على استبدالها في كثيرمن مواطنه بهاتين المادتين . وتكونت جدران بعض هذه المنازل من «الطين» ، وكانت تقوم على أساسات من الحجارة ، كما كان الحال في قرية «جارمو» و «تل حسونة» في العراق و «اوغاريت» و «تل الجديدة» و «مرسين» في سورية و «تل السلطان» في فلسطين و «البيضا» في الاردن و «جبيل» في لبنان . وتدل تحريات الراديو كاربون (١٤) ، ان تاريخها يعود الى حوالي نهاية الألف السابع وبداية الألف السادس قبل الميلاد (٥٦) .

وهناك ايضا مناطق اخرى اقام سكانها منازلهم من الحجارة الكلسية المشذبة كما في «تل المريبط» (٥٧) لقد كانت جدران الغرف تقوم على أساسات مربعة الشكل لايتجاوز طول ضلع الواحد منها ١,٥م . وظهرت ايضا في نفس التل منازل دائرية الشكل تعرف باسم «تولوز» (٥٨) ، وهي منازل اكتشفت ايضا في

---

54) Braidwood, R. J., op. cit P. 147.

55) Moortgat, A., Die Entstehung der sumerischen Hochkultur, AO 43, 1945, S. 16.; Heinrich, E. Bauwerke in der altsumerischen Bildkunst, 1957, S. 15, Abb. 8, S. 16, Abb. 9 u. 10, S. 19, Abb. 12 usw..

56) Braidwood, R. J., op. cit. p. 118-121.

57) Van Loon, M. and Solyman, T., JNES, vol. 27, No. 4, october 1968, fig. 6, pl. IV-VI, P. 271.

58) VanLoon, M., op. cit. p. 267, fig. 2.

مناطق اخرى عديدة من غرب آسية وشمال افريقية واوروبة . وكانت قرية هذا العصر ضيقة الرقعة لا تتجاوز مساحتها ١٥٠٠ مترا مربعا . لهذا يقدر ان عدد سكان قرية «جارمو» كان قد بلغ حوالي ١٥٠ انسانا (٥٩) .

د ـ الحرف اليدوية :

لقد كانت الأدوات الحجرية مثل المكاشط والمخارز والنبال والمطارق والفؤوس والمناجل وغيرها من الأدوات الأخرى أول انتاج للانسان في بداية العصر الحجري القديم . وبالرغم من أن هذا الانتاج اتخذ طابع الحرفة ، فان الانسان لم يستطع تطويرها الا ببطء شديد جدا استغرق مئات الألوف من الأعوام وذلك لصعوبة نحت الحجر من جهة ، ولعدم امتلاكه أدوات حادة قاطعة تلزم لهذا النحت من جهة اخرى . لذلك ظلت هذه الصناعة طوال العصور الحجرية ذات خصائص جد متشابهة . وقد تراوحت حجومها بين الضخامة في العصر الحجري القديم وبين النحافة والنعومة خلال العصر الحجري الوسيط . ثم تقهقرت وعادت الأدوات الى خشونتها خلال العصرين الحجري الحديث والحجري ـ النحاسي ، حين بدأ المعدن يحتل تدريجيا مكان الحجر في صناعة معظم الأدوات التي احتاجها الانسان في حياته اليومية .

لقد ذكرنا ان اقامة الانسان مستودعات الحبوب من الطين المجفف بأشعة الشمس والهواء كانت قد شكلت خطوة اولى في سبيل معرفته صناعة الفخار العادي ، الذي أخذ يصنعه باليد ثم اكتشف طريقة تلوينه في بعض مناطق بلاد ما بين النهرين وغرب ايران مثل «تل حلف» و «سامراء» و «تل حسونة» و «سوسا» (٦٠) . واستخدم الانسان بادىء الأمر حرارة الشمس والهواء لتجفيف الفخار ثم استغل النار المكشوفة لهذا الغرض ، وبعد ذلك اخترع الفرن ، الذي لم تقل درجة حرارته عن ٦٠٠ د مئوية ، التي احتاجتهاصناعة الفخار الجيد . ولم تقتصر الصعوبة فقط على بلوغ هذا الارتفاع لدرجة الحرارة داخل الفرن ، وإنما

---

59) Braidwood, R.J., op. cit. P. 120.

60) Moortgat, A., Die Entstehung der sumerischen Hochkultur, AO 43. S. 19 ff.

شملت أيضا قدرة الانسان على المحافظة على استمراريتها ثم الحيلولة دون توضع الدخان على سطح الاناء . وقد بلغ الانسان هذا المستوى من التقدم التقني الرفيع خلال فجر عصر النحاس في مناطق قليلة من غرب آسية .

ومن بين الاختراعات الهامة التي توصل اليها الانسان خلال هذا العصر «عجلة الفخار» ، التي اخذ يصنع بواسطتها اعدادا ضخمة من الأواني الفخارية وبذلك اصبحت صناعة الفخار تشكل العمود الفقري في اطار حرفه ، لأن صناعة الفخار باليد وحدها كانت تستهلك وقتا طويلا لانتاج بضعة قدور من الفخار خلال عدة أيام . وقطع الانسان ايضا شوطا كبيرا في طريق صناعة الدمى من الطين والعظام . واوجد مبدأ النسيج باكتشافه نبات الليف البري ، الذي اشتهرت به مناطق حوض البحر المتوسط . وبذلك أصبحت الألبسة المنسوجة من نبات الليف تحتل - تدريجيا - لدى بعض المجتمعات البشرية مكان قطع الجلود ، التي كان الانسان يربط فيما بينها بقطع دقيقة من العظام ليستر بها جسده .

وقاد اختراع الانسان لـ «عجلة الفخار» الى اختراع آخر هو «عجلة» الجرّ ، التي ساهمت بشكل فعال في سرعة الاتصال بين القرى والمستوطنات وخلقت مجالات جديدة واسعة في عالم النقل . ورافق هذه الخطوة بالتالي معرفة الانسان لحيوانات الجر كالثور والحمار . وبالاضافة الى ذلك كله فقد طور الانسان اسلحته «الهجومية !» مثل القوس والنبال ، التي عرفها خلال عصر الصيد .

بعد هذه اللمحة الموجزة عن أهم منجزات الانسان الحرفية واختراعاته «التقنية» خلال استقراره الزراعي والتي شكلت اسس تطور الانتاج المادي خلال العصور اللاحقة ، نستطيع أن نستعرض أهم افكاره الغيبية خلال هذه المرحلة من تاريخ تطوره الحضاري .

= -) Leslie, Ch., Style Tradition and change: An analysis of the earliest Pottery from north Iraq, JNES, vol. XI,No 1,P. 57 ff

-) Lloyd, S. and Safar, F., with prefatory remarks by Braidwood, R. J., Excavation at tell- Hassuna, by the Iraq Goverment Directorat General of antiquities in 1943 and 1944, JNES, vol. IV, No. 4, P. 255-284.

ثانيا ـ الغيبية (الميتافيزيقية) خلال العصور الحجرية

لا نستطيع ـ حتى الآن ـ أن نصدر احكاماً قاطعة بشأن التصورات الغيبية عند انسان العصور الحجرية ، ولذا فان كل ما نقوله حول ذلك هو مجرد افتراضات وتخمينات يفتقر معظمها الى البرهان المادي .

لقد كان الانسان خلال معظم مراحل العصور الحجرية أسيرا للمحيط المادي الذي عجز عن فهم تركيبه . ولذلك عاش ظواهره الطبيعية منفعلا بها غير مؤثر فيها ، ووقف أمام القوى الطبيعية مشدوها خائفا من كوارثها لايعرف كيف يتصرف تجاهها . ونتيجة لذلك عبدها جميعا وخاصة ما أدرك وجوده منها بحاستي البصر والسمع مثل : المطر والصواعق والأنهار والجبال والليل والنجوم والكواكب والوحوش الكاسرة . . وقد صنفها على الأرجح الى فئتين :

- فئة خيرة يرتاح لها .
- وفئة شريرة يخاف غضبها وجبروتها .

وبالرغم أننا لا نمتلك ـ حتى الآن ـ صورا فنية واضحة التعبير عن ذلك ، فان بعضها ومعها الدمى الطينية ، التي يرقى تاريخها الى نهاية العصر الحجري الحديث، تعكس لنا بكل وضوح موقف الانسان من بعض الحيوانات المفترسة . لقد خاف الانسان الأسد مثلا [٦١] فرسمه في مشاهد متنوعة الموضوعات ، ومجد طير الحدأة وحيوانات برية اخرى [٦٢] . لذلك يمكننا القول باطمئنان ان اكثر افكار الانسان الدينية خلال عصور فجر التاريخ ، قد نتج عن التصورات الغيبية التي حملها معه من العصور الحجرية .

****

61) UVB, V, Tf. 26b. MDP, VIII, P. 7-8, fig. 12-13; MOP, XVI, Pl. 16, No. 243.

62) Kees, H., Der Götterglaube im alten Ägypten, 1956, S. 4-82.

ثالثا ـ تكوّن المدينة ونشوء الدولة

أ ـ تكوّن المدينة :

لقد ذكرنا ان جماعات من البشر اندفعت من مناطق الجفاف والبرودة الى الأراضي الخصبة وأسست فيها قرى الألف الرابع قبل الميلاد . وأقام الانسان في وسطها المعبد ليسهل على جميع سكان القرية الوصول اليه . ونتج عن الاستقرار الزراعي ارتفاع في عدد السكان لتوفر المزيد من المحاصيل الزراعية . ثم انعكس هذا على توسع الحركة العمرانية في القرية بسبب حاجة الناس للمساكن الجديدة التي ازداد عددها وشملت مساحات أوسع من الأراضي خارج الحدود القديمة للقرية . وبعد ذلك تطورت القرية الى مستوطنات كبيرة لها مقومات المدينة . ومن ناحية اخرى كان يحدث احيانا ان تتصل القرى المتجاورة بعضها ببعض ، وتتكون المدن مثل مدينة «تللو ـ لاجاش» في بلاد مابين النهرين .

وقد كانت الأبنية ـ كما ذكرنا ـ تقام من اللبن المجفف بالهواء واشعة الشمس ، ثم صار الانسان يستخدم الحجارة لهذا الغرض ، ولكن مادة الخشب ظلت ايضا ضرورية لاقامة الأبنية .

وقادت حركة البناء هذه وبالتالي تجمع الأيدي العاملة في منطقة واحدة الى توسع في ممارسة الحرف القديمة الموروثة عن انسان العصور السابقة ثم الى ظهور حرف جديدة هامة اخرى . وتطلبت عملية البناء في أواسط وجنوب بلاد مابين النهرين وفي بعض مناطق سورية توفر الطوب المجفف ومعه أيضا الحجارة والأخشاب ، وتضافرت جهود سكان المنطقة الواحدة لتأمين هذه المواد . وظهرت الى جانب حرفة البناء حرف يدوية اخرى مثل حياكة شباك صيد الأسماك . واحتاجت هذه بدورها للمادة الخام من الصوف وشعر الماعز ثم غزلها . واشترط الغزل وجود مختصين يتقنون هذه الحرفة ، التي قادت الى معرفة مبدأ النسيج ثم صناعة الألبسة والأحذية .

وطوّر الانسان أيضا صناعة التعدين اذ انتقل بها من اسلوب «الطـرْق» الى «الصهْر» . واحتلت صناعة الفخار مكانة ارفع وأوسع واشمل من السابق في حفظ وتخـزين الـزيادة المتراكمـة في «فـائض الانتـاج» من المحـاصيل الـزراعية وبعض المنتجات الحيوانية . ومارس الانسان ايضا صناعة التماثيل وعرف الاختام المسطحة ثم الاسطوانية وغيرها من انتاج الحرف اليدوية الفنية ، التي لم يستطع الانسـان ممارستها الا بعد ان امتلك أدوات حادة دقيقة صلبة من المعدن . وقد اشتهر مجتمع الحضارة ، مجتمع المدينة ، بانتاج هذه الأدوات . ولابد هنا من طرح السؤال : كيف كان شكل هذه المدن أو بعضها ، وكيف تم تنظيمها ؟

وللاجابة على ذلك ليس لنا إلا أن نعتمد على أمثلة من تنظيم المدن في فجر التاريخ : لقد كشفت الحفريات ، التي اجريت حتـى الآن ، ان المدينـة كانـت بصورة عامة محصنة بسور مؤلف من جدار أوجدارين . فقد كانت مدينة «اوروك» (الوركاء) مثلا محاطة بجدارين تراوح سمك الجدار الداخلي منهما بين أربعة وخمسة أمتار ، وبلغ طوله حوالي ٩,١٥ كم واخترقتهما بوابتان شمالية وجنوبية ، وكانـا محصنين بثمانمئة من الأبراج الدفاعية النصفية [٦٣] . وكانت شوارع مدن هذا العصر ملتوية ضيقة تراوح عرض معظمها بين ٣ و ٤ م فهي بذلك اشبه بالأزقة في الأحياء القديمة من مدننا الشرقية .

وبالاضافة الى ما كشفت عنه أعمال التنقيب عن الآثار من بقايا مستوطنات عصور ما قبل التاريخ وإبانته مخططاتها العامة وتنظيماتها المعمارية ، عثر المنقبون عن الآثار خلال اعمال التنقيب على مخطط قديم لاحدى مدن بلاد ما بين النهرين القديمة هي «نيبّور» وهو مخطط يعود تاريخه الى عصر متأخر من عصر «تكوّن المدينة» ولكنه يعطينا فكرة عن التنظيم المعماري لمدن نهاية العصر الحجري الحديث [٦٤] . لقـد نقش هذا المخطط على رقيم طيني لايزال يعتبر اقدم رسم في العالم لتنظيم المدن . وقد دمر الأكّاديون هذه المدينة حوالي عام ٢٣٥٠ ق . م . ، ولذلك لابد أن يكون هذا

---

63) Schmökel, H. Kulturgeschichte des Alten Orient, 1961, S-24.

٦٤) لقد كشفت اعمال التنقيب عن اطلال مدينة «أريحا» في فلسطين وهي أقدم زمنا من «نيبّور» و «اوروك» على حد سواء ..وكانت هذه المدينة محاطة بسور مبني بالحجـارة ، ويؤرخ عادة في الألف السابع قبل الميلاد ، راجع بهذا الخصوص : Kenyon, K., Digging up Jericho, 1957, Pl. 26-27, fig. 4.

الرسم للمدينة أقدم زمنا من التاريخ المذكور . لقد نقش الطوبوغرافي ! على رقيم طيني ، بالاضافة الى احياء المدينة ، اسماء منشآتها بالكتابة المسمارية وثبتها برسم هندسي يعبر عنها (اللوحة رقم ١) (٦٥) :

وكتب اسم المدينة في وسط المخطط ويعني «مقر انليل» (١) ، اي مدينة «نيبّور» اما المباني التي نراها على المخطط فهي :

«بيت الجبل إكورEkur » (٢) وكان من أشهر المعابد السومرية المعروفة في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد . ثم الـ «كيورKiur » (٣) المجاور لبيت الجبل واحتل مكانة روحية رفيعة المستوى لدى السومريين . ثم الـ «أنيجينّا Anniginna (٤) ، أي التسويرة . ويقوم الـ «اشماه Eschmah » (٦) ، أي المكان الأعظم في خارج حدود المدينة . ونجد في الزاوية بين الجدارين الجنوبي - الغربي والجنوبي - الشرقي الـ «كيري شاورو Kirischauru » (٥) ويعني منتزه المدينة . وأما نهر الفرات فيشكل الحدود الجنوبية الغربية للمدينة وعبر عنه بالرمز السومري القديم «بورانوم Buranum » (٧) . وكانت قناة اسمها «نونبيردو Nunbirdu » (٨) ، تحد المدينة من الجهة الشمالية - الغربية . واخترق وسط المدينة الـ «ادشاورو Idschauru » (٩) أي قناة وسط المدينة . وقد اعار المعماري - الرسام تحصينات المدينة الدفاعية اهتماما كبيرا ، عندما عرضها علينا بما امكن من التفصيل : كانت ثلاث بوابات تخترق الجدار الجنوبي - الغربي وهي الـ «كاجال موسوكّاتيم Kagal Musukkatim » (١٠) وتعني بوابة القذارة الجنسية والـ «كاجال ماه Kagal mah » (١١) أي البوابة الطاهرة والـ «كاجال جولا Kagal Cula » (١٢) ومعناها البوابة الكبيرة .

واخترقت الجدار الشرقي أيضا ثلاث بوابات هي الـ «كاجال نانّا Kagal nanna » (١٣).أي بوابة الاله «نانّا» اله القمر السومري والـ «كاجال اوروك Kagal Uruk » (١٤) . أي بوابة «اوروك» ، والـ «كاجال ايجبي اوريشي Kagal Igibiurische » (١٥) ، أي بوابة مدينة «أور» . ولم يشر الرسام الا الى بوابة واحدة

65) Kramer, S. N., Die Geschichte beginnt mit Sumer, 1959, S. 183- 185.

في الجدار الشمالي - الغربي هي «كاجال نيرجال Kagal Nergal » (١٦) ، أي بوابة الاله «نيرجال» .

وكان هناك خندقان للماء (١٧) ، اقيم احدهما موازيا للجدار الشمالي - الغربي وحفر الآخر بمحاذاة الجدار الجنوبي الغربي وعرفا باسم «هيرتوم Hirtum » (١٨) . وكانت الوحدة القياسية التي استخدمها الرسام الطوبوغرافي هي الوحدة السومرية التي سميت «جارGar » وعادل طولها ستة أمتار :

وتدلنا الأبعاد الحقيقية ، التي تفصل بين المنشآت المنظورة على المخطط ان الرسام لم يحد قيد أنملة عن وحدة القياس الأساسية الأنفة الذكر . ان طول التسويرة مثلا ٣٠ جارا أي ١٨٠ مترا وعرض القناة الوسطى (٩) في المدينة ٤ جار أي ٢٤ مترا . والمسافة الفاصلة بين «بوابة القذارة الجنسية» (١٠) والـ «بوابة الطاهرة» (١١) تعادل ١٦ جارا أي ٩٦ مترا . في حين يبلغ طول المسافة بين البوابة الطاهرة والبوابة الكبيرة (١٢) حوالي ٢٨٢ مترا .

ويلاحظ هنا أن «الطوبوغرافي ! » الرسام ركز اهتمامه على ابراز ثلاثة عناصر رئيسة في مخطط المدينة :

١ - المعابد .
٢ - شبكة الري .
٣ - التحصينات الدفاعية .

لقد كانت جميع هذه المنشآت عامة ، لأنها خصت جميع أفراد المجتمع ، وشكلت المعابد ، المؤسسات التي رعت الشؤون الروحية والاقتصادية للمجتمع الجديد . وسهلت اقنية الري عملية الاتصال بين احياء المدينة وموّنت الأهالي بما أمكن من الأسماك وزودتهم بالمياه للشرب ولري الحقول والحدائق. أما التحصينات الدفاعية فكانت مهمتها حماية المجتمع الجديد من الأخطار المحيطة به وفي مقدمتها هجمات البدو . ونلاحظ هنا كثرة البوابات التي كانت تخترق الجدار الجنوبي الغربي الموازي لنهر الفرات وهي ثلاث ومثلها أيضاً عبر الجدار الجنوبي الشرقي . ويعود السبب في ذلك الى وجود حواجز طبيعية كمجاري المياه والتلال التي زادت من سهولة دفاع المحاربين عن السور ، بالرغم من كثرة البوابات في الجدار الواحد .

ولاشك في أن ابراجا دفاعية كانت تقوم على الأسوار شبيهة بالتي عرفناها في «اوروك» .

لقد كانت هناك اذن اخطار جمة هددت كيان المجتمع الجديد ، وشكلت المجتمعات البدوية والوحوش الكاسرة أحد مصادر هذه الأخطار ، التي كان شبحها يحيط بالمجتمع وخاصة خلال الليل . لذا ـ على الأرجح ـ كان الحراس يغلقون البوابات ولا يفتحونها إلا عند عودة العاملين في الأراضي الزراعية المجاورة للمدينة ، وعند ذهابهم اليها في الصباح الباكر .

وقد يتساءل المرء هنا ، لماذا لم يقدم الرسام على تحديد مواقع المنازل السكنية في مخططه ؟ هل يعني ذلك عدم وجود مساكن مستقلة في المدينة عن المعابد وبالتالي شكلت الأخيرة بضخامة أبنيتها وكثرة عدد أجنحتها الكبيرة «مقرا للجميع ؟ :

تؤكد لنا أعمال التنقيب عن الآثار ، التي أجريت في «نيبّور» نفسها وفي «اوروك» وفي «كيش» وغيرها من مدن هذا العصر أن المساكن كانت متوفرة باعداد ضخمة [٦٦] بدليل أن طول نيبّورمثلا بلغ حسب المخطط الآنف الذكر حوالي ٢ كم ، كما نعلم من مصادر أكيدة أن طول سور مدينة أوروك» بلغ حوالي ٩,١٥ كم [٦٧] . ولابد اذن في هذه الحالة ان يكون عدد سكان مدينة «نيبّور» قد زاد على عشرين ألفا وان عدد سكان «اوروك» بلغ ضعف هذا العدد . ومن المتعارف عليه لدى الباحثين في علم آثار غرب آسية ، ان متوسط عدد سكان المدن الكبرى في هذا العصر كان قد بلغ حوالي ١٧ الفا . وان مدنا قطنها هذا العدد الضخم من البشر لابد ان تكون قد نظمت امورها الداخلية وحددت علاقاتها مع غيرها من المدن المتجاورة ، ولذلك نشأت الدولة بحكم هذا الواقع الجديد .

---

66) OIC, 16, fig. 40.

-) OIC, 17, fig. 87.

-) UVB, 4, Die Entstehung der Zikkurat, Tf. 13.

67) Schmökel, H., Die Kulturgeschichte des alten Orient, S. 24.

ب ـ نشوء الدولة وملكيتها لادوات الانتاج ومصادره :

قاد التطور الزراعي والحرفي والعمراني الى نشوء مجتمع جديد اختلف في تركيبه عن مجتمع العصور السابقة ، سواء في تنظيم العلاقات المعاشية والانتاجية بين أفراده أو فيما يتعلق بالجهة ، التي رعت أمر تنظيم هذه العلاقات . وهنا نصطدم بمشكلة نشوء الدولة ، فهل تكونت نتيجة لولادة الملكية الخاصة أم بسبب حاجة المجتمع الملحة الى وجود مؤسسات ترعى تنظيم العلاقات الانتاجية بين افراده على اسس جديدة ؟

لقد أصبح من المتعذر على المجتمع الجديد الاستمرار على نفس الاسس ، التي قام عليها خلال العصور السابقة للأسباب التالية :

١ ـ الزيادة الكبيرة في عدد السكان قياسا الى العصور السابقة .

٢ ـ تشعب فروع الاقتصاد وخاصة في شؤون الزراعة ، كالعناية بالأراضي ، التي اتسعت مساحتها وتعقدت عملية ريها وتشعب توزيع منتوجها . وكانت المشكلة الناتجة عن تربية المواشي لا تقل تعقيدا عن المشاكل المترتبة عن الزراعة .

٣ ـ الدفاع عن كيان المجتمع الجديد وحمايته من الأخطار الخارجية والداخلية التي اصبحت تهدد وجوده بالزوال .

ونجد هنا مرة اخرى ، ان الواقع الجديد الذي نتج عن تفاعل الانسان مع بيئته شكل الدافع الأساسي للتغيير في تنظيم العلاقات الانتاجية . واصبح التنظيم شرطا اساسيا ومطلبا ضروريا لاستمرار التقدم «التقني» الذي يهدف الى سد حاجات المجتمع القائم ، وهو بحد ذاته لايقل تعقيدا عن اختراع آلة لخير المجتمع :

لقد اصبح رئيس القبائل المتحدة ، وهو الذي تميز بصفات ، نادرا ماتوفرت في الآخرين من افراد القبيلة الواحدة ، رجل الدين الأول واتخذ من المعبد مقرا له . وكان هذا المعبد يقوم اصلا في القرية ، التي اتسعت ونشأت عنها المدينة ، وظل المعبد يشكل مقرا ايضا لآلهة المجتمع الأخرى . وصار الناس يمارسون طقوسهم الدينية التي تولدت عن تصوراتهم الغيبية خلال العصور السابقة .

وقد كشفت لنا أعمال التنقيب التي اجريت في بعض ربوع أقطار غرب آسية عن ان المعبد كان اكبر المباني التي اقيمت في القرية . وكان الناس يتوجهون يوميا اليه لممارسة الطقوس الدينية المحددة ، التي اصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتهم .

وكان يستحيل على فرد واحد أو اسرة واحدة اقامة المشاريع ، التي اشترط تنفيذها بذل جهود مشتركة ضخمة لم تتوفر الا لدى مجموعة كبيرة من البشر . لذلك - على الأرجح - اضطر أفراد المجتمع الواحد عند بداية الاستقرار الزراعي الى التعاون فيما بينهم من أجل تذليل الصعاب والعقبات الجديدة . وهنا لم يكلّف «الكاهن» - وهو المختار في قبيلته أو بؤرته البشرية - برعاية الشؤون الروحية لأفراد المجتمع الجديد فحسب ، بل كان عليه أن ينظم أيضاً علاقات العمل والانتاج بينهم . لذلك تضافرت الجهود من أجل شق أقنية الري وتنظيفها وحراثة الأراضي وريها وتعشيبها وجمع محاصيلها وغرس الأشجال المثمرة ومن أجل اقامة السدود على الأنهار . كذلك كان على الجميع العناية بتربية المواشي ، التي لم تصبح بعد ملكا خاصا لفرد أو جماعة واحدة ، وانما كانت ملكا لجميع افراد الشعب .

ومن ناحية اخرى صارت الحرف اليدوية ، التي اتينا على ذكر بعضها من اختصاص افراد ذوي خبرة في ممارستها ، وصارت تنجز في المعبد ، الذي اشرف قيّمه ايضا على توزيع السلع المنتجة بين افراد مجتمعه . أما الفائض منها فقد حفظ في أجنحة المعبد المخصصة لتخزينها ، دون أن يستطيع احد - بادىء الأمر - الاستفادة منها في تحسين اوضاعه الاقتصادية ، لان التجارة لم تكن قد وجدت بعد . وكان الكاهن يوعز ايضا الى بعض افراد المجتمع ليؤمنوا المواد الأولية التي احتاجها هؤلاء الصناع لانتاج سلعهم .

وكان من بين الواجبات الرئيسة للكاهن أمر تنظيم الدفاع عن هذا المجتمع الجديد حتى يستطيع ان يصمد امام هجمات القبائل البدوية وامام الأطماع التوسعية لكهنة المجتمعات الأخرى المماثلة . لقد اصبح هذا الواقع ماثلا امام اعين كهنة المجتمعات المتحضرة ، لأن الدفاع عنها بالأسلوب الفوضوي ، الذي ساد المجتمعات البدوية اصبح متخلفا لا يساير أوضاع المجتمعات الجديدة . لذلك انتهى الأمر الى انشاء قوة عسكرية منظمة انحصرت مهمتها في الدفاع عن مكتسبات مجتمعها .

وبالاضافة الى ما كشفت لنا عنه أعمال التنقيب من آثار بهذا الخصوص ، يحق لنا أن نستشهد بأمثلة على ذلك لم تزل معروفة لدى بعض الشعوب البدائية في الوقت الحاضر :

لقد اكتشف «راشيل» شكلا مشابها لذلك لدى القبائل الايروكوزية ، اذ اقامت هذه القبائل فيما بينها اتحادا على شكل دولة . ولكنه يعتبر « . . . **هذا الاتحاد الطوعي للمحافظة على السلام فيما بينها ولتتمكن من الظهور الى الخارج بمظهر قوة اكبر من ذي قبل انجازا سياسيا غير عادي**» (٦٨) . ولكننا لا نستطيع ان نأخذ بهذا الرأي اعتمادا على ما ذكرناه من حقائق سابقة من جهة ، ولأن هذه القبائل بقيت مرتبطة بصلات قربى من جهة ثانية ، حيث كان الواقع المادي ، الذي تعيش فيه هذه القبائل ، يدعّم روابط الدم هذه . ولذلك فرض هذا الواقع على هذه القبائل وعلى جميع القبائل المتحضرة خلال العصور القديمة اقامة اتحادات سياسية فيما بينها لتستطيع الصمود أمام الطامعين فيها والذين هددوا أمنها وسلامتها .

وبطبيعة الحال لم يكن جميع افراد القبيلة أو الشعب على نفس المستوى من التفكير والجدية في العمل لخير الكل . وقد خرج البعض عن ارادة الجماعة وشوشوا بالتالي علاقات الانتاج المشترك . ولذلك وجب تزويد «الكاهن» (=القيّم على تسيير شؤ ون المعبد) بقوة صغيرة مسلحة كانت مهمتها حماية الانتاج وحفظ النظام في الداخل من أعمال المخربين الذين يخرجون من بين أفراد المجتمع .

ويعتبر البعض ، ان مثل هذه القوة المسلحة ، كانت قوة متسلطة ، شكلت طبقةمنفصلةعن الشعب أو القبيلة على حد قول فريدريش انجلز « . . . **ان المظاهر الأساسية لقيام الدولة هو قيام قوة عامة متميزة عن جمهور الشعب . . .**» (٦٩) :

لاشك في آن نشوء الدولة يفترض وجود سلطة عامة ، وقد ذكرنا كيف تكونت هذه السلطة . ولكنها لم تكن عند نشأتها في مجتمعات غرب آسية منفصلة عن مجموع الناس ذوي العلاقة ـ كما يقول انجلز ـ بل كانت جزءا منهم . ولـم

68) Rachel, H., Kulturvölker und Staaten von Urbeginn bis heute, 1931, S. 10.

٦٩) انجلز ، فريدريش : نشوء الأسرة والملكية الخاصة والدولة (النسخة المصرية) ص ١٦٩ .

تكن عند نشأتها أيضـا قوة متميزة . . . في وضعهـا الاجتماعي . . . عن جمهـور الشعب . . . بالرغم من وجود الجهاز الخاص الذي سيرهـا وتسلـح بهـا ، وانمـا انحصرت مهمتها في التنظيم والتوجيه والادارة وليس في جمع الملكية الخاصة التـي افترض «انجلز» وجودها منذ اقدم العصور ، حيث يقول : « . . . كانت (الملكية) **منذ اقدم العصور التي يتناولها التاريخ المسجل قد قسمت وتحولت الى ملكية خاصة الأمر الذي يطابق انتاج السلع الذي قد تطور نسبيا وما يصحب انتاج السلع من التجار بالسلع في نهاية مرحلة البربرية . . .»** [٧٠] .

لقد كنا بينا الأسباب التي حالت دون وجود الملكية الخاصة للأراضي الزراعية وذكرنا أيضا ان التجارة لم تكن قد وجدت بعد . وهذا يعني عدم معرفة الانسان خلال هذه العصور المبكرة من نشوء الدولة مبدأ الربح و «فضل القيمة» . لذلك يصعب علينا التسليم بوجود طبقات خلال هذا العصر وذلك يخالف قول انجلز :

« . . . ان اول محاولة لتأليف الدولة كانت تحطيم العشائر وذلك بتقسيم افراد كل عشيرة منها الى طبقة ذات امتياز واخرى ادنى منها ، ثم بتقسيم الطبقة الأخيرة الى طبقتين مهنيتين تقسيما يجعل احداها ضد الأخرى . . .» [٧١] . لاشـك في أن تحطيم العشائر قد شكل المحاولة الأولى لتكوين الدولة ، أي بالقضـاء على استقلالها ووحدتها وتماسك بنيان هذه الوحدة ولكن هذه العملية تمت دون الحاجة الى تقسيمها الى طبقتين متمايزتين . لأن مجتمع القبيلة لم يكن قد عرف بعد «فضل القيمة» ، بالرغم من وجود فائض في الانتاج لديه . ولنفس الأسباب لا أستطيع مشاركة «ف . أ. دييف» رأيه **« . . . ان وجود جهـاز اداري مسؤول عن توجيه وتسيير المجتمع ، كان بداية تكون الطبقات . . .»** [٧٢] .

لقد كانت «دولة المعبد» مضطرة الى تصدير المواد الأولية التي تفيض عن حاجة مجتمعها الى مناطق اخرى واستيراد ما ينقصها من مواد كانت بحاجة اليها . وكانت مصر وبلاد مابين النهرين تحتاجان مثلا الى الأخشاب، لذلك كانتاتستورداهـا من

٧٠) نفس المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

٧١) نفس المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

72) Awdijew , W. I., Geschichte des alten Orients, 1953, S. 159 .

بلاد الشام (من جبال الأمانوس وجبال لبنان) . ولـذا سـيرت القوافـل التجـارية المحدودة الحجم - بادىء الأمر - ورافقتها مجموعات من رجال الحرس لحمايتها من هجمات البدو الرحل وقطاع الطرق . وكانت طرق القوافل تربط بين العراق ومصر وشمال افريقية مرورا ببلاد الشام أوعن طريق الجنوب العربي منذ الألف الرابع قبل الميلاد . وقد توصلنا الى هذا الاستنتاج بواسطة لقـى أثـرية كثـيرة عثـر عليهـا في مصر [٧٣] ، ويعود تاريخها الى عصر ملكية دولة المعبد لأدوات الانتاج ومصادره ، التي كانت تصدر سلعها من بلاد مابين النهرين الى مصر .

وقد اشار مؤلفان سوفييتيان الى موضوع التجارة الخارجية بالقول : «. . . **صار الناس ينتجون اكثر مما يلزمهم للاستعمال المباشر ، واعـان صنـع المنتوجـات الزائدة على تطور المبادلة بين القبائل في البداية ، ومن بعد داخل القبيلـة ايضـا . وتظهر امكانية الاستثمار باتعاب الغير . . .»** [٧٤] . لقد حددا هنا التبادل التجاري على مستـوى القبيلـة وليس في المجتمـع المتحضر خلال ولادة مدنيات غرب آسية القديمة . ولما كانت الدولة من انتاج المجتمع الزراعي الحضري ، فان التجارة كانت هي ايضا من صنعها . واما القبائل وخاصة الرعوية منها فلم تمتلك فائضا من السلع القابلة للمبادلة ، واذا حازت شيئا منه فقد كان هذا الشيء محدودا جدا ولا تنفرد به قبيلة دون اخرى . وهل كان ذلك غـير الماشية ومـا تنتجـه من اصـواف وجلـود وحليب ؟ وهكذا كانت القبيلة مضطرة الى ممارسـة التجـارة مع مجتمـع الحضـر ، مجتمع دولة المدينة والمعبد .

وبطبيعة الحال لم يكن باستطاعة مجموعات صغيرة من الأفراد ممارسة التجارة الخارجية ، بسبب عدم توفر الحماية لهم على الطرق التجارية . وهذا ايضـا شرط أساسي لم يتوفر الا في يد سلطة قوية هي سلطة «دولة المعبد» في المجتمع الحضري . وبالاضافة الى ذلك كله كانت هناك عوامل اخرى حالت بين الفرد والجماعة الصغيرة وبين ممارسة التجارة الخارجية :

---

73) Scharff, A., Die Beziehungen zwischen Mesopotamien und Ägypten im 4. u. 3. Jts. vor Chr.

٧٤) بودوستينيك وسبيركين : المادية التاريخية ص ٣٧ (صدر في سورية) .

١ ـ لقد شكلت اقنية المياه والأنهار مثل النيل ودجلة والفرات طرق مواصلات تجارية هامة لسهولة استخدامها ، ولكنها كانت جميعا تحت سلطة «دولة المعبد» .

٢ ـ وكانت قوارب النقل والشحن ملكا لدولة المعبد ، وقد اخذت بتأجيرها للأفراد خلال عصور لاحقة ، مما يدلنا على انها كانت تمتلكها في العصور السابقة .

٣ ـ وكانت حيوانات النقل البري محدودة العدد والأنواع . ولم يستطع الا عدد قليل منها ان يسلك الطرق الوعرة ، خلال الرحلة التجارية .

وأما المواد الغذائية والاستهلاكية الأخرى المستوردة (عنوة أو بالمبادلة) فكانت توزع على افراد المجتمع بالتساوي . ورافق هذه المساواة الاقتصادية قيام السلطة الموجهة على أسس ديموقراطية وكان الموظفون فيها «. . . يُنتخبون» من بين افراد الشعب [٧٥] . وكان شن الحروب خاضعا ايضا لاتخاذ قرار ديموقراطي . وتحدثنا بهذا الخصوص وثائق من عصر لاحق كالنص الوارد في «ملحمة جيلجاميش» عن الحرب التي نشبت بين دولته «اوروك» وبين دولة «كيش» :

وشكلت الأطماع التوسعية لدول المعابد أحد أهم أسباب الحروب التي نشبت فيما بينها ، وخاصة فيما يتعلق بتثبيت حدود الأراضي الزراعية ، التي كانت تقع على الحدود الاقليمية لهذه الدول [٧٦] . وفي هذا الخصوص تحدثنا ملحمة «جيلجاميش» التي يرقى تاريخ احداثها الى حوالي ٢٧٢٥ ق.م. ، ان نظام دولة مدينة «أوروك» وعلى رأسه الملك نصف الاله «جيلجاميش» قد قام على وجود مجلسين «مجلس الشيوخ» و «مجلس النواب» ، وتألف الأول من شيوخ المدينة بينما تشكل الثاني من محاربيها الشباب [٧٧] . وقد ورد في الوثيقة ان رسلا من دولة «كيش» المجاورة قدموا الى بلاط «جيلجاميش» وطلبوا اليه والى دولته الاستسلام لدولتهم «كيش» . ولكن ملك «اوروك» ترك أمر الفصل في الاستسلام او الحرب في يد هذين المجلسين . ولذلك دعاهما للانعقاد وطلب اليهما البت بالأمر [٧٨] . وتقول الوثيقة بهذا الخصوص :

---

75) Rachel, H., op. cit. S. 10.

76) Kramer, S. N., Die Geschichte beginnt mit Sumer, 1959, S. 41-42.

77) Kramer, S. N., op.. cit. S. 138.

٧٨) والجدير بالذكر هنا ان «جيلجاميش» كان يفضل الحرب على الاستسلام .

«. . . . وقدم رسل اجّا ابن انبارّجازي
الى جيلجاميش في الوركاء ،
(عندها) طرح جيلجاميش على شيوخ مدينته
السؤال (التالي) وطلب الجواب :
انستسلم لبيت كيش ، أو نجابهه باسلحتنا ؟
واجاب شيوخ المدينة المجتمعو ن
جيلجاميش :
نستسلم لبيت كيش ولا نجابهه باسلحتنا ،
جيلجاميش سيّد جولاَب ،
الذي يبرهن (عن بطولته) باعماله للربة انّانا
لم يهتم ؟ بجواب شيوخ المدينة .
وللمرة الثانية يطرح جيلجاميش سيد جولاَب ،
نفس السؤال على محاربي المدينة وطلب الجواب :
واجابه محاربو المدينة المجتمعو ن :
جيلجاميش : «لا نستسلم لبيت كيش نجابهه باسلحتنا»
عندها افرح هذا الجواب قلب جيلجاميش سيد جولاَب
وبعث في نفسه الشجاعة (والأمل)» .

يوضح لنا هذا النص النظام الديمقراطي الذي كان سائدا في دول المدن ، كما يبين انه كان على دولة المدينة (=المعبد) الديموقراطية النهوض لتدافع بقوة السلاح عن منجزات مجتمعها امام تهديد الدول الأخرى لها بالغزو والدمار .

ج - الربح وفضل القيمة نتيجة للتجارة الخارجية :

لقد نتج عن ممارسة دولة المعبد للتجارة الخارجية ربح تمثل في «فضل القيمة» الاجتماعي . ودفع هذا الربح فئات معينة من الشعب الى السير في طريق طويل قاد الشعب في النهاية الى عصر الملكية الخاصة . ولم يكن «فضل القيمة» هنا قد نتج عن الفرق بين «التكلفة الحقيقية» لانتاج المادة الأولية الغذائية والاستهلاكية الأخرى من حبوب وزيوت وأصواف . . . الخ وبين قيمتها التبادلية بالمواد الأخرى بقدر ما كان

نتيجة لحاجة المجتمع المنتج لها لمواد اخرى غير متوفرة في منطقته [٧٩] .

ونتيجة لذلك لا يمكننا تحديد الجهد الذي بذله الفرد الواحد ، لأننا لا نستطيع أن نقدره إلا جماعياً ، أي من خلال الجهد الذي بذلته فئة معينة من المجتمع في انتاج مادة معينة . وهكذا فإن القيمة العينية لمادة ما مقابل مادة اخرى قد حددتها حاجة المجتمع للمادة المستوردة ، بغض النظر عن الجهد الحقيقي الذي بذله هذا المجتمع في انتاجها . وعندما كانت دولة المعبد تبادل كمية من الحبوب بكمية من الزيوت مثلا ، كانت المبادلة تحدث بغض النظر عن الجهد الذي بذله مجتمعها لانتاج هذه الكمية من الحبوب .

اذن كان الأمر هنا بعكس ماأصبح عليه الحال في عصور الملكية الخاصة اللاحقة . وازداد الأمر سوءا عندما حوّل الانسان المعادن المعروفة آنذاك الى مادة تقوّم بموجبها المواد الاستهلاكية ، وكان النحاس أول هذه المعادن ثم تبعته معادن الفضة والرصاص والذهب . . . . الخ

ونتيجة لظهور «فضل القيمة العام» بسبب ممارسة التجارة الخارجية ، أخذت دولة المعبد الاشتراكية تشن الحروب باسم نظامها الاشتراكي لتغتصب المواد الاستهلاكية التي تعذر الحصول عليها بالمبادلة من المجتمعات الأخرى . وكان هذا بمثابة المسمار الأول الذي دق في نعش المجتمع الاشتراكي ونظام دولته . وتجلى ذلك بالدرجة الأولى في وجود سلع كمالية بين السلع والمواد المستوردة أو المغتصبة التي انتجتها مجتمعات اخرى «معادية» . لقد صار رئيس المعبد (=الأمير الكاهن = رئيس دولة المدينة) يحتفظ بهذه السلع الكمالية لنفسه ولأعوانه المقربين اليه في جهاز الدولة .

وقد يخالفنا بعض الباحثين الرأي في هذا المجال ، اذ يرون ان التجارة الداخلية قد سبقت التجارة الخارجية في النشوء ، كما في قول ف ـ ا ـ افديّف :

« . . . تدلنا لقى أثرية مختلفة وجدت في القبور المصرية خلال العصور الأولى ، ان التبادل العيني داخل البلاد ومع البلدان المجاورة قد نشأ بصورة مبكرة

---

٧٩) لم يدخل التبادل النقدي في العمليات التجارية بشكل جزئي الا خلال نهاية النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد .

جدا . . .» (٨٠) . ثم يحدد منشأ تلك اللقى والمواد المصنوعة منها بقوله « . . . ان منشأها هو البلدان المجاورة» . ولكنه لم يأت ببرهان واحد يؤكد ان التجارة الداخلية كانت موجودة قبل التجارة الخارجية . وعلى العكس من ذلك نجد أن كافة اللقى التي يذكر الكاتب انواعا منها تبرهن على نشاط التجارة الخارجية خلال تلك العصور التي تحدث عنها . وكانت هذه اللقى مصنوعة من « . . . النحاس واللازورد والميلاحيت وغيرها . . .» من المواد التي « . . . استوردت من شبه جزيرة سيناء . . .» وقد جلب المصريون ايضا « . . . خشب الأرز والزيوت من لبنان وسورية . . .» كما يقول الكاتب نفسه (٨١) . وفي هذا الصدد نذكر ايضا تجارة مصر مع بلاد مابين النهرين خلال هذه العصور (٨٢) . لذلك لا أجد ـ في الوقت الحاضر ـ تفسيرا لظهور هذه السلع الكمالية في قبور بعض المصريين خلال هذا العصر ـ عصر ملكية الدولة لأدوات ووسائل الانتاج ـ سوى انها كانت تدفن مع موظفي دولة المعبد الكبار ، وذلك قبل ان تجد طريقها الى ايد افراد الشعب ، اي قبل بداية عصر التجارة الداخلية والملكية الخاصة .

ويتعرض «افديّف» الى ذكر المشاعية القروية (٨٣) التي تقابل الحقبة التي اطلقنا عليها «مرحلة استقرار الانسان الزراعي» ونجده هنا يقسر المادية الجدلية والتاريخية ليقودنا الى حقبة تكوّن الطبقات ضمن المجتمع الواحد ، وبذلك تخطى مرحلة تكوّن السلطة الموجهة للمجتمع والمديرة لشؤونه ، والتي اشرفت على اقامة السدود والمشاريع المائية والزراعية الأخرى ومارست التجارة الخارجية من أجل مصلحة افراد المجتمع وقسمت العمل بين أفراده لخير الجميع . وقد استمرت هذه المرحلة خمسة قرون ونيّف من الزمن في تاريخ بعض مناطق غرب آسية القديمة .

وقد كانت حصيلة التجارة الخارجية والحروب التي شُنت للحصول على المواد الأولية بالاضافة الى ظهور «فضل القيمة» اسر افراد من المجتمعات المغلوبة على

---

80) Awdijew, W. I., Geschichte des alten Orients, S. 138.

81) Awdijew, W. I., op. cit. S. 138.

82) Scharff, A., Die Beziehungen zwischen Mesopotamien und Ägypten im 4. und 3. Jhts. v. chr..

83) Awdijew, W. I., op. cit. S. 138.

أمرها . وكان مصير هؤلاء القتل خلال المراحل الأولى من بداية الحروب ، لأن المنتصر لم يكن قد اكتشف بعد كيف يستفيد من طاقاتهم الانتاجية . ولكن رئيس الدولة وقائد الجيش اكتشفا فيما بعد امكانية استخدام الأسرى في كسب أراض جديدة للزراعة وفي تنظيف اقنية الري والعناية بالسدود وغيرها من الأعمال الانتاجية الأخرى ، ولذلك ابقي على حياتهم .

ولم يشكل هؤلاء الأسرى ، الذين اصبحوا عمالا مسخرين لدى المنتصر ، الطابع المميز للهيكل الاجتماعي الذي يسميه كثير من الباحثين «عصر الرق» . ولذا فان هذه التسمية ليست صحيحة فيما يخص المجتمعات الأولى في المنطقة العربية . لأن هؤلاء العبيد لم يحتلوا ـ عمليا ـ في هذا العصر ولا حتى خلال الحقب الأولى من تطور تاريخ الملكية الخاصة سوى مكانة انتاجية ثانوية جدا في بنية اقتصاد المجتمع الاشتراكي . وهذا يخالف ما يقول به الدكتور «ف ـ ا ـ افديف» من انه **« . . . بدأ في مصر القديمة واحد من اكبر الانقلابات في تاريخ البشرية ، هو انحلال المشاعية القروية وتكوّن نظام العبودية والدولة ذات الحكم المطلق ، وقد نشأ في نهاية هذه الحقبة المجتمع الطبقي ومعه اقدم دولة تبوأت الطبقة الأرستوقراطية المالكة للعبيد رأس بنائها الهرمي . . . »** [٨٤] .

د ـ انحلال نظام ملكية الدولة لوسائل الانتاج وانهيار المجتمع الاشتراكي :

لقد بدأت الملكية الخاصة تظهر الى الوجود ، عندما اخذ اشخاص معينون يتملكون السلع الكمالية ، كما توسع اطار هذه الملكية وشمل موادا اولية ضرورية لحياة الفرد في المجتمع :

ولم يتاجر «الأمير الكاهن» وكبار موظفي جهاز دولته بالمواد الغذائية الضرورية الا بعد ان توفر فائض في انتاجها زاد عن حاجة مجتمع الدولة . وصار كبار موظفي الدولة وفي مقدمتهم «الأمير الكاهن» ينفقون «**فضل القيمة**» الناتج عن توسع التجارة الخارجية ، حسب رغباتهم الخاصة . فبعد ان كانت حاجة المجتمع هي التي تحدد اوجه الصرف وطريق الانفاق ، صار فضل القيمة هذا يُخصّص لاقامة

---

84) Awdijew, w. I., op. cit. S. 139.

اجنحة جديدة في بناء المعبد لتخزين الفائض من الانتاج العام او من اجل الموظفين الذين تضخم عددهم مع مرور الزمن . وهنا كمنت الصفعة الثانية التي وجهت للعلاقات الانتاجية ـ الاشتراكية ، التي ربطت افراد المجتمع بعضهم ببعض .

ثم انتقلت عدوى التجارة الخارجية الى داخل المجتمع الاشتراكي ـ التعاوني فتشكلت بذلك الضربة القاتلة الثالثة ونسفت اركان هذا المجتمع ، الذي سار على طريق الانحلال والزوال :

لقد جنح كبار موظفي المعبد نحو الربح الخاص ، وهذا يعني بداية استغلال «فضل القيمة الفردي» . وقد كنا ذكرنا أن السلعة الكمالية لم تكن متوفرة بادىء الأمر إلا لدى كبار موظفي المعبد . ولكن تكرار عملية استيرادها أو اغتصابها من مجتمعات اخرى ، زاد من عددها واصنافها لديهم . وفقدت في الوقت نفسه شيئا من قيمة ندرتها لدى المستوردين من كبار الموظفين ، ولكنها ظلت نادرة بالنسبة الى عامة الشعب وتمنى كل فرد اقتناءها . وقد وجدت هذه السلع طريقها بادىء الأمر الى الموظفين الصغار وباعها هؤلاء بدورهم الى بعض ابناء الشعب الآخرين . وحصل البائع مقابلها على كميات من السلع الاستهلاكية ، التي كان المالكون الجدد قد وفروها من نصيبهم المحدد من قبل المعبد . وخزن بائع السلعة الكمالية من ناحيته هذه المواد الاستهلاكية القابلة للتخزين لصالحه الخاص في مستودعات المعبد ، التي بنيت اصلا لتخزين الفائض من انتاج الشعب العام .

ولكي يسهل علينا فهم عملية هذا التبادل نصورها ، كما كانت ـ على الأرجح ـ تتم ، بالشرح المبسط التالي :

كان الموظف في دولة المعبد قد عرض احدى السلع الكمالية على احد افراد الشعب فابتاعها منه مقابل كمية من الحبوب . ثم خزن الموظف هذه الحبوب وصدّرها في الوقت المناسب مع سلع المعبد لحسابه الخاص حيث تمت عملية مبادلتها في مجتمعات اخرى بسلعتين أو أكثر كان مجتمعه بحاجة اليها . ونتج عن ذلك بطبيعة الحال تراكم في الأرباح العينية ، التي خزنها من جديد استعدادا لتصديرها وهكذا دواليك .

ثم اكتشف افراد من المجتمع سر الأرباح التي نتجت عن هذه العملية ، وصرّفوا بدورهم انواعا معينة من المواد الاستهلاكية داخل مجتمعات قريبة منهم . وقد حمى المعبد هؤ لاء «التجار» مقابل ضريبة معينة . وهكذا ولدت فئة اخرى من التجار بين افراد الشعب وتحت حماية سلطة دولة المعبد الاشتراكية المنحلة الى جانب الفئة الأخرى من التجار الكبار التي ولدت هي أيضاً في ظل حماية المعبد وبتشجيع من رئيس دولته .

وهكذا مكنت السلطات التي تجمعت في يد «الأمير الكاهن» ، هذا المسؤ ول الأول ، وكبار موظفيه ومعاونيه في جهاز دولته من حيازة ملك خاص بكل منهم : ورافق هذا التحول في العلاقات الاقتصادية تضخم مطرد في عدد موظفي دولة المعبد والعاملين فيها حتى تجاوزت مراتبهم السبعين [٨٥] . ومع مرور الزمن سيطرت نزعة الكتبة على هذا الجهاز فتحول الى جهاز اتكالي لا يعمل الا لصالحه الخاص . ولذلك عجز هذا الجهاز عن تسيير شؤ ون المجتمع بالطريقة التعاونية الاشتراكية ، التي كانت تسوده قبل انتشار «وباء» التجارة الداخلية وولادة الملكية الخاصة في المجتمع .

ثم قسم «الأمير الكاهن» الأراضي الزراعية بين بعض أسر مجتمع دولته بدون ان ينسى اقطاع نفسه وكبار موظفيه وقواد الجيش اجودها خصوبة واوسعها مساحة . ومع ذلك فقد ظلت توجد ـ كما كانت الحال في السابق ـ مرافق مشتركة بين جميع فئات الشعب مثل السدود المائية واقنية الري ، لأن حياة الجميع ارتبطت بها ولأن اسرة واحدة او مجموعة صغيرة من الأفراد اصبحت عاجزة عن تنفيذها او العناية بها ، بسبب الامكانيات المادية المحدودة جدا ، التي ورثتها القاعدة العريضة من الشعب عن المجتمع الاشتراكي ـ التعاوني المنهار .

هـ ـ الاسرة :

كيف كان وضع الأسرة خلال المرحلة الأخيرة من العصر الحجري الحديث وبداية العصور التاريخية ؟

---

85) Schmökel, H, Kulturgeschichte des alten Orient, S. 51.

لقد اثر الوضع الاقتصادي الجديد على المكانة الاجتماعية لكل من المرأة والرجل فتأكدت من جديد اهمية مركز الرجل ، وخاصة عندما اخذت دولة المعبد ذات النظام الاشتراكي تمارس التجارة الخارجية وتشن الحروب . وكان القيام بذلك من مهام الرجل دون المرأة . واذن فقد ولدت معطيات جديدة دعّمت مكانة الرجل الاقتصادية وقوّت مركزه الاجتماعي . ثم اضيفت الى مهامه السابقة مثل ممارسة الزراعة وإقامة سدود الري وشق الأقنية والعناية بقطعان الماشية وصناعة الفخار ، التي كانت من اختصاص المرأة قبل ذلك .

وبالمقابل انحصر عمل المرأة اكثر من ذي قبل ضمن اطار الشؤون البيتية وتربية الأطفال ، ولكنها مع ذلك ظلت تمارس بعض الصناعات الحرفية مثل الغزل والنسيج وفي أحيان قليلة صناعة الفخار . ونتيجة لذلك كله تدنت مكانتها الاقتصادية ، ومن هنا حافظت فقط على سيادتها ضمن المنزل . وهذا يعني ان نوعية أدوات الانتاج لم تتحسن ، وان المرأة لم تكن قادرة على استخدامها .

ولذلك استقل الرجل بحراثة الأراضي وزراعتها وريها واقامة سدود المياه وشق اقنية الري وتنظيفها والرعي والبناء والحروب والتجارة وتأمين المواد الأولية للحرفيين ونحت التماثيل وتصنيع المعادن وحراسة المدن .. الخ . واذن فقد بقي القديم واصبح الجديد من الأعمال من مهام الرجل واختصاصه . وكانت النتيجة ان الرجل اصبح مالكا لأدوات الانتاج وللربح المترتب على التجارة والذي تمثل في «**فضل القيمة**» . وقد دفعت هذه المعطيات الجديدة الرجل الى ان يقيم اسس «**الزيجة الوحدانية**» . اي انه اصبح يكتفي «رسميا» بالزواج من امرأة واحدة ، كما وجب على المرأة عدم الزواج الا برجل واحد . كل ذلك ليتأكد الرجل من انه هو نفسه وليس سواه اب مولود زوجته وليطمئن على توريثه ماحصل عليه من أملاك خاصة به منقولة وغير منقولة . ونجد هنا ان الزيجة الوحدانية وتكوّن الاسرة البيتية الأبوية نتجت هي ايضا عن ظهور «**فضل القيمة**» والربح ثم التملك الخاص على انقاض دولة المعبد ذات النظام الاشتراكي .

وللوهلة الأولى يبدو هذا الاستنتاج هو نفسه ، الذي توصل اليه «انجلز» القائل ان الزيجة الوحدانية «**. . . كانت أول شكل للأسرة مبني لا على احوال**

طبيعية بل على أحوال اقتصادية ، اي على انتصار الملكية الخاصة على الملكية العامة البدائية» [٨٦] : لاشك في أن الملكية الخاصة تسببت في اقامة صرح الزيجة الوحدانية ، ولكن ذلك لم يكن نتيجة لانتصار الملكية الخاصة على «الملكية العامة البدائية» في مجتمعات المنطقة العربية القديمة ، وانما كان نتيجة للملكية الخاصة التي دمرت نظام دولة المعبد الاشتراكي وقضت على ملكية هذه الدولة لادوات الانتاج ومصادره [٨٧] .

واخيرا نستطيع ان نلخص واقع الوضع العام لمجتمعات غرب آسية القديمة عند نهاية الألف الرابع وخلال الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد ، بالخطوط العامة التالية :

لقد قام اقتصاد المدينة على الزراعة وممارسة الحرف اليدوية ، وظهر انفتاح في العلاقات المعاشية والانتاجية بين القرى المتجاورة من جهة وبينها وبين البعيدة منها من جهة اخرى . واعتمدت القرية في اقتصادها على المدينة ، كما احتاجت القبائل الرعوية المتجولة من جانبها الى بعض السلع والمواد الغذائية ، التي لا تتوفر الا في مجتمع الحضر ، مجتمع المدينة والقرية . وكان مجتمع دولة المعبد الاشتراكي ينقصه بدوره بعض المواد الأولية لممارسة الحرف اليدوية . ولذا سيرت القوافل التجارية لاستيراد هذه المواد مقايضة بمواد اخرى أو للحصول عليها اغتصابا بقوة السلاح .

وقد اتحدت عدة دويلات مدن لتأمين مصادر هذه المواد ، لأن قوة كل منها منفردة لم تكن تكفي لتحقيق هذا الغرض . ثم انتقلت ملكية دولة المعبد الاشتراكية لأدوات ووسائل الانتاج إلى يد المتنفذين وأصبحت ملكاً خاصاً بهم واستولوا ايضا على مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، والتي كانت تخص جميع افراد المجتمع . وبعد ان كان «الأمير الكاهن» يمثل قمة السلطة في الدولة الاشتراكية ، تحول الى مستبد بالسلطة واتخذ لقب «الملك» بدلا من الأمير الكاهن .

وقد ارتفعت كميات المحاصيل الزراعية للأسباب التالية :

---

٨٦) انجلز ، فريدريش : نفس المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

٨٧) ويحاول بعض علماء آثار الشرق القديم ، تجاهل وجود هذه الحلقة الهامة في سلسلة تطور مجتمعات المنطقة العربية القديمة .

١ ـ لقد صنعت سكة المحراث من النحاس ، ومكنت الانسان من استصلاح مساحات واسعة من الأراضي واستغلالها .

٢ ـ وانتقل الانسان باسلوب التعدين من طرق المعادن الى صهرها ، وصنع بذلك اعدادا كبيرة من الأدوات الزراعية الأخرى كالمناجل والأزاميل والفؤوس وغيرها .

٣ ـ وتحكم الانسان اكثر من ذي قبل بسحب مياه الأنهار في اقنية الري وتنظيمها .

٤ ـ وازدادت الأيدي العاملة بسبب ارتفاع عدد السكان .

٥ ـ وتراكمت الخبرات لدى الناس في بعض مناطق غرب آسية في كافة المجالات الاقتصادية ، على مرّ آلاف الأعوام من التجارب الانسانية .

وبعد أن أعطينا هذه اللمحة المقتضبة حول حياة الانسان وبعض معطياتها المادية خلال عصور ماقبل التاريخ وفجره وخاصة في اقطار غرب آسية ، ننتقل الآن الى تحديد اهم مستوطنات انسان أواخر العصر الحجري ـ النحاسي وفجر التاريخ في هذه الأقطار لصلتها المباشرة بموضوع هذا الكتاب .

رابعا ـ اهم مستوطنات انسان غرب آسية خلال اواخر العصر الحجري ـ النحاسي وفجر التاريخ الخارطة ٣

لانستطيع حتى الآن ان نسجل الانجازات الحضارية ماقبل التاريخية باسماء شعوب معينة الا من قبيل الظن والتخمين لأن الكتابة لم تكن قد اخترعت بعد .

ولهذا نطلق على حضارات ماقبل التاريخ اسماء المواقع الأثرية الأولى ، التي اكتشفت فيها مخلفات هذه الحضارات المادية ، ثم عُمم اسم كل حضارة منها على كافة المواقع التي ظهرت فيها فيما بعد لقى أثرية تشبه آثار الموقع الأول .

ويكفي هنا في مجال بحثنا في تاريخ شعوب غرب آسية القديم ان نستعرض فقط المراحل [٨٨] ، التي اثرت بشكل مباشر على التطورات السياسية المبكرة لهذه

---

٨٨) فيما يتعلق بالعصور الحجرية الأولى ، راجع : د. توفيق سليمان ، المقدمة في الجزء الأول من العدد السادس عشر لمجلة الحوليات الأثرية العربية السورية .

الشعوب وخاصة في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام [٨٩] ، وهي :
أ ـ المرحلة الانتقالية من العصر الحجري الحديث الى العصر الحجري ـ النحاسي .
ب ـ العصر الحجري ـ النحاسي المبكر .
ج ـ العصر الحجري ـ النحاسي الوسيط .
د ـ العصر الحجري ـ النحاسي المتأخر .
هـ ـ المرحلة الانتقالية الى فجر التاريخ .

أ ـ المرحلة الانتقالية من العصر الحجري الحديث الى العصر الحجري ـ النحاسي :

نقصد هنا بالمرحلة الانتقالية الحقب الزمنية التي شكلت خاتمة العصر الحجري الحديث وبداية العصر الحجري ـ النحاسي وعرف الانسان خلالها تصنيع معدن النحاس . وكثيرا ما نعمد في علم الآثار والتاريخ القديم الى استخدام تعبير «المرحلة الانتقالية» بين عصرين لاحتفاظ العصر اللاحق بكثير من الخصائص الحضارية للعصر السابق عليه . وقد وجدت المخلفات المادية لانسان هذا العصر في معظم اقطار غرب آسية واهم مواقعها :

١ ـ سورية : في «أوغاريت» و «تل الجديد» و «كركميش» و «ساكتشيكوتسي» .

٢ ـ شمال مابين النهرين : في «تل حلف» و «نينوى» و «تبة جاوره» و «شاغار بازار» .
٣ ـ جنوب مابين النهرين : في «كيش» و «تللو ـ لاجاش» .
٤ ـ غرب وجنوب غرب ايران : في «بيرسيبوليس» .
٥ ـ تركستان : في «آناو» .

ب ـ العصر الحجري ـ النحاسي المبكر ، ويعرف ايضا باسم «عصر تل حلف» لان هذا التل كان اول منطقة اثرية عثر فيها على المخلفات المادية لانسان هذا العصر ، وأهم مناطقه :
١ ـ سورية : في «حماه» و «اوغاريت» و «تل الجديدة» و «كركميش»

89) Moortgat, A., Die Entstehung der sumerischen Hochkultur, AO 43, S. 18ff.

و «ساكتشيكوتسي» .
٢ ـ آسية الصغرى : في «مرسين» .
٣ ـ شمال مابين النهرين : في «تل حلف» و «شاغاربازار» و «تبة جاوره» و «ارباتشيا» و «نينوى» و «سامراء» .
٤ ـ مرتفعات ايران الشرقية : في «تبة سيالك» و «ري شاهر علي» و «قوم» و «تبة هيسّار» .

ج ـ العصر الحجري ـ النحاسي الوسيط :

وقد عثر على أولى مخلفات حضارته المادية في «تل العبيد» ، واشهر المناطق التي اكتشفت فيها آثار هذه الحضارة هي :

١ ـ سورية : في «حماه» .
٢ ـ شمال مابين النهرين : في «تبة جاوره» و «ارباتشيا» .
٣ ـ جنوب مابين النهرين : في «تل العبيد» و «اور» و «تللو ـ لاجاش» و «اوروك» .
٤ ـ غرب وجنوب غرب ايران : في «تبة كيّان» و «تبة موسيان» و «سوسا» .
٥ ـ مرتفعات ايران الشرقية : في «تبة سيالك» و «تبة هيسّار» .

د ـ العصر الحجري ـ النحاسي المتأخر :

ويعرف ايضا باسم «عصر العبيد الثاني» ، واكتشفت اهم مخلفاته الحضارية في :

١ ـ شمال مابين النهرين : في «تبة جاوره» و «نينوى» .
٢ ـ جنوب مابين النهرين : في «تل العبيد» و «اور» و «اوروك» .
٣ ـ غرب وجنوب غرب ايران : في «تبة كيّان» و «سوسا» و «بيرسيبوليس» .
٤ ـ مرتفعات ايران الشرقية : في «تبة سيالك» و «تبة هيسّار» .

هـ ـ المرحلة الانتقالية من عصر ماقبل التاريخ الى فجر التاريخ :

وتسمى ايضا «عصر اوروك» ، وقد عثر على مخلفاتها الحضارية في مناطق كثيرة اهمها :

١ ـ سورية : في «حماه» .
٢ ـ آسية الصغرى : في «اليشار» .
٣ ـ شمال مابين النهرين : في «تبة جاوره» و «نينوى» .
٤ ـ جنوب مابين النهرين : في «تللو ـ لاجاش» .
٥ ـ غرب وجنوب غرب ايران : في «سوسا» .
٦ ـ مرتفعات ايران الشرقية : في «تبة هيسّار» .

و ـ أما فجر التاريخ (حوالي ٣٠٠٠ ق.م.) فقد عثر على بعض مخلفات مدنياته المادية في مناطق عديدة اهمها :[٩٠]

١ ـ آسية الصغرى : في «اليشار» .
٢ ـ سورية : في «تل الجديدة» .
٣ ـ شمال مابين النهرين : في «تبة جاوره» و «نينوى» .
٤ ـ جنوب مابين النهرين : في «اور» و «اوروك» و «تللو ـ لاجاش» و «جمدة نصّار» .
٥ ـ غرب وجنوب غرب ايران : في «سوسا» .
٦ ـ مرتفعات ايران الشرقية : في «تبة سيالك» و «تبة هيسّار» .

وقد استطعنا بواسطة اللقى الأثرية ، التي اكتشفت في مدن هذه المناطق ان نتعقب اكتشاف الزراعة والحرفة ونشوء مجتمع المدينة والدولة ونظام ملكيتها لوسائل الانتاج . وبذلك وضعت خلال عصور ماقبل التاريخ وفجره الأسس الأولى للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، التي صنعتها شعوب غرب آسية خلال العصور اللاحقة . ولذلك سنبحث الجوانب السياسية لهذه الحضارات المختلفة خلال الدراسات التالية من هذا الكتاب ، ونبدأ أولا باستعراض ما يسمى بـ **«الهجرات الكبيرة»** ، التي استوطنت قبائلها وشعوبها المناطق المختلفة في غرب آسية ونعني بها «شعوب غرب آسية القديمة» .

---

٩٠) تجنبا للتكرار سردت اسماء مستوطنات هذا العصر والحقب السابقة عليه في فلسطين وبقية مناطق سورية ولبنان وشرق الأردن في الدراسة الخاصة بتاريخ هذه الأقطار (انظر : الدراسة الثانية عشرة ص ٣٣٣ ومابعدها) .

الدراسة الثالثة
شعوب غرب آسية القديمة

أولاً ـ السكان الأصليون

أ ـ السومريون :

لقد وردت أسماء كثيرة لأهم مستوطنات الانسان القديم في جنوب بلاد ما بين النهرين وفي اواسطها مثل «أور» و«تللو ـ لاجاش» و«جمدة نصّار» و «تل العبيد» . ويرقى تاريخ الكثير من طبقاتها الأولى الى عصر نشوء الدولة اي خلال نهاية ماقبل التاريخ وفجره . وان الانسان اقام مدنا عديدة أخرى مثل «اومّا» و«شوروبّاك» و«خفاجي» و«اشنونّا» (الخارطة ٢) .

وكان معظم هذه المدن يقع في الأراضي الفاصلة بين نهري دجلة والفرات وينتشر على مسافة يبلغ طولها حوالي ٣٥٠ كم مابين موقع مدينة بغداد وموقعي مدينتي «اور» و «اريدو» بالقرب من شط العرب . وقد استغل السكان الاقدمون مواقع اخرى على ضفاف روافد هذين النهرين وفروعهما لتوفر التربة الخصبة ، التي استغلوها الى اقصى ماتوفر لديهم من امكانيات الاستغلال .

وقد عثر في بعض هذه المدن على كتابات يرقى تاريخها الى الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد . وفيها وردت اسماء علم في شكل متطور للكتابة التصويرية ، اطلق عليه علماء اللغات الشرقية القديمة اسم «الكتابة السومرية» ، استنادا الى التسمية ، التي اطلقها اصحابها على انفسهم في هذه الكتابات وفي النصوص اللاحقة لها . ولكن الباحثين وجدوا انفسهم هنا امام اسئلة عديدة تتعلق بفجر التاريخ الحضاري لهذا الشعب واصله ، وفيما يلي اهمها :

١ ـ هل تحمل «السومريون» وحدهم مسؤ ولية بناء صرح حضارات العصور الحجرية كلها في بلاد مابين النهرين واقطار غرب آسية الأخرى ، ام اقتصر دورهم

على مشاركة الشعوب الأخرى في بنائها المبكر لهذه الحضارات ؟

٢ ـ هل انحصر ابداعهم الحضاري في تشييد بعض مداميك هذا البناء الحضاري ام شمل وضع اسسه «السومرية» ، التي نعرفها من مصادرهم التاريخية وآثارهم المادية على انقاض حضارات اسلافهم من الشعوب التي قطنت هذه المنطقة ؟

٣ ـ هل انفردوا دون غيرهم في تشييد بناء حضارة النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد في أقطار غرب آسية وخاصة في بلاد مابين النهرين ، ام كانوا مشاركين لغيرهم في اقامة صرح هذا البناء ؟

اما فيما يخص موضوع هجرتهم وتحديد موطنهم الأصلي فقد اعترضت العلماء في بحوثهم اسئلة اخرى مشابهة لاتزال تنتظر بدورها الاجابة واهمها :

١ ـ هل قدم السومريون الى بلاد مابين النهرين من مرتفعات ايران الغربية ام من المناطق الجبلية في الشمال ؟

٢ ـ اكانت بعض المناطق التي شكلت هذا الوطن الأصلي في سورية ام في شمال افريقية أم في جنوب الهند ؟

٣ ـ الى اية مجموعة بشرية ينتمي اصلهم «العرقي» ! والى اية «اسرة» لغوية تعود اصول لغتهم ؟

لقد ثبت على الصعيد الحضاري ان السومريين لم ينفردوا في بناء صرح حضارات العصور الحجرية في غرب آسية ، وانما كانت هناك شعوب اخرى سكنت المنطقة قبلهم او معهم عبر آلاف السنين وساهمت ايضا في تطوير الحضارة الانسانية خلال العصور الحجرية القديمة والوسطى والحديثة . ومن الأدلة التي تشير الى ذلك ، هو ان اللغة «السومرية» نفسها ، تحوي في ثروتها اللفظية بعض المفردات الدخيلة ، التي يعتقد ان «السومريين» اخذوها عن الشعوب والقبائل التي سبقتهم أو عاصرتهم في استيطان هذه المناطق وذلك بواسطة الاحتكاك بها [٩١] . وقد ثبت

٩١) ان اسم مدينة «اوروك» غير سومري الأصل ، مع انها كانت اشهر عاصمة سومرية في بلاد مابين النهرين خلال الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد .

ايضا ان ما يسميهم العلماء بـ «الساميين» كانوا قد شاركوا السومريين في بناء حضارات فجر التاريخ ومدنيات الحقب التاريخية اللاحقة .

اما فيما يخص «وطن السومريين الأم» وتحديد موقعه ، فلم تتوفر لدينا ـ حتى الآن ـ دلائل ثابتة يحق لنا اعتمادها في هذا الصدد . لذلك تباينت الآراء ومنها ان السومريين وفدوا الى جنوب مابين النهرين من ايران او من الغرب في شمال افريقية عبر فلسطين وسورية . وذهب بعض الباحثين الى القول ان «السومريين» هاجروا الى موطنهم التاريخي من جنوب الهند .

وقد درس عدد من العلماء بقايا بعض الهياكل العظمية من القبور السومرية بهدف ربط السومريين بـ «عرق ! » من الأجناس البشرية «المعروفة» ـ حتى الآن ـ ولكن دون جدوى [٩٢] . وحاول علماء الآثار في الوقت نفسه أن يقيموا جسرا يربطون به الجوانب المادية من الحضارة السومرية بحضارات شعوب اخرى معروفة ، ولكن حظهم هنا لم يكن افضل من حظ زملائهم علماء الأجناس . ودخل ايضا علماء اللغات «الشرقية القديمة» منذ مطلع القرن الحالي ميدان السباق لاكتشاف سر هذا المجهول ، ولكنهم ألقوا السلاح بدورهم ، بعد ان عجزوا عن تحديد اصل اللغة «السومرية» .

ومع ذلك كله فليس امامنا الا ان ندرس الحضارة السومرية المادية والفكرية والسياسية ونبحث فيها معتمدين في ذلك على مخلفات مدنيتهم الراقية ، التي نشأت في بلاد مابين النهرين وباعتبارهم من السكان الأصليين ، الذين عاشوا في هذه البلاد آلاف السنين قبل أن نعرفهم بهذا الاسم .

ب ـ «الساميون !» والعرب :

١ ـ تسمية وتساؤلات :

كان الباحث «شلوتسر» (Schlötzer) أول من اقتبس اسم «الساميين» عن التوراة [٩٣]، واطلقه في عام ١٧٨١م على اصل «عبريـي» التوراةوالشعوب التي

92) Moortgat, A., Die Entstehung der sumerischen Hochkultur, AO 43, S. 60.

٩٣) التوراة ، سفر التكوين : الاصحاح العاشر ، ١، وانظر ايضا :

تكلمت «لغات» تشبه اللغة العبرية . وبعد أن فك علماء اللغات «الشرقية القديمة» رموز الكتابات المسمارية وابجديات مااكتشف حتى الآن من لغات غرب آسية القديمة ، رأوا ان بعض هذه اللغات يعود الى اصل واحد اطلقوا عليه اسم «الأصل السامي !» غير انهم عجزوا حتى الآن عن تحديد القرن الذي استوطنت خلاله اولى القبائل «السامية» المناطق الخصبة في بلاد مابين النهرين وبلاد الشام . ولايفيدنا في شيء التحديد الزمني لتسلم «اقدم !» القبائل «السامية» بقيادة الأكاديين الحكم في بلاد مابين النهرين في مسألة تأريخ «هجرة الساميين الأولى » الى هذه البلاد وانتزاع الحكم فيها من «السومريين» عام ٢٣٥٠ق.م. . ولذلك فان امامنا اسئلة تتطلب الاجابة ، وهي اسئلة شبيهة الى حد كبير بنظائرها التي اعترضت بحثنا في اصل السومريين، ودورهم الحضاري وموطنهم الأصلي ، واهمها :

من هم الساميون ؟ واين يقع موطنهم الأصلي ؟ وهل لهذه التسمية جذور تاريخية سليمة ؟ وخلال أي عصر ظهروا في بلاد الشام وبلاد مابين النهرين ؟ وما علاقة العبريين التاريخية بـ «الساميين» ؟ وهل كانوا حقا من «الساميين» ؟.

٢ ـ «الموطن الأصلي للساميين !» :

٢ ـ أ ـ الصلة بين «اللغات السامية» و «اللغات الحامية» :

يعتقد نفر كبير من علماء اللغات والآثار الشرقية القديمة ان «الساميين» كانوا قد نزحوا الى الأراضي الخصيبة في بلاد الشام وبلاد مابين النهرين من بوادي وصحاري شبه الجزيرة العربية . ولكن هذا الرأي لم يخرج ـ حتى الآن ـ عن اطار الظن والتخمين وسيظل كذلك مادامت التنقيبات الأثريةوأبحاثها لم تصل بعد الى المستوى المطلوب في مناطق اخرى من اقطار غرب آسية وشمال افريقية وخاصة في صحاري وبوادي هذه الاقطار . وعندما يتم ذلك نستطيع ان نكوّن رأيا يصح ان يؤخذ به في تحديد مايسمى «الموطن الأول للساميين» وهو موطن اشك ـ مع ذلك ـ في انه قد وجد حقا ! : لقد برهن المستشرقون في بحوثهم على وجود صلات وثيقة

= Schlötzer, A. L. und Eichhorn, Von den Chaldern: In Repertorium für biblische und morgenlandische Literatur, B. 8, 1781, S. 161.

جدا بين ما يسمى «اللغات السامية» و «اللغات الحامية» (٩٤) ، وأشاروا ايضا الى ان افريقية كانت الموطن الأول لما يسمى بـ «الأصل الحامي» . ولابد لنا هنا ان نستنتج ان صلات قامت بين «الساميين!» و «الحاميين!» . ولكن هل شكل الشمال الافريقي هذا الموطن الأول لـ «الساميين» ، ام انه كان احد مواطنهم الأولى؟ وربما كان الجفاف الذي حل بمناطق صحاري وبوادي الشمال الافريقي قد دفع قسما كبيرا من سكانها الى الهجرة نحو الشرق بحثا عن مناطق خصبة جديدة (٩٥) على ضفاف وادي النيل وفي مناطق غرب آسية . ثم اختلط هؤلاء المهاجرون مع مرور الزمن بسكان المستوطنات الاصليين ، الذين عاشوا في هذه المناطق عبر آلاف السنين . ولذلك يتعذر علينا ان نحدد منطقة واحدة معينة كموطن اول لـ «الساميين» خاصة اذا علمنا انه لم يعثر ـ حتى الآن ـ على اي دليل مادي يمكن اعتماده كبرهان على صحة مثل هذا التحديد (٩٦) .

---

94) Rössler, O., «Verbalbau und Verbalflexion in den semito-hamitischen Sprachen. Vorstudien zu einer vergleichenden semito-hamitischen Grammatik. In der Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, 1951, S. 460-514.

-) Cahen, M., Essai comparativ sur le vocabulair et la phonétique du chamito-semitique, Paris, 1947. (Bibliothèque de l' Ecol Hautes études, No. 291).

٩٥) يؤكد علماء الآثار في ابحاثهم التي نشرت حتى الآن حول عصور ماقبل التاريخ في ليبيا مثلا ان صحراءها كانت عامرة بالسكان وتزخر بحضارات مزدهرة يرقى تاريخها الى العصور الحجرية . والأمر الملفت للنظر بهذا الخصوص انتشار النقوش والرسوم الصخرية الملونة والعادية في المناطق الممتدة من العوينات شرقا حتى العوينات الأخرى غربا ومن جبال تيبيستي في الجنوب حتى البحر في الشمال ، راجع حول ذلك : لوت ، هنري : لوحات تسيلي ،(الترجمة العربية) ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ـ ليبيا . مجلة ليبيا القديمة : في الاعداد الثاني والثالث والرابع والخامس .

٩٦) لقد استند المستشرقون في بحوثهم حول تحديد الموطن الأول لـ «الساميين» على الجانب اللغوي من حضارات شعوب مناطق غرب آسية القديمة . وبالرغم من الصلات القوية التي تربط ما يعرف بـ «اللغات السامية» بعضها ببعض ، فان هؤلاء الباحثين لم يتفقوا فيما بينهم على ترشيح منطقة يمكن أن تكون قد شكلت هذا «الموطن الأول» . وانما سمّت كل فئة منهم منطقة اختلفت عن المنطقة التي اقترحتها الأخرى . وتعددت النظريات حول ذلك لدرجة اصبحت بموجبها كل منطقة في غرب آسية وشمال افريقية وشرقها بل وبعض نواحي أوروبة مرشحة لتكون =

٢ ـ ب ـ خطأ التسميات التقليدية :

اعتاد بعض الباحثين عند تعريفهم لـ «الهجرات السامية» على القول انها موجات بشرية انطلقت من صحاري وبوادي شبه الجزيرة العربية خلال فترات زمنية متعاقبة الى مواقع التربة الخصبة في بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين تحت ضغط ظروف اقتصادية سادت هذه المناطق . وكثيراً ما يستند هؤلاء في تحديدهم زمن هذه الموجات البشرية على أقدم خبر حول ظهور قبائلها في المواطن الجديدة ذات التربة الخصبة وتأسيسها فيها دولا وممالك مزدهرة ، وكأن مامن اثر يشير الى وجودها في امكنة اخرى قبل ان تعرف بهذه الأسماء . لذلك لايجوز أن نفهم هذه التسميات كتعبير عن «الانتماء العرقي» لهذه القبائل عندما هجرت مواطنها «الأصلية» . ومن هنا اختلف «الساميون» عن الشعوب الجبلية والغريبة الأخرى التي هاجرت الى هذه المناطق خلال عصور تاريخية معروفة لدينا وعرفت نفسها باسماء نطالعها في الكتابات التي وصلتنا منها .

وأرى ان هذه القبائل والشعوب ، التي اعتدنا ان نسميها «سامية» ، كانت تستوطن مناطق عديدة من البقاع التي تشكل اليوم «أرض الوطن العربي» وتحركت داخله في شكل هجرات محلية بحثا عن الأراضي الخصبة والمياه الوفيرة . ولم تقتصر

= هذا «الموطن الأول» (وقد سرد الدكتور جواد علي في الجزء الأول من مؤلفه «المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام» ص ٢٢٩ ـ ٢٥٤ ، آراء المستشرقين ونظرياتهم حول «الموطن الأول للساميين» ، ولذلك احيل اليه من يريد المزيد من الاطلاع حول هذه المسألة .

ويدلنا هذا الخلاف في الآراء على أن التشابه الذي نلاحظه بين مجموعة من اللغات لايكفي حسب اعتقادي لتعليل «صحة النظرية السامية» عرقا واصلا ولغة . لان هناك عوامل اخرى ساعدت على نشوء اللغات بدون ان تنتمي هذه بالضرورة الى اصل مشترك واحد .

لذلك لابد من القيام بدراسة جدية بعيدة عن اي تعصب لـ «السامية» بحيث ينطلق صاحبها من المعطيات المادية التي توفرت لانسان المنطقة العربية منذ اقدم العصور وحتى فجر الدعوة الاسلامية . وربما يتوصل في نهاية هذه الدراسة الى ان بؤراً بشرية كثيرة العدد ساهمت كلها في تطوير ماأصبح يعرف بـ «اللغات السامية» ، دون ان تكون هذه اللغات تنتمي بالضرورة الى اصل مشترك واحد . راجع ايضا توفيق سليمان : نقد النظرية السامية ١٩٨٢م . دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق .

هذه الهجرات على سكان البوادي وحسب ، بل شملت ايضا سكان الأراضي الخصبية نفسها ، عندما كانوا يضطرون لهجرة مواطنهم تحت شدة ضغط قبائل جديدة قادمة اليها سواء من البوادي أو من مناطق حضر اخرى .

ويشير الى صحة هذا الاعتقاد كثرة مستوطنات انسان ماقبل التاريخ في بلاد الشام وبلاد مابين النهرين وبعض مناطق شمال افريقية . وبزغ فجر التاريخ باختراع الانسان مبدأ الكتابة التصويرية التي تلتها الكتابة المقطعية المسمارية التي اخترعها «السومريون» و«الأكاديون» في بلاد مابين النهرين. ثم اعقبتها في الظهور الكتابة الأبجدية على يد الكنعانيين ـ «الفينيقيين» والآراميين وغيرهم من شعوب وقبائل بلاد الشام . ونخطىء إذا اعتقدنا أن هذه الشعوب والقبائل قد عرفت الكتابات المذكورة بشكلها المتطور قبل أن تستقر في المناطق الخصيبة وتؤسس فيها المستوطنات الزراعية .. اذ لابد أن آلافا من السنين كانت قد انقضت قبل ان تصل هذه الشعوب والقبائل الى المستوى المتطور ، الذي اهلها لصناعة هذا الانجاز .

ولكن من اين وصلتنا «اسماء» هذه الشعوب والقبائل التي تصادفنا في ابحاث المستشرقين ؟ لندع هنا بعض الكتابات القديمة ونصوص التوراة تحدثنا عن ذلك :

لقد اقتبس اسم «الكنعانيين» عن التوراة ، ولكن كتّاب «التوراة» لم يشيروا الى البقاع الأولى ، التي يعتقد ان «الكنعانيين» قطنوها قبل أن يهاجروا الى بلاد الشام ويؤسسوا فيها دويلات وممالك مدن قوية ذات حضارة ومدنية مزدهرتين . وأخذ اسم «الفينيقيين» بطريق مباشرة عن الكتاب الاغريق الذين اطلقوه على شعب الممالك المتحضرة التي كانت قائمة على ساحل سورية ولبنان الحالي منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد حتى ٣٣٣/ ٣٣٢ق.م. علما انه لم يوجد حقيقة مثل هذا الشعب . وورد اسم «الآراميين» في التوراة ايضا ، وكان بعضهم بدوا رحلا والبعض الآخر متحضرا أقام ممالك مدن قوية في أواسط بلاد الشام وشمالها . وهاجر بعض قبائلهم الى بلاد ما بين النهرين خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد وشارك بصورة فعالة في تأسيس الدولة «الكلدانية» ، كما وصل بعض طلائعهم الى مصر . ولكننا نعرف «الآراميين» باسم آخر هو «احلامو» ، الذي ذكرته المصادر الآشورية ، وبذلك يكون اقدم اسم وصلنا لهم حتى الآن . ونعرف عن طريق الكتابات الآشورية ايضاً كلمة «عرْبو» ، التي يعتبرها البعض أقدم

مستند لأصل اسم «العرب» . ولكن الآشوريين لم يعنوا بهذا الاسم الا بعض القبائل الرحل في بادية الشام ، التي كانت تغير على مؤخرة جيوشهم اثناء انسحابهم من بلاد الشام بعد تأديبها للممالك الثائرة ضد سلطتهم . والأكّاديون اقدم القبائل السامية سموا بذلك نسبة إلى عاصمتهم «أكّاد» ، بينما ورد في بعض النصوص الأكّادية ان الملوك الأكّاديين كانوا يسمون شعبهم «ذوي الرؤوس السود» .

ونستدل من ذلك كله على أن هذه «التسميات» ليست الا طريقة لتسهيل البحث في تاريخ هذه «الشعوب والقبائل» وفي حضاراتها ايضا ، وبالتالي فانها لاتحمل اي مفهوم «عرقي» كما يعتقد بعض الباحثين [٩٧] . ورب معترض يسأل هنا ، كيف نستطيع اذن ان نفسر «الهجرة» العربية الاسلامية بناء على هذا التحليل لمفهوم الهجرات أو الموجات «السامية» ؟ :

لقد وقع الباحثون في اطار مايعرف بدراسة «الهجرات أو الموجات السامية» في خطأ عندما اعتبروا عملية الاشعاع العقائدي والحضاري للعرب المسلمين «هجرة» شأنها شأن «هجرات» الشعوب والأقوام الأخرى . لأن معنى «الهجرة» في هذه الحالة وخلال تلك العصور القديمة ، هو عملية نزوح ضخمة لشعب من الشعوب من موطن له الى موطن آخر جديد ، كما فعل ما يسمون بـ «الأكّاديين» و «العمورّيين» ولم يفعل ذلك عرب مكة والمدينة خلال عهد الرسول العربي الكريم ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين من بعده . لذا لايجوز أن نسمي ـ من الوجهة العلمية ـ مراحل انتشار الدعوة العربية الاسلامية عملية «هجرة» الى اقطار غرب آسية الأخرى وشمال افريقية أو «غزوا» لها . وانما كانت عمليات تحرير منظمة شكلت مكة المكرمة ثقلها العقائدي والمدينة المنورة عاصمتها المركزية التشريعية والسياسية . لقد وقفت الجماعات البشرية في جميع هذه الأقطار الى جانب محرريها من نير الاستعمارين الفارسي والبيزنطي . ولذلك لم تصلنا خلال عمليات التحرير هذه الا قليلا اخبار ثورة قام بها سكان هذه المناطق ضد العرب المسلمين ، وحتى هذه الحالات القليلة العدد فقد كان مصدرها بعض البؤر البشرية المنغلقة على نفسها . بينما كانت تلك

---

٩٧) لم اشر هنا الى المؤلفات والبحوث التي وضعت حول اسماء هذه القبائل والشعوب ، لأني سأتعرض لذكرها في مواضع مختلفة من هذا الجزء والجزء الثاني من هذه السلسلة .

الجماعات البشرية دائما تثور ضد مستعمريها من الفرس والاغريق والرومان والبيزنطيين ، نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ثورة اهل «بابل» ضد الملك الفارسي «داريوس»وعصيانهم له. وقد اضطر الاسكندر المكدوني الى محاصرةمدينة «صور» البحرية تسعة اشهر ، ولم يتمكن من احتلالها الا بعد معارك طاحنة ، انتهت بتدمير المدينة . وكثيرا مالاقى الرومان الهزيمة على يد الانباط في غرب آسية وعلى يد «الفينيقيين» في شمال افريقية ، واضطرت جيوشهم الى الانسحاب من سورية وفلسطين وحتى من مصر مرارا تحت ضربات الجيش التدمري . ان السجلات الرومانية مليئة باخبار هذه الحروب . ويجدر بنا هنا أن نذكر ايضا «موقعة ذي قار» ، التي اعتبرها الرسول الكريم ﷺ يوما خالدا من أيام انتصارات العرب ضد الأجنبي المستعمر .

ولكن بالرغم من هذه المقاومة العنيدة الطويلة الأمد ، فان حملات «التغريق» و «الترويم» و «التفريس» [٩٨] ، لمناطق غرب آسية وشمال افريقية ، كادت تنجح ، وقد اكد المد الاسلامي الذي تدفق من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، في القرن السابع للميلاد الوحدة الحضارية لهذه المناطق ، وحماها القرآن الكريم بتشريعه الجديد وبلغته العربية التي استوعبت بقايا اللهجات «البابلية والآرامية والفينيقية» وغيرها من اللهجات الأخرى الشبيهة . فوجد العرب المسلمون انفسهم بين شعوب وقبائل في اقطار غرب آسية وشمال افريقية تتقارب حضاراتها في اللون والمضمون فيما بينها من جهة وبينها وبين الحضارة العربية الاسلامية من جهة اخرى . ولذلك سرعان ما تبنى سكان شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد مابين النهرين ومناطق شمال افريقية الأفكار الجديدة للعرب المسلمين وحمت لهجة القرآن الكريم اللغة العربية من الزوال [٩٨-أ] .

٢ ـ ج ـ بطلان النظرية السامية [٩٨-ب] :

٩٨) اي جعلها اغريقية أو رومانية أو فارسية حضارة ولغة .

٩٨ ـ أ) توفيق سليمان : نقد النظرية السامية ، الجزء الأول ، ١٩٨٢م ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق .

٩٨ ـ ب) توفيق سليمان : نقد النظرية السامية ، ١٩٨٢ ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ـ دمشق .

ذكرنا آنفا ان «التوراة» كانت قد شكلت الدعامة الأولى لانتشار لفظة «الساميين» . وبسبب الصلة القوية بين الدراسات المسيحية واليهودية في اوروبة انكب الباحثون المسيحيون الاوروبيون واليهود على «دراسة» نصوص «التوراة» واكدوا على اهميتها الدينية والتاريخية على حد سواء . واخذ اكثرهم يفسر نصوصها في معظم الأحيان وفقا لنزعاتهم الدينية وآرائهم التاريخية والسياسية الخاصة بهم .

ولسنا هنا في معرض بحث «اساءة» هؤلاء الباحثين في تفسيرهم نصوص التوراة ، ان الذي يهمنا في هذا المجال هو البحث في ما تمخضت عنه هذه الدراسات من ابراز «اهمية» اللغة العبرية ، اذ جعل الباحثون منها «المحك الأول» لما يسمى بـ «علم اللغات السامية المقارن» . ولذلك لابد من التعرض للمسائل المعقدة ، التي لم يكن بمقدور المؤمنين بنظرية «الأصل الواحد للغات» حلها ، بالرغم من مرور قرنين من الزمن على نشوئها . اذ بدون ايجاد حل لهذه المسائل لانستطيع ان نحدد هوية الأقوام الأصلية في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد مابين النهرين التي تميزت بها عن الشعوب الجبلية خلال العصور القديمة وسنعجز بالتالي عن دراسة تيارات الصراع في غرب آسية القديمة ، وهي تيارات كانت قد حددت الألوان التي تميزت بها حضارات هذه المنطقة ومضامينها الاقتصادية والفكرية والفنية والسياسية خلال آلاف الأعوام التي سبقت فجر الاسلام :

فمنذ ان فك علماء اللغات الشرقية القديمة رموز الكتابات المسمارية ، ومعظم هؤلاء ينظر الى اللغة «الأكّادية» على انها اقدم «اللغات السامية» ، لانهم حددوا تاريخ وثائقها المكتوبة الأولى ـ كما هو معروف الآن ـ في حوالي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد .

وأما نصوص اللغة «الكنعانية» وجميع «اللغات السامية» الأخرى فانها تؤرخ عادة في حقب لاحقة للأكّادية ، وخاصة اللغة «العربية» ، التي ترجع اقدم نصوصها التي وصلتنا حتى الآن الى حوالي ٤٥٠م . وقد اصبح علماء «اللغات السامية» في حيرة من امرهم ، عندما تأكدوا ان هذه «اللغات» القديمة كانت قد فقدت كثيرا من خصائصها اللغوية ، التي يعتبرونها من اصل «اللغة السامية الأم» ، وفي مقدمتها الأحرف الحلقية ، وان اللغة العربية التي تعود نصوصها التي لدينا الى

فتـرة متأخـرة قد بقيت تحتفـظ بالكثير من هذه الخصـائص الأصـلية لـ «اللغـة الأم» [٩٩] . ولم تزل هذه المشكلة قائمة بدون حل مقبول لدى جميع الباحثين في هذا المجال . وأرى في هذا الخصوص ، ان الأمر ليس كما يعتقد حتى الآن ، من ان هذه اللغات تعود الى اصل واحد تفرعت عنه عبر العصور حتى وصلتنا مع بداية العصـور التـاريخية بقواعدهـا وثرواتهـا اللفـظية المتشابهـة فيما بينهـا والمعروفـة لدينا [١٠٠] :

لقد ذكرنا انه لم يكن هناك موطن محدد واحد لـ «الساميين» ، بل مواطـن كثيرة انتشرت في كافة ربوع شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد مابين النهرين وبعض مناطق شمال افريقية وشرقها . ويجوز لنا ان نعتبر هذه المواطن بمثابة «بؤ ر بشرية» نشأت على مر الزمن خلال عصور ماقبل التاريخ ، وكوّنت كل «بؤ رة» منها مجتمعا بشريا خاصا ضمن نطاق جغرافي معين حدد بدوره مجال انتشـار لغـة هذه البؤ رة البشرية ومدى اتصالها بمجتمعات ولغات البؤ ر البشرية الأخرى المجـاورة لها . ثم تكونت بعد ذلك مجتمعات ضمت عدة بؤ ر بشرية في شكل قبائل وشعوب ومنها ما أصبحنا نعرفهم بالأكّاديين والعمورّيين والفينيقيين والعرْبو . . . الـخ . وبحكم هذا الجوار المبكر اختلطت لغات هذه المجتمعات بعضها ببعض ، وفقدت بذلك هذه اللغة أو تلك جانبا من ثروتها اللفظية امام تسرب مفردات بديلة لها من اللغة او اللغات الأخرى . وظلت هذه التأثيرات المتبادلة قائمة بين اللغات حتـى ظهرت الكتابة التي اخذ الناس يحفظـون بهـا تراثهـم اللغـوي للأحفـاد بدلاً من اكتفائهم بتناقله شفويا فيما بينهم . ومن خلال التطورات الحضارية في غرب آسية القديمة التي شهدتها القرون الزمنية مابين ٢٥٠٠ وحوالي ١٠٠٠ ق.م.، نستطيع ان نكتشف ثلاثة عوامل رئيسة حددت نتيجة الاختلاطات اللغوية لصالح هذه اللغة او تلك ، وهي :

١ ـ قوة القبيلة صاحبة اللغة وسلطتها السياسية .

٢ ـ مستوى تطورها الحضاري .

---

99) Handbuch der Orientalistik, Dritter Band, Abschnitt 1, 1954, S. 8.

100) Bauer u. Leander, Historische Grammatik der hebräischen Sprache, S. 17.

٣ ـ كثرة افرادها واتساع مجالهم الجغرافي .

ولذلك ارى ان ماورد في «التوراة» واصبح يعرف فيما بعد بـ «نظرية الأصل» يتناقض مع التطور الفكري والمادي للانسان . وبناء على ذلك يصعب علينا ان نتصور ان «لغة أمّا» واحدة قد شكلت اصل مااصبح يعرف بـ «اللغات السامية» نسبة الى «سام بن نوح» . وربما رأى البعض ان مشكلة «الأقدمية» بين هذه اللغات تعود ايضا الى الظهور هنا من جديد . ولكننا لا نستطيع ان نقول في هذه الحالة ان احدى هذه اللغات اقدم من الأخرى أو انها احدث منها ، الا اذا استطعنا ان نحدد زمن نشوء «بؤ رتها البشرية» ومعها ايضا جميع «البؤ ر البشرية» الأخرى . ثم اختلاطها بهذه «البؤ ر» واستقلالها عنها .

والملاحظ ايضا ان «الاختلاط» لم يؤ د الى اندثار الأضعف من بين اللغات فحسب ، بل ايضا الى احتفاظ اللغة «الأقوى» بعدد كبير من مفردات اللغة المندثرة . ونلاحظ هذه الظاهرة في اللغتين «الأكّادية» و «الكنعانية» عندما اختلطتا بغيرهما من لغات «البؤ ر البشرية» الأخرى كـ «البؤ ر السومرية» . ولذلك فقدت اللغة الأكّادية بعض الخصائص الاساسية التي جمعت بينها وبين لغات البؤ ر الأخرى ، التي كان الأكّاديون على اتصال وثيق بها قبل معرفتهم بالسومريين واتصالهم بهم . ومن بين هذه الخصائص الأساسية ، التي يشير اليها العلماء «الأحرف الحلقية» .

وأما اللغة التي اصبحت تعرف بـ «العربية» فقد نشأت من «لغات» بؤ ر بشرية كثيرة العدد وواسعة الانتشار داخل نطاق جغرافي مترامي الأطراف . ولكن حدوده الطبيعية ذات المسالك الصعبة حالت دون اتصال لغات هذه البؤ ر بنظيرها الذي كان قائما خلف هذه الحدود . لذلك بقيت اللغة «العربية» تحتفظ بالخصائص الأساسية لما اصبح يعرف في ابحاث المستشرقين بـ «اللغة الأم» ، التي لم توجد الا في «التوراة» [١٠١] .

---

(١٠١) كانت مستوطنات انسان ماقبل التاريخ منتشرة في كافة ربوع مناطق غرب آسية وشمال افريقية انظر بهذا الخصوص : Solyman, T., Introduction, in AAAS, 1966, XVI, 2. وقد اكدت الأبحاث في علم ماقبل التاريخ ان تشابها حضاريا كان قائما بين مجتمعات البؤر البشرية المتجاورة في مناطقها الجغرافية بسبب سهولة اتصال هذه البؤر بعضها ببعض ، انظر بهذا الشأن : Anati,

ونتيجة لذلك فان اعتمادنا اية لغة من «اللغات السامية» على انها اللغة الأقدم او الأقرب من غيرها الى تلك «**اللغة الأم**» المفترضة ، ضرب من الخيال ، لأنه لا يستند الى اية اسس مادية اثرية مكتشفة في مناطق غرب آسية او شمال افريقية او في شرقها . ولهذا فإن تأكيد بعض الباحثين على اعتبار اللغة «العبرية» لغة مقارنة وحيدة في اطار ما يسمى بعلم الدراسات السامية ، لا يمكن ان ننظر إليه الا على انه محاولة من قبل هؤلاء للتأكيد على نشوء «القومية العبرية» قبل القوميات الأخرى في مناطق غرب آسية (١٠١ ـ أ) .

= Palestine before the Hebreus, 1963. في حين بقيت الأخرى معزولة ضمن محيطها الجغرافي بسبب صعوبة اختراق الحدود الطبيعية .

١٠١ ـ آ) توفيق سليمان : نقد النظرية السامية ، ١٩٨٢ ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ، = دمشق .

ثانيا ـ الشعوب الغريبة عن مناطق شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد مابين النهرين

أ ـ الشعوب والقبائل الجبلية :

لقد تعرضت المناطق العربية في غرب آسية لهجمات شعوب وقبائل غريبة عنها ، أي انها لم تكن اصلا من بين «بؤرها البشرية» الأصلية ، وهي تعرف في علم آثار غرب آسية باسم «الشعوب الجبلية»(١٠٢) .

وأول خبر مكتوب عن صراع بعض البؤ ر البشرية الأصلية مع البؤ ر الغريبة وصلنا من بلاد مابين النهرين كتب باللغة «السومرية» ويذكر ان «البؤر» السومرية صدت هجمات بؤ ر اخرى غريبة عن المنطقة وهي بعض «البؤ ر العيلامية» ثم كشفت لنا اعمال التنقيب في العاصمة العيلامية «سوسا» عن نصب تذكاري للملك الأكّادي «نارام ـ سن» . يحمل نقشا بالكتابة المسمارية ، بالاضافة الى رسم الملك الأكّادي ورسم بعض اعدائه بين صرعى ومستسلمين في ساحات القتال . ويذكر الملك في هذه الكتابة حربه ضد القبائل «اللولبية» الجبلية التي كانت تغير على حدود الامبراطورية الأكّادية الشمالية ـ الشرقية وتهدد أمن مناطقها وسلامة سكانها . ويعتبر هذا النصب وثيقة تاريخية وفنية توضح لنا بالكلمة والصورة أن «البؤر البشرية» في أعالي الجبال ووديانها كانت قد أخذت تحرر نفسها من العزلة ، التي فرضتها عليها الطبيعة منذ أن نشأت في مناطقها الأولى .

وفي عام ٢١٥٠ق.م. هاجمت قبائل جبلية ، عرفت في المصادر السومرية الحديثة بـ «الجوتية» بلاد مابين النهرين وانهت الوجود السياسي للامبراطورية

---

102) Moortgat, A., Die Kunst des Alten Orients und die Bergvölker, Berlin, 1932.

-) Moortgat, A., Geschichte Vorderasiens bis zum Hellenismus, 2. Auflage, 1959, S. 321-393.

المرجع الأخير معرب بعنوان «تاريخ الشرق الأدنى القديم» : دكتور توفيق سليمان ودكتور علي ابو عساف ، ١٩٦٧م .

الأكّادية . وربما كانت هذه القبائل هي نفس القبائل «اللولبية» التي نعرفها خلال النصف الأول من حياة الامبراطورية الأكّادية . ثم تعاقبت هجرات الشعوب الجبلية احيانا وتعاصرت احيانا اخرى تارة سلما واخرى حربا الى مناطق بلاد الشام وبلاد مابين النهرين ، فقد وصلت طلائع الحوريين الى شمال شرق سورية كما وصلت افواج الكاشيين الأولى الى شمال شرق بلاد مابين النهرين خلال القرن العشرين قبل الميلاد .

وفي بداية القرن السابع عشر قبل الميلاد تسلمت قبائل اخرى هي «الهيكسوس» الحكم في دلتا النيل قادمة اليها من بلاد الشام . ولاأشك في ان وقتا طويلا كان قد انقضى عليها في بلاد الشام قبل ان تصل الى مصر ، وكانت بذلك قد وصلت الى بلاد الشام في نفس العصر الذي هاجر خلاله الكاشيون والحوريون الى المناطق الآنفة الذكر ، وبالتالي فالهيكسوس يعودون في اصلهم الى الشعوب الجبلية [١٠٣] . وفي حوالي عام ١٥٣٠ق.م. انطلق «الحثيون» من قلب الأناضول وحطموا الوجود السياسي للدولة البابلية القديمة .

واذن فيمكننا القول هنا ان النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد خاصة والألف الثاني عامة كان عصر الصراع بين «البؤر البشرية الأصلية» وبين «البؤر البشرية الغريبة» عن مناطق بلاد الشام وبلاد مابين النهرين . وكانت المملكة البابلية قد تحملت خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد مسؤولية الدفاع عن وجود هذه البؤر البشرية الأصلية وكيانها ، ثم اخذت الامبراطورية الآشورية على عاتقها القيام بنفس هذا الدور خلال النصف الثاني منه وواصلت القيام بهذا الدور حتى انهيارها عام ٦١٣/ ٦١٢ق.م. .

ب ـ العبريون والشعوب الجبلية :

وقد وصلنا من عصر هذا الزحف الهائل للقبائل والشعوب الجبلية الى مناطق بلاد الشام ومابين النهرين نصوص مدوّنة من مدينة «ماري» (= تل الحريري) ،

---

١٠٣) ليست هناك دلائل مادية اثرية تشير الى انتماء «الهيكسوس» الى ما يسمى بـ «الساميين» وليسوا بالتالي حسب مفهومنا الجديد ما اطلقنا عليه تعبير «البؤر البشرية الأصلية» في مناطق شبه الجزيرة العربية وبلاد مابين النهرين وبلاد الشام .

يرقى تاريخها الى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد . وقد ورد في هذه النصوص اسم قبائل «الخابيرو» ، ومن بينها قبيلة تدعى «بيني - يمين» . وبعد عدة قرون من الزمن ذكرت نصوص من القرن الرابع عشر قبل الميلاد من «تل العمارنة» في مصر قبائل الـ «خابيرو» ايضا ونجد في نصوص في التوراة كذلك اسم «بن يمين» لاحدى القبائل الـ «عبرية» .

ويرجح ان هؤلاء «العبريين» وفي مقدمتهم «بن يمين» كانوا احفاد اولئك الـ «خابيرو» الذين ذكرتهم نصوص كل من «ماري» و «تل العمارنة» . والفرق الذي نجده بين لفظتي «عبريين» أو «عابيرو» و «خابيرو» يكمن في الحرف الحلقي الأول منهما :

ومرجع هذا الفرق ان المفردات «البابلية» التي كتبت بها كل من نصوص «ماري» و «تل العمارنة» لم تكن تضم آنذاك جميع الأحرف الحلقية الحادة ، لأنها كانت قد فقدت كثيرا من خصائص لغات بؤرها البشرية الأولى الآنفة الذكر . ولقد عرفت بعض هذه الأحرف الحلقية الحادة في عدد من اللهجات الكنعانية المتأخرة ومنها «العبرية» التي كتبت بها التوراة . لذلك حل حرف الـ «عين» مكان حرف الـ «خاء» وأصبح الـ «خابيرو» يعرفون في نصوص التوراة بـ «عابيرو» أو «عبريين» [١٠٤] .

وتصف نصوص مدينة «ماري» هؤلاء الـ «خابيرو» (=عابيرو= العبريين) انهم قبائل عاشت على اعمال النهب والسلب . وقد لخص احد علماء آثار غرب آسية وضع هؤلاء الـ «خابيرو» بقوله انهم : «**لم يشكلوا من الناحية العرقية . . كما يعتقد اليوم شعبا ذا خصائص عرقية موحدة ، وانما كانوا عبارة عن اتحاد مكون من عصابات صحراوية من اللصوص ، وهي عصابات بدأت تتجه منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى الأرض الكنعانية على الأردن . .**» [١٠٥] .

---

١٠٤) لا أساس من الصحة للتفسير الشائع في كثير من المراجع العربية ان اسم هذه القبائل مشتق مما يدعى «عبورها نهر الأردن» .

105) Moortgat, A., Geschichte Vorderasiens bis Zum Hellenismus, S. 388, «... In derselben Amama-Korrespondenz.. tauche auch die Habiru- Leute auf, in denen man, wie heutzutage :

والسؤال الذي يرد إلى الذهن هو ، أكان «العابيرو/ العبريون» يؤلفون بؤرا بشرية أصلية في المناطق العربية في غرب آسية ، أم أن بؤرهم البشرية الأولى كانت تقع خارج هذا النطاق الجغرافي ؟

ولنبدأ ببحث الاشارة الواردة في التوراة الى «هجرة العبريين الأولى»، تقول التوراة : « . . . **واخذ تارح ابرام ابنه ولوطا بن هاران بن ابنه وساراي كنته امرأة ابنه فخرجوا معا من اور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان ، فاتوا الى حاران واقاموا هناك . . .**» [١٠٦] .

وينبغي ان نذكر هنا ان «الكلدانيين» كانوا قد اسسوا آخر دولة محلية (أي انهم كانوا من البؤ ر البشرية الأصلية) في حوالي ٦٠٥ ق.م. اثر انهيار الامبراطورية الآشورية . ولكن أحداث اشارة التوراة الفائتة الذكر يرقى تاريخها كما يفترض عادة الى حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، أي الى العصر الذي بدأت فيه نصوص «ماري» تذكر الـ «خابيرو» . لذا يستحيل علينا ان نقيم جسرا يربط «اور الكلدانيين» باحداث يفترض انها وقعت قبل الكلدانيين باثني عشر قرنا من الزمن . ثم نجد من ناحية اخرى اشارة التوراة هذه تتفق مع ماجاء في نصوص «ماري» ، من ان «العبريين» كانوا في منطقة «حرّان» ، الحورية . ويدعم وجهة النظر هذه ان «اور» لم يرد لها ذكر في الأصل اليوناني للتوراة ، وهو النص الذي نعتمد ترجمته في الوقت الحاضر . ولذلك لابد ان يكون اسم مدينة «اور» قد اضيف الى بعض نصوص التوراة في عصر لاحق لعصر النص اليوناني ، الذي يعود الى القرن الثالث قبل الميلاد [١٠٧] .

= allgemein angenommen, nicht so sehr ein ethnisches Element zu sehen hat, als vielmehr einen Verband von Freibeutern aus der Wüste, die das kananäische Land am Jordan seit dem 14. Jh. heimsuchen...».

المرجع معرب بعنوان «تاريخ الشرق الأدنى القديم» : د. توفيق سليمان ود. علي ابو عساف، سورية، ١٩٦٧ .

١٠٦) التوراة ، سفر التكوين ـ الاصحاح الحادي عشر ـ ٣١ .

107) Wreight, G. Ernest, Biblical Archaeology, 1st. pub, 1957, (Biblische Archäologie, 1958, S. 33).

ويظهر ان علاقات قديمة كانت تربط العبريين بالحوريين ، الذين كان موطنهم الأصلي في جبال «ارارات» في منطقة بحر «وان» في آسية الصغرى . فالتوراة تذكر ان سفينة «نوح» «. . . استقرت في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر الحالي على جبال اراراط . . .» (١٠٨) .

ويعني هذا ان اصلهم الأول كان فيما يرون في منطقة «ارارات» ، وفي عصر لم تكن البؤ ر البشرية الجبلية قد بدأت بزحفها على مناطق بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين . اما الرواية البابلية عن «الطوفان» وهي تعود الى زمن اقدم بكثير من زمن رواية التوراة هذه ، فتقول ان السفينة توقفت على سفوح جبال زاغروس ، دون أن تتعرض لذكر جبال ارارات (١٠٩) .

وثمة قرينة اخرى تشير الى ان اصولا ما كانت قد جمعت بين «العبريين» و«الحوريين»هي التشابه الكبير بين هاتين الجماعتين البشريتين في العادات والتقاليد وفي العقيدة الدينية وقيمها ، قبل ان يغزو العبريون ارض كنعان . ويظهر ذلك واضحا في نصوص الرقم الطينية الحورية التي ترجع الى القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد ، (١١٠) ، والتي اكتشفت في مدينة «نوزي» الحورية . ومع ذلك كله لابد من معترض يقول ، ان اللغة «العبرية» هي لغة «محلية» ، اي انها لغة من لغات «البؤ ر البشرية الأصلية» في المنطقة ، ولذا لابد ان يكون العبريون قد كونوا ايضا بعض هذه البؤ ر البشرية ! .

وردنا على ذلك ان العبريين كانوا يتكلمون لغة اخرى قبل ان يقتبسوا لغة نصوص التوراة من الكنعانيين ، السكان الأصليين في جنوب بلاد الشام . ويشير الى صحة هذا القول ان بعض اسماء اسباطهم لايعود في اصوله الى اية لغة محلية من لغات «البؤ ر البشرية الأصلية» في بلاد مابين النهرين وبلاد الشام . ويصعب علينا ايضا ان نربط اسم المهم «يهوه» باصل كلمة من كلمات احدى اللغات الأصلية في المنطقة . ولذلك يعتقد ان اصل اسم هذا الاله يعود الى لغة قديمة كانت القبائل العبرية تتكلمها قبل ان تقتبس اللغة الكنعانية .

١٠٨) سفر التكوين : الاصحاح الثامن : ٤ .

109) Schott, A. Das Gilgamesch- Epos, 11. Tafel, S. 80.

110) Wreight, op. cit. P. 33-37.

ويتفق هذا بطبيعة الحال مع قولنا الفائت الذكر انه كانت توجد شعوب وقبائل قديمة كثيرة اقتبست لغات شعوب اخرى دون ان ترتبط بها بصلة قربى . وكما ذكرنا فقد تم ذلك عن طريق احتكاك هذه الشعوب والقبائل ، خلال تجوالها ، بنظيرها من الشعوب والقبائل الأخرى واخذ كل منها عن الآخر مفردات كثيرة واحيانا بعض جوانب النحو والصرف . ولكن اللغة الأقوى والأكثر تطورا صمدت امام اللغة الأضعف ، التي ذابت وانقرضت تدريجيا بحكم هذه التأثيرات المتبادلة .

ويمكننا تشبيه هذه الظاهرة الحضارية ـ التاريخية بالأمواج الناتجة عن القاء حجرين متفاوتي الحجم والثقل في آن واحد وفي موضعين متجاورين في بحيرة راكدة المياه . ونجد هنا امواج الحجر الأكبر حجما ووزنا تبتلع امواج الأخرى ، وتبقى الأمواج القوية ظاهرة للعيان مادام مركز الثقل يمدها بأسباب الاستمرار . وهذا ما حدث ايضا للعبريين وغيرهم من القبائل الغربية التي غزت واستوطنت بعض مناطق بلاد الشام وبلاد مابين النهرين . كذلك يمكننا اخضاع جميع لغات شعوب وقبائل «البذور الاصلية» في المنطقة العربية الآسيوية لهذا المبدأ ، اذ اندثرت اصولها الأولى امام اختلاطها المستمر فيما بينها ، وتمثلت حصيلة هذا الاختلاط فيما اصبحنا نعرفه بـ «اللغة العربية» ولذلك لايجوز ان نعتمد فقط مايسمى بـ «نظرية الأصل» التي قال بها Schlötzer وغيره من الباحثين ، اللهم باستثناء بعض المراحل التاريخية التي اعقبت نشوء الدولة وحماية حدودها الاقليمية امام غزو القبائل والشعوب الغريبة عنها .

وأمام هذه الحقائق لا نستطيع ان نميز «حضاريا» و «عرقيا» فيما بين الشعوب والقبائل المحلية الأصلية في المنطقة التي شكلت فيما بعد «الوطن العربي» عامة وشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد ما بين النهرين خاصة . ولكن ذلك يمكن تحديده بين هذه من جهة وبين الشعوب والقبائل الغريبة عنها الجبلية منها والبحرية من جهة اخرى . ولذلك فان التاريخ السياسي والحضاري لهذه المناطق نشأ وتطور نتيجة لعاملين اساسيين هما :

١ ـ الصراع الطويل الذي نشب فيما بين الشعوب والقبائل الأصلية في مناطق غرب آسية .

٢ ـ الصراع المرير الذي نشب بين هذه الشعوب والقبائل الأصلية وبين الغربية الغازية لمناطقها .

وهذان العاملان الرئيسان هما اللذان يشكلان صلب مواضيع الدراسات القادمة في هذا الكتاب .

الدراسة الرابعة
دول المدن السومرية خلال عصرها الاول
(٢٦٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م)

أولاً ـ لمحة جغرافية عامة حول طبيعة بلاد مابين النهرين

أ ـ التقسيم الطبيعي العام (الخارطة : ٢ ، والخارطة : ٤) :

تعني كلمة Mesopotamia بالعربية «مابين النهرين» أو «مابين الرافدين» وقد استخدمها الكتاب والمؤرخون الكلاسيكيون في كتاباتهم عن تاريخ «الشرق القديم» . وقصدوا بها المناطق الواقعة بين نهري دجلة والفرات وخاصة منها في العراق الحالي . ثم عممت هذه التسمية في الأبحاث الحديثة إلى أن شملت أيضا المناطق الواقعة بين هذين النهرين في مجريها العلويين .

وتقسم هذه المناطق من الوجهة الطبيعية الى جزئين رئيسيين :

الأول شمالي ، طبيعة ارضه وعرة المسالك والثاني جنوبي ، يتكون من بقاع سهلة تشكلت خلال العصور الجيولوجية المتأخرة بفعل الترسبات الترابية والصخرية وغيرها من المجروفات التي حملتها مياه نهري «دجلة» و «الفرات» وروافدهما الرئيسة والثانوية وخاصة خلال الفيضانات الموسمية . ولكي نفهم جغرافية هذه المناطق علينا أولا ان نعرض ابرز المزايا الطبيعية التي يتمتع بها كل من هذين النهرين ، اللذين لعبا دورا هاما في نسج الخيوط الأولى لحضارات غرب آسية القديمة وخاصة خلال نهاية عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية حتى غزو الاسكندر المكدوني لمناطق الشرق القديم .

أ ـ ١ ـ نهر دجلة :

تتفجر ينابيع دجلة الرئيسة من جبال ارمينية جنوب غرب بحر «وان» في آسية الصغرى . وتنصب مياهها في الوديان المجاورة لتشكل بعد ذلك المجرى العام لهذا النهر . ويبلغ طوله حتى مصبه في الخليج العربي حوالي ١٨٥٠كم . وترفده انهار رئيسة وفرعية اهمها «الزاب الأعلى» و«الزاب الأسفل» و«الديالي» . وتتكون المناطق التي يخترقها دجلة من منبعه الرئيسي حتى الجزء الشمالي من اواسط العراق من جبال وهضاب عالية . وهنا يصبح مجراه عميقا ضيقا ، ومياه فيضاناته محصورة داخل هذا المجرى ، ولذلك اتصفت بسرعة الانحدار والاندفاع ، واثر ذلك كله بدوره على طول موسم الفيضان . اذ فبالرغم من ان طوله يقل بحوالي ٧٥٠ كم عن طول مجرى نهر الفرات ، فان موسم فيضانه لايستغرق الا ثلاثة اشهر خلال فصل الربيع من كل عام . ولكنه يأتي خلال هذا الموسم بكميات هائلة من المياه الى الخليج العربي تعادل ضعف كميات مياه فيضانات نهر الفرات .

أ ـ ٢ ـ نهر الفرات :

يبلغ طول نهر الفرات حوالي ٢٦٠٠ كم وتختلف طبيعة المناطق التي يخترقها عن نظيرها التي يشقها نهر دجلة :

وتتدفق مياه ينابيعه الرئيسة من جبال الأناضول في أواسط آسية الصغرى ، وعلى وجه التحديد من المناطق الواقعة شمال وغرب بحر «وان» . ولا تشكل المناطق الجبلية التي يخترقها هذا النهر سوى نسبة بسيطة من طول مجراه العام . ولذلك تندفع مياه فيضاناته الموسمية خارج مجراه الرئيسي وتغرق مساحات واسعة من الأراضي المجاورة عبر الأراضي السهلية الممتدة من أواسط شمال شرق سورية حتى مصبه في الخليج العربي ، ولكن الوضع اختلف الآن بعد بناء سد الفرات في سورية . وترفده عدة انهار اهمها «البليخ» و «الخابور» في المنطقة السورية المعروفة باسم «الجزيرة» ، اي في الجزء الشمالي الغربي من بلاد «مابين النهرين» . ونتيجة لطوله الكبير وبسبب عرض مجراه الواسع فان فيضاناته الموسمية تستغرق ضعفي زمن فيضانات نهر دجلة . فهي تبدأ ايضا في أول الربيع ، ولكنها تستمر حتى شهر أيلول من العام نفسه .

ب ـ اثر النهرين على الحياة في ارض «سومر» و «أكّاد» :

يقترب مجرا النهرين من بعضهما بالقرب من مدينة بغداد ، بعد ان يكون نهر دجلة قد حرر نفسه من الحصار الذي ضربته حوله المرتفعات الجبلية . وتوجد على جانبهما الأيسر جميع روافدهما الهامة ، التي تنحدر من المرتفعات المجاورة .

وقد غير النهران على مر الدهور اتجاه مجريهما عبر الأراضي السهلية الممتدة من منطقة بغداد حتى الخليج العربي ، والتي تكونت بفعل مجروفاتهما وخاصة الموسمية منها . وكان معظم مواقع مدن جنوب مابين النهرين القديمة يقوم على ضفتي نهر الفرات مثل «سيبّار» و «كيش» و «نيبّور» و «اي ـ سن» و «شوروبّاك» (فارا) و «اوروك» . اما الآن وبعد انقضاء مئات الأعوام على اندثار حضاراتها ، فقد اصبحت خرائبها او تلالها الأثرية بعيدة بعض الشيء عن الضفة اليسرى لنهر الفرات . وقد انحرف ايضا مجرى نهر دجلة نحو الشرق فازداد بذلك ابتعادا عن نهر الفرات . وهذا يعني ان الأراضي الزراعية التي وقعت بينهما خلال العصور القديمة كانت ضيقة المساحة ، ولذلك فانها شكلت سببا رئيسا من اسباب الصراعات التي نشبت بين دول المنطقة القديمة .

وبالاضافة الى ذلك كان النهران بمثابة شريانين هامين وصلا فيما بين مناطق بلاد مابين النهرين من جهة وبينها وبين شمال سورية من جهة اخرى ، حيث استخدمهما السكان لنقل البضائع بين هذه المناطق .

وتحدد جغرافية المنطقة وتكوين طبيعة تضاريسها الطبيعية وموقعها المناخ الذي تتصف به بقاعها . ولذلك يعتبر شتاء الجنوب (= بلاد سومر) لطيفا بالقياس الى شتاء مناطق الشمال (=بلاد آشور) الجبلية ، التي تكسوها الثلوج خلال فصل الشتاء ، والتي تبدأ بالذوبان مع حلول فصل الربيع ثم تتجمع مياهها الغزيرة في الأودية التي تقودها الى المجرى العام لنهر دجلة ايذانا ببدء موسم فيضانه . اما اواسط البلاد (=ارض اكاد) فيسودها مناخ وسط بين الجنوب والشمال .

ويؤثر هذا التباين في المناخ ـ بطبيعة الحال ـ في تحديد أنواع النباتات التي تنمو في هذه المناطق . فقد اشتهرت «أرض سومر» بكثرة اشجار النخيل ، ومازالت

تعتبر اغنى مناطق العالم بهذا الصنف من الأشجار المثمرة . وكانت تشكل ـ حتى اكتشاف النفط في العراق ـ اهم مورد لعيش سكان البلاد . وتفتقر ارض الشمال الى وجود هذا النوع من الأشجار المثمرة . وقد احتاج سكان الجنوب الى المعادن والحجارة التي اشتهرت بها ارض الشمال ، ولذلك شيدوا ابنيتهم من اللبن واتخذوا في احيان كثيرة الغاب ، الذي كان ينمو بكثرة في مستنقعات مناطقهم مادة بديلة عن الخشب في البناء . ولكن بقي عليهم ان يستوردوا المعادن والحجارة لنحت او صناعة تماثيل ملوكهم وآلهتهم ولتزيين جدران المعابد والقصور كما استوردوا الأخشاب الضرورية لذلك .

ثانيا ـ نظام الحكم في دول المدن السومرية

لقد شكلت كل مدينة سومرية في القسم الجنوبي من بلاد مابين النهرين خلال النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد دويلة مستقلة اطلقنا عليها اسم «دولة المعبد» وترأس كلا منها شخص سمي «باتيزي» او «انزي» ومعناهما «الخادم» أو «الأمير» .

وقد رأينا عندما استعرضنا مراحل التطور المعاشي والميتافيزيقي خلال عصور ماقبل التاريخ وفجره ان اصل هذه التسمية «ديني» النشأة . لأن لقب «الخادم» كان يعني «خادم المعبد» ، المعبد الذي شكل المقر الرئيسي الوحيد لتسيير شؤون الدولة . وكان «كاهن المعبد» الشخص الأول الذي حمل هذا اللقب عند بداية عصر الاستقرار الزراعي . ولما تطور المعبد واصبح مؤسسة ذات صفة اعتبارية تمتلك «وسائل الانتاج» ، صار الكاهن «رئيسا للكهنة» . وهو بهذه الحالة «الخادم الأكبر» اي المسؤول الأول عن تصريف امور السكان التابعين للمعبد . ولكن يقول المؤرخ ادوارد مايير: «. . . لايعني ان حامل هذا اللقب(أي الخادم)كان تابعا لملك ما ، بل يمكن ان يكون مستقلا ، ولهذا السبب فضل كثيرون من ملوك المدن السومرية لقب باتيزي على لقب الملك ، خاصة وانه كان بامكانهم ان يستخدموا اللقب الملكي . . .» [111] . وقد كنا استنتجنا من خلال بحثنا عن التطور المعاشي

111) Meyer, E., Geschichte des alten Orients, Erster Band, 2. Abt. S. 475.

والانتاجي لانسان فجر التاريخ ، ان هؤلاء الحاملين للقب الخادم (=الكاهن) لم يتمكنوا من استخدام اللقب الملكي خلال هذا العصر المبكر من تاريخ غرب آسية ، لان الملكية لم تكن قد عرفت بعد ، ليكون هؤلاء «الباتيزي» تابعين للملك اعلى منزلة منهم . وسبب ذلك ان الملكية والقابها خضعت لقوانين التطور الحضاري وملكية الدولة لـ «وسائل الانتاج» و «نشوء الملكية الخاصة» ثم حاجة المجتمع لتطوير الاقتصاد والجوانب الحضارية الأخرى .

ولم يعرف الشعب السومري النظام الملكي الا بعد ان بدأ حكام المدن والكهنة يطلقون على انفسهم لقب «الامير» وقد تم ذلك خلال مرحلة انتقالية اعقبت نظام مجتمع دولة «خادم الاله» . لذلك ارى ان لقب «ملك البلاد» لم يستخدم الا بعد انهيار نظام «دولة المعبد» تحت ضربات الملكية المنتصرة ، ويشير الى صحة هذا الرأي استخدام بعض «الباتيزي» في مرحلة لاحقة لقبهم السومري «لوجال» في الأكّادية «شارّ وكين» أو «بعل» ويعني ملكا أو سيدا . وبذلك تجاوز بعضهم مرحلة سلطة المعبد والامارة الى مرحلة سلطة الدولة ذات النظام الملكي :

وبقيت «الملكية» مرتبطة بشكل مباشر بمعبد البلاد الرئيسي وبالهه الأكبر ، الاله القومي للسومريين ومركزه الرئيسي في مدينة «نيبّور» . انه الاله «الّيل» (=انليل في الأكّادية والبابلية والآشورية) وكان هو وحده صاحب الحق بمنح «الملكية» لمن يشاء من بين الأمراء وينصب الملك على العرش وينطق باسمه . ولذلك ليس عجبا ان «امراء» المدن السومرية كانوا يتسابقون في تقديم القرابين والهدايا الى كهنته الكبار في معبده الرئيسي تقربا اليه عن طريق هؤلاء الكهنة وتقديرا لعظمته وسلطته الروحية في اوساط الشعب السومري . ولكن مقر الملكية (=القيادة الزمنية) لم يكن خلال هذا العصر في «نيبور» ، بل في مدينة اخرى مجاورة هي «كيش» ، التي اصبحت فيما بعد احد اهم مراكز تجمع «الأكاديين» في بلاد مابين النهرين (١١١-آ) .

---

١١١ - آ) ونستطيع هنا ان نشبه الدور الذي لعبه «الّيل» ومعبده في مدينة «نيبّور» بدور البابا في اوروبة خلال العصور الوسطى والقرون الأولى من العصور الحديثة . اذ كان على الملك المسيحي الأوروبي وخاصة قبل انتشار الدعوة اللوثرية ان يحظى برضى البابا ويحصل على =

وكانت مدينة «كيش» تقع في الطرف الشمالي من ارض سومر ، وقد ورد اسمها لدى الكتاب-الكلاسيكيين بصيغة Eu [١١٢] :

ويعتبر ملك هذه المدينة المدعو «ميزيليم» (ويعتقد انه حكم حوالي ٢٦٠٠ق.م.) اقدم ملك سومري معروف حتى الآن وصلنا بعض آثاره المادية . وبالرغم من ان اسمه لم يرد في القوائم الملكية الأولى لسلالة هذه المدينة ، فاننا نعرفه منقوشاً على صولجان مزين برسوم عدة اسود[١١٣] (اللوحة : ٢) . وورد إلى جانب اسمه اسم «لوجال شاج انجور» باتيزي مدينة «لاجاش» .

وقد عثر ايضا في مدينة «لاجاش» على رأس رمح لاحد ملوك «كيش» ولكن لم ينقش عليه الا لقب «لوجال» .

ويظهر من ذلك انه كان هناك الى جانب دولة مدينة «كيش» دول مدن اخرى نازعتها القيادة مثل «لاجاش» و «شوروبّاك» و «ادب» الواقعة بالقرب من «بسميّا» . وازدهرت ايضا مدينة «اومّا» التي تقوم انقاضها في الجهة الشمالية الشرقية من «لاجاش» ومثلها ايضا مدينتا «اوروك» و «اور» . ثم ظهرت على مسرح الأحداث دولة مدينة «نيبّور» عاصمة الاله «اليّل» (الخارطة : ٢) .

ثالثا ـ دولة لاجاش وحروبها التوسعية

أ ـ مرحلة التأسيس :

وانتقل مقر الملكية السومرية حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م. من «كيش» الى مدينة «تللو ـ لاجاش» ، ويعتبر المدعو «اريشكيجال» اقدم ملوكها ، ويبدو انه هو الذي

= موافقته في «الفاتيكان» ويتبارك بدعواته ، كشرط أساسي لاضفاء صفة الشرعية على ملكيته . وكان هؤلاء الملوك يتسابقون الى التقرب منه ، حتى ان نابوليون بونابرت ، اضطر خلال مرحلة من عهد سلطانه الى ان يسلك هذا السبيل .

112) ZDMG, 63, S. 665f.

113) Solyman, T., Die Entstehung und Entwicklung der Götterwaffen im alten Mesopotamien und ihre Bedeutung, 1968, S. 29, Tf. XXXII, Nr. 223- 224.

قاد حركة استقلالها عن «كيش» . ولكنه لم ينعم طويلا بالحكم ، لان زعيم سلالة اخرى من نفس المدينة يدعى «اورنانشي» اغتصب منه الملك ونصب نفسه ملكا عليها حوالي عام ٢٤٨٠ ق.م. .

ب ـ اور ـ نانشي :

اتصف عهد هذا الملك بالسلام وانتعشت في عهده دولة مدينة «لاجاش» على الصعيدين الاقتصادي والعمراني . وتؤكد ذلك كتابات هذا الملك ومخلفاته المادية الأثرية : فقد شق اقنية ري جديدة وبنى معابداً للآلهة وقدم الأضاحي لها والهبات من الأدوات الزراعية التي تعتبر رمزاً لازدهار اقتصاد دولته (١١٤) . ومن بين أهم مخلفاته المادية التي وصلتنا صفيحة من الحجر نقش عليها رسمه مع جميع افراد أسرته ووزيره وخدمه يتقدمهم بنفسه حاملاً على رأسه سلة لنقل التراب وذلك كرمز لمساهمته في تشييد أحد المعابد تكريما للآلهة(١١٥) (اللوحة : ٣) . وتتخلل المشاهد المحفورة نقوش بالكتابة واللغة السومريتين ، تصف اهداف العرض الملكي واهتمام الملك بتشييد المعابد وحرصه على خدمة الآلهة . وقد ورد في احدى كتاباته : « . . . **اورنانشي ملك لاجاش ابن جوني ـ دوج بنى معبد نينجيرسو . . . بنى معبد نانشي . . . بنى معبد جاتوم ـ دوج . . . وعندما بنى معبد نينجيرسو ، جلب الى المخزن سبعين كارو من الحبوب ، جمع الأخشاب في الجبال .. . بنى أسوار لاجاش . . . نحت تمثال نانشي ، السيدة ، حفر القناة . . .»** (١١٦) .

والأمر الذي يلفت النظر في هذه الكتابة قوله انه «جمع الأخشاب في الجبال» . هل يعني هذا انه قاد حملة عسكرية من أجل الحصول على الأخشاب من بلاد بعيدة

114) Kugler, Sternkunde und Sterndienst, II, S. 105 ff.

-) OLZ, 1908, S. 213.

115) Découvertes..., 168, P1. 2bis.

-) Parrot, A., Tello, P1. Va.

116) Moortgat, A., Geschichte Vorderasiens bis zum Hellenismus, S. 238.

تعريب الدكتور توفيق سليمان والدكتور علي ابو عساف بعنوان «تاريخ الشرق الأدنى القديم» ، ص ٥٩ .

تقع في أعالي بلاد ما بين النهرين أو في شمال سورية أو في لبنان الجالي حيث كانت تتوفر منها كميات كبيرة ؟!.

ومات هذا الملك حوالي ٢٤٦٠ق.م. وخلف الملك ابنه «اكور ـ جال» ، الذي لم يصلنا من اخباره ـ حتى الآن ـ سوى نتف لا تستحق الذكر في هذا المجال وقد توفي في عام ٢٤٤٩ق. م..

ج ـ اي ـ أنّاتوم وحروبه (٢٤٤٩ ـ ٢٤٣٠ق.م.) :

لقد تركزت جهود ملوك وأمراء المدن السومرية على حماية أرض سومر امام هجمات الشعوب والقبائل القادمة من الشرق من جهة ثم على الدفاع عن حدود دويلاتهم الأقليمية امام اطماع بعضهم في بعض من جهة اخرى . وكان «اي ـ أنّاتوم» حفيد الملك «أورنانشي» ابن «اكور ـ جال» اشهر ملوك هذه السلالة في المجال العسكري . وقد لمع نجمه على الصعيدين السياسي والعسكري ومكنته انتصاراته العسكرية من أن يجعل مدينة «لاجاش» قبلة الدول السومرية المتخاصمة فيما بينها .

وقد خلف هذا الملك كتابات سرد فيها وقائع حروبه التي اضطر ـ كما يدعي ـ الى خوضها ضد العيلاميين وبعض الدول السومرية الأخرى . وكان أولها صده هجوما عيلاميا من الشرق ، وهذا أقدم خبر وصلنا حتى الآن عن اصطدام سومري ـ عيلامي ، اي اصطدام السكان الأصليين بالسكان الغرباء عن بلاد مابين النهرين . ولم يكد الملك ينتهي من ذلك حتى أكره ـ كما يقول ـ على شن الحرب ضد «باتيزي» مدينة «اور ـ را» ، الذي جند جميع القوى وزج بجميع الامكانات المتوفرة لديه في هذه الحرب ضد «اي ـ أنّاتوم» .

لقد تجسدت اسباب الصراع الذي دار بين دول المدن السومرية في خلافاتها حول الحدود التي كانت تفصل بين أراضيها الاقليمية . اذ كانت الأراضي الزراعية الخصبة المتوفرة فيها اصغر مساحة مما نعرفه خلال العصور اللاحقة . لذلك كانت كل دولة منها تحاول أن توسع رقعة أراضيها الخصبة على حساب الدول الأخرى المجاورة لها . وهذا السبب هو الذي دفع الملك «ميزيليم» الى خوض الحرب ضد

دولة «أومّا» ، حسب ماجاء في بعض كتابات «اي ـ أنّاتوم» .

ويذكر «اي ـ أنّاتوم» في كتابته المنقوشة على نصبه التذكاري المشهور والمعروف بنصب العقبان كمبرر للحرب التي شنها ضد «أومّا» ، ان ملك هذه المدينة اقدم على تعديل موقع «حجر الحد» الذي كان الملك «ميزيليم» قد ثبته بين اراضي كيش وأومّا ، قبل ما يزيد على قرن ونصف من الزمن واوقف قسما من الأراضي للاله «نينجيرسو» (سيد جيرسو) الاله الشفيع الحامي لمدينة «لاجاش» . ورأى «اي ـ أنّاتوم» في هذا العمل تعديا على حقوق «لاجاش» والاله «نينجيرسو» ، لذلك اضطر الى الدفاع عن الحدود التي كان «ميزيليم» قد رسمها واعترفت بها «أومّا» في ذلك الوقت .

وقاد «باتيزي أومّا» حلفا ضد «لاجاش» ، واصطدم مع قوات «اي ـ انّاتوم» في معركة فاصلة هُزم فيها مع قوات حلفائه وأُجبر على دفع الجزية «لآلهة مدينة لاجاش» . ولكن الملك المنتصر تحاشى ان يجتاح أراضي دولة «أومّا» واكتفى بمتابعة كسر الطوق الذي ضربه الحلف المعادي حوله ، إذ هاجم مدينة «أور» و«اوروك» في الجنوب و «اوبيس» في الشمال فسقط باتيزها المعروف باسم «زو ـ زو» صريعا في المعركة ، ولاقى أيضاً ملكا «كيش» و «ما ـ ار» نفس المصير .

وصوّر الملك على نصبه الآنف الذكر انتصاراته هذه في مشاهد حية وفي كتابة مطولة [117] (اللوحتان ٤ و ٥) :

وقد نحت النصب من حجر كلسي في شكل لوحة مقوسة في اعلاها يبلغ ارتفاعها ١,٨ م وعرضها ١,٣م وسمكها ٠,١١م ، وهي محفوظة حاليا في متحف اللوفر . ونقش الفنان بدقة رائعة وبعناية بارعة مراحل المعارك والكتابات في اشرطة افقية تغطي جوانب اللوحة الأربعة . ويعتبر هذا النصب أهم المخلفات المادية الفنية والتاريخية السومرية التي وصلتنا حتى الآن ، وهو شاهد على المستويات الرفيعة التي بلغها السومريون في كافات المجالات الفنية والدينية والأدبية على حد

117) Découvertes..., Pl. 3-4 ter.

-) Encyclopédie... I, 190-194.

-) parrot, A. Tello, 95 ff.

سواء . كما انه يعتبر وثيقة تاريخية تمثل صورة حية من العلاقات الدولية التي كانت قائمة في ذلك العصر . لقد وزع الفنان البارع النقوش المصورة والكتابات على النصب في ستة حقول ، حدد اثنين منها على الوجه الأمامي والأربعة الأخرى على الوجه الخلفي والوجهين الجانبيين الضيقين ، وخصص حقلي الوجه الأمامي لرسم الاله «نينجيرسو» اله الملك ومدينة «لاجاش» الشفيع ، فنقش رسمه في هيئة رجل ضخم عاري الجذع طويل اللحية . ومثّل شعر رأسه في شكل ضفيرة تغطي خلفية الرأس ، بينما كسا نصفه السفلي بتنورة فضفاضة ، وبيده اليسرى شبكة يتخبط فيها الأعداء كالأسماك . وفي اليد اليمنى صولجان يحطم به رأس احد الأعداء المطل خارج الشبكة . وتحمل عقدة الشبكة الـ «امدوجود» ، رمز الموت الذي عرف في عصور سابقة [١١٨] . وصور الفنان في الحقل الثاني عربة الاله الحربية .

أما في الحقول الأربعة الأخرى فقد عرض الفنان اسلوب القتال ومراحل طقوس دفن الموتى عند المنتصر . كما يرينا في الحقل العلوي قائد الجيش المنتصر الملك «اي - انّاتوم» مرتديا التنورة السومرية المصنوعة من الصوف المجدول في خصال تشبه الحزم الضوئية ويمسك بيده اليمنى سلاحامعقوف النصل ويحمي رأسه بغطاء يشبه خوذة القتال . وتتبع الملك فرقة من المشاة تغطي الخوذ رؤ وس جنودها المسلحين بالرماح ، كما تقي التروس المستطيلة الشكل اجسادهم شر سهام العدو وحرابه . ويطأ الجميع باقدامهم جثث القتلى من الأعداء . ونشاهد فوق المنتصرين وامامهم العقبان وقد حلقت في السماء تحمل بعض اوصال هذه الجثث .

ولم يبخل علينا الفنان البارع بمشهد معبر للملك «اي - أنّاتوم» خلال احدى مراحل المعركة وهو في عزبة حربية يقذف بيسراه رمحا باتجاه الأعداء وتمسك يمناه بسلاح معقوف النصل ، بينما نشاهد مزودته المعلقة في مقدمة العربة مليئة بالسياخ والرماح والسياط . ونجد ايضا فرقة اخرى من الجيش تتبع الملك وهي مسلحة بالرماح والفؤ وس . ويبدو أن هذا المشهد يمثل مطاردة جيش «لاجاش» لجيش

١١٨) الـ «امدوجود» حيوان خرافي في شكل نسر برأس اسد ، راجع ايضا :

Solyman, T. Entstehung und Entwicklung der Götterwaffen im alten Mesopotamien und ihre Bedeutung, S. 67- 68, Nr, 118- 119.

الأعداء في ختام هذه الحرب ، لأن الأسلحة الخفيفة كالرماح والفؤوس تسهل في هذه الحالة من الحركة وسرعة المناورة ، وذلك بعكس التروس التي كانت تستخدم في حالات الصدام ، التي نجدها ممثلة في الشريط الأول .

اما الحقل الرابع فلم يبق منه اثر نستطيع التعرف بواسطته على المرحلة الثالثة من القتال ، وقد نقش الفنان بعض مشاهد المرحلة الرابعة في الحقل الثالث بدلا من الرابع ، وتم فيها دفن الموتى من جيش «لاجاش» بكل عناية واحترام وقدمت الاضاحي من اجل ارواحهم ، في حين تركت جثث القتلى من جيش الأعداء المهزوم مبعثرة على الأرض طعاما للطيور الجارحة .

وقد اطلق «اي - أنّاتوم» على نفسه في كتاباته لقب «**ناصر نينجيرسو**» الذي «**يحطم رأس البلدان**» باسم الربة السومرية «انّين» و «**نطق باسمه الأله الّيل**» . ويدلنا ذلك على ان الاله الأكبر للمجمع الرباني السومري قد منحه لقب «الملك» ، الذي استخدمه من بين القابه بعد ان خضعت لسلطانه جميع الدول السومرية في جنوب واواسط بلاد مابين النهرين .

د - اي - نانّاتوم الأول (٢٤٣٠ - ٢٤١٥ق.م.) :

وبعد ممات «اي - أنّاتوم» خلفه على العرش أخوه «اي - نانّاتوم» الأول ، ولكنه لم يكد يتربع على هذا العرش حتى نهض المدعو «اور - لومّا» ابن «اي - ناكيليّ» باتيزي دولة «اومّا» الحاقدة مغتنما فرصة وفاة المحارب المنتصر «اي - أنّاتوم» ليستعيد المنطقة القديمة التي كانت سببا لنشوب الحرب بين «كيش» و «اومّا» ثم بين «لاجاش» و «اومّا» . وبدأ «باتيزي» اومّا تحرشاته بتحطيمه حجرة الحد ، فنشبت الحرب بين الدولتين من جديد واستمرت سجالا بينهما طوال عهد «اي - نانّاتوم» الأول الى ان مات وخلفه على العرش ابنه «ان تيمينا» .

هـ - ان - تيمينا (٢٤١٥ - ٢٤٠٠ق.م.) :

لقد نجح هذا الملك أولا في صد هجمات جيش «اومّا» ثم انتقل بعدها الى مرحلة الهجوم ، فلاقى ملك «اومّا» مصرعه عندما حاول الهرب من ساحة احدى

المعارك الأخيرة بين الطرفين . وانتهت الحرب بين الدولتين ونصب ملك «لاجاش» احد الكهنة المدعو «ايلي» باتيزا - وليس ملكا - على «اومّا» . وهذا برهان آخر على ان الباتيزية اصبحت دون شك تحتل المرتبة الثانية بعد الملكية . اي اصبح الباتيزي تابعا للملك . وبالمقابل اضاف الملك «ان - تيمينا» لقب «كبير الكهنة» الى لقبه الملكي ، الذي ورد صراحة في كتابة نذرية منقوشة على مزهرية من الفضة [119] كان قد قدمها هدية للاله «نينجيرسو» (اللوحة رقم ٦) ، وجاء في هذه الكتابة :

« . . . الى نينجيرسو محارب الّيل قدم ان - تيمينا ، انزي لاجاش ، صفي قلب نانشي ، كبير انزيي نينجيرسو ابن اي - انّاتوم انزي لاجاش ، الذي احبه ملكه نينجيرسو ، قدم مزهرية من الفضة الخالصة . . . ولأجل حياته قدمها الى نينجيرسو . . . في ذلك الوقت كان دودو كاهناً لنينجيرسو . . . » [120] . ثم تعرضت لاجاش بعد ذلك لهجوم عيلامي شنه ٦٠٠ من المقاتلين ، ولكن احد كهنة المدينة المدعو «نيأر» تمكن من صده اثناء غياب الملك عن المدينة .

و - اي - نانّاتوم الثاني (٢٤٠٠ - ٢٣٨٠ ق.م.) وزوال سلطة سلالة لاجاش :

لم يصلنا حتى الآن أي خبر عن احداث دولة «لاجاش» من عهد هذا الملك سوى أن سلطة سلالة «اورنانشي» قد زالت تماماً بوفاته ، وانحطت بعدها مرتبة «لاجاش» من درجة الملكية إلى مستوى الـ «باتيزية» . وتعاقب في حكمها اشخاص عديدون من بينهم «انليتارسي» ، الذي كان كاهنا للاله «نينجيرسو» ومعه ابنه «لوجالاندا» ، وقد دام حكم الاب ست سنوات وحكم الابن تسعة اعوام فقط .

119) Découvertes..., Tf. 43b.

120) Moortgat, A., Geschichte Vorderasiens bis zum Hellenismus:

تعريب الدكتور توفيق سليمان وعلي ابو عساف «تاريخ الشرق الأدنى القديم» ، ص ٦٢ .

رابعاً ـ عهد التسلط والاستغلال والاقطاع
(٢٣٨٠ ـ ٢٣٦٥ ق.م.)

مثّل «لوجالاندا» خلال حكمه مصالح ارباب العمل والاثرياء وتزوج ابنة احد الاقطاعيين الكبار عرفت باسم «بارانا متارّا» . وتدخلت النسوة خلال عهده في شؤون الحكم والسلطة واصبح كل مسؤول متنفذ يحاول الكسب والتملك بأية وسيلة مهما كانت باطلة . وانحلت سلطة الملكية الممثلة للاله والمعبد كمؤسسة اعتبارية وفقد الشعب جميع مكتسباته المشتركة التي كافح لصيانتها وناضل وعاش من أجلها . وظهرت هوة سحيقة بين الشعب وحكامه بعد أن كان هؤلاء يمثلون الشعب تمثيلاً صحيحاً نابعاً عن معتقداته الدينية ـ الاشتراكية . وابعدت هذه الهوة أيضاً الشعب حتى عن معتقداته الدينية وقيمه الاجتماعية التي عرفها وعاشها ومارسها خلال عصر ملكية الدولة «مصادر الانتاج» الرئيسية . إذ أصبح مضطهداً على يد حفنة من كهنة المعابد عرفوا كيف يستغلون الوضع الجديد ومعه منصب الملكية الذي انحط إلى مرتبة الانزية التابعة . ونشأت بذلك الطبقات الاجتماعية باطرها الحادة التي كانت غريبة عن تركيب المجتمع . وصار هناك فقراء محرومون ذاقوا الامرين على يد المتنفذين من التجار الكبار والكهنة وقصر الانزي ، وسُلب اليتامى حقوقهم وشرُدوا واضطُهدت الارامل . وتفكك بنيان الدولة وانهار اقتصادها واصبحت «لاجاش» ضعيفة والشعب غريباً في بلاده . وصار لا بد من منقذ يتولى السلطة في البلاد ليضع حداً لهذا الانحلال الخلقي والانهيار الاقتصادي . وكان هذا المنقذ هو المصلح الكبير «اوروكا جينا» ، الذي تمكن حقاً من اعادة الحقوق المشروعة إلى اصحابها ، واصبح بذلك أول مصلح اجتماعي عرفه التاريخ القديم خلال تطوره الطويل .

خامساً - اور وكاجينا واصلاحاته الاجتماعية

(٢٣٦٥ - ٢٣٥٧ق.م.)

لقد وضع «اوروكاجينا» حداً لتسلط الـ «باتيزي» وكبار الكهنة على الجماهير المسحوقة ، كما اعاد للمعبد هيبته واعتباره ، ومنع على الكهنة التدخل في شؤون الحكم واستبدل لقب الـ «باتيزي» بلقب «الملك» . وحرم على رجال الحكم التدخل في شؤون المعابد وازال سيطرتهم على املاك الآلهة والفقراء واليتامى والارامل والضعفاء الآخرين . وقد خلد «اوروكاجينا» اصلاحه هذا للاجيال اللاحقة في نص مكتوب طويل ، وصف فيه الواقع الذي كان الشعب يعيشه عند توليه الحكم ، والاصلاحات الاجتماعية التي نفذها .

ويقول «اوروكاجينا» في هذه الكتابة[121] :

«. . . . من أجل نينجيرسو جندي الّيل المحارب ، بنى اور وكاجينا ملك لاجاش ، قصر نيراش وبنى انتسورا وبنى معبد بابا ، بنى بورسناج وبنى معبد نذورها ، بنى لها مالّور المدينة المقدسة . وحفر من أجل نانشي القناة التي تجري إلى نانشي ، قناتها المحبوبة ، التي جعل احواضها كعرض البحار ، وبنى سور «جيرسو» . ومنذ الازمان القديمة ومنذ البداية في ذلك الحين سكن البحارة على سفنهم والرعاة بين الاغنام وسكن صيادو الاسماك . . . . كان على رعاة الغنم الذين لا يمتلكون نعاجاً بيضا أن يسلموا المراقب فضة بدلاً من ذلك . لقد وجب على محصلي الضرائب ومراقبي كهنة دفن الاموات ومراقبي دار الاعشاب ومراقبي تحضير البيرة ومراقبي المحار بين وجب عليهم جميعاً أن يسلموا فضة بدلاً من الحملان الصغيرة واستخدمت الابقار في ري الاراضي الموهوبة للانزي ، التي تشكل اخصب حقول الآلهة ، هذه الاقطاعات التي تعتبر منطقة سرور الانزي . وكان الكهنة يصادرون الحمير والابقار الجيدة ، ويوزعون الحبوب على محاسيب

---

(121) Deimel, A., in Orientalia, Bd. II, 1920.

(١٢٢) أي وسط مدينة «لاجاش» .

الانزي ، وكان على الكهنة أن يسلموا الجلابيب والخيوط والادوات النحاسية وشعر الماعز والطيور إلى الباتيزي . واقتلع كاهن كل منطقة لنفسه اشجار حديقة والدة الفقير واخذ ثمارها . وعندما كان يدفن الميت ، كان الكاهن يأخذ لنفسه سبع جرار من البيرة شرابه و ٤٢٠ رغيفاً من الخبز و ١٢٠ كيلاً من الحبوب ورداء وجديا ذا قرنين طويلين وفراشا . وكان رجل الندب يحصل على ٣٦ كيلاً من الحبوب . أما إذا دفن المتوفى في ادغال قصب الاله انكي فيحصل كاهن الدفن على :

سبع جرار من البيرة و ٤٢٠ رغيفا و ٧٢ كيلا من الحبوب وعلى رداء واحد وفراش واحد وكرسي واحد. وكان رجل الندب يتقاضى ٣٦كيلاًمن الحبوب ويحصل الصناع على ادوات كهدايا لهم ويتسلم مساعد كاهن الدفن جرة واحدة . وكان قصر الباتيزي يدير شؤون حقول الاله نينجيرسو بينما كانت حقول معبد الربة بابا تسوى في بيت زوجة الباتيزي ، في حين وجهت اعمال حقول معبد اطفال نينجيرسو من دار اطفال الباتيزي . وكان هناك مراقبون على حدود منطقة نينجيرسو التي امتدت إلى ساحل البحر حتى انهم اسموا قضاة . . . . وكان يوجد في الماضي نظام القنانة ، وإذا قام احد المحاربين وحفر بئراً في العراء أتى عبد الباتيزي وانتشل الماء منه ليروي حدائق سيده ، وإذا حفر حفرة ، أخذ أيضاً عبد الباتيزي الماء منها . . . . » .

يبين لنا هذا النص أن «اوروكا جينا» وجد نفسه في مواجهة وضع عام منهار ، لم يعد فيه للاله مكانته الحقيقية التي عرفناها خلال العصور السابقة . وأصبح الظلم والطغيان والاستغلال العلامة الفارقة للتركيب الاجتماعي الجديد . كما سلب الانزي املاك الاله واصبحت زوجته المالكة الحقيقية لاملاك زوجة الاله واديرت حقول اطفال الاله ، التي كانت على الارجح ملكاً لدار اليتامى ، باسم اطفال الانزي . وقد صار النظام الاجتماعي اقطاعياً بعد أن كان اشتراكياً ، ولذلك كان على «اوروكا جينا» أن يضع الامور في نصابها وأن يعيد لعامة الشعب المسحوقة كرامتها الانسانية . ولكن ذلك لا يتحقق إلا بالقضاء على الاستغلال والفساد واقامة العدل واحقاق الحق وليصبح الفرد - كما كان - جزءاً مكملاً للآخر والكل في خدمة الاله والمجتمع . ولتنفيذ ذلك تسلم «اوروكا جينا» السلطة على يد «نينجيرسو» ، وفي هذا الخصوص يقول العاهل السومري :

«.... عندما وهب نينجيرسو جندي الّيل المحارب ، اور وكا جينا مقاليد ملك لاجاش وعندما وطد قوته بين ٣٦٠٠ انسانا[١٢٣]، اعاد التعاليم السابقة وجعل الكلمة التي نطق بها سيده نينجيرسو تسود البلاد . وابعد اور وكا جينا المراقبين عن السفن وعزل امثالهم عن رعاة الحمير والاغنام واقصاهم عن شباك الصيد لدى صيادي الاسماك . وقد ازاح مراقب الضرائب عن مخازن حبوب باشيشو والغى التعويض المالي مقابل النقص في قطعان الاغنام البيضاء والخرفان وابعد مراقبيهم . وابعد المراقبين عن الهبات التي كان يقدمها الكهنة إلى قصر الامير وحقله كسيد للجميع . وفعل نفس الشيىء أيضاً بالنسبة للربة بابا في دار وحقل امرأة المعبد . كما دعم في بيت وحقل الاطفال سلطة ابن الاله نينجيرسو دوشاجا سيدا لهم ، ولم يوجد بعد مراقبون من الحدود الشمالية لمقاطعة نينجيرسو حتى البحر جنوباً ....» .

وقد حدد اوروكا جينا كميات المواد الاستهلاكية التي اصبح يحق لكاهن الدفن الحصول عليها على الشكل التالي :

«.... وعندما يدفن الميت اصبح الكاهن يأخذ ثلاث جرار من البيرة وثمانين رغيفاً ، بينما صار نصيب رجل الندب فراشاً واحداً وثمانية عشر كيلا من الحبوب ....» .

وأما إذا دفن المتوفى في ادغال قصب الاله «انكي» فاصبح كاهن الدفن يحصل على :

«.... اربع جرار من البيرة شراباً له و ٤٢٠ رغيفاً طعامه و ٣٦ كيلاً من الشعير ....» . وصار نصيب رجل العويل «... ١٨ كيلاً ...» . ثم حدد نصيب الآخرين من الكهنة والآلهة وسائر العاملين في طقوس الدفن ، وصار المسؤول عن المتوفى ينفق :

«.... رغيفاً خاصاً وكيلاً من زيت الدهان للسيدة الربانية و ٤٢٠ رغيفاً جافاً للحفظ وار بعين رغيفاً طازجاً للاستهلاك الفوري وعشرة ارغفة طازجة كخبز

(١٢٣) يرجح ان المقصود بهذا العدد زعماء العشائر والقبائل والمحاربين الاشداء وليس كامل الشعب السومري .

مائدة وستة ارغفة للرجل المشرف على التوزيع . . .» . وبالاضافة إلى ذلك عليه أن يضحي «. . . . قدرين كبيرين وقدراً صغيراً لمغني جيرسو و ٤٩٠ رغيفاً وقدرين كبيرين وقدراً صغيراً لمغني مدينة لاجاش و ٤١٦ رغيفاً وقدراً كبيراً واحداً وآخر صغيراً مع البيرة للمغني و ٢٥٠ خبزة وقدراً كبيراً مع بيرة لمساعد كاهن الدفن و ١٨٠ رغيفاً وقدراً كبيراً مع بيرة لكاهن مدينة نانشي . ويأخذ العبد الذي يضع الجثة في النعش رغيفاً واحداً بمثابة اجر يومي كطعام له وخمسة ارغفة سود ورغيفاً أبيض واحداً اجره الشهري وستة ارغفة سود اجرته السنوية ويتسلم مراقب صناع النعوش ٦٠ رغيفاً وقدراً كبيراً من البيرة و ١٨ كيلاً من الشعير . . . .» .

لقد حظر المصلح «اوروكاجينا» على مساعدي الدفن الحصول على اعداد كبيرة من الآنية وحظر على الصناع تسلم ادوات يدوية كهدية لهم . ولم يعد يجوز للكاهن أن يترأس مراقبة مستودعات الحبوب ولا حق له أن يدخل إلى حديقة أم الفقير ، وحرم عليه أن يأخذ منها ما يريد . وإذا صدف أيضاً أن امتلك أحد المحاربين حماراً وقال له المراقب : «. . . . اريد شراءه منك . . . .» وإذا ما اريد للصفقة ان تتم ، فعلى المحارب أن يقول له : «. . . . ادفع لي الثمن فضة نقية . . . .» ، وإذا لم يكتب لعملية البيع النجاح فعلى المراقب الا يحقد على المحارب . وإذا وقع بيت احد الكبار بجوار بيت احد المحاربين وقال هذا الكبير للمحارب : «. . . . اريد شراءه منها . . . .» فعلى المحارب أن يجيب الكبير : «. . . . ادفع لي الثمن فضة نقية . . . .» وإذا لم يتم الاتفاق بينهما «. . . . فعلى الكبير الا يحقد على المحارب كما لا يجوز له أن ينتقم منه . . . .» . وتابع «اوروكاجينا» قائلاً :

«. . . . تكلم (اوروكاجينا) وحرر ابناء لاجاش من الضعف والسرقة ومن القتل وجعل الحرية تسود . ولم يعتد بعد الآن أي قوي على اليتامى والارامل ، وقد عقد اوروكاجينا هذا الميثاق مع نينجيرسو . . . .» .

يبدو أن «اوروكاجينا» كان قد هدف من وراء اصلاحاته أيضاً امراً آخر وهو العودة إلى النظام التيوقراطي الذي كان سائداً خلال الحقب التاريخية الاولى في أرض سومر ، أي عندما كان الاله يسيطر على كل شيء وعندما عمل الفرد لخدمة الجماعة التي لم تكن تعرف الطبقات المستغلة . ولكنه اراد من ناحية أخرى بناء دولة ذات

نظام ملكي على هذا النظام القديم وفي ظله ، دون أن يدرك أن المجتمع السومري وكل مجتمعات بلاد ما بين النهرين كانت قد قطعت مرحلة من التطور يتناقض مع الحكم التيوقراطي القديم . ولذلك لم يعد بامكانه أن يقيم دولة سومرية موحدة على أساس تيوقراطية النظام الذي ساد عصر دول المدن . لأن مثل هذه الدولة الموحدة بهيكلها الملكي القائم اصبحت تشترط توفر معطيات جديدة لاستمراريتها تختلف عن تلك التي قامت عليها دعائم النظام التيوقراطي السابق . ومن بين هذه المعطيات الجديدة ضرورة وجود جيش منظم قادر على الحركة السريعة إلى انحاء بعيدة من حدود أراضي الدولة الجديدة ليقمع عصيان المجموعات والبؤ ر البشرية الأخرى المتحضرة منها والبدوية ضد الملك والتي تناقض بطبيعتها الطبيعة السومرية . وكان اشهر هذه الجماعات والبؤر البشرية الاصلية هي المعروفة بـ «الاكّادية» .

ويتطلب النظام الملكي الجديد أيضاً وجود ملك قوي على رأسه يجسد في شخصه القيادتين السياسية والعسكرية ويكون قادراً على الاشراف بصورة مباشرة على تسيير شؤون المعابد وفي مقدمتها المعبد الرئيسي ، الذي سيركهنته شؤون الحكم في البلاد السومرية قبل أن يعتلي «أوروكاجينا» عرش «لاجاش» . ويظهر أن هذا المصلح لم يدرك أيضاً وجوب توفر اقتصاد قوي واحد يجمع بين دول المدن السومرية لتحقيق هذه الطموح . ونتيجة لذلك كله صعب على مصلحنا الاجتماعي أن يزيل الفوارق الاجتماعية بين فئآت الشعب السومري بصورة جذرية . وقد حال ذلك كله بينه وبين أن يقطف ثمار اصلاحاته التي بقيت تمثل طفرة حاكم مثالي لم تجلب له ولنظامه الا الدمار . إذ ما لبثت المدن السومرية أن عادت من جديد للنزاع فيما بينها ، ونهض احد الامراء السومريين التابعين لمملكة «لاجاش» في وجه «اوروكاجينا» ليحاول تحقيق ماعجز هذا المصلح «المتهور !» عن تنفيذه .

سادسا ـ لوجال زاجّيزي ومحاولته بناء امبراطورية (٢٣٥٧ ـ ٢٣٥٠ ق.م.)

وخلال الوقت الذي كان فيه «اوروكاجينا» منهمكا في تنفيذ برنامجه الاصلاحي ، كانت هناك احداث خطيرة تجري بسرعة في مدن سومرية اخرى لم

يعرها هذا المصلح اهتماما خاصا . ولاشك في انه لو استطاع ان يتنبأ بالنتائج السلبية التي ستتمخض عن اصلاحاته المتطرفة ، لما كان قد اقدم على تنفيذها بسرعة كبيرة . لقد خلق لنفسه اعداء اقوياء ضمن مملكته خلال تلك الفترة القصيرة من حكمه ، التي لم تتجاوز الثمانية أعوام .

لقد عرف انزي «اومّا» ـ عدوة لاجاش التقليدية ـ المدعو «لوجال زاجّيزي» كيف يغتنم فرصة ضعف «لاجاش» الداخلي الناتج عن اصلاحات «اوروكاجينا» . فاستغل المعارضة الشديدة التي تشكلت ضد «اوروكاجينا» داخل «لاجاش» نفسها وتعاون مع قادتها لاسقاط نظامه . ومن ناحية اخرى ادرك «لوجال ـ زاجّيزي» تعاظم خطر الجماعات والبؤ ر البشرية الأصلية الأخرى وخاصة «الأكّادية» المتمركز في أواسط بلاد مابين النهرين عامة وفي «كيش» منها بخاصة وهو الخطر الذي اصبح يهدد الوجود السياسي السومري بالزوال . ولذلك كله صعّد من ضغطه على «اوروكاجينا» واسقط نظام حكمه . واغتنم اهالي «اومّا» هذه الفرصة للانتقام من اهالي مدينة «لاجاش» فسلبوهم اموالهم واغتصبوا املاكهم ونهبوا المعابد والقصور ودمروا كثيرا من مؤسسات «لاجاش» ومنشآتها المعمارية واضرموا النيران فيها . وقد ورد في احدى الكتابات التي يرقى تاريخها الى هذا العصر قول احد الشهود العيان في هذا الخصوص :

« . . . اخذوا (اهالي اومّا) الحبوب من حقل نينجيرسو وكل المزروعات ، وهكذا اثم سكان اومّا بحق نينجيرسو ، لانهم دمروا لاجاش ، وسوف تنتزع من ايديهم السلطة ، التي كانت من نصيبهم . ولم يرتكب اوروكاجينا ، ملك جيرسو اثما ما ، اما لوجال ـ زاجّيزي ، انزي اومّا فستحمل ربته نيسابا على رأسها هذا الاثم . . . »(١٢٤)

وبعد نجاح «لوجال ـ زاجّيزي» في هذه العملية الانقلابية نقل مقر ملكه الى مدينة «اوروك» ، العاصمة التقليدية للربة السومرية «انّين» والبطل «جيلجاميش» . ولم تشكل هذه المدينة خلال عهد «اوروكاجينا» سوى «باتيزية» ليس لها اي شأن سياسي أو عسكري كبير . ولكن سرعان ما أصبحت خلال عهد الملك الجديد محط انظار سائر دول المدن السومرية .

---

124) Moortgat, A., op. cit. S. 244-245.

لقد كان هذا الملك متطرفا في تبنيه الفكر «القومي» السومري ، ولذلك جسدت خطواته العسكرية اعنف معاني هذه «القومية» المتعصبة في ثوبها السياسي الجديد . وكان اول عمل قام به هجومه العسكري على مدينة «كيش» ، ولقن «الأكاديين» درسا قاسيا ، واعتقد انه وضع بذلك حدا لطموحهم المتصاعد لتسلم زمام القيادة السياسية في أواسط بلاد مابين النهرين وجنوبها .

ولابد هنا من أن يتدخل الاله «الّيل» الى جانب المنتصر ، فسلم مقاليد حكم البلاد «لوجال ـ زاجّيزي» ، الذي اصبح يطلق على نفسه الى جانب لقب «ملك اوروك وملك البلاد» لقبين آخرين هما « . . . كاهن الاله آنو ورسول الربة نيسابا . . .» و« . . . باتيزي الّيل الكبير . . .» . وفي هذا اشارة الى اخضاعه دول المدن السومرية الأخرى مثل «اور» و«لارسا» و«نيبّور» .

وقد ترك «لوجال ـ زاجّيزي» كتابات عديدة امر بنقشها على الآنية الحجرية ، التي نذرها للآلهة متبجحا بقوته العسكرية التي مكنته من اخضاع بلدان عديدة ، ومن هذه الكتابات :

« . . . عندما خلع الّيل ملك البلدان ملكية البلاد على لوجال ـ زاجّيزي وعندما اخذ بيمينه في البلاد ، وعندما اخضع البلدان لسلطانه وغزاها من مطلع الشمس حتى مغربها ، في ذلك الحين ، من البحر السفلي [125] ، عبر دجلة والفرات حتى البحر الأعلى [126] ، مهد له الّيل الطريق واعطاه (السلطة) من مطلع الشمس حتى مغربها . وقد جعل البلدان تنعم بالامان وغمرها بالحبور ، ونصبوه انزي البلدان في بيوتات سومر المقدسة . اما في اوروك فقد نصّبوه كبيرا للكهنة ، في ذلك الحين جعل اوروك تشع حبورا ، ومن اور رفع رأسه كالثور الى السماء ، وسقى لارسا المدينة المحببه لـ «اوتو» بحياة النعم ، ورفع منزلة أومّا مدينة الآلهة . . . المحبوبة الى قمة المجد . . . لوجال ـ زاجّيزي ملك اوروك ، ملك البلاد قدم

---

١٢٥) الخليج العربي .

١٢٦) البحر المتوسط .

لـ . . . الّيل ملك البلدان قربانا من الخبز في مدينة نيبّور وصب ماء صافيا : الابتهال : ياالّيل ، يا ملك البلدان ، ليت «آنو» يبلغ اباه المحبوب رجائي ، ليضيف الى عمري عمرا آخر ويجعل البلدان تعيش بامان ، ليمنحني.من المحاربين بعـدد الأعشاب ويزودني بقطعان السماء ، وليرفق البلاد بالعظمة وان لا تغير الآلهة حظي السعيد الذي حددته لي ، وان اكون دوما الراعي الذي يقف في المقدمة . نذر هذا من أجل حياته الى الّيل ملكه المحبوب [١٢٧] .

اذن فقد صار هذا الملك حاكما على جنوب بلاد مابين النهرين واواسطها ، وربما على اجزاء من مناطق سورية الشمالية ايضا . واذا صدق ادعاؤه في كتاباته المذكورة [١٢٨] ، فانه يكون قد وصل الجزء الشمالي من سواحل البحر المتوسط الشرقية . ولكننا نستبعد صحة هذا الادعاء لعدم توفر الادلة المادية الكافية التي تدعمها .

وعلى كل حال فقد كانت خطوات هذا الملك على الصعيدين النظري والعملي نقيضا لمواقف «اوروكاجينا» . وقد اعتقد انها تشكل الحل الوحيد لتحقيق طموحات الشعب السومري - من وجهة نظره - ومنها « . . . غزو البلدان من مطلع الشمس حتى مغربها . . . » ، أي من هضاب ايران والخليج العربي شرقا حتى البحر المتوسط غربا .

ولكن الواقع كان بعكس اعتقاد هذا الملك وطموحه ، لان الشعب السومري ، كان عاجزا عن التكيف مع الأفكار التوسعية للملك الجديد وخاصة خارج المناطق السومرية التقليدية المحصورة في جنوب بلاد مابين النهرين وفي بعض مناطق اواسطها الشرقية . ولابد ان عامة الشعب قد رأت في اعمال هذا الملك و«منجزاته» التوسعية خرقا لعاداتها وتقاليدها وديانتها وفيها كل ماهو غريب عن طباعها وتركيب مجتمعها التيوقراطي . وزاد الأمر سوءا ان كهنة بعض المعابد السومرية وقفوا ضده بسبب الأعمال الوحشية التي نفذها ضد آلهتهم . ثم جلب هذا التوسع للملك السومري وشعبه الدمار لانه ضم به مناطق بشرية جديدة واسعة

127) Moortgat, A., op. cit. S. 244- 245.

١٢٨) انظر ايضا الدراسة الثانية عشرة ، ص : ٣٥٣ .

معادية للسومرية وخاصة في اواسط بلاد مابين النهرين وربما في شمال سورية ايضا ، وفي مقدمتها جماعات البؤ ر البشرية «الأكّادية» ، التي شكلت اكثر العوامل خطرا داخل امبراطوريته الفتية . لذلك لم ينفعه شيئا ابتهاله للاله «الّيل» أن «. . . يضيف الى عمره عمرا آخر . .» ولم يحقق له رغبته باعطائه «محاربين بعدد الأعشاب» وقد ادرك هذا الحاكم بلاشك حاجته المصيرية لوجود هذا العدد من المحاربين بين يديه من اجل الحفاظ على مملكته وكبح جماح مجموعات البؤ ر البشرية المتباينة التركيب الاجتماعي سواء في اواسط بلاد مابين النهرين ، أو داخل المدن السومرية نفسها . لذا يمكننا النظر الى هذا الملك الطموح كحاكم على عرش سومري حكم جماعات بؤ ر بشرية غريبة عن البؤ ر السومرية ، وهي بؤ ر كانت مهيأة لتسلم السلطة في بلاد مابين النهرين واهلا لتحقيق ماعجز هذا الملك عن الحفاظ عليه ، وهو «امبراطوريته» ، وهذه البؤ ر البشرية هي التي تعرف بـ «الأكّاديين» .

الدراسة الخامسة
الامبراطورية الاكّادية
(٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ ق.م)

أولاً ـ لمحة عامة حول التركيب البشري في المناطق المجاورة للسومريين

كنا أشرنا إلى أن جماعات بشرية كانت تشكل بؤرا اجتماعية في البقاع المجاورة للحدود الشمالية لأرض سومر وخاصة في المنطقة التي يبدأ فيها نهر الفرات بنشر مجاريه المائية الفرعية التي تصله بنهر دجلة . وكانت مدينة «سيبّار» تقوم في هذه المناطق. وتتكون البقاع الأخرى الواقعة الى الشمال الغربي من هذه المنطقةمن البوادي التي يخترقها نهر الفرات ، كما يحدها من الشمال القسم الشمالي الشرقي من سورية الحالية وهو القسم الذي يشكل الجزء الشمالي الغربي من بلاد مابين النهرين . وقد سكنت هذه الأراضي بؤ ر بشرية منها الأصلية ومنها الغريبة عنها . وتعرف هذه الأخيرة باسم الـ «سوبارتو» وكان بعضها مستقرا وبعضها الآخر بدوا رحلا عاش على الرعي .

وفي الجهة الشمالية والشمالية الشرقية من منطقة «سيبّار» تقع أراضي الديالي ، التي كانت القبائل «اللولبية» الهمجية تقطن بعض بقاعها ، حيث قدمت اليها من المناطق الجبلية الشمالية وعرفت اشهرها بـ «الجوتية» التي حطمت الدولة الأكّادية وانهت وجودها السياسي في عام ٢١٥٠ ق.م. . وقد استطاع عدد من القبائل السوبارتية ان يستقر ويؤسس ممالك متحضرة ، بعد ان عمل افرادها في الزراعة لدى جماعات البؤ ر البشرية الأصلية (١٢٩) ، مما دفع ملوك الدول المتحضرة في عصور لاحقة لان يطلقوا خطأ اسم الـ «سوبارت» على جميع القبائل المتجولة في بلاد مابين النهرين (١٣٠) .

129) Ungnad, A., Untersuchungen zu den Urkunden aus Dilbat (Beiträge zur Assyriologie, VI5, S. 16ff.).

130) Zehnpfund, R., Die neubabylonischen Königsinschriften, S. 60, 1, 29, 212, 1, 35 und 2, 18.

وفي هذا العصر ايضا بدأت قبائل بؤ ر بشرية اصلية اخرى تظهر على مسرح الأحداث السياسية والحضارية وهي القبائل المعروفة بـ «العمورّية» (=الغربية) ، وكان الهها الأكبر يعرف باسم «حدد» . وقد نقش رسمه في العاصفة وبيده شعاره المكون من مطرقة ضخمة أو صاعقة او كلتيهما معا . وخلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد اصبح الاله اليهودي «يهوه» يشبهه بطبيعته وجوهره وببعض الأشكال التي يتخيله اتباعه فيها . ويرى بعضهم خطأ ان هذا الاله هو الذي يظهر على الأختام الاسطوانية البابلية القديمة في شكل محارب ، ويطلقون عليه اسم «عمورّو» (١٣١) ، والى جانب الاله «حدد» عرف العمورّيون أيضاً عبادة اله آخر عرف باسم «داجان» ، الذي احتل خلال عصور لاحقة مكانة رفيعة في النصوص الفينيقية ـ الكنعانية (١٣٢) . وهنا نجد خليطا من الشعوب والقبائل انطلقت من مواقع بؤ رها البشرية وكان بعضها مستقرا في المدن بينما بقي البعض الآخر يهيء نفسه للاستقرار او للانقضاض بقصد النهب والسلب في المجتمعات المتحضرة ، ثم العودة الى مواطنه في البوادي والجبال .

ثانيا ـ «سرجون» وتأسيس الدولة الأكّادية
(٢٣٥٠ ـ ٢٢٩٤ق.م.)

أ ـ ولادة «سرجون» واستلامه السلطة في «كيش» :

اضطر الأكّاديون في أواسط بلاد ما بين النهرين للخضوع مدة طويلة من

---

131) Ward, W. H. Cylindres and other Oriental Seals..., S. 58 and 62.

-) Legrain, L., Museum, p. 28-29 and 216-217 Dm 1925.

-) Contenau, Manuel, II, P. 841-845.

-) Parrot, A., Mission Archéologique de Mari, II, P. 150.

يعتقد جميع هؤلاء خطأ انه هو الاله «عمورّو» ، انظر بهذا الخصوص :

Solyman, T., Die Entstehung und Entwicklung der Götterwaffen im alten Mosopotamien und ihre Bedeutung, S. 81-85, Tf. LVIII-LX.

132) Clay, A. T., Aramaic, Indorcements on the document of Murasu-Sons.

الزمن للسلطة السومرية في الجنوب ، فلا عجب في أن يضعوا نصب أعينهم هدف تحرير أنفسهم من نير الحكم السومري . وكنا ذكرنا آنفا ان الملوك السومريين كانوا قد جردوا حملات عسكرية عديدة ضد مدينة «كيش» ومنطقتها لاخماد كل حركة قام بها ضدهم «الأكّاديون» . ولكنها لم تُجدِ نفعا مع مرور الزمن وبقيت نتائجها محدودة الأثر بسبب الامدادات البشرية المستمرة ، التي رفدت الأكّاديين في أواسط ما بين النهرين بأسباب القوة من مجموعات البؤ ر البشرية الأصلية الأخرى التي ربطها بها صلات حضارية وأواصر قربى في بلاد الشام . وحدث اخيرا ما هدفت هذه البؤ ر البشرية الأصلية الى تحقيقه وهو انتزاع زمام القيادة السياسية من يد السومريين بزعامة «سرجون» . الذي كان شخصية فذة دفعت بالملوك خلال قرون عديدة لاحقة في تاريخ غرب آسية القديم الى التغني ببطولاته وأعماله الجبارة . فحيكت حوله أساطير بطولية ، كان أشهرها موضوع ولادته وتأسيسه الدولة «الأكّادية» :

تذكر هذه الأسطورة أن أباه كان مجهول الهوية . ولكن اسمه وهو «لا ـ ايبو» كان من لغة محلية اصبحت تعرف فيما بعد بـ «الأكّادية» ، واتخذ عمه من الجبال موطنا له . وكان «سرجون» ابنا غير شرعي من امرأة فقيرة الحال ولدته في مدينة «ازوبيرانو» على نهر الفرات . ولكي تتخلص من العار وضعته في صندوق من قصب الغاب وأحكمت اغلاقه ورمت به في نهر الفرات ، فحمله التيار باتجاه الجنوب ، إلى أن وقعت عليه بطريق الصدفة عين البستاني «اكّي» الذي انتشله من الماء . وقد وجد الطفل حيا فحمله الى بيته واعتنى بتربيته حتى أصبح شابا وعلمه مهنة البستنة . ولكي يضفي مؤلفو الاسطورة عليه مسحة ربانية جعلوا منه حبيباً للربة عشتار (= انّين السومرية) ، التي سلمته مقاليد الحكم على «ذوي الرؤوس السود» أي الأكّاديين وغيرهم من البؤر البشرية الأصلية المتحالفة ضد السومريين . وقد تناقلت الأجيال اللاحقة هذه الأسطورة ونسجت شعوب كثيرة بعد الأكّاديين خيوط اساطير امثالها حول ولادة شخصيات مشهورة في تاريخها . لقد فعل ذلك الهنود عن «كرشنا» والاسرائيليون عن «موسى» والاغريق عن «بيزويس» والتوأمين «نيليوس وبيلياس» . وهناك أوجه شبه كبيرة كثيرة تجمع بين هذه الاسطورة واسطورة ولادة الملك الفارسي «كيروش» .

وبين أيدينا رواية أخرى تقول ان «سرجون» اصبح ساقيا في معبد «زابابا» ، اله مدينة «كيش» . ولاشك في ان ذلك يعني انـه اصبـح ساقيا لدى آخـر ملـوك «كيش» المدعو «اور - زابابا» واغتصب منـه السلطـة ثم هيأ نفسـه وأعـد القبائـل «الأكّادية» ومجموعات البـؤر البشرية الأصلية الأخرى المتحالفـة معهـا للاصطـدام المحتم مع الملك السومري الطموح «لوجال - زاجّيزي» .

ب - حروب «سرجون» التوسعية

لقد توفرت اذن جميع الأسباب التي زادت من حدة التناقضات بين «سرجون» والملك السومري «لوجال - زاجّيـزي» وجو العلاقات توترا بينهما ، وبتعبير آخر بين البـؤر البشرية الأصلية المنفتحة على مجموعات البـؤر الأخرى وبين البـؤر الأصلية الأخـرى المغلقـة على نفسهـا أي بـين «الأكاديين» و «السومـريين» . وخاصـة ان الأكّاديين لم ينسوْا بعد تدمير الحكام السومـريين معابدهـم في «كيش» و «سيبّـار» وتقديمهم كنوزها هدية لآلهتهم السومرية في مدينتي «نيبّور» و«اوروك» خاصة والمدن السومرية الأخرى عامة[133] .

ولكي يحقق «سرجون» طموحه في التوسع اتخذ من المعاملة السيئـة ، التـي لاقاها رسله في بلاط الملك السومري سببا لاعلان الحرب عليه . وعندهـا تكاتف الأمراء السومريون الذين بلغ عددهم ٥٠ أميرا - كما تذكر الكتابات - وكونوا حلفا بقيادة الملك السومري «لوجال - زاجّيزي» ضد الملك الأكّادي الطموح . وتمخضت المعارك الحربية بين الجانبين عن هزيمة قوات الحلف السومري ووقوع قائد الحلف اسيرا في يد «سرجون» ، الذي اقتاده في « . . . قفص كالحيوان . . . » وعرضه أمام الاله «ألّيل» ليهزأ به الشعب ويحتقره .

وتابع «سرجون» بعد ذلك زحفه وغزا المدن السومرية الواحدة تلو الأخرى مثل «اوروك» و «اور» و «اومّا» و «تللو - لاجاش» حتى وصل « . . . ساحل البحر الأسفل . . . » وغسل سيفه « . . . الملطخ بدماء الأعداء في مياه البحر . . . » رمزا للنصر الذي أحرزه ضد السومريين . وتذكر الكتابات اللاحقة ان الملك «سرجون» غزا ايضا «تلمون» ، التي هي - على الأرجح - جزيرة البحرين .

133) Awdljew, A. J., Geschichte des Alten Orients, S. 54.

ج ـ تأسيس العاصمة «أكّاد» واستقلال الدولة الأكّادية الروحي عن السومريين :

بالرغم من أن مدينة «كيش» كانت تشكل مركزا هاما من مراكز تجمع قبائل البـؤر البشرية الأكادية وقبائـل البؤر الأخرى المتحالفة معها ، التي أود أن أسميها جميعاً «. . . ذوي الرؤوس السود. . .» والتي ربطتها بعضها ببعض أواصر قربى وجوار ، فقد هجرهـا مؤسس الدولـة الأكّادية وبنـى ـ كأول ملك في التـاريخ ـ عاصمة جديدة لمملكته اطلق عليها اسم «أكّاد» ، وتخبرنا الكتابـات القديمـة انـه شيدها بالقرب من مدينة «سيبّار» . ولكن هذه العاصمة لم تكتشف حتى الآن ، على الرغم من محاولات بعثات استكشاف اثرية اجنبية ووطنية عراقية كثيرة لتحديد موقعها . ولوتم العثورعلى انقاضها لزودتنا بالكثير من المعلومات القيمة حول اقدم دولة معروفة حتى الآن اسستها هذه البـؤر البشرية الأصلية «. . . ذات الرؤوس السود . . .» وقد اطلق الملوك اللاحقون اسم هذه العاصمة على جميع بقاع أواسـط بلاد مابين النهرين ، فأصبحت تعرف بـ «بلاد أكّاد» وعرفت الدولة بـ «الأكّادية» .

ويبدو أن «سرجون» وجد العاصمة الجديدة بحاجة الى قوى روحية تنبع من واقع قبائـل البؤر البشرية الجديدة المتحالفة ، من عالم هؤلاء «. . . ذوي الرؤوس السود . . .» وتنسجم مع الأفكار الجديدة في تأسيس الدولة وقيادتها ، فكان لابد لهذه القوى من أن تكون غير التي قدسهـا السومـريون ، اعـداؤه التقليديون . ولذلك وجد في آلهة قبائله وفي آلهة القبائـل المتحالفـة معهـا افضـل بداية لطـريق الاستقلال الفكري عن السومريين . ولذلك جعل عاصمته الجديدة مقـرا للربـة «الأكّادية عشتار» ومدينة «سيبّار» مركزا لعبادة الاله القومي لهذه القبائل المتحالفـة المعروف باسم «شمش» .

د ـ تأسيس «سرجون» للامبراطورية الأكّادية وحروبه الخارجية :

وبعد أن ثبت «سرجون» الأوضاع الـداخلية في بلاد «سومـر وأكّاد» ، بدأ بتنفيذ المرحلة الثانية من مخططه التوسعي . لقد توجه بانظاره نحو الشرق فجرد حملة عسـكرية ضد عيلام ، التـي كانـت تشـكل مصـدر خطـر دائـم يهـدد الأراضي السومرية . فهاجمها عن طريق البر والبحر واذل امراءها وعاد الى العاصمة «أكّاد»

بغنائم وفيرة . وبذلك أصبحت هذه البلاد منذ الآن ولعدة قرون لاحقة ، تابعة لدول مابين النهرين القوية .

وبعد أن انجز «سرجون» مهامه المحددة خلال هذه الحملة الناجحة ، شن حربا تأديبية ضد البؤر البشرية الجبلية «اللولبية» المتوحشة القاطنة في المناطق الشمالية ـ الشرقية من أرض «أكّاد» ، فالحق بها الهزيمة وبذلك حمى حدوده الشمالية من شرها لعشرات الأعوام .

وانتقل «سرجون» بعد ذلك الى تنفيذ المرحلة الثالثة من بناء امبراطوريته الفتية ، فبدأها بهجوم على جماعات البؤر البشرية الأصلية المعروفة بـ «العمورّية» ، وكانت قبائلها تقطن الى الغرب والشمال الغربي من مملكته فاخضع دويلاتها المتحضرة لسلطانه ، بالرغم من أن بعضها كان متحالفا معه خلال صراعه ضد السومريين . ثم تابع زحفه نحو الغرب حتى وصل الى أواسط سورية ومنها الى شواطىء البحر المتوسط ، التي سميت في الكتابات الملكية « . . . بلاد مغرب الشمس حتى نهايتها . . . » ويقول بعض الكتابات ان « . . . سرجون ركب البحر ، وكان ثلاث مرات في الغرب يغزا البلاد ووحدها واقام تماثيل في الغرب وجلب الى البلاد اسرى على البحر وفي البر . . . » :

وعندما تذكر الكتابات ان الملك الأكّادي اجتاز حدود «بحر مغرب الشمس» فان ذلك اشارة الى انه ركب مع جيشه امواج البحر المتوسط (=بحر مغرب الشمس) ، ورست قوارب جيشه على سواحل احدى الجزر الهامة الآهلة بالسكان : فهل كانت هذه هي جزيرة قبرص ؟ أو أنه قصد بذلك جزيرة اخرى في البحر المتوسط لاتبعد مسافة طويلة عن الشاطىء السوري الحالي ؟ وفي هذه الحالة الأخيرة لم تكن هذه الا جزيرة ارواد التي كانت آهلة بالسكان في عصره ايضا .

ويرجع السبب في تفكير بعض الباحثين بجزيرة قبرص الى العثور على بعض اللقى الأثرية في باطن تلالها يشبه نمطها النمط الفني لنماذج محددة من تماثيل بلاد مابين النهرين ، كالدمى الطينية التي تمثل «الربة العارية» ، وقد عرفها العالم الايجي عن طريق هذه الجزيرة ، كما يقول بعض العلماء . ولكن هناك طريقا آخر وصلت بواسطته هذه الدمى الى جزيرة قبرص وهو التجارة ، التي نشطت كثيرا بين أقطار

غرب آسية القديمة وقبرص خلال العصر البابلي القديم ، ولذلك أرى أن تاريخ هذه الدمى يرجع الى العصر البابلي القديم وليس الى العصر الأكّادي . ثم ان الأنماط الفنية للدمى الطينية البابلية القديمة لا تختلف عن الأنماط الفنية الأكّادية لها . ويضاف الى ذلك أن الابحار الى جزيرة قبرص من ساحل بلاد الشام كان يحتاج في عصر «سرجون» الى توفر امكانيات ضخمة من وسائط النقل البحرية القادرة على الابحار في عرض البحر ومزودة بمواد تموينية تكفي لمدة طويلة ، وهي امكانيات لم تكن متوفرة بمقادير كافية خلال هذا العصر الغابر من تاريخ العالم .

وعلى كل حال فان «سرجون» لم يوحّد مدن مابين النهرين فحسب ، بل ضم اليها ايضا امتدادها الطبيعي من الغرب وهو القسم الأعظم من سورية الحالية [١٣٤] .

وبعد أن عاد «سرجون» الى عاصمته «أكّاد» جهز نفسه وجيشه للقيام بعمل بطولي ، لم يقدم على تنفيذه اي ملك سابق لعصره : لقد اجتاز جبال «طوروس» وسفوح «الأناضول» الجنوبية ووصل الى اواسط وشرق آسية الصغرى ، ويقول في هذا الصدد : «. . . ان الاله انليل اعطاني البلاد العليا مائر (=ماري) وبارموتي والبلاد حتى جبال الأرز والفضة . . .» .

ولاشك في ان المعني هنا بجبال الفضة ، جبال طوروس في شمال سورية وجنوب آسية الصغرى . وتذكر الكتابات الملكية ، ان الاسباب المباشرة ، التي دفعت بالملك الأكّادي لاجتياز جبال طوروس وتحمله مع جيشه المشاق وتعرضه للمخاطر عبر وديان هذه الجبال السحيقة ، هي قدوم رسل من أواسط آسية الصغرى ، من منطقة كبادوكيا (=قيصرية) الى عاصمته أكّاد يستنجدون به ضد عدوتهم التقليدية مدينة «بورشخندا» (راجع ايضا ص ٢٦٧) . وسبب ذلك ان «الآشوريين» وهم من البؤر البشرية الأصلية في بلاد مابين النهرين وبلاد الشام

---

١٣٤) تؤكد هذه الحقيقة عكس مايراه الدكتور فيليب حتي في كتابه «خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى» ـ المجلد الأول ، ١٩٦٠ برنستون نيوجيرسي ، النسخة المصرية المعربة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٩ «واما سياسيا فلم يكن العراق القديم بلادا موحدة توحيدا كاملا حتى عهد حمّورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد» .

كانوا قد اقاموا مستوطنات تجارية لهم في تلك المناطق واصطدموا بسكانها من البؤر البشرية الأصلية الأخرى في أواسط الأناضول ، وهنا استنجد الآشوريون بـ«سرجون» ضد اعدائهم . وقد استغرقت حملة «سرجون» هذه ثلاثة أعوام متواصلة ، وكان كلما اخضع منطقة لنفوذه ، امر بنقش رسمه على نصب تذكاري اقامه في نهاية حدودها رمزا لانتصاراته وتمجيدا لأعماله البطولية .

وقد نشبت اثناء غيابه الطويل في حروبه العديدة ثورات ضده ضمن البلاد او على حدود امبراطوريته ، منها ثورة سكان شمال المنطقة البابلية وبلاد «سوبارتو» ولكنه تمكن من القضاء عليها بعنف وقسوة واحرق الحقول والمزارع ودمر المدن لدرجة «لم يعد بامكان الطيور ان تجد لها مأوى فيها» كما يذكر هو نفسه في بعض كتاباته .

هـ ـ اشهر مخلفات «سرجون» المادية الفنية وأهم منجزاته على الصعيد الداخلي :

هـ ـ ١ ـ المخلفات المادية الفنية :

لقد عثر المنقبون عن الآثار على بعض مخلفات «سرجون» المادية وكان أهمها ما اكتشف في مدينة «سوسا» العيلامية . والتي نقلت اليها بعض القطع الأكادية بين غنائم الحرب التي شنها الملك العيلامي «شوتروك ـ ناخونتي» في عام ١١٩٠ق.م. على بلاد مابين النهرين ، وأخذ معها بعض أهم المخلفات المادية الأثرية المنقولة من الحضارتين السومرية والأكادية ـ البابلية . وقد بقيت هذه القطع الفنية مطمورة في باطن اطلال العاصمة العيلامية الى ان قامت باكتشافها بعثة فرنسية في مطلع هذا القرن :

ومن بين اشهر آثار «سرجون» نصب تذكاري من حجر الديوريت ، يبلغ متوسط ارتفاعه حوالي ٥٠ سم وهو محفوظ حاليا في متحف اللوفر [١٣٥] (لوحة رقم ٧) . وقد نقشت على هذا النصب مشاهد تشبه الصور المنقوشة على نصب «العقبان» السومري . ونرى عليه نقشا لشخص الملك «سرجون» وهو يخطو في الأسفل متقدما مجموعة من الجنود ويرافقه خادم يحمل مظلة في يده ، كما نقش الى

135) MDP, X, 1908, P. 4ff.

جانب شخص الملك لقبه «شارّوكين» . ونجد في الشريط الأعلى اسرى عراة مكبلين بالاغلال يخطون بانتظام خلف بعضهم البعض . وفي هذا النصب ايضا تمثيل لاحدى معارك الملك ولكلب وصقر يلتهمان جثث الصرعى من الأعداء .

وثمة نصب آخر للملك «سرجون» نقش عليه شخصه وبيده صولجان وشبكة مليئة بالأسرى والصرعى في منظر شبيه بمثيله وسابقه في الزمن على نصب «العقبان» (١٣٦) ، وعلى الوجه الآخر نشاهد صورته جالسا .

هـ - ٢ - أهم منجزات «سرجون» على الصعيد الداخلي :

لم يقض «سرجون» - كما قد يعتقد للوهلة الأولى - مدة حكمه الطويلة في الحروب وساحات القتال واخضاع القبائل والشعوب لسلطانه فحسب ، وانما خصص ايضا وقتا كافيا لانجاز المشاريع الاقتصادية وبناء الدولة . لأن الجيش الثابت النظامي ، الذي بلغ عدد افراده ٥٤٠٠ جنديا «اكلوا يوميا امامه» كان يحتاج الى تموين دائم في البلاد خلال اوقات السلم ، لذلك امر بشق اقنية ري جديدة واصلاح القديم منها . وقد اوجد ايضا طريقة جديدة للموازين والمقاييس ارتكزت على العد الستيني . ولاشك في ان الوحدة التي اقامها «سرجون» بين مناطق بلاد مابين النهرين ، سهلت عليه تنفيذ مثل هذه المشاريع التي اقتضت وحدة ضمت جميع مقاطعات البلاد ومدنها ، وذلك بعكس ماعرفناه في عصر دول المدن السومرية المتفككه المتصارعة فيما بينها .

ثالثا - «ريموش» و «مانيشتوسو»
(٢٢٩٤ - ٢٢٧٢ق.م.)

أ - ريموش (٢٢٩٤ - ٢٢٨٧ق.م.) :

أ - ١ - القضاء على الثورات :

---

136) Solyman, T., Die Entstehung und Entwicklung der Götterwaffen im alten Mesopotamien und ihre Bedeutung, S. 69, Tf. XIX, Nr. 1880

-) Nassouchi, E., La Stéle de Sargon l'ancien a AR, 21, P. 71.

ولما بلغ «سرجون» سن الشيخوخة «نهضت جميع البلدان ضده وحاصرته في عاصمته أكاد ، ولكنه تمكن من التصدي للثوار فسحقهم ودمر جيشهم الكبير» ، كما ورد في كتابات من العصور اللاحقة ، ومات الملك العجوز مخلفا العرش لابنه «ريموش» . ولايعني قضاء «سرجون» على هذا العصيان الكبير الذي عم سائر انحاء امبراطوريته انه خلف لابنه «ريموش» امبراطورية متماسكة الأجزاء قوية البنيان ، بل كان الواقع عكس ذلك تماما . اذ مثل هذا العصيان الشامل علامة ضعف عام في جسم الامبراطورية الفتية الضخمة . لأن شعوبها المتناقضة في العادات والتقاليد والأديان وفي اللغات احيانا ، اخذت تتسابق فيما بينها الى اعلان الانفصال عن عاصمة الامبراطورية . ونجد افضل وصف لوضع مقاطعات الامبراطورية عند اعتلاء «ريموش» عرش «أكّاد» في وصفه الخاص للوضع العام : «نهضت جميع البلدان التي خلفها لي والدي ، ولم يبق احد مخلص لي» ويبدو لي ان الملك نسي هنا ان يستثني في تعميمه هذا «مؤسسة» واحدة بقيت تدين له بالولاء وهي الجيش المدرب المنظم الذي اقام والده «سرجون» دعائم تشكيلاته القوية . لقد وقف الجيش الى جانبه في محنته العصيبة وعرف «ريموش» كيف يستخدمه أداة طيعة في اخضاع شعوب مناطق الامبراطورية الثائرة . وقد ابتدأ بـ «عيلام» ، التي لم تترك فرصة سانحة تمر الا واغتنمتها للنهوض ضد السلطات الحاكمة في بلاد مابين النهرين :

وفي بداية المرحلة الأولى من حكم «ريموش» تزعم التمرد في عيلام ملك «انشان» و «كورشوم» . ولكن «ريموش» سحق العصيان والقى القبض على الملك العيلامي واقتاده اسيرا «امام سيده اله الشمس» في مدينة «سيبار» ، وقد ورد في احدى الكتابات حول هذا الملك [١٣٧] :

«انتصر ريموش ، ملك كيش ، في معركة على ابال ـ جاماش ملك باراخشي وعلى واليه سيدجا ـ أو والقى القبض على اوزا ؟ جابي حاكم زا ـ (ابشالي ؟) ودمر مدنهم بين اوان وسوسا على نهري كابيتيم ونيرود ام واذل مدن عيلام وخرب

137) Poebel, A., Publication of the Babylonian Section of the University of pensylvania, TIV, P. 189.

اسوارها واقتلع جذور باراخشي من الأرض العيلامية . وهكذا اخضع ريموش ، ملك كيش ، عيلام للاله انليل واهدى للر بين شمش وزابابا» .

والتفت «ريموش» بعدها لخنق انفاس المتمردين داخل بلاد مابين النهرين وخاصة في المدن السومرية ، وتذكر احدى الكتابات [١٣٨] :

«خاض ريموش ، ملك كيش ، المعركة ضد اور واوبما (=اوما) وصرع ٨٠٤٠ رجلا واقتاد بيده ٥٤٦٠ اسيرا ، واسر كاكوج ملك اور واسر بيده (جميع) انزبيه واسر (. . .) وحتى البحر السفلي ، واقتاد ٥٧٠٠٠ من سكان مدن سومر وخرب مدنهم ودمر اسوارها ودمر مدينة كاسالو عندما نهضت ضده خلال عودته ، وصرع ريموش ، ملك كيش ، ايضا خلال هذه المعركة ضد كاسالو ١٢٦٥٠ رجلا وأسر ٥٨٦٤ واستولى على جميع مدن عيلام ودمر اسوارها» .

ويظهر لنا من ختام هذه الكتابة ان «ريموش» خاض حربا اخرى ضد عيلام ، خلال عمليات اخضاعه للمدن السومرية المتمردة . ثم تخرس المصادر بعدها عن ذكر اسمه باستثناء اشارة تقول ان الملك اغتيل في مؤ امرة حيكت ضده في بلاطه بعد تسع سنوات من توليه العرش قضى معظمها في اخماد الثورات التي اندلعت ضد السلطة الأكّادية .

أ ـ ٢ ـ سياسة «ريموش» الداخلية :

بالرغم من أن الملك «ريموش» ضرب بيد من حديد على رؤ وس اعدائه ، فانه حاول من جهة اخرى التقرب الى شعوبهم ، فاستخدم اللغة والكتابة السومريتين الى جانب الأكّاديتين في تصريف شؤ ون اعماله . ويعود ذلك ـ على الأرجح ـ الى انه اراد ان يراعي شعور الشعب السومري من جهة والى احتياجه مهارتهم التجارية وبراعتهم في تصريف الأمور الاقتصادية من جهة اخرى . وتشهد على ذلك كتابة امر «ريموش» بنقشها على تمثال من الرصاص هدية للاله «انليل» [١٣٩] .

---

138) Thureau- Dangin, RA, VII, 179 ff. and B. 160 f.

139) Meyer, Ed., Geschichte des Altertums, I. Band, 2. Hälfte, § 399.

ب ـ «مانيشتوسو» (٢٢٨٧ ـ ٢٢٧٢ق.م.) :

ب ـ ١ ـ اسباب اغتيال «ريموش» واعتلاء «مانيشتوسو» العرش الأكادي :

لم تزودنا اعمال التنقيب عن الآثار ـ حتى الآن ـ بأية اخبار عن الأسباب التي دفعت بعض افراد البلاط الملكي الأكّادي الى اغتيال «ريموش» . ولكن مجرى الأحداث ـ التاريخية للسياسة الأكّادية بعد استلام «مانيشتوسو» السلطة يشير الى وجود سببين رئيسيين لذلك : اولهما الخلافات الشخصية حول السلطة ضمن البلاط الملكي ، وثانيهما الخلافات في الرأي بين افراد حاشية «ريموش» حول السياسة الداخلية وما تعلق منها بمواقف الملك المتشددة من دويلات المدن السومرية وتخريبه ديار السومريين ومعابدهم والكثير من مدنهم . ولاشك في أن البلاط الملكي الأكّادي لم يخل من وجود جناح في داخله مؤيد للسومريين أو على الأقل مناصر لسياسة اللين معهم . ويحق لنا ان نجعل هذا الجناح مسؤولاً عن اغتيال الملك «ريموش» وتنصيب اخاه خلفا له على العرش الأكّادي .

ب ـ ٢ ـ سياسة «مانيشتوسو» الداخلية :

وبطبيعة الحال تقرب الملك الجديد الى السومريين واغدق المنح والهدايا على معابدهم، كما أعفى اوقاف معبد الاله «شمش» ودخله من الضرائب واهداه كمية من الفضة بلغت ٣٠٠ وزنة. واتخذ ايضا موقفا مشابها لذلك من كهنة بلاد عيلام ، فتقرب منهم واهدى تمثالا لاله «عيلام» الأكبر «نارونتي» . وتؤكد السياسة الجديدة ، التي اتبعها هذا الملك خلافا لسياسة أخيه وابيه من قبله ، وجود جناح سومري قوي أو أكّادي مؤ يد للسومريين داخل البلاط الأكّادي . فلا غرابة في ان نجد عصر «مانيشتوسو» عصر سلام مع المدن السومرية والشعب العيلامي . ولا تحدثنا الكتابات عن نشوب ثورات ضده في الأراضي السومرية والأكادية والعيلامية .

ب ـ ٣ ـ حروب «مانيشتوسو» :

ولكن في الوقت الذي ساد الهدوء خلاله في بلاد مابين النهرين وعيلام ، اضطر الملك الأكّادي الى خوض حروب خارجية وردت اخبارها في كتابات امر الملك

بنقشها على بعض مخلفاته المادية ، التي عثر عليها في مدينتي «سوسا» و «سيبّار» . فقد جاء في احدها ان ««۳۲ ملكا من مدن ماوراء البحر» [١٤٠] تحالفوا ضده . ولاشك في أن المقصود هنا بـ «مدن ماوراء البحر» مناطق تقع خارج بلاد مابين النهرين وعيلام . اي ان «مانيشتوسو» ركب البحر كوالده وأعاد اخضاع هذه المناطق للسيطرة الأكّادية . مع الاشارة الى انه من المشكوك فيه ان عدد هؤلاء الملوك قد بلغ هذا الرقم .

ب ـ ٤ ـ أهم مخلفات «مانيشتوسو» المادية الفنية :

وصل الينا بعض آثار «مانيشتوسو» المادية الفنية ، التي تحدثنا عن نشاطه الاقتصادي وترينا في نفس الوقت ازدهار فن النحت وتطوره في عهده . وقد امر هذا الملك بنصب مسلة من حجر الديوريت [١٤١] في مدينة «سيبّار» عليها كتابة ورد فيها ان الملك ابتاع عقارات واراض زراعية واسعة في اربع مدن هي «دور ـ سن» و«كيش» و«ما ـ راد» و«شيدتاب». وانه اعتمد عند عقده هذه الصفقات التجارية شهودا ـ بالاضافة الى ابن اخيه ـ كلا من باتيزي مدينتي «لاجاش» و «اومّا» وغيرهما من امراء المدن السومرية ، وسمي هؤلاء جميعا «ابناء أكّاد» . وكان هذا الملك يعتمد الأمراء السومريين وابناءهم أيضا في تسيير اعماله الخاصة في ظل النظام الاقطاعي الذي كان سائدا في عهده .

ووصلنا من عصره ايضا ثلاثة تماثيل لشخصه ، نحت الأول من حجر الديوريت [١٤٢] (لوحة رقم ٨) وعثر عليه في مدينة سوسا العيلامية يبلغ ارتفاعه ٩٤ سم وهو محفوظ حاليا في متحف اللوفر ولكن فقد رأسه وذراعاه ، وقد نقشت عليه كتابة مسمارية ، ويصل ارتفاع الثاني الى ١,٢٥ م من الحجر الكلسي الأبيض [١٤٣]

---

140) Scheil, V., Revue d'Assyriologie, VII, 103 ff.

141) Délegation en Perse, X.

-) Hrozney, Frd., Wienerzeitschrift für Kunde des Morgenlandes, XXI, 11 f, XXIII, 192f.

142) Moortgat, A., Die Kunst des Alten Mesopotamien, Tf. 141.

143) Moortgat, A., op. cit. Tf. 142.

واكتشف في سوسا ايضا وهو محفوظ كسابقه في متحف اللوفر . اما الثالث (١٤٤) فمن حجر الديوريت ويبلغ ارتفاعه ١,٣٧م وقد اكتشف في مدينة «اشور» وهو الآن من مقتنيات متاحف الدولة في برلين الشرقية . وتؤكد لنا هذه التماثيل الثلاثة استقلال الفن الأكادي عن سابقه السومري (١٤٥) .

رابعا ـ «نارام ـ سن» (٢٢٧٢ ـ ٢٢٣٥ق.م.)

يعتبر الملك «نارام ـ سن» اشهر الملوك الأكاديين بعد مؤسس الامبراطورية «سرجون». وقد وصلتنا اخباره في نصوص المجموعات الضخمة من الرقم الطينية، التي عثر عليها في مدينة «لاجاش» وعن طريق مصادر اخرى في مقدمتها مكتبة الملك الآشوري «اشور ـ بانيبال» . وتحدثنا الكتابات انه وجد نفسه فور توليه السلطة ، في موقف صعب ، اذ تلقى انباء اندلاع الثورات ضده في جميع انحاء الامبراطورية ، التي كان اسلافه قد استنفذوا جميع قواهم وامكانياتهم لغزوها او لاعادة اخضاعها لسلطانهم .

أ ـ اخبار حروب «نارام ـ سن» من خلال مخلفاته المادية الفنية :

كادت الثورات تزلزل الأركان السياسية للدولة الأكادية لو لم يجابهها الملك الجديد بقسوة وعنف ، سواء في المناطق الجبلية الشمالية او العيلامية الشرقية أو في البقاع الشمالية الشرقية أو الشمالية الغربية أو في جزيرة «تلمون» . وقد نجح «نارام ـ سن» في الحفاظ على مقاطعات امبراطوريته التي ورثها عن جده الأكبر «سرجون» ثم ضم اليها مقاطعات جديدة من اراضي «ماجان» و «الملوحة» .

ومن اشهر المخلفات المادية الأثرية التى وصلتنا عن حروب هذا الملك ، نصب تذكاري امر باقامته في مدينة «سيبّار» تخليدا لذكرى انتصاراته على القبائل «اللولبية»

144) Andrae, W., Das wiedererstandene Assur, Tf. 44 b.

-) Moortgat, A., op. cit. Tf. 139-140.

–) Bagdader Mitteilungen, 1, Tf. 14.

145) Moortgat, A., op. cit. S. 55.

التي كانت تربض في المقاطعات المجاورة للحدود الشمالية الشرقية والشرقية من حدود مملكته متحفزة للانقضاض على قلبها [١٤٦] (لوحة رقم ٩) :

وقد عثرت على هذا النصب التذكاري القيم بعثة فرنسية في مدينة «سوسا» العيلامية حيث وصل اليها بين غنائم حرب الملك العيلامي «شوتروك ـ ناخونتي» ضد بلاد ما بين النهرين في عام ١١٩٠ ق.م. وهو محفوظ حاليا في متحف «اللوفر» :

لقد نحت النصب من الحجر الرملي بارتفاع حوالي ٢م وعرض ١,٠٥م . ولم يبق من الكتابة التي امر «نارام ـ سن» بنقشها الى جانب قمة الجبل في اعلى النصب سوى بعض الآثار البسيطة ، لأن الملك العيلامي كان قد امر بمسحها ونقش كتابة عيلامية بدلا منها . وذكر الملك العيلامي في كتابته هذه انه غزا مدينة «سيبّار» وامر بنقل نصب الملك «نارام ـ سن» الى «سوسا» ليقدمه هدية لاله الشفيع «انشو ـ شوشناك» .

ويحدثنا ماتبقى من الكتابة الأكّادية عن الحملة التي قادها «نارام ـ سن» بنفسه ضد القبائل «اللولبية» ، وقد حفرت الى جانبها المشاهد المصورة المعبرة عن انتصارات الملك على هذه القبائل المتوحشة ومطاردته فلولها في اعالي الجبال الوعرة المسالك . لقد نقش الفنان رسم الملك الأكّادي في وسط المشاهد وهو يتقدم جيشه ويتسلق الجبال العالية مطاردا اعداءه المهزومين . ويتميز الملك في هذا النقش بضخامة شخصه ، الذي يفوق ابعاد اشخاص جنوده وبقرنين يزينان خوذته وكانا يمثلان شعار الالوهية في هذا العصر . ويظهر الملك وهو يدوس بقدمه اليسرى على جثتين من اعدائه الصرعى ، في حين اصاب بسهمه عدوا آخر ، ويقف أمامه أحد جنود الأعداء يطلب العفو . وقد ميز الفنان بكل وضوح الأعداء بعضهم من

146) MDP, I, 1900, pl. X.

-) MDP, II, 1900, PL. 11.

-) MDP, III, 1901, 40ff.

-) Encyclopédie, I, 214, 215.

-) Zervos, Mesopotamie.

-) Parrot, A., Sumer, Abb. 212-213.

-) Moortgat, A., Die Kunst des Alten Mesopotamien, S. 57, Tf. 155- 156.

بعض ، عندما نقش «اللولبيين» بلحاهم المروسة وشعر رؤوسهم المجدول وارديتهم المصنوعة من الفراء يقابلهم المحاربون الأكّاديون بخوذهم الواقية على رؤوسهم . ويدلنا المنظر العام على ان المعركة نشبت بين الطرفين على مرتفعات صعبة المسالك وفي مضايق سحيقة مخيفة . وتوج الفنان المشهد العام بقرصين للشمس رمزا للاله «القومي الأكّادي» شمش .

واقام «نارام ـ سن» لنفسه تمثالا بالقرب من «دياربكر» في شمال سورية وشيد حصنا في «تل براك» [١٤٧] (لوحة رقم ١٠) بمناسبة انتصاره العسكري على سكان المناطق الشمالية الغربية من المملكة واخضاعه بلاد «ارما ا» لسلطانه .

ب ـ «نارام ـ سن» وضمه «ماجان» و «الملّوحة» الى أراضي الامبراطورية :

ولكن الانجاز الضخم ، الذي حققه «نارام ـ سن» تجسد في غزوه أرض «ماجان» وبلاد «الملّوحة» . ومازال الباحثون في لغات وآثار «الشرق القديم» ـ حتى الآن ـ في حيرة بشأن تحديد موقعي هاتين المنطقتين . اذ يرى بعضهم ان «ماجان» تقع في مناطق من شبه الجزيرة العربية لعلها في الجزء الشرقي منها [١٤٨] ، وهو الجزء الذي كان يشكل مصدرا هاما من مصادر حجر الديوريت ، الذي تفتقر اليه بلاد مابين النهرين . ومهما يكن من أمر فان وصول «نارام ـ سن» على رأس جيشه الى الأطراف الجنوبية أو الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية يعتبر في حد ذاته خطوة جريئة جبارة على طريق التعرف على طبيعة هذه المناطق واكتشاف مجاهلها وضمها الى أراضي الامبراطورية الأكّادية .

أما فيما يخص «الملّوحة» فتذكر لنا كتابات الرقم الطينية من عصر «نارام ـ سن» وخلفه «شاركاليشارّي» [١٤٩] ان الأكّاديين كانوا يستوردون من «الملّوحة» حجر الفيروز وغبار الذهب . كما يستنتج من رسائل «تل العمارنة» من القرن الرابع عشر

147) Iraq, 9, Pl-LX.

-) Moortgat, A., op. cit. S. 52, Abb. 36.

148) Meyer, Ed., Geschichte des Altertums, I. Band, 2. Abt. § 401.

149) Radau, Early Babylonian History, P. 261.

قبل الميلاد ، ان التسمية البابلية «ملّوحة» كانت تعني أرض «كوش» (=النوبة) . بينما قصد الآشوريون فيما بعد باسم «ماجان» ارض مصر .

فاذا كان يقصد بهذين التعبيرين أو احدهما خلال عهد «نارام ـ سن» مصر أو النوبة ، فهذا برهان على أن هذين البلدين قد شكلا جزءا من الامبراطورية الأكّادية في عهد هذا الملك . وربما يتفق ذلك من حيث الزمن مع الأحداث المظلمة التي عاشتها مصر والفوضى التي ضربت أطنابها قبل تأسيس الدولة المصرية الوسطى (١٥٠) . وعلى كل حال فمن المؤكد ان حدود الامبراطورية الأكّادية كانت قد امتدت حتى وصلت شواطىء البحر الأحمر الآسيوية ، وبذلك صارت اكبر امبراطورية عرفها العالم القديم حتى ذلك الوقت .

خامسا ـ «شاركاليشارّي» (٢٢٣٥ ـ ٢١١٠ق.م.)

وصلنا من عهد هذا الملك عدد من الرقم الطينية التي عثر عليها في مدينة «تللو ـ لاجاش»(١٥١) . وتذكر نصوص بعضها ان «شاركاليشارّي» اضطر لقمع الحركات «الانفصالية» ، التي واجهته في كثير من مقاطعات الامبراطورية المترامية الأطراف . واخضع لسلطته مرة ثانية مدينة «اوروك» وغيرها من المدن السومرية الأخرى ، كما اخضع القبائل «العمورّية» في الغرب وطارد الجوتيين المتمردين في المناطق الشمالية الشرقية وأسر ملكهم «شارلاك» وصد هجوما عيلاميا على مدينة «اوبيس» الأكّادية .

ولاشك في أن الملك الأكّادي كان قد فقد السيطرة على أواسط وجنوب بلاد الشام ، ولذلك ركز همه على حماية الحدود الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية لبلاد مابين النهرين من غارات جماعات البؤر البشرية الهمجية الغريبة على المنطقة والتي اشتد ضغطها على حدود البلاد أكثر من أي وقت مضى .

---

150) Breasted, J. H., Geschichte Aegyptens, S. 105- 111. (German Trans.).

151) Thureau-Dangin, Fr., Die sumerisch- akkadischen Königsinschriften, S. 216 ff.

٢) Thureau- Dangin, Fr., Comptes rendus de l'acad. inscription, S. 335 f.

٤) Radau, Early Babylonian History, P. 158ff.

سادسا ـ مفهوم الملكية لدى الأكّاديين

تعتبر المملكة الأكّادية دون شك ، أقدم دولة في العالم القديم انطلق ملوكها من اطار دويلة المدينة الضيق ومن القوقعة الاقليمية الى خارج الحدود الجغرافية للمالك الصغيرة ذات الامكانيات المادية والبشرية المحدودة . اذ اسسوا مملكة كبيرة واسعة مترامية الأطراف ، يحق لنا أن نعتبرها اول امبراطورية عرفها التاريخ . وخضعت لنفوذها شعوب عديدة وقبائل كثيرة منها المستقر في دول المدن والممالك الصغيرة ذات الحضارات المتطورة ، ومنها البدو الرحل بين منطقة واخرى ومنها الهمجي الغريب القابع على سفوح الجبال .

لقد ذكرنا ان الملوك السومريين السابقين كانوا قد ركزا جهودهم ـ باستثناء لوجال زاجّيزي ـ على حسم الصراع الداخلي فيما بينهم . وكان هم المنتصر أخيراً صد الهجمات العيلامية عن حدود اراضي دويلته ودويلات المدن السومرية الأخرى الخاضعة لنفوذه . ولم تكن محاولة آخرهم ـ كما ذكرنا ـ الا مجرد مخطط ملك متسرع طموح ادرك خطر جماعات البؤر البشرية الأصلية الأكّادية والأخرى المتحالفة معها ـ المتعاظم ، الذي اخذ يهدد بشكل جدي دويلات المدن السومرية والوجود السومري بالزوال . ولذلك كان استخدام معظم القادة السومريين للقب «باتيزي» أو «انزي» بمثابة تعبير عن تقوقعهم على انفسهم وارتباطهم بالمعبد السومري ، الذي اصبح ـ بفعل عقلية المشرفين على تسيير اموره ـ متخلفا وعاجزا عن مواكبة التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي اخذ يسود المنطقة .

وكان الأمراء السومريون خدما فعليين للمعبد والهه ، بينما اصبح الملوك الأكّاديون «الهة» للشعب الأكّادي وللشعوب والقبائل الأخرى المتحالفة معهم أو التابعة لامبراطوريتهم ، وذلك تمشيا مع سياستهم التوسعية .

لقد كان الملك «سرجون» اول من مهد الطريق لذلك عندما أطلق على شخصه تسمية لم يقدم عليها احد قبله وهي «سرجون الهي» ، ثم صارت هذه التسمية لقبا ثابتا لابنه الملك «ريموش» اي «ريموش الهي» . وكان «مانيشتوسو» و«شار ـ كاليشارّي» يضعان أحياناً الشارة الكتابية الخاصة بالآلهة قبل اسميهما تعبيرا

عن الوهيتهما . اما الملك «نارام ـ سن» فكان اكثرهم تطرفا في هذا المجال عندما جعل الشارة الالهية لاتفارق اسمه وتعني «الالوهية المطلقة» أي «اله اكّاد» ولم يكتف هذا الملك بذكر ذلك في الكتابات فحسب ، بل رمز اليه في تعبير تصويري على نصبه التذكاري ، وخالف بذلك التقليد الذي عرفه جميع الملوك الأكّاديين . وتمثل هذا التعبير الجديد في شكل القرنين ، اللذين لم يزينا عادة في هذا العصر الا رؤوس الآلهة ، التي تظهر اشكالها على الأختام الاسطوانية من هذا العصر ايضا [١٥٢] .

ولاشك في أن ادعاء الملوك الأكّاديين الالوهيـة ، كان في الأصل غريبا على طباع قبائل الجماعات البشرية الأصلية خلال العصور السابقة ، شأنهم في ذلك شأن السومريين القدامى السابقين والبابليين العموريين الـلاحقين . لقد كانوا يعبدون الاله «شمش» والربة «عشتار» وآلهة اخرى الى جانب هذا الثنائي . فمن أين أخذ الملوك الأكّاديون هذا التقليد ، الذين ترفعوا به عن الشعوب والقبائل التي خضعت لنفوذهم بحيث نشأت بذلك هوة سحيقة فصلتهم ايضا حتى عن شعبهم الخاص ؟

وقد ذكرنا ان الملوك الأكّاديين توسعوا بفتوحاتهم حتى بسطوا نفوذهـم على مناطق واسعة من غرب آسية الحالية ، وربما شمل ذلك ايضا مصر وبلاد النوبة . وعلى كل حال فمـن المؤكـد ان حدود امبراطوريتهـم كانت قد امتدت من الهضبة الايرانيـة شرقا حتى البحر المتوسط غربا ومـن بحر وان والأناضول شمالا حتى شواطىء البحر الأحمر والبحر العربي جنوبا .

ونتيجة لهذا التوسع الضخم فقد احتكـوا بالمصريـين وتأثروا بفراعنتهـم ، الذين كانوا يدعـون خلال هذا العصر انهم «ابناء الآلهة» [١٥٣] ، لذلك ارجح ان يكون الأكّاديون قد طوروا هذا المفهوم لـ «قدسية الملك» من «ابن الاله» الى «الاله» نفسه . واما سبب هذا التطوير نفسه فقد كمن في تطور الملكية وصراعها السلطوي مع المعبد . وقد حسم هذا الصراع في بلاد مابين النهرين لصالح الملكيـة ، التي اخذت منذ بداية العهد الأكّادي تحتل المرتبة الأولى في قيادة البلاد . وأصبح المعبد خاضعـا بشكـل كامـل لمـراقبة الملك الأكّادي . واتصفت احداث هذا التطور

152) Moortgat, A., Vorderasiatische Rollsiegel, 1940, Nr. 65-66.

153) Wörterbuch der Mythologie, Bd. 3, S. 396-399, Herausgegeben von Haussig, H.W.

بالتسارع في بلاد مابين النهرين والتباطؤ والجمود احيانا في مصر . وهناك عامل آخر هام زاد من حدة تسارع الأحداث ودفع الملوك الأكّاديين لسلوك هذا السبيل ، انه فتوحاتهم التي دعمت من مركزهم تجاه المعبد . ولذلك رأوا ان حقهم بـ «الالوهية» امر طبيعي ، طالما ان جميع الحكام السابقين قد عجزوا عن تحقيق ما يفتخر به ملوك «أكّاد» هؤلاء أنفسهم في كتاباتهم . ثم أن ربط الملك «نارام ـ سن» اللقب الألهي «الاله نارام ـ سن» باللقب الزمني «ملك جهات العالم الأربع» لدليل واضح يدعم صحة هذا الرأي .

سابعا ـ اهمية الأكّاديين الحضارية

ورافق الانجاز العسكري الضخم الذي حققه الأكّاديون انتشار حضارتهم في معظم الاقطار التي خضعت لنفوذهم . فازدادت جذورهم اللغوية والفنية والدينية رسوخا في تربة هذه الأقطار وابتلعت حضارتهم المتطورة لغات وحضارات بؤ ر بشرية كثيرة منها المحلي الأصيل ومنها الغريب عن المنطقة .

وكان التفاعل الحضاري بين «الأكّاديين» و «السومريين» قد بدأ خلال عصور مبكرة جدا من تاريخ غرب آسية القديم ، اي قبل ان يستأثر الأكّاديون بالسلطة في بلاد مابين النهرين . وسهلت ايضا السلطة المركزية ، التي اوجدها الأكّاديون توسع حضارتهم وانتشارها في غرب آسية . والأهم من ذلك كله فقد كانت جوانب هذه الحضارة وخاصة الجوانب اللغوية والدينية والفنية منها كانت اصيلة في اكثر هذه المناطق ، ولذلك لم تكن غريبة عن الجماعات البشرية العديدة الأخرى ، التي ارتبطت فيما بينها بصلات متينة بحكم الجوار وكانت تشكل آنذاك الأكثرية الساحقة من سكان شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد مابين النهرين .

وتحاول السلطة الحاكمة دوما ان تستخدم لغة الأم في معاملاتها الرسمية ، وخاصة اذا كانت هذه اللغة قد بلغت مستوى رفيعا من التطور كاللغة الأكّادية . وقد استطاعت اللغة الأكّادية بحكم هذا الواقع ان تشق طريقها الى نفوس عامة الشعب وإن تسرب الفاظها الى صلب السومرية الكهنوتية في الجنوب ، لدرجة حمل معها ايضا ملوك سومريون من العصر السومري الحديث اسماء نقية في صيغها

الأكّادية (راجع ص : ١٥٥ و ٢٤٤) .

وتأثر السومريون ايضا بالفن الأكّادي ، في النحت والتصوير على حد سواء ، بحيث اصبح المذهب الفني الأكّادي الـ «نارام ـ سيني» طابعا مميزا للفن السومري الحديث .

واخترقت ايضا الآلهة الأكّادية الرئيسة النطاق الذي ضربه الكهنة السومريون حول معابد الهتهم ومعتقداتهم امام الآلهة الأكّادية . ونفذت الى صلب المجمع الربّاني السومّري وتبوّأت فيه منزلة رفيعة الى جانب كبار الآلهة السومرية العريقة . لذلك لم يقتصر دور الأكّاديين الحضاري على الاقتباس من السومريين ، كما يدعي بعض العلماء ، وانما اعطوهم ايضا الكثير من ابداعهم الحضاري ، الذي تجاوز النطاق الجغرافي الضيق للأرض السومرية الى آفاق واسعة من المجال المترامي الأطراف لحدود امبراطوريتهم «العالمية» . واصبحت الحضارة الأكّادية تشكل الأرض الخصبة لقيام المملكة «البابلية» القديمة بعد قرون عديدة من الانهيار السياسي للامبراطورية الأكّادية .

الدراسة السادسة
عصر الانهيار السياسي واليقظة السومرية
(٢٢١٠ ـ ١٧٢٨ ق.م)

أولاً ـ الجوتيون وانهيار الامبراطورية الأكّادية

أ ـ ضعف الامبراطورية الأكّادية وأسباب انهيارها (٢٢١٠ ـ ٢٢٥١ ق.م.) :

ظل بناء الامبراطورية الأكّادية ، الذي ساهم في تشييده والحفاظ عليه تارة وترميمه تارة اخرى الملوك الأكّاديون الأشداء ، ظل قائما يتحدى الاعاصير ، مادامت سلالة «سرجون» كريمة تجود على العرش برجل قوي الشخصية استطاع ان يقف امامها وان يحد من خطرها على هذا البناء . وقد كانت هذه الأعاصير تهب بين الحين والآخر لتعصف بصرح هذا البناء الذي كلف الأكّاديين ، ملوكا وشعبا بذل الجهود المتواصلة وتقديم الأرواح رخيصة في سبيل الحفاظ عليه . ولكن شعوب البؤ ر البشرية الأصيلة والغريبة التابعة بالمقابل ، لم تكن اقل سخاء من الأكّاديين في التضحية بدماء ابنائها ، كلما قامت بثورة ضد الحاكم الأكّادي أو الوقوف في وجه جيشه ومنازلته في ساحات القتال . ولذلك كان الثمن ايضا تخريب معابدها ومدنها وتدميرها . وقد كمن في «كرم» هذه الشعوب الخطر ، الذي هدد بناء الامبراطورية بالانهيار ، ولذلك سرعان ما كانت مداميكه تتداعى بمجرد وفاة الملك الأكّادي بل وحتى احيانا عند بلوغه سن الشيخوخة . وكانت هذه الشعوب ، المتحضر منها والبدوي الرحل ، تهب معلنة العصيان على السلطة الأكّادية ثم الانفصال عن قلب الامبراطورية وثم في النهاية انقضاض بعضها على العاصمة أكّاد للثأر والانتقام . وكان في مقدمة هذه الشعوب والقبائل العيلاميون والجوتيون والسوبارتيون والعموريون . ولذلك ركز الملوك الأكّاديون جهودهم بعد ممات «سرجون» على اعادة اخضاعها لسلطانهم من جديد . ولكن السلالات الحاكمة ، شأنها شأن أي كائن حي ، تخضع هي أيضاً لقانون التطور ونظام الحياة والموت ،

حيث تجد نفسها بعد حين عاجزة عن تزويد عرش دولتها بالشخص القوي المطلع على شؤون السياسة العامة في الدولة والقادر على اكتشاف مراكز القوى القائمة ومراقبة توازنها وتحليل علاقاتها بعضها ببعض . وعند ذلك تدق ساعة الصفر ساعة الكارثة وتحين لحظة الانهيار السياسي للامبراطورية والدولة معا :

لقد تعاقب ستة ملوك من سلالة «سرجون» على العرش بعد وفاة الملك «شاركا ـ ليشارّي» وشملت فترات حكمهم مددا زمنية مختلفة بلغت ستين عاما . ولكن بدلا من ان يلتفت هؤلاء الى حرب الأعداء المتربصين شرا بالامبراطورية القابعين على حدودها وضمن مناطقها ، فانهم فرطوا بجهودهم في الصراع فيما بينهم ضمن البلاط من اجل الاستئثار بالسلطة . وفي نفس الوقت كان الأعداء ينتظرون حلول الظرف المناسب للانتقام من سلالة «سرجون» والانقضاض على قلب الدولة الأكّادية .

ب ـ الهجوم «الجوتي» وانهيار الامبراطورية الأكّادية :

شكلت قبائل البوُر «الجوتية» ـ على الأرجح ـ جزءا من «اللولبيين» الذين كانوا يقطنون بعض مناطق جبال «زاغروس» في الجزء الشمالي الشرقي من بلاد مابين النهرين . وكانت هذه القبائل من اشرس اعداء الأكّاديين واكثرهم استعدادا لتدمير امبراطوريتهم . ولذلك فقد كانت السباقة لاغتنام فرصة ضعف قلب الامبراطورية ، الذي اصبح عاجزا عن تزويد اوصالها بالدم الحار وحقنها بالحيوية والنشاط . وما كان منها الا ان اخترقت حدود الامبراطورية واجتاحت كالسيل العارم المدمر المناطق الأكّادية الشمالية الشرقية في طريقها الى العاصمة «أكّاد» .

لقد كان الهجوم «الجوتي» على أواسط وجنوب بلاد مابين النهرين من أسوأ ما عرفته هذه البلاد من كوارث خلال تاريخها الطويل . اذ نهب هؤلاء المتوحشون معابدها وقصور ملوكها ومنازل سكانها واسروا عددا كبيرا من الناس وعملت سيوفهم فتكا في رقاب الآخرين المقاومين ثم ختموا فصول اعمالهم بتدمير العاصمة «اكّاد» واضرموا النار في انقاضها . وقد خلف احد الأمراء السومريين ، الذي قاد

حملة تحرير البلاد من التسلط الجوتي الذي دام قرنا من الزمن ، وصفا دقيقا مختصرا للهجوم الجوتي : بقوله : لقد كانوا «**ثعابين الجبال ، اختطفوا الزوجة من بعلها والأطفال من آبائهم ونقلوا الملكية من سومر الى الجبال**» و «**بكت البنات المدن بسبب الجوتيين**» (١٥٤) .

ولم يكتف «الجوتيون» بسفك دماء السكان الآمنين بل دمروا ايضا الحقول والمزارع القائمة واتلفوا المحاصيل الزراعية . وجفت بسببهم اقنية الري ويبس كل اخضر وصلته ايديهم . وقد ورد ذلك صراحة في ابتهال سومري للاله «نينورتا» يشكو فيه المؤلف من اضطهاد المتوحشين لأهل البلاد ومن همجيتهم المدمرة لكل عمران :

«البلاد في أيدي اعداء قساة .
سيقت الآلهة الى الأسر ،
واثقل كاهل السكان بالضرائب ،
وجفت الأقنية وشبكات الري
وأصبح نهر دجلة غير صالح لعبور السفن
ولم يعد بالامكان ري الحقول
ولم تعط الحقول محاصيلها» (١٥٥) .

ويحدثنا احدهم في كتابة يرقى تاريخها الى عصر الملك الكلداني «نيبو - نيد» (١٥٦) ، ان الجوتيين خربوا معبد الربة «انونيت» في مدينة «سيبّار»، ونقلوا تمثالها الى «ارّابشا في مناطق اعالي نهر «الزاب» الجبلية .

---

154) Randau, Babylonian Expedition, XXIX, I, P. 63 ff.

155) Moortgat, A., Geschichte Vorderasiens

تعريب سليمان وأبوعساف : تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ١٠٣ .

156) Langdon- Zehnpfund, Neubabylonisihe Königsinschriften, S. 176.

وثمة ايضا نسخة من نص ديني آخر يعود تاريخه الى زمن متأخر جدا وهو العصر السلوقي [١٥٧] ، توصف فيها الآلام التي قاستها مدينتا «أوروك» و «أكّاد» ومستوطنات عديدة اخرى في البلاد عند وقوع الهجمة الجوتية .

ثانيا ـ الحكم «الجوتي» و «الحضارة !» الجوتية

سيطر الجوتيون قرابة قرن من الزمن على البلاد ، التي عاثوا فسادا فيها . وقد وصلتنا اسماء بعض ملوكهم مثل «لازيراب» [١٥٨] ، الذي أمر بنقش اسمه على صولجان نذره للربة «عشتار» وللاله «سن» [١٥٩] والملك «باسيوم» [١٦٠] والملك «زاد ـ اتيجوبيسين» [١٦١] .

وكان الجوتيون قاصرين حضاريا ، لذلك دمروا صرح الحضارات القائمة في بلاد مابين النهرين . ولكنهم اضطروا مع ذلك الى اقتباس عبادة اشهر الآلهة الأكّادية مثل «عشتار» و «سن» ، وكانوا مقلدين فاشلين للملوك الأكّاديين في استخدام الالقاب الملكية . وقد بلغ بعضهم حدا لان يلقب نفسه «ملك الجوتيين وجهات العالم الأربع» [١٦٢] وهذا مثل واضح على اعتياد الشعوب المتخلفة حضاريا على الشعوب المتحضرة المغلوب على أمرها سياسيا وعسكريا . لقد وجد الجوتيون ان ملوك أكّاد كانوا يطلقون على انفسهم هذا اللقب ، فما الذي يمنعهم من

---

157) Landdan, Sumerian and Babylonian Psalms, No. 25.

-) ZA, XXIII, 220.

158) Winckler, H., ZA, IV, 106.

-) Thureau- Dangin, Fr., Sumerische und akkadische Königsinschriften, S. 176.

159) Solyman, T., Die Entstehung und Entwicklung der Götterwaffen im alten mesopotamien und ihre Bedeutung, S. 22 Tf. XXVII, Nr. 208.

160) Scheil, V., Comptes rendus de l'ac. des inscription, 1911, 318ff.

161) Thureau- Dangin, Fr., Revue d'Assyriologie, IX, 78.

162) Hilbrecht, Earliest version of the Deluge Story (Bab. Exped. ser. D. VI), P. 201 f.

تقليدهم متبجحين ، طالما انهم يتحملون مسؤ ولية تدمير «أكّاد» ، عاصمة من لقبوا انفسهم بـ «ملوك جهات العالم الأر بع» ؟ ولم تكن حتى عبادتهم لاشهر الآلهة الأكّادية سوى مجرد اقتباس لقشور العقيدة الأكّادية ، التي عجزوا عن فهم ماهيتها ! .

وأما عن كيفية حكمهم لأواسط بلاد مابين النهرين ، فلم تصلنا أية اخبار مكتوبة ، سوى أن شر هجمتهم تركز بصورة رئيسة في المنطقة الأكادية . وقد خفت حدته باتجاه الجنوب داخل الأراضي السومرية . وهذا يدلنا على انهم لم يتمكنوا من حكم البلاد بشكل مركزي بسبب عقمهم الحضاري من جهة وعودة بعض دويلات المدن السومرية الى الظهور على مسرح الأحداث من جهة اخرى .

ثالثا ـ عصر اليقظة السومرية وتحرير البلاد من التسلط الجوتي

أ ـ طرد الجوتيين من البلاد (٢٠٥٠ق.م.) :

ساد التوتر جو العلاقات بين الحكام الجوتيين وبين بعض امراء المدن السومرية في الجنوب واستمر هذا الجو ملبدا بالغيوم الدكناء الى ان انطلقت شرارة الانتفاضة ضد الجوتيين بقيادة امير العاصمة السومرية القديمة «اوروك» في حوالي عام ٢٠٥٠ق.م. . وقد شن هذا الأمير المدعو «اوتو شيجال» حربا خاطفة ضد آخر الملوك الجوتيين فانتصر عليه وطرد الغزاة من البلاد :

ويقول الأمير السومري المنتصر في وصفه لحالة الملك الجوتي المهزوم :

.... ولم يستفد شيئاً من ابتهاله للآلهة لتكون عونا له ، وبقي نداؤه دون جدوى .. فأسره الأمير السومري مع زوجته وطفله و .... داس على رقبته .... وهنا رأى القائد السومري ان من حقه بعد هذا الانتصار الرائع ان يلقب نفسه بـ البطل القوي ، **ملك اوروك ، ملك جهات العالم الأربع الذي ليس**

لكلمته ضد[١٦٣] . وقد ظهر الملك السومري من خلال عمله البطولي هذا وكأنه حاول احياء السومرية التقليدية من جديد . ولكن يبدو أن الأحداث قد سارت في وجهة لم يردها لها محرر البلاد . لقد خرست جميع المصادر المادية الفنية والوثائق المكتوبة في أخبارها عن مصيره بعد أن انجز مهمة تحرير البلاد ، كما لا نعلم شيئا حتى عن خلفه على عرش «اوروك» . وبالمقابل بدأت الأخبار تصلنا تباعاً حول ظهور سلالة جديدة في مدينة أخرى هي «اور» ، التي حاول ملوكها ان يصلوا الى المجد الذي طمح «لوجال ـ زاجّيري» لبلوغه .

ب ـ سلالة «اور» الجديدة (=الثالثة) (٢٠٥٩ ـ ١٩٥٠ق.م.) :

١ ـ اورنامّو (٢٠٥٩ ـ ٢٠٤١ ق.م.) :

وخلال وقت تحرير البلاد من الجوتيين كان يحكم مدينة «اور» احد اتباع بطل التحرير المسمى «اورنامّو» . ويبدو أن هذا التابع قد نهض ضد سيده واستقل عنه ، ويعتقد ان ذلك تم اثر حرب نشبت بينهما . ولاشك في أن ذلك قد حدث قبل أن يتمكن «اورنامّو» من ان يطلق على نفسه لقب «ملك اور» وان يختم الطوب المشوي بخاتمه الذي حمل هذا اللقب الجديد .

وقد اخضع «اورنامّو» باقي المدن السومرية والأكّادية لسلطانه واصبح قائدا للبلاد بلا منازع . والدليل على ذلك انه اجاز لشخصه لقبا جديدا متمما للأول . . . **البطل القوي ملك سومر وأكّاد** . . . أي أن «اور» أصبحت عاصمة البلاد ، وشاهدا على زوال سلطة «اوتوشيجال» .

ويشهد على احقية «اورنامّو» بهذا اللقب الجديد النشاط المعماري الواسع الذي قام به في مدن سومرية وأكّادية عديدة مثل «اور» و«لارسا» و«تللو ـ لاجاش» و«نيبّور» وحتى في «اوروك» نفسها عاصمة خصمه وقائد التحرير . وشق ايضا قناة ري باسم اله القمر «سن» اله عاصمته «اور» ، كما ينسب اليه ايضا تجديد سور هذه المدينة .

---

163) Thureau- Dangin, Fr., Revue d' Assyriologie, IX, III ff.

ـ أهم مخلفات «اورنامّو» المادية :

لقد عثر خلال اعمال التنقيب عن الآثار على كثير من مخلفات هذا الملك المادية فكُشف مثلا على الصعيد المعماري ما يسمى بالـ «زقّورة» (١٦٤) ، التي امر بتشييدها لاله القمر «نانّا» في العاصمة «اور» (اللوحة ١١) .

وقد وصلنا أيضاً من عهده عدد من النصب التذكارية المنحوتـة من الحجـر واهمها جميعا المصور على اللوحة ١٢ (١٦٥) . هنا نقش الفنان في خمسة حقول على الوجه الأمامي لهذا النصب عدة مشاهد تمثل مواضيعها دور الملك في تشييد المعابد وارساء دعائم السلام وشق أقنية الري في البلاد . وكان هذا النصب المنحوت من الحجر الكلسي قد اكتشف في مدينة «اور» محطما الى عدة قطع . وبلغ ارتفاعه بعد الترميم ثلاثة امتار تقريبا وهو محفوظ حاليا في متحف جامعة «فيلاديلفيا» .

٢ ـ شولجي (٢٠٤١ ـ ١٩٩١ق.م.) :

خلف «شولجي» اباه على العرش وحكم مدة خمسين عامـا قضاهـا في تثبيت دعائم حكمه في بلاد مابين النهرين وفي انجـاز مشـاريع عمـرانية عديدة في مدن «سومر» و «أكّاد» . كما اتاحت له هذه المدة الطويلة على العـرش الفـرص لشـن الحروب ضد الشعوب والقبائل التي اعترضت سبيله في تنفيذ مخططاته التوسعية .

وتؤكد كثرة المعابد التي امر هذا الملك بتشييدها او ترميمها باسم الآلهـة في اشهر المدن السومرية والأكّادية نشاطه المعماري الواسع النطاق شأنه في ذلك شأن والده . كما انها تشكّل الدليل على الخراب الذي كان لم يزل قائما حتى عهده نتيجة لحكم الجوتيين الدخلاء .

164) Woolley. C. L. Ur Excavations, V, 1939.

-) Moortgat, A., Die Kunst des Alten Mesopotamien, Tf. 161.

165) Moortgat, A., op. cit, Tf. 194.

ومن اهم هذه المعابد في «اوروك» للربة «انّين» وفي «اريدو» للاله «انـكي» (=ايا) وفي «لارسا» لاله الشمس «شمش» وفي «تللو ـ لاجاش» للاله «نينجيرسو» وفي مدينــة «كوثّــا» للالــه «نيرجــال» [١٦٦] وفي «ادب» و «كاسالّــو» لآلهتهما المحلية [١٦٧] .

لقد قضى «شولجي» الفترة الأولى من حكمه في اقامة هذه المنشآت المعمارية . وربما هدف من وراء ذلك كسب تأييد كهنة الالهة السومرية والأكّادية له ، الذين لعبوا دورا كبيرا في توجيه الرأي العام في المدن لصالح الحاكم أو ضده . ولكن جهوده هذه لم تحل دون قيام معارضة ضده في الداخل ، بدليل ان المدن الأكّادية وقعت ايضا تحت ضغطه كما في عهد ابيه [١٦٨] . وكذلك ذاقت مدينة «بابل» الأمرّين في عهده وخاصة عندما هاجمها ونهب كنـوز معابدهـا [١٦٩] اثـر عصيان قام به اهلهـا ضده . وهذا دليل على ان هذه المدن عادت تحضر نفسها للاستقلال عن السلطـة السومرية الجديدة في «اور» . وبالرغم من ذلك فقد استطاع ان يثبت دعائم حكمه في الداخل ، مما سمح له لتهيئة نفسه وجيشـه لخـوض غمار حروب خارجية ضد شعوب وقبائـل البـؤر البشرية الأخـرى ، التـي بقيت تطمـح الى غزو الأراضي السومرية والأكّادية :

وفي هذا الخصوص تحدثنا الحوليات الملكية من عصور لاحقة انه اغار تسع مرات ضد القبائل «اللولبية» في الشمال الشرقي من ارض سومر وأكّاد . وأما بالنسبة لـ «عيـلام» فقـد اتصفـت الفتـرة الأولى من علاقاتـه معهــا بالسلام وزوج ابنته لـ «باتيزي» مدينة «انشان» العيلامية . ولكنه عاد فهاجمها والحـق بهـا الدمـار الكامل

---

166) Schrader, in ZDMG, 29: 37

-) Amiaud, ZA, III· 94.

-) Thureau- Dangin, Die sumerischen und akkadischen Königsinschriften, S. 190 g.

167) American Journal of Semitic Language, XX, 216.

168) Meyer, op. cit. S. 556.

169) Meyer, op. cit. S. 554.

ورجعت «عيلام» كما كانت سابقا احدى مقاطعات دول مابين النهرين القوية .

ثم وجه انظاره نحو الجهة الشمالية الغربية من ارض أكّاد وغزا اراضي القبائل «السوبارتية» ووسع مناطق نفوذه باتجاه الشمال على مناطق من شرق آسية الصغرى . واضطرت هذه البلدان للخضوع من جديد للسلطة السومرية ، بعد ان تمتعت بحريتها لمدة زادت على قرن وربع من الزمن بعد انهيار الامبراطورية الأكّادية .

ولم ينس «شولجي» ان يضم ايضا مراكز تجمع القبائل «العمورّية» في الجهة الغربية من مملكته ، وكان بعضها قد استقر مع مرور الزمن في ارض «بابل» تارة سلما واخرى حربا . واصطحبت معها عبادة آلهتها التي ذكرنا اسماء بعضها واستمر تدفقها الى اواسط بلاد مابين النهرين وجنوبها حتى شكلت مع «الأكّاديين» الأكثرية الساحقة من الشعب الذي تحكمه الطبقة السومرية الجديدة ومهدت بذلك لقيام مايسمى المملكة البابلية القديمة .

٣ ـ نهاية حكم سلالة «اوْرنامّو» :

تربع على عرش سلالة «اورنامّو» بعد «شولجي» ثلاثة ملوك كانوا على التوالي «امار ـ سن» الذي حكم مدة تسعة اعوام (١٩٩١ ـ ١٩٨٣ق.م.) ثم «شو ـ سن» سبع سنوات (١٩٨٢ ـ ١٩٧٥ق.م.) وبعده «ابي ـ سن» ، الذي كان آخر ملوك هذه السلالة وحكم خمسة وعشرين عام (١٩٧٥ ـ ١٩٥٠ق.م.) .

وقد لقب هؤلاء الثلاثة انفسهم بـ .... **البطل القوي ، ملك أور ، ملك جهات العالم الأربع** .... ويقول الملك «امار ـ سن في احدى كتاباته أن .... **الاله انليل اله نيبّور قد نطق باسمه** .... وفي هذا دليل على دعوته إلى التقليد السومري القديم الذي يذكرنا بالقاب ملوك سومر الأوائل وتقربهم من الاله القومي الأكبر ، اله مدينة نيبّور «الّيل» (راجع ص ١٠٠) . ويقول هذا الملك أيضاً عن شخصه انه .... **الابن المحبوب للاله سن ولاله الشمس ، اله بلاده** .... وحذا حذوه «شو ـ سن» بقوله .... **شو ـ سن حبيب انونيت** ....

وقد قام هؤ لاء وخاصة «امار ـ سن» بنشاط معماري ضخم ، اذ شيد معابدا للآلهة في مدن «اور» و «اريدو» و «نيبّور» ومثله فعل ايضا «شو ـ سن» في مدينتي

«اور» و «سوسا» . وهذا يدلنا على ان عيلام بقيت تابعة للنفوذ السومري في عهد هذا الملك ، والا لما كان قادرا ان يبني معبدا في هذه العاصمة العيلامية العريقة في قدمها ، العنيدة في مقاومتها لنفوذ دول مابين النهرين القوية . وقد ظلت تقاومها الى ان نجحت اخيرا واسرت آخر ملوك سلالة «اور الجديدة» (راجع ايضا ص ١٥٥) .

ج ـ سلالة «لاجاش» (٢٠٥٠ ـ ١٩٨٦ ق.م.) :

١ ـ اور ـ بابا :

يعتبر «اور ـ بابا» اقدم امير سومري وصلنا اسمه من هذا العصر المظلم في تاريخ البلاد . والذي نعرفه عنه انه كان تقيا ورعا ، شأنه شأن العديد من الأمراء السومريين ، بدليل المعابد التي شيدها من اللبن المشوي . وقد وصلنا من عهده تمثال يبلغ ارتفاعه ٦٨ سم ، وعثر عليه في مدينة «تللو ـ لاجاش» وهو محفوظ حاليا في متحف اللوفر [170] . ويظهر ان التجارة الخارجية كانت نشيطة جدا خلال عهد «اور ـ بابا» ، بدليل حجر الديوريت الذي نحت منه هذا التمثال ، ومن هذا الحجر الصلب المستورد من الخارج صنع ايضا رأس «صولجان» نذره «اور ـ بابا» لاحد الآلهة ، املا باطالة العمر [171] .

٢ ـ جوديا :

وخلف «اور ـ بابا» على العرش اربعة امراء كان اشهرهم جميعا صهره «جوديا» .

نشاط «جوديا» على الصعيد الداخلي :

يحتل هذا الأمير منزلة رفيعة جدا في اطار دراستنا لكافة جوانب العصر السومري الجديد ، بسبب كثرة المخلفات المادية الفنية منها والمكتوبة ، التي وصلتنا من عصره .

---

170) Moortgat, A., Die Kunst des alten Mesopotamien, Tf. 164, S. 68.

171) Solyman, T., Die Entstehung und Entwicklung der Götterwaffen im alten Mesopotamien und ihre Bedeutung, S. 30.

وتعبـر هذه المخلفات جميعا عن النشاط الفني والمعماري الذي شهده عهد هذا الأمير ومستوى الازدهار الاقتصادي الكبير الـذي عرفتـه دولـة «لاجـاش» في ظل حكمه . وكان همه ، كما يدعي في كتاباته ، كيف يجعل شعبه ، الذي بلغ تعداد افراده ٢١٦٠٠٠ ، يعيش في رخاء واطمئنان . ولذلك ركز جهوده على شق اقنية الري من نهري دجلة والفرات ، وكان «جوديا» ينتظر قدوم مياه الفيضـان بفـارغ الصبر .

ولكن كان يحدث احيانا ان يتأخر موعد حلول موسم الفيضان بعض الوقت عن زمن حدوثه الموسمي ، الذي يبدأ عادة في شهر آذار (مـارس) من كل عام . وعند ذلك لم يكن يهدأ لـ «جوديا» بال الى ان يأتي الفيضان بخيراته للشعـب . ولكي يأتي الخير كان «جوديا» يقدم الأضاحي والقرابين للآلهة ويشيد لها المعابد . ويقول في احدى كتاباته المنقوشة على ما يسمى بـ «اسطوانات البناء» المصنوعة من اللبن المشوي التي دفنها في اسس المعابد بمناسبة تشييدها[172] : **. . . . ولم ترتفع مياه الفيضات ، ولم تظهر في مدينتي كالمعتاد . ولم يسطع بريق الماء العالي ولـم نره . ولم يجلب فيضان النّيل الماء الخير العزيز كدجلة ، يجب أن يخبر الملك المعبد أي - نينّو بوجوب مراعاة تعلياته في السماء والأرض . . . .**

ولكن «جوديا» عاد الى مليكه الاله «نينجيرسو» ليستشيره بالأمـر ، وكانـت الفتوى صدور أمر الاله اليه ليبني معبدا باسمه ، وعندهـا وجـه «جـوديا» الأمـير **. . . . عينه إلى أي نيو صاحب الأقدار العظيمة ، وشكا جوديا هذا ، التي لاتُدرَك قرارة قلبه : اريد أن انطق الخير بهذه الكلمات ، أريد أن أطرحها ، أنا الراعي ، لقد قدمت السلطة هدية لي . أتاني عند منتصف الليل امر في الحلم ، لا أعرف معناه . أريد أن أقص حلمي لأمـي ، عسى أن تؤولـه لي مفسرة الأحـلام ، التـي تعـرف سريرتي ، وعسى ربتي نانشي أن تخبرني معناه . . . .** ولكن لا يمكن الوصول إلى «نانشي» التي تحب ركوب امواج النهر ومياه القناة ، لأن القناة جفـت مياههـا ، لذلك اسرع «جوديا» إلى الهه «نينجيرسو» راجيا أن يعلمـه ، إذا ما كانـت اختـه «نانشي» تريد السفر :

---

172) Thureau- Dangin, Die sumerischen und akkadischen Königsinschriften (Vorderasiatische Bibliothek, Bd. I, 1).

-) Moortgat, A., Geschichte Vorderasiens.., S. 275- 278.

. . . محارب ، حيوان كاسر لا مثيل له ، نينجيرسو ، انت الذي تحت الارض انت امير نيبّور ، محارب ، اي الأوامر يجب تنفيذها باخلاص ! يانينجيرسو ساشيد معبدك ، سأنفذ التعليمات ، اترغب اختك . . . الملكة المفسرة للأحلام لدى الآلهة ، أترغب الهتي نانشي في وضع قدمها في قاربها . . . وانتظر «جوديا» جواب «نينجيرسو» دون جدوى ، لذا توجه الى الربة «جاتوم ـ دوج» بالابتهال التالي :

. . . يامليكتي ، انت يا ابنة السماء الصافية ، يامن تنصحين الاتقياء ، انت يامن تحتلين المرتبة الأولى في السماء ، أنت يامن احييت الأرض ، انت الملكة الأم . يامن اسست لاجاش ، والشعب الذي تمنحينه نظرك يزخر بالقوة . والتقي الذي تنظرين اليه ستطول حياته . ليس لي أم أنت أمي ، ليس لي أب ، أنت أبي . . ولدتيني في المعبد . ياالهتي جاتوم ـ دوج أنت تعرفين كل المحاسن . . عندما أذهب الى مدينة نانشي ، يذهب امامي المقرب اليك أو ـ توكو ويقتفي اثري المقرب اليك لاماسو . اريد ان اتكلم خيرا ، سأنطق بهذه الكلمات ساقص حلمي الى امي ، أترغب مفسرة الأحلام بتأويله لي ؟ . .

ولما كان «جوديا» تقيا ورعا وحصر همه في خدمة الآلهة ، لذلك استجابت «جاتوم ـ دوج» لابتهاله وتمكن عندها ان يذهب الى «نانشي» ليقول لها :

. . . يانانشي انت يامكلة . . . ياسيدة الأحكام القيمة ، ياملكة ، التي كالّيل توزع الحظوظ يانانشي ، يامن أنت لي ، كلمتك موثوقة . . . أنت مفسرة الأحلام ، امرني في حلمي رجل تبلغ قامته السماء وتبلغ قامته الأرض ، وكما يظهر من تاج رأسه ، انه اله ، وكان الى جانبه الطائر الرباني الامدوجود ، وتحت قدميه اعاصير ، ويربض اسد الى يمينه ويساره امر ان ابني له بيته :

لم أعرفه ، ارتفعت الشمس من الأرض ، انها انثى ترى من هي ! من هو ليس هي !؟ تمسك باليد قرطاسا ، تحمل رقيم نجوم السماء الخيرة ، تحمل النصيحة بنفسها . وهناك رجل آخر كالمحارب يحمل في يده لوحا من الحجر الأزرق رسم مخطط بناء المعبد ، وكانت النقالة النظيفة امامي وضع فوقها الآجر . . . كان هناك حمار طريح الأرض الى يمين الملك . . .

واشفقت «نانشي» على حالة الأمير البائسة :

و . . . اجابت الأنزي امه نانشي : ياراعيّ سافسر لك حلمك . الرجل الذي تبلغ قامته السماء وتبلغ قامته الأرض ، وكان حسب رأسه الها والى جانبه الطائر الربّاني الأمد وجود ، وتحت اقدامه اعاصير والى يمينه ويساره اسد رابض ، انه اخي نينجيرسو ، هو الذي أمرك ان تبني بيته اي ـ نينّو . أما الشمس التي ارتفعت أمامك من الأرض فهو الهك الشفيع نينجيزّيدا ، الذي يرتفع كالشمس من الأرض . الانثى الفتية التي تحمل بيدها اداة الكتابة ورقيم النجم الطيب والتي تحوي النصيحة في ذاتها ، هي اختيَ نيسابا اوحت لك بالنجم الصافي ببناء المعبد . الرجل الثاني الذي يحمل لوحا من الحجر الأزرق في يده هو نين ـ دوب رسم مخطط المعبد . . . الحمار الطريح الى يمين مليكك هو انت وتستكين على الأرض في أي ـ نينّو . . . اطلب التنظيف من الخدم ، وستضع قدمك في حي جيرسو في بيت خزينته لاجاش ، انزع الأختام عن كنوزك ، اخرج الخشب منها ، اصنع عربة لمليكك وشدها الى الحمار زين هذه العربة بالمعادن النقية والحجارة الكريمة ، يجب ان تلمع السهام في المزودة كبيرق النهار . . . جهز بيرقه المحبوب واكتب اسمك عليه . ادخل قيثارته المحبوبة . . . آلة نصائحه الرنانة المشهورة الى المحارب ، الذي يحب الهبات ، الى مليكك السيد نينجيرسو . سيقبل منك كلماتك البسيطة كالكلمات الفخمة ، السيد الذي لا يدرك قراره ، ككبد السماء ، سيعطيك الرحمة نينجيرسو ابن الّيل . سوف يوحي لك بمخطط معبده المحارب ذو القرارات العظيمة سيباركك . . . كان الراعي الشرعي جوديا حكيماوحنى رأسه باجلال للكلمات التي لقنته اياها نانشي . . .

ونفذ «جوديا» جميع طلبات «نانشي» ، وانتظر اشارة البدء بالعمل من الاله «نينجيرسو» ، الذي لم يعطها الا بعد ان وجه اليه «جوديا» الابتهال التالي :

. . . يامليكي ، يانينجيرسو ، ايها السيد ، الذي يوقف المياه الصاخبة ، ايها السيد المقدس الذي خلق من الجبل الكبير[١٧٣] الشجاع ، الذي لايخاف ، يانينجيرسو اريد ان ابني لك معبدك . لم تعط لي الاشارة ، ايها البطل انت تنبىء بما تخلفه الأخطار ، ابن الّيل انا لا اعرف القصد من ذلك ، انك تصمد مرتفعا كاعماق البحر وامواجه العاتية وتنتصب صلدا كشجرة الـ «ادشو» وتزداد كالماء الفوار . . .

١٧٣) الجبل الكبير هنا كناية عن الاله «الّيل» .

وتجتاح اعداء البلاد كالاعصار ، يامليكي ، قلبك كالماء الفوار الذي لا يسترخي ، يابطل ، انت ككبد السماء ، لا قرارة له ، ياسيد نينجيرسو ، ياابن الّيل ، انا ماذا اعرف انا ؟

واخيرا اجاب «نينجيرسو» التالي :

... في اليوم الذي يضع فيه الراعي الشرعي جوديا يده الطاهرة على اي - نينّو على معبد مملكتي ، ستأتي ريح السماء بالأمطار ، ويأتيك بعدها الخير الفائض من السماء الذي يغمر البلاد . وعندها تقيم أساسات معبدي يأتي عندها الخير الزائد ، فلتنبت لك الحقول الفسيحة الغلال وليرتفع منسوب المياه في الأقنية والسواقي ، لتتفجر المياه من شقوق الأرض ، لتصب الزيوت بوفرة في الصيف وتزان الصفوف ! بزيادة كبيرة ! ... في اليوم الذي يضع فيه الانزي يده الطاهرة على معبدي ، سأضع قدمي على الجبال ، في المكان الذي يقطنه الاعصار ، من موطن الاعصار من الجبال من المكان الطاهر ، سأرسل لك الريح التي ستبعث نفس الحياة في البلاد ...

وجلب «جوديا» بعد هذا الرد من «نينجيرسو» البنائين من خارج البلاد لتشييد معبد الاله «نينجيرسو» . ويظهر انهم كانوا من «عيلام» اثر الحرب الوحيدة المعروفة حتى الآن التي شنها «جوديا» ضد دولة «انشان» (١٧٤) . وعاد ايضا محملا بالغنائم لمعبد الاله «نينجيرسو» ، ويقول «جوديا» بهذا الخصوص (١٧٥) :

... قدم العيلاميون من ارض عيلام وسكان سوسا من سوسا لبناء معبد نينجيرسو وارسلت ماجان وملّوحة الاخشاب من الجبال ... وجلب المرمر من جبل نيدانون والنحاس والحجارة لمعبد الاله من مناطق اخرى في جنوب شبه الجزيرة العربية .

وقبل البدء بالبناء اوعز الأمير «جوديا» بتنظيف المدينة من النفايات والأوساخ ، وقد شارك جميع سكان المدينة بأعمال التحضير لتشييد المبنى ، وكأن الجميع يهيئون انفسهم للاحتفال بقدوم عيد كبير . واثناء ذلك عقدت المحاكم

174) Gudea-Statue, B6, 6f.

175) Cylinder A 15, 6f.

جلساتها وطرد السحرة خارج المدينة واقيمت الصلوات الشعبية للآلهة وشيد المعبد وزين بالتماثيل واللوحات الجدارية المنقوشة بالمشاهد البارزة وانشيء داخله حوض الماء المقدس . واقيم بالقرب منه متنزه وحديقة كرمة وحوض سمك ووضعت في خزائنه الكنوز الثمينة . ولما انتهى تشييده ، دخله الناس وهم يرفعون التماثيل ابتهاجا بانجاز هذه المهمة المصيرية المقدسة .

وتصف لنا كتابة اخرى احتفال الاله «نينجيرسو» والربة «بابا» بعرسهما :

. . . طوال سبعة ايام تساوت الوصيفة مع سيدتها وسار العبد مع سيده جنبا الى جنب ، جلس الأقوياء والضعفاء في المدينة جنبا الى جنب ، تحولت الكلمات السيئة على لسان البذيء الى كلمات طيبة وابعدت الشرور عن المعبد . . . لم يعتد الغني على اليتيم . . . لقد شعت الشمس عدالة .

أهم مخلفات «جوديا» على صعيد النحت :

تعتبر ما تسمى بـ «تماثيل اسس البناء» من بين أهم المخلفات المادية الفنية التي وصلتنا من عهد «جوديا» . وكما هو واضح من اسمها فهي عبارة عن تماثيل صغيرة صنع غالبها من المعدن [١٧٦] . ويرينا التمثال المصور على اللوحة ١٣ احد نماذجها . وهو عبارة عن تمثال اله يحمل بيده «شكلا اسطوانيا» وكأنه يهم بوضعه في احد اساسات احد الأبنية ايذانا ببدء العمل . وتحمل «الاسطوانة» نقش كتابة نذرية تتضمن اسم المعبد والحاكم . ويبلغ ارتفاع هذا التمثال ٢٠ سم وعثر عليه في مدينة «تللو ـ لاجاش» وهو محفوظ حاليا في متحف اللوفر .

وقد وصلنا ايضا من مدينة «تللو ـ لاجاش» تمثال يجسد الأمير «جوديا» في وضع الجلوس [١٧٧] (اللوحة ١٤) وهو منحوت من حجر الديوريت بارتفاع ٤٥ سم ومحفوظ حاليا في متحف «اللوفر» . ونشاهد على التمثال كتابة نذرية تتضمن ذكر تقديمه للاله «نينجيرسو» ، وقد ورد ايضا في الكتابة . . . **منحت الحياة الى جوديا مشيد المعبد . . .**

---

176) Moortgat, A., Die Kunst des alten Mesopotamien, Tf. 160.

177) Cros, G. Nouvelles Fouilles de Tello, 1910, PL.I; Zervos Mesopotamie, 195; Parrot, A., Tello, PL.XV a.

٣ ـ اور ـ نينجيرسو ونهاية حكم سلالة جوديا :

لقد خلف «اور ـ نينجيرسو» اباه «جـوديا» على العـرش وحـكم حتـى عام ١٩٨٦ق.م.. وبوفاته انتهى حكم سلالة «جوديا» . وقد وصلنا من عهد هذا الأمير تماثيل له رائعة في فن نحتها ، وهي من حجر الرخام ونقش على بعضهـا كتابـات نذرية (اللوحة ١٥) (١٧٨) .

رابعا ـ انتعاش «عيلام» وزوال عصر اليقظة السومرية (٢٠٣٢ ـ ١٩٥٠ق.م.)

أ ـ انتعاش عيلام :

كان الملوك الأكّاديون والسومريون يعتبرون عيلام احدى الامارات التابعـة لممالكهم القوية ولذلك اجبروا امراء المدن العيلامية للخضوع لسلطانهم . ونتيجة لهذا الضغط لاعجب ان يحاول امراء المدن العيلامية اغتنام كل فرصة ضعف تمر بها هذه الممالك لتنهض ضدها. ويعتبر المدعو «بوزور ـ شوشيناك» (١٧٩) اقـدم هؤلاء الحكام العيلاميين الذين وصلتنا اخبارهم منذ تأسيس المملكة الأكّادية . وقد اغتنم هذا العيلامي فرصة ضعف الامبراطورية الأكّادية في اواخر عهدها ثم انهيارها على يد «الجوتيين» واطلق على نفسه لقب باتيزي وحاكم عيلام .

ووصلنا من عهد هذا الحاكم تماثيل صغيرة وقد نقش على بعضها نصـوص بالعيلامية المحلية حيث تذكر نشاطـه المعماري (١٨٠) (اللوحـة ١٦) . ويرينـا هذا التمثال بارتفاعه البالغ ٥٧ سم احد الآلهة وبيده اسطوانة يهم بوضعها في اساس احد الأبنية ، وهو من الحجر الكلسي وعثر عليه في مدينة «سوسا» ومحفوظ حاليا في متحف اللوفر . ويشبه من حيث الموضوع ما تسمى بـ «تماثيل اسس البناء» من عهد الأمير السومري «جوديا» .

---

178) Moortgat, A. op. cit. Tf. 175- 176; parrot, A., Sumer, Abb. 68- 69.

179) Scheil, V., Délegation en Perse .

180) Moortgat, A., Die Kunst des alten Mesopotamien, Tf. 158.

لقد وسع هذا الحاكم مناطق نفوذه باتجاه الغرب حيث ضم مقاطعة «سوّان» لسلطانه وسمى نفسه «ملك سوّان» واستخدم في تأريخاته تقويمه المحلي بقوله مثلا : . . . **عندما نظر اليه (الاله) شوشيناك واعطاه اجزاء العالم الأربعة** . . . غير ان ممالك بلاد مابين النهرين استعادت سيطرتها من جديد على عيلام في عهد «شولجي» و «جوديا» ، وانخفضت اثر ذلك مرتبة خلفاء «بوزور ـ شوشيناك» واصبحوا يكتفون بلقب **باتيزي سوسا** .

ومن أقدم خلفاء «بوزور ـ شوشيناك» الذين وصلتنا اخبارهم هو الحاكم «ادادو» ، وقد ورد في نص منقوش على حوض ماء ان هذا الحاكم **سوّر مدينة سوسا بجدار حصين وجمّل ابنيتها** (١٨١) . ولكن «شولجي» قام بعد وفاة هذا الحاكم بالهجوم على عيلام ودمر مدنها وخضعت ثانية للنفوذ السومري حتى عصر ضعف سلطة سلالة «اورنامّو» وانحلالها في ظل ضربات الشعوب والقبائل المجاورة وخاصة العمورّية في الغرب والعيلامية من الشرق .

ب ـ انهيار سلطة سلالة «اورنامّو» :

لقد ادرك خلفاء «شولجي» هول الأخطار التي اخذت تتهدد مملكتهم على الصعيدين الخارجي والداخلي ، مما دفع باحدهم وهو «شو ـ سن» لان يقيم «سورا» في الغرب للحد من اتساع الهجمات العمورّية على أراضي مملكته اطلق عليه اسم **جدار الاله عمورّو** (١٨٢) . ولكن تعاظم الخطر العمورّي داخل ارض سومر نفسها قد سهل على العمورّيين في الغرب عمليات اختراق هذا الجدار (١٨٣) . حيث اشتد تدفق قبائلهم وتوضعها في أواسط وجنوب بلاد مابين النهرين . كذلك تحرك العيلاميون في الشرق ضد سلالة «اور» الجديدة وزادوا من ضغطهم العسكري على نفوذها واخترقوا حدود ارض سومر الأصلية ووقع الملك السومري «ابيّ ـ سن» اسيرا في يد العيلاميين ، الذين اقتادوه اسيرا الى العاصمة العيلامية «سوسا» (١٨٤) .

181) Thurean- Dangin, Die sumerischen und akkadischen Königsinschriften, S. 180.

182) Janneau, Dynastie Chaldéen, P. 80, ZA, 25, S. 207.

١٨٣) لم يكن المقصود جدارا حقيقيا وانما نقاط حراسة على طول الحدود السومرية ـ العمورّية في الغرب .

184) Meissner, B., in OLZ X, 114, 1.

وهكذا زالت السلطة الحاكمة التي ضبطت شؤ ون بلاد مابين النهرين لمدة قاربت قرنا من الزمن ، واصبح الخليط البشري الجديد في وسط البلاد وجنوبها المؤلف من «العموريين» واسلافهم «الأكاديين» من جهة والعيلاميين من جهة اخرى في صراع مستمر من اجل السيطرة على كافة انحاء بلاد مابين النهرين .

خامسا ـ سلالتا اي ـ سن ولارسا وبداية الصراع العموري ـ العيلامي

أ ـ مدينة اي ـ سن :

كانت مدينة «اي ـ سن» باتيزية خاضعة لنفوذ مملكة «اور» الجديدة ، ويعود مؤسس حكم سلالتها المدعو «اشبي ـ ارّا» (١٩٥٩ ـ ١٩٢٧ق.م.) الى اصل عموري من مدينة «ماري» . ثم خلفه في الحكم اربعة ملوك هم على التوالي :

«شو ـ ايليشو» (١٩٢٦ ـ ١٩١٧) و «ادّين ـ داجان» (١٩١٦ ـ ١٨٩٦ق.م.) و«اشمي ـ داجان» (١٨٩٥ ـ ١٨٧٦ق.م.) و «ليبيت ـ عشتار» (١٨٧٥ ـ ١٨٦٥ق.م.) .

وكانت علاقات هؤلاء الملوك بمعابد مدن «سومر» و «أكّاد» قوية وحسنة ، بدليل انهم كانوا يطلقون على انفسهم لقب راعي اله نيبّور التقي . ولكن موجة التخريب التي شهدتها البلاد على يد العموريين من الغرب ومن البدو والعيلاميين الناقمين ، الذين كثر عددهم في البلاد قوضت دعائم السلام ، التي كانت تقوم عليها هذه العلاقات .

ب ـ مدينة لارسا :

وفي نفس الوقت الذي سيطر فيه «اشبي ـ ارّا» على مقاليد الحكم في مدينة «اي ـ سن» ، تسلمت سلالة اخرى الحكم في مدينة «لارسا» بزعامة المدعو «نابلانوم» (١٩٦٠ ـ ١٩٤٠ق.م.) . وأعقبه على العرش «اميسوم» (١٩٣٩ ـ ١٩١٢ق.م.) و «ساموم» (١٩١١ ـ ١٨٧٧ق.م.) و «زابا ـ آ» (١٨٧٦ ـ ١٨٦٨ق.م.) و «جونجونوم» (١٨٦٧ ـ ١٨٤١ق.م.) .

ج ـ الفوضى السياسية في «اي ـ سن» و «لارسا» :

وقبل ان تتبلور اقطاب الصراع الرئيسة في بلاد مابين النهرين بشكل واضح ، انهار حكم سلالة «اشبي ـ ارّا» في «اي ـ سن» ، التي استلمت فيها السلطة سلالة اخرى . وقد وصلنا اثنان من اسماء ملوكها هما : «اور ـ نينورتا» (١٨٦٤ ـ ١٨٣٧ق.م.) وابنه «بور ـ سن» (١٨٣٦ ـ ١٨١٦ق.م.) . وفقدت مدينة «اي ـ سن» في عهد هذه السلالة السيطرة على مدينة «اوروك» لصالح سلالة جديدة كان من بين ملوكها «سن ـ جاشيد» و «سن ـ جيميل» اللذان لقبا نفسيهما ايضا بـ «ملك اوروك» . وفي هذه الظروف مات ملك «اي ـ سن» «بور ـ سن» وخلفه على العرش «ليبيت انليل» (١٨١٥ ـ ١٨١١ق.م.) ثم «ارّا ـ اميتّي» الذي خلفه في الحكم الملك المشهور «انليل ـ باني» (١٨٠٣ ـ ١٧٨٠ق.م.) .

وتعرضت ايضا مدينة «لارسا» في تلك الأوقات لهزات سياسية عنيفة شبيهة بتلك التي عرفتها «اي ـ سن» ، بسبب الصراع الداخلي الذي دار بين زعمائها طمعا بالسلطة واستمر هذا الصراع الى ان ظهر فيها الملك «سن ـ ادّينام» (١٧٨٤ ـ ١٧٧٩ق.م.) ابن «نور ـ حدد» . ونعلم من خلال بعض الكتابات ان هذا الملك قام بنشاط معماري وانشائي واسع في المنطقة ، التي بقي يسيطر عليها حتى سقوط «لارسا» في ايدي الغزاة العيلاميين . وبالمقابل ازدهرت مدينة «بابل» التي شكلت المركز الرئيسي للعمورّيين ، وتعاظم نفوذها في المنطقة السومرية نفسها ، حيث ضعفت امامها سلطة مدينتي «اي ـ سن» و «اوروك» .

د ـ بداية الصراع بين العيلاميين والعمورّيين :

لم ينطلق العيلاميون الآن الى مابين النهرين من جنوب الهضبة الايرانية ، كما فعلوا خلال غاراتهم السابقة ، وانما قدموا هذه المرة من شمال المنطقة التي اعتدنا ان نسميها «عيلام» . وتعرف في الكتابات القديمة باسم «يامـوت ـ بال» [١٨٥] ، وتقع الى الشرق من نهر دجلة والفت جزءا من غرب ما يسمى بـ «لورستان» .

لقد غزا احد الامراء «العمورّيين» المدعو «ريم ـ آنوم» [١٨٦] منطقة «ياموت ـ

185) Smith, G. Discoveries, 1815, P. 79f. III, 29.

186) Lindl, Beiträge zur Assyriologie, IX, 121 ff.

بال» . ولكن لا نعرف شيئا ـ حتى الآن ـ عن مركز انطلاقه ولا اسم عاصمته وعلاقته بمدينة «بابل» سوى ان سلطته شملت منطقة «ياموت ـ بال» وقسما من بلاد مابين النهرين وان معاصريه من ملوك «اي ـ سن» اصبحوا تابعين له . وقد وصلتنا كتابة من عهد الملك العيلامي «كودور ـ مابوك» ابن «سيمتي ـ شيلخاك» (١٨٧) ، ذكر فيها هذا الملك انه انتقم من معبد «ابرا» في «لارسا» واحتل المدينة ومنطقة ياموت ـ بال والحق الهزيمة بجيش «كاسالّو» و «موتي ـ بال» . ويدلنا هذا على ان المدعو «موتي ـ بال» كان يحكم «كاسالو» وغزا «لارسا» وانهى حكم سلالتها اثر ممات «سن ـ ادّينام» . وعندها نصب «كودور ـ مابوك» ابنه «واراد ـ سن» (١٧٧٠ ـ ١٧٥٩ق.م.) حاكما على «لارسا» ، ثم خلفه اخوه «ريم ـ سن» (١٧٥٨ ـ ١٦٩٨ق.م.)

واطلق «واراد ـ سن» على نفسه لقب ملك لارسا وملك سومر وأكّاد وشيد عددا كبيرا من المعابد ورمم المتداعي منها تكريما لوالده «كودور ـ مابوك» وتخليدا لاسمه ، كما انه سور «اور» بجدار حصين تكريما للاله «سن» وبنى معبدا في مدينة «لاجاش» ونذره للاله «نينجيرسو» . ثم كرّم الربة «عشتار» عندما شيد برجا باسمها في مدينة عرفت باسم «نجلاب» ، ويقول في احدى الكتابات ان الاله «انليل» قد نطق باسمه في «نيبّور» . ويشير ذلك كله الى ان العيلاميين اعتبروا انفسهم وكأنهم الخلفاء الشرعيون للملوك الأقوياء السابقين من السومريين والأكّاديين .

وتبوأ «ريم ـ سن» العرش وهو في مقتبل العمر بعد وفاة اخيه (١٨٨) ، وامتدت فترة حكمه الأولى ستة وثلاثين عاما . واثناء ذلك كانت سلالة «اي ـ سن» الأخيرة لم تزل تحكم المدينة وسلالة اخرى تسيطر على «اوروك» . وأمّا العموريون في «بابل» فكانوا قد وسعوا حدود مناطق نفوذهم باتجاه الجنوب بقيادة احدى السلالات العمورّية الحاكمة في هذه المدينة .

ويذكر الملك «ريم ـ سن» عن نشاطاته انه شيد معبدا في مدينة «اوروك»

187) Thureau- Dangin, RA IX, 121 ff.

-) Deilitzsch, F. MDOG 5, 17f.

188) Thureau- Dangin, Die sumerischen und akkadischen Königsinschriften, S. 216 ff.

وهذا برهان يؤكد انه حطم سلطة سلالة «اوروك» وضم العاصمة السومرية القديمة الى مناطق نفوذه (١٨٩) . وانتصر ايضـا في حروب اخـرى في الجنـوب ضد مدينـة «اور» ، وقد اشار الى ذلك في تأريخ له يقول : **في السنة التي انتصرت فيها على اور بحد السيف** . ولم يقف الملك العيلامي الطموح عند هذا الحد ، وانما احتل مدينة «اي - سن» وانهى حكم آخر سلالة ملكية فيها. وهنـا لابـد ان تكون الحـرب قد نشبت بين ملك مدينة «بابل» العموري «سن - موبلّيط» ، الذي حكم من ١٧٤٨ - ١٧٢٩ق.م. وبين الغازي العيلامي بالرغم من عدم وجود نص صريح بين ايدينا يؤكد ذلك .

وقد كنّا ذكرنا ان العموريين قد تسربوا الى ارض «سومر» و «أكّاد» تارة سلما واخرى حربا ، واصطحبوا معهم طقوس عبادة آلهتهم الخاصة ، التي تبوأت فيا بعد مكانا رفيعا في المجمع الرباني السومري . وسادت لهجتهم «العمورّية» وخاصة اسماء العلم منها الأوساط الرسمية السومرية ، حتى ان بعض ملوك سلالة «اور» الجديدة قد حملوا اسماء «عمورّية» . واقتبس الرسميون «العيلاميون» في بلاد مابين النهرين ايضا بعض هذه الأسماء ، بدليل ان اسمـي الملـكين العيلاميين «واراد - سن» و «ريم - سن» عمورّيان خالصان . ولو انطلقنا في الحكم على اصل هذين الملكين من خلال اسميهما لاعتبرناه أكّاديا أو عمورّيا . ويدلنا ذلك كلـه على ان العمورّيين قد اصبحوا يشكلون في بلاد مابـين النهـرين قوة شعبية وثقـافية كبيرة جدا . وقد مكنتهم هذه القوة خلال عصر انفصال «لارسـا» عن «اي - سن» من تأسيس مملكة جديدة خاصة بهم في مدينة «بابل» بقيادة احد امرائهم المدعو «سومو - آبوم» (١٨٣٠ - ١٨١٧ق.م.) وقد اصبح هذا الأمير الجد الأكبر للسلالة الحاكمة في الدولة البابلية القديمة (١٩٠) .

---

189) OLZ X, 292.

190) Ranke, H., Die Personennamen in den Urkunden der Hammurapidynastie , 1902. (Early Babylonian Personalnames, 1905, Bab. Exped. Series D. III).

-) Ranke, H., Babylonian Legal and busness documents from the first dynasty. chiefly from Sippar, (Bab. Expedition, VI, 1 and B. VI. 2 Doc. chiefly from Nippur).

ونستخلص من بعض المخلفات المادية المكتوبة من عصر «سومو - آبوم» ان اهمية هذا الحاكم السياسية والعسكرية ضعيفة ومحدودة ، بدليل انه لم يؤ رخ احداث سني حكمه الأولى الا بناء على مناسبات خاصة شيد فيها بعض المعابد في المدينة الوحيدة الأخرى التابعة له وهي مدينة «اور» . وقد حاول خلال المرحلة الثانية من حكمه ان يبسط نفوذه على كافة مناطق الأرض الأكّادية ، ولكنه لم يوفق الا في ضم مدينتي «كيش» و «ديلبات» (=الديلم الى الجنوب من بابل) ، وذلك بسبب المقاومة العنيفة التي جابهه بها امير مملكة «آشور» المدعو «ايلو - شوما» (١٩١) .

ويعتبر «سومولا - ايلو» خليفة مؤسسة المملكة البابلية (١٨١٦ - ١٧٨١ق.م.) المؤسس الفعلي لحكم السلالة البابلية القديمة . وفي عهده بدأت شهرة الاله «مردوك» تغزو آفاق المناطق الخاضعة لهذه المملكة الفتية . وقد كرس هذا الملك معظم وقته خلال الفترة الأولى من حكمه من أجل اقامة ابنية المعابد باسم كبار آلهة المملكة مثل «مردوك» و «عشتار» . وشقت في عهده أقنية ري جديدة واعيد تنظيم الشبكات القائمة منها . واما خلال المرحلة الثانية والأخيرة من فترة حكمه فقد انصرف لتصفية الحساب مع دول المدن ، التي اغتنمت فرصة وفاة «سومو - آبوم» واعلنت الانفصال عن «بابل» . لقد شن حملة تأديبية خلال السنة الثالثة عشرة من حكمه على مدينة «كيش» ، وبذلك بسطت «بابل» لأول مرة نفوذها على كامل المنطقة الأكّادية . ثم اعاد في السنة التاسعة والعشرين من حكمه بناء اسوار المدن التي تعرضت للتخريب والدمار مثل مدينة «سيبّار» (١٩٢) . وقد دفعت شهرة هذا الملك الملوك البابليين اللاحقين للاقتداء باعماله العسكرية والسياسية كما انهم - وفي مقدمتهم الملك الشهير حمّورابي - اعادوا نسبهم اليه بدلا من الجد الأكبر للسلالة «سومو - آبوم» .

وخلفه على العرش بعد وفاته الملك «سابوم» (١٧٨٠ - ١٧٦٧ق.م.) ثم الملك «اويل - سن» (١٧٦٦ - ١٧٤٩ق.م.) واخيرا الملك «سن - موبلّيط»

---

191) King, L.W. Letters and Inscriptions of Hammurapi, Vol. 3, 1900.

-) King, L. W., Chronicles concerning early Babylonian Kings, vol. 2, 1907.

192) King, L. W., Hammurapi, III, 205.

(١٧٤٨ - ١٧٢٩ق.م.) ، الذي بدأ الصراع المسلح ضد العيلاميين في بلاد مابين النهرين .

سادسا - المملكة الآشورية القديمة

اصبح يطلق اسم الآشوريين على سكان مدينة لم تزل اطلالها تقع في المنطقة الجبلية المحصورة بين نهري الزاب الأعلى والأسفل ، وتذكرها الكتابات القديمة باسم «اشور» .

وتبين لنا الرسوم والنقوش التي خلفها الآشوريون لأشخاصهم أنهم كانوا يشكلون خليطا من البؤر البشرية المحلية في بلاد مابين النهرين ومن البؤ ر البشرية التي تعود باصولها الى الأرض الأرمينية . ولكن الآشوريين لم يعترفوا الا باصلهم المحلي . ويؤكد ذلك المؤسس الفعلي للامبراطورية الآشورية الحديثة الملك «اسار - حدّون» ، بقوله ان آباءه وأجداده يعودون في أصلهم الى «انليل - باني» بن «او - آسي» ، وهذا الأخير اسم يعود الى لهجة محلية يطلق عليها خطأ اسم «السامية» [١٩٣] .

وكان يطلق على اله الآشوريين القومي ايضا اسم «آشور» ، الذي لعب خلال عصور ازدهار الدولة الآشورية الحديثة دورا كبيرا في بث الروح القومية في نفوس الجنود الآشوريين اثناء عملياتهم العسكرية لتوسيع مناطق النفوذ الآشورية وبناء الامبراطورية المترامية الأطراف . وعبد الآشوريون ايضا الى جانب الههم القومي الربة «عشتار» والربين «آنو» و «حدد» ، وقد عرفنا هذه الآلهة ايضا لدى «الأكّاديين» و «العموريّين» . ويعتبر هذا ايضا دليل قوي على الوحدة الدينية التي كانت تجمع البؤر البشرية الأصلية في بلاد مابين النهرين وبلاد الشام .

وقد كان الأمراء الآشوريون المبكّرين تابعين للامبراطورية الأكّادية ،

---

193) Smith, AE, 1839, 93.

-) Bezold, Babylonische und assyrische Literatur, S. 107.

- انظر أيضاً ، توفيق سليمان : نقد النظرية السامية الجزء الأول ، دار دمشق للطباعة والنشر ١٩٨٢ م - دمشق .

واطلقوا على انفسهم لقب «باتيزي» ، شأنهم في ذلك شأن امراء «عيلام» وامـراء مدن اخرى من مناطق غرب آسية ، وكانوا احيانا يكتفون ايضا باللقب المفضـل لديهم وهو «كاهن ـ آشور» . ومن ناحية اخرى فقد اغتنموا كغيرهم من الأمـراء التابعين اية فرصة ضعف مرّت بها الامبراطورية الأكّادية ليعلنوا الانفصـال عنهـا وليبدأوا بالتوسع . ولكن قيام سلالة «اور الجديدة» كقوة سياسية وعسكرية في بلاد مابين النهرين وضع حدا لتطلعاتهم التوسعية . ثم انتعشوا مرة اخرى بعد انهيار سلطة «سلالة اور الجديدة» وخلال الفوضى السياسية التي عمت أواسط وجنـوب بلاد مابين النهرين .

ويرقى تاريخ المعلومات التي وصلتنا حول مايسمى **السلالة الآشورية الأولى** الى هذه الحقب المظلمة المضطربة من تاريخ المملكة الآشورية . وتـذكر القوائـم الملكية الآشورية من عصور متأخرة ان حوالي اثنين وثلاثين ملكا قد حكموا في آشور قبل ان تتسلم هذه السلالة الأولى الحكم في هذه المدينة .

وقد وسع مؤسس هذه السلالة المدعو «بوزور ـ اشور» الأول مناطق نفوذه سرحلة بعد اخرى الى ان شملت ايضا مدنا صغيرة في بلاد اشور نفسها وكانت تتبع نفوذ سلالة «اور» الجديدة . وخلفه بعد مماته ابنه «شالوم ـ اخوم» ، الذي استهلك كل وقته للحفاظ على تركة والده له . ثم اعتلى العرش «ايلو ـ شومـا» (١٨٥٥ ـ ١٨٢٥ق.م.) الذي اصطدم عسكريا مع مؤسس المملكة البابلية القديمة (راجـع ايضا ص ١٦٠) . ولم يصلنا حول مجرى احداث هذا الصدام ونتائجه اي خبـر سوى ان سلالة «اشور» الأولى استمرت في حكم «اشور» . وربما يجوز لنا ان نعتبر ذلك دليلا على ان الملك الآشوري قد صمد في هذه الحرب بل انه ربما انتصر فيها ايضا ، كما يذكر في احدى كتاباته»

وحكم في اشور بعد وفاة «ايلو ـ شوما» ثلاثة ملوك هم على التوالي : «اري ـ شوم» و «ايكونوم» واخيرا الملك الشهير المعروف باسم «شارّوكين» الأول (=الملك العظيم أو الكبير) ، أو «سرجون» الآشوري (تمييزا عن سرجون الأكّادي) .

ويعتبر هذا الملك الأخير اشهر ملوك السلالـة الآشـورية الأولى ، وأصبـح ملوك «اشور» اللاحقون يقدسونه لدرجة انهم وضعوه في مصاف الآلهة ، تماما كما

فعل الأكّاديون بالنسبة لملكهم «سرجون» . وقد ضعفت السلطة الآشورية خلال عهود خلفائه الذين كانوا ؛ «بوزور ـ اشور» الثاني ، و «نارام ـ سن» و «اري ـ شوم» الثاني (١٧٥٠ ـ ؟ق.م.) وكان اشهرهم وبنفس الوقت آخرهم هو المدعو «شمشي ـ حدد» الأول (١٧٤٩ ـ ١٧١٧ق.م.) الذي لاقى هزيمة نكراء على يد الملك البابلي «حمّورابي» واصبحت اشور مقاطعة تابعة لاراضي المملكة البابلية .

وادرك الآشوريون منذ تأسيس مملكتهم ، انه من الصعب عليهم ان يتوسعوا باتجاه الجنوب ، مادامت تقوم في اواسط وجنوب بلاد مابين النهرين ممالك قوية تحول بينهم وبين تحقيقهم تطلعاتهم التوسعية . ولذلك رنوا باعينهم الى داخل آسية الصغرى وتوغلوا في داخلها خلال القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد وأسسوا لانفسهم مستوطنات تجارية في المنطقة المعروفة باسم «كبادوكيا» . وقد عثر في احدى هذه المستوطنات وهي «كل تبة» على اعداد ضخمة من الرقم الطينية المنقوشة بالخط المسماري واللغة البابلية القديمة . واكتشف الى جانب هذه الثروة من الوثائق المكتوبة عدد ضخم من الأختام الاسطوانية [١٩٤] . ويدور مضمون القسم الأعظم من هذه النصوص حول الأمور الاقتصادية العديدة وخاصة التجارية منها [١٩٥] ، ويتألف معظم أسماء العلم التي ترد فيها من «اشير» و «اشور» .

وكانت هذه المنطقة خاضعة للحكم الآشوري ، بل ان الآشوريين كانوا يعتبرونها جزءا من أراضيهم ، اذ كان سكانها في صلة وثيقة دائمة مع الوطن الأم ومع أرض «أكّاد» و «بابل» . لذلك ليس عجبا ان يكون السبب المباشر الذي دفع «سرجون» للزحف ضد مناطق اواسط آسية الصغرى هو نجدة الآشوريين ضد القبائل المحلية (راجع ايضا ص ١٢٤) .

سابعا ـ مملكة ماري وبعض مخلفاتها الفنية

بدأت بعثة فرنسية للتنقيب عن الآثار منذ مطلع الثلاثينات من هذا القرن

194) Ward, The Seal cylindres of western Asia, P. 310-312.

195) Pinches, The cappadocian Tablets of Liverpool (Annals of Archaeology), Liverpool, I, 49ff. with Pl 17 ff

--) Thureau-Dangin, RA, VIII, 135 ff.

اعمال تنقيب اثرية في مدينة «ماري» (= تل الحريري) ، وقد عثر خلال اعمال التنقيب على مجموعة كبيرة من الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري واللغة البابلية زاد عددها على عشرين الفا . وتتألف هذه المجموعة الوثائقية الضخمة ايضا من رسائل ديبلوماسية لملوك «ماري» مع رؤساء ممالك اخرى في سورية وبلاد مابين النهرين .

أ ـ اشهر ملوك ماري :

١ ـ اي ـ اجيتليم :

وهو اقدم حاكم في ماري معروف لدينا حتى الآن . وكان معاصرا للملك العيلامي «كودور ـ مابوك» (حوالي ١٧٧٠ ق.م.) ثم خلفه على العرش ابنه :

٢ ـ اي ـ اخدونليم :

وقد عاصر الملك الآشوري «شمشي ـ حدد» الأول (١٧٤٩ ـ ١٧١٧ق.م.). وقد القت نتائج موسم اعمال التنقيب في عام ١٩٥٣ (في ماري) ضوءا جديدا على بعض جوانب الوضع السياسي والديبلوماسي في عهد الملك «اي ـ اخدونليم» :

لقد عثر خلال هذا الموسم على تسع قطع من الطوب مربعة الشكل طول ضلع كل منها ٤١ سم . وكان هذا الملك قد امر بنقش كتابة عليها ثم دفنها في أساسات معبد الاله «شمش» في مدينة «ماري». ويروي الملك في أحد مقاطع هذه الكتابة قصة حملته العسكرية نحو الغرب ، التي وصل بها حتى شواطىء البحر المتوسط : **. . . منذ الأيام الغابرة ، عندما شيد الاله مدينة ماري ، لم يبلغ ملك قط في ماري البحر ولم يغز جبال الأرز والأدغال ، الجبال العالية ، ولم يقطع اشجارها . اي ـ اخدونليم ابن اي ـ أجيتليم الملك القوي ، الثور البري بين الملوك ، زحف بقوة وعزم حتى وصل حدود البحر . وقدم اضاحيه الملكية الكبيرة للمحيط ، واغتسل جنوده في وسطه . وتوغل في جبال الأرز والأدغال ، وقطع اشجار الأرز واشجار . . . ودمر (البلاد) تدميرا شاملا ، وجعل اسمه شهيرا ، واظهر قوته واذل البلاد على حدود المحيط واخضعها لسلطانه وجعلها تابعة له**

وفرض عليها اتاوة دائمة ، وجلبت اليه الأتاوة» [١٩٦] .

وقد ورد في هذه الكتابة ايضا انه قاد حملة تأديبية اخرى ضد امراء ممالك اواسط الفرات ، ووقف الى جانبه خلالها ملك «يمخد» (= مملكة حلب) المدعو «سومو ـ ابوخ» .

ب ـ الحرب بين أي ـ اخدونليم وشمشي ـ حدد :

ولم يرد أي ذكر في هذه الكتابة للحرب التي نشبت بين ملك «ماري» هذا وبين ملك آشور» شمشي ـ حدد» الأول . وهذا يدلنا على ان النزاع المسلح بين الملكين قد حصل اثر حملة ملك «ماري» ضد ممالك اواسط الفرات . ولابد ان يكون توسيع الملك لنفوذه وتدعيمه لسلطته في مناطق اواسط الفرات قد شكل السبب المباشر لاندلاع نار الحرب بينه وبين الملك الآشوري ، الذي رأى في عمل ملك «ماري» تحديا لنفوذه في هذه المناطق ، ولذلك اعلن عليه الحرب . ولا نعرف ـ حتى الآن ـ شيئا عن تفاصيل هذه الحرب ، التي فقد ملك ماري في نهايتها عرشه ونصب الملك الآشوري ابنه «يسمخ ـ حدد» نائبا له على عرش «ماري» . واما ابن «اي ـ اخدونليم» المدعو «زيمريليم» فقد التجأ الى حلب عاصمة مملكة «يمخد» طلبا لنجدة ملكها «يريمليم» .

ج ـ الحلف بين شمشي ـ حدد الأول وبين ملك قطْنا :

لقد ادرك «شمشي ـ حدد» الأول الأخطار التي ستنتج عن لجوء ولي عهد ماري «زيمريليم» الى مملكة «يمخد» المجاورة لحدود مملكته من الغرب ودعمها له لاستعادة عرشه المغتصب . ولذلك فتش عن حليف له في أواسط سورية ليكون عونا له ضد مملكة «يمخد» وحلفها مع «زيمريليم» . وكان هذا الحليف هو ملك مملكة «قطْنا» (تل المشرفة) التي تقع اطلالها الى الشمال الشرقي من مدينة حمص الحالية (راجع ايضا ص ٣١٨ و ٣٤٤). وكبرهان عن حسن نية الطرفين المتحالفين تزوج «يسمخ ـ حدد» بناء على رغبة والده «شمشي ـ حدد» ، ابنة ملك «قطْنا» . ولكن لم يمض وقت طويل على هذه المصاهرة، حتى بدأ النزاع بين الزوجين، لأن

196) Dossin, G., Syria, 32, B. 13f (I 34- 1112), 1955.

الزواج لم يتم برغبة الابن . ولم يرتح الأب لهذا النـزاع العـائلي الـذي سيسيء للعلاقات السياسية الطيبة والحلف القائم بين المملكتـين . والـدليل على ذلك ان «شمشي ـ حدد» قد ارسل الى ابنه رسائل عدة يحذره فيها من النتائج السيئة ، التي تترتب عن سوء معاملته لابنة حليفه ملك «قطْنا» وقد جاء في احد هذه الكتب :

. . . الم يسمح الملوك السابقون لنسائهم بالعيش في القصور ؟ امـا انـت فترغب ان تسكن ابنة اشبي ـ حدد في البادية ؟ وسيسمع والدها بالأمر ، وسوف لن يرتاح فؤاده لذلك ، وهذا لايجوز ابدا . وهناك غرف كثيرة في قصر النخيل ، يجب ان تختار لها غرفة من بينها وأن يسمح لها بالسكن فيها ، اما في البادية فلا تدعها تسكن قطعا[197] .

د ـ زيمريليم يستعيد عرشه :

لقد رأى «يريمليم» ملك يمخد ، ان الحلف الذي ربط بين الملك الآشوري وبين ملك «قطْنا» يشكل خطرا كبيرا يهدد مملكته بالزوال ، لذلك زاد من دعمه لولي عهد «ماري» الشرعي «زيمـريليم» الى ان مكنـه اخـيرا من تجهيز جيش قوي قاده «زيمريليم» بنفسه الى «ماري» واسترد عرشه الضائع .

هـ ـ بعض مخلفات مملكة ماري الفنية :

اكتشف خلال اعمال التنقيب عن الآثار في «ماري» بالاضافة الى العدد الهائل من الرقم الطينية ايضا اساسات مايسمى «قصر زيمريليم» ، الذي كان بحـق من أجمل واضخم القصور التي شيدت خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد في غرب آسية القديمة (اللوحة رقم ١٧) . وقد كانت الواجهات الداخلية لجدران قاعة العرش في هذا القصر مزينة برسوم مشاهد ملونة استقيت مواضيعها من العالم الديني للعمورّيين في شمال شرق سورية (اللوحة رقم ١٨) . وهي تحتـل مكانـة بارزة في دراسة تطور تاريخ الفن في غرب آسية القديمة .

---

197) Dossin, G., Bulletin Académie royal de Belgique, 1954, P 421f.

ثامنا ـ امارات صغيرة متفرقة محلية اصلية وغربية

عندما تعرضنا لبحث الحقب المبكرة من تاريخ بلاد مابين النهرين ، ذكرنا ان شعوبا وقبائل كانت تحاول الاستقرار وتأسيس دويلات وممالك لها في المناطق الواقعة الى الشمال الغربي من قلب الامبراطورية الأكّادية ودويلات المدن السومرية . وقد نقلت الينا مصادر معينة ان دويلة محلية عُرفت باسم «خانا» كانت تقوم على نهر الفرات في نفس المنطقة التي عرفت في عصور متأخرة باسم «خانيجال ـ بات» [١٩٨] ، وكانت عاصمتها تعرف باسم «تيرقا» .

وتبين لنا اقدم الكتابات التي بين ايدينا بهذا الخصوص ان حكام هذه الدولة كانوا يعودون في اصولهم الى قبائل قطنت هذه المنطقة منذ عصور مبكرة جدا من الزمن . واما عامة السكان فقد كانوا من بؤر المجموعات البشرية الأصلية (التي تسمى خطأ بالسامية) [١٩٨أ] ، وقد عبد هؤلاء الاله «شمش» والرب «داجان» ، اللذين ذكرناهما مرارا في بحثنا تاريخ سلالة «اور» الجديدة وسلالات مدينة «اي ـ سن» .

وكانت توجد ايضا دويلة مدينة اخرى لها كيانها الخاص ومركزها مدينة «حرّان» ، وكان أهلها يعبدون اله القمر «سن» ، الذي انتقلت عبادته وطقوسه الدينية الى جنوب بلاد مابين النهرين في عصر الامبراطورية الكلدانية وخاصة خلال عهد الملك الكلداني «نيبو ـ نيد» .

---

198) Condamin, Zeitschrift der Assyriologie, 21, S. 247.

١٩٨ ـ آ) راجع توفيق سليمان : نقد النظرية السامية ، الجزء الأول ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع دمشق ، ١٩٨٢م .

الدراسة السابعة
المملكة البابلية
وأهم القوانين السومرية والعمورّية

أولاً ـ حمّورابي (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق.م)

أ ـ لمحة عامة حول الاوضاع السياسة في بلاد ما بين النهرين :

اصبحت بلاد ما بين النهرين عند استلام «حمّورابي» السلطة في بابل مقسمة بين نفوذ دول ودويلات عديدة منها القوية كالعيلامية والبابلية ومملكة «ماري» ومنها الضعيفة مثل «اشنونّا» . ولذلك كان يستحيل على هذه الدول والدويلات في مثل هذا الواقع من المصالح المتنافرة ان تقيم اي شكل من اشكال التعايش السلمي فيما بينها . ولذلك صار حسم الموقف فيما بينها امراً محتماً .

ومات الملك البابلي «سن ـ موبلّيط» في عام ١٨٢٩ ق.م . وخلّف عرش المملكة لابنه الشاب «حمّورابي» في وقت تمركز خلاله العيلاميون بقيادة «ريم ـ سن» في مدينة «لارسا» وبسطوا نفوذهم على كافة المناطق الواقعة شرق نهر دجلة المعروفة في تاريخ غرب آسية القديم باسم «ياموت ـ بال» . وقد كنا ذكرنا كيف سقطت مدينة «اي ـ سن» في ايدي العيلاميين ، وبدوا وكأنهم اصبحوا على وشك تأسيس امبراطورية خليفة للامبراطورية الاكّادية .

واعتلى خلال هذا الوقت ـ كما ذكرنا ـ عرش آشور شخص قدم اليها من مدينة «تيرقا» في شمال سورية ، وهو المدعو «شمشي ـ حدد» الاول . وقد تمكن **هذا الملك من توسيع حدود مناطق مملكته باتجاه الغرب والجنوب الغربي واخضع قسماً من مناطق شمال سورية لسلطانه واصطدم مع السلالة العمورّية الحاكمة في مدينة «ماري» (راجع ص : ١٦٥) وانتصر على ملكها «اي ـ اخدونليم» ونصب**

ابنه «يسمخ ـ حدد» ، نائباً له على عرشها . وبعد ذلك استطاع ابن «اي ـ اخدونليم» المدعو «زيمريليم» أن يستعيد عرش سلالته بالقوة .

ب ـ حمّورابي وصراعه ضد الآشوريين :

لقد ادرك «حمّورابي» تعاظم الخطر الذي بدأ يتهدد مملكته نتيجة لاشتداد القوة الآشورية ورأى فيه شراً لا يقل سوءاً عن الخطر العيلامي .

وكان الملك البابلي الشاب مدركاً تمام الادراك لموازين القوى العسكرية وعلاقات هذه القوى بعضها ببعض ، وكان ايضاً ضليعاً بامور السياسة الدولية ، التي كانت تحيط بمملكته . اذ اصبح واضحاً لديه خلال هذه الظروف الحرجة ، ان الشرط الاساسي لكسب المعركة ضد اعدائه لا يتجسد باستخدام السلاح فحسب ، بل ايضاً بسلوك الطرق الديبلوماسية البارعة . لذلك عقد «حمّورابي» الاحلاف ومتن العلاقات السلمية مع بعض الممالك المجاورة لمملكته واقام روابط «صداقة» حتى مع اعداء البارحة . وهنا ترك «حمّورابي» الملك العيلامي «ريم ـ سن» ينعم بما حققه من مكاسب اقليمية ، ليتفرغ الى مجابهة الملك الآشوري «شمشي ـ حدد» الاول واجهاض تطلعاته التوسعية . وبطبيعة الحال فقد اقام «حمّورابي» علاقات طيبة مع «زيمريليم» ملك «ماري» وعدو الملك الآشوري . واصطدم اخيراً بالملك الآشوري عسكرياً وانتصر عليه ونصب على العرش الآشوري بدلاً من الملك المهزوم تابعاً له المدعو «اشمي ـ داجان» الاول (١٧١٦ ـ ١٦٧٧ ق.م) وهكذا استطاع «حمّورابي» ان يتخلص من العدو الاول خلال الجولة الاولى ، التي لا يمكن ان تكون قد امتدت اكثر من ثلاث سنوات .

ج ـ حمّورابي وصراعه ضد ريم ـ سن :

١ ـ تهيئة الاجواء السياسية الملائمة والاستمرار بعقد الاحلاف :

ولم يكد «حمّورابي» أن ينتهي من حسم الموقف مع الآشوريين ، حتى أخذ يحضر نفسه وجيشه للاصطدام العسكري المحتم مع عدوه العيلامي «ريم ـ سن» الرابض بقوته العسكرية على حدود مملكة «بابل» . لذلك هيأ الاجواء الديبلوماسية اللازمة حيث تحالف مع ممالك غربية أخرى مثل مملكة «أوغاريت» (= رأس الشمرة) ومملكة «ماري» . والدليل على ذلك أن ملك «أوغاريت» كتب اليه يرجوه أن يتوسط

لدى «زيمريليم» ليسهل على ابنه امر مشاهدة قصر هذا الأخير ليشيد قصراً مشابها له . وقد جاء ذلك صراحة في رسالة من «حمّورابي» إلى أحد ولاته يطلب فيها اليه مقابلة «زيمريليم» ليسمح لابن ملك اوغاريت بزيارة قصر «ماري» :

قل لزيمريليم ، هكذا يقول حمّورابي اخوك : كتب إلي امير أوغاريت للحال ما يلي ، أريد مشاهدة مقر زيمريليم ، أبعث إليك الآن ابنه مع هذا الرسول (١٩٨ ـ ب) .

ومن ناحية أخرى كان «حمّورابي» يهدىء من روع حلفائه ، الذين بدأوا يخشون انتصاراته العسكرية ، لذلك كان يكتب اليهم يستشيرهم في أمر توسعه في الارض الاكّادية كرسالته إلى«زيمريليم»الذي أجابه عليها :

. . . . إذا اعتُرف بك اميراً على اشنونّا ، فتكون انت إذن الحاكم الشرعي ، وإذا لم يعترف بك ، فنصب . . . . من هو لديك كي يحكمها(١٩٨ ـ ب) وتعتبر رسالة «زيمريليم» الجوابية هذه إلى «حمّورابي» دعما واضحاً للملك البابلي في اطماعه التوسعية في الارض الاكّادية .

٢ ـ حرب حمّورابي ضد ريم ـ سن :

وبعد أن ضمن «حمّورابي» حياد الجبهة الغربية ، التي كانت تشكل دوما مصدر قلق لممالك بلاد ما بين النهرين ودولها القوية ، تفرغ لتثبيت الاوضاع الداخلية بقوة السلاح ضمن اواسط بلاد ما بين النهرين وجنوبها :

لقد بدأ أولاً بكسر الطوق الذي ضربه «ريم ـ سن» حول المملكة البابلية باحتلاله خلال السنة الرابعة لتوليه عرش «اوروك» و«اي ـ سن» و«رابيكو» . ولا شك في أن «ريم ـ سن» قد خسر هذه الجولة بدليل تقلص نفوذه ، الذي لم يعد يشمل سوى «لارسا» و «اريدو» و «تللو ـ لاجاش» .

ورأى «حمّورابي» ان استمرار اتصال «ريم ـ سن» مع موطنه الاصلي الذي شكل مصدراً هاماً لامداداته بالامكانات البشرية والمادية انما يدعم من مركز «ريم ـ سن» العسكري ويطيل امد الحرب . ولذلك قام الملك البابلي بحركة التفاف

198- b) Awdijew, W. I, Geschichte des Alten Orients, p. 69 .

198- c) Awdijew, W. I, op. cit. p. 64.

عسكرية كبيرة قطع بها على «ريم ـ سن» طريق اتصاله بـ «عيلام» وجعله اسير المنطقة الصغيرة التي بقيت خاضعة لنفوذه في جنوب بلاد ما بين النهرين . وقد ورد في بعض مخلفات حمّورابي المكتوبة ان «ريم ـ سن» نهض في وجهه ، وان حمّورابي **.... جمع جنده وبرز لقتال ريم ـ سن ملك اور . وغزا مدينتي اور ولارسا ونقل كنوزهما إلى بابل ....** ولكن «عيلام» هبت لنجدة «ريم ـ سن» فتصدى لها «حمّورابي» **.... وبمساعدة الربين آنو وانليل اذل بلاد ياموت بال والملك ريم ـ سن ....**

وهنا ادرك «زيمريليم» خطورة الموقف الجديد نتيجة لانتصارات الملك البابلي ، لذلك اعلن انضمامه إلى جانب العيلامي «ريم ـ سن» ، عله يستطيع أن يغير مجرى الاحداث ويقلب هزيمة «ريم ـ سن» إلى نصر يحد به تعاظم سلطة «حمّورابي» واشتداد خطرها عليه . ولكن «حمّورابي» انتصر على الحلف المعادي واسر الملك «ريم ـ سن» الذي حكم حوالي ٦١ عاماً . وبذلك اصبحت جميع بلاد ما بين النهرين الجنوبية والوسطى والشمالية ومعها الارض العيلامية خاضعة لنفوذ الملك البابلي .

د ـ حرب حمّورابي ضد زيمريليم :

والتفت الملك البابلي في السنة الخامسة والثلاثين من حكمه ، أي بعد عامين فقط من انتصاره الحاسم على «ريم ـ سن» وحلفه ، لتصفية الحساب مع صديق البارحة وعدو اليوم «زيمريليم» ملك ماري . وبعد معركة قاسية بين الجانبين هزم فيها جيش ملك «ماري» ، سقطت العاصمة في ايدي جنود «حمّورابي» ودمروها بقصورها الفخمة ، ولاقى «زيمريليم» مصرعه محاصراً في قصره ، الذي التهمته النيران بعد ان كان بحق اجمل قصور غرب آسية القديمة المعروفة حتى الآن من النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد (راجع أيضاً ص ١٦٦) . وهكذا وحّد «حمّورابي» البلاد واصبح اقوى شخصية سياسية وعسكرية في البلاد .

هـ ـ سياسة حمّورابي الداخلية :

لقد أصبح «حمّورابي» يطلق على نفسه بعد انتصاره على «ريم ـ سن» لقب **.... حاكم سومر واكّاد وجهات العالم الاربع التي اهداها له الربان آنو**

وانليل . . . . وكان كلما انتصر في معركة اوربح غزوة ضد اعدائه التفت في نهايتها للعناية بالمشاريع الاقتصادية . فاعاد مثلاً تنظيف اقنية الري التي جفت أو ردمت خلال الحروب الدامية المدمرة التي شهدتها البلاد . وقد تصرف ذلك ايماناً منه أن مهامه لم تنحصر فقط في شن الحروب وكسب المعارك وتدمير مدن الاعداء وقراهم ، بل ايضاً في اعادة الحياة لهذه البقاع المتضررة :

ويقول «حمّورابي» انه شق ايضاً القناة المعروفة في عهده باسم «نوفوشي - نيشي» شرقي نهر دجلة في منطقة «ياموت - بال» ، التي كانت تخضع لنفوذ الملك «ريم - سن» واعاد توطين السكان فيها للعمل والانتاج . وقد اتى على ذكر ذلك بدقة في مقدمة وخاتمة شريعته المشهورة باسمه (راجع ايضاً ص ١٨٩ وما بعدها وص ٢٢٦ وما بعدها) التي تعتبر بحق أهم وثيقة اجتماعية واقتصادية وتاريخية وصلتنا من عصر المملكة البابلية القديمة ، ومن أكثر وثائق الالف الثاني قبل الميلاد أهمية .

ثانياً - خلفاء حمّورابي (١٦٨٥ - ١٥٣٠ ق.م.)

أ - سمسو - ايلونا (١٦٨٥ - ١٦٤٨ ق.م.) :

وقد خلف «سمسو - ايلونا» اباه «حمّورابي» على عرش بابل . واتصفت الفترة الاولى القصيرة من حكمه بالهدوء النسبي ، بدليل تأريخ اعوام حكمه خلالها بناءعلى تنفيذه المشاريع الاقتصادية والمنشآت المعمارية كشق أقنية الري وبناء المعابد للآلهة دون أن يذكر أية حرب او غزوة شنها ضد الاعداء . ولكن هذه الفترة انتهت بتعرض المملكة البابلية لضغط خارجي مما دفعه ليصدر قانوناً خفض بموجبه الضرائب عن المواطنين . ولا شك في انه هدف من وراء ذلك كسب تأييد الشعب ضد عدو جديد ظهر في شمال المملكة وحمل اسم «ريم - سن» . وهذا الاسم هو نفس الاسم الذي كان يدعى به العدو الاكبر لـ «حمّورابي» . وقد يكون هذا الشخص هو احد اقرباء «ريم - سن» القديم الذي انسحب إلى المناطق الشمالية ليجهز قبائلها ومن بينها بعض القبائل «الكاشية» للزحف ضد اراضي المملكة البابلية . وقد استطاع «ريم - سن» الجديد بالفعل أن يتوغل في اراضي الجنوب كما نجح في تحريض سكان المناطق السومرية للنهوض ضد الملك البابلي . والدليل على ذلك تأريخه لحدث يقول

فيه أنه اصبح ملكاً على البلاد في السنة التي نصبت فيها الربة نينخورزاج الملك ريم ـ سن على العرش في معبد اوبيس ملكاً على كافة انحاء البلاد . ولكن لم يكتب لمحاولته هذه دوام النجاح إذ سرعان ماثبت انها ليست سوى طفرة يائس في طريقه للانتحار ، لأنه لم يستطع كما ورد في احدى كتاباته : صد الاعداء ودحرهم إلى بلدانهم . . . . وفي هذا اشارة صريحة منه بالذات لفشل مخططه . وبالفعل فقد استطاع «سمسو ـ ايلونا» ان يخمد ثورة أهل الجنوب وسقط «ريم ـ سن» صريعا في لهيب النيران التي التهمت قصوره[199] :

وتابع الملك البابلي زحفه ضد المدن الاخرى مثل «اوروك» و «اور» ودمر اسوارها . وشجعت محاولة «ريم ـ سن» هذه ، بالرغم من فشلها ، امراء بعض المدن البابلية للثورة ضد الملك البابلي . وكان في مقدمة هؤلاء الامراء المدعو «ايلوما ـ ايلو» احد خلفاء «داميك ـ ايليشو» ، آخر حكام مدينة «اي ـ سن» . واحرز هذا الامير بعض النجاح في تنفيذ مخططه الانفصالي ، والدليل على ذلك الوثيقة ، التي عثر عليها في مدينة «نيبّور» المؤرخة في السنة الثانية من حكمه . وبالرغم أن الملك البابلي قد اخضع أكثر المدن الثائرة ضده الا انه فشل في القاء القبض على قائد العصيان ، الذي فر إلى الجنوب من البلاد ليصبح المؤسس الاول لحكم سلالة جديدة اقامت مملكة في أقصى المناطق الجنوبية من بلاد ما بين النهرين واصبحت تسمى بـ «مملكة بلاد البحر»[200] . وقد شكلت هذه المملكة خلال العصور اللاحقة القطب المضاد للمملكة البابلية وجميع الممالك الاخرى التي قامت في بلاد ما بين النهرين أيضاً بعد انهيار المملكة البابلية القديمة .

ب ـ أبي ـ ايشوه ، امّي ـ ديتانا ، امّي ـ سدوكا (١٦٤٧ ـ ١٥٦٢ ق.م.) :

وقد بذل خلفاء «سمسو ـ ايلونا» اقصى الجهود ليحافظوا على كيان المملكة البابلية أمام هجمات الشعوب الجبلية ومملكة البحر الجديدة على حد سواء . ونعرف مثلاً أن الملك «أبي ـ ايشوه» قد شن حرباً ضد «مملكة البحر» ولكنه فشل كسلفه «سمسو ـ ايلونا» في اخضاع ملكها «ايلوما ـ ايلو» لسلطانة . وقد خاض ايضاً «امّي ـ ديتانا» في أواخر عهده حرباً ضد مدينة «اي ـ سن» ودمر اسوارها التي بناها

199) King, Chronicles, II, 18.
200) Poebel, ZA, XX, 229 ff.

شعب «داماك ـ ايليشو» جد ملك بلاد «ايلوما ـ ايلو» . وهذا دليل على ان نفوذ «مملكة بلاد البحر» قد امتد نحو الشمال حتى شمل مدينة «اي ـ سن» . ولكن الملك «امّي ـ سدوكا» استطاع ان يضع حداً لنفوذ دولة البحر باتجاه الشمال عندما توغل في مقدمة جيشه في اراضي الجنوب واقام على نهر الفرات في اطراف حدود مملكة البحر سداً منيعاً حال دون تغلغل جنودها في الارض البابلية .

ج ـ سمسو ـ ديتانا (١٥٦١ ـ ١٥٣٠ ق.م.) :

لقد اصبحت اوضاع المملكة البابلية في الداخل وضمن مقاطعاتها التابعة لها خلال عهد «سمسو ـ ديتانا» مضطربة قلقة . وعادت أكثر المدن من جديد للانفصال عن العاصمة «بابل» . ولذلك استهلك ملك بابل كل وقته لتهدئة هذه الاوضاع ، ثم يتفرغ بعدها للدفاع عن حدود مملكته أمام الاخطار الخارجية . وتعرضت ارض بابل خلال ذلك لهجمة من نوع جديد ومن جهة لم يكن يتوقعها سكان بلاد ما بين النهرين . لقد قاد هذه الهجمة الملك الحثي «مورشيلي» الاول من آسية الصغرى ، وانهى في ختامها الوجود السياسي للمملكة البابلية القديمة ، بعد أن دام قرابة ثلاثة قرون من الزمن وخلّف في مرحلة من مراحله اشهر ملوكها «حمّورابي» لاجيال الشرق القديم اعظم تراث للعصور القديمة وهو تشريعه الشامل لجميع جوانب حياة مجتمعات بلاد ما بين النهرين وغرب آسية القديمة المتحضرة .

ثالثاً ـ القوانين السومرية والعموريّة

أ ـ قانون «اورنامّو» (٢٠٥٩ ـ ٢٠٤١ ق.م.) :

كان يهم الملوك السومريين في المقام الاول ان يرفعوا من المستوى المعاشي لسكان ممالكهم ، ولذلك ركزوا جهودهم على تنفيذ المشاريع الاقتصادية ، كلما سنحت الفرص لهم بذلك . وقد تركوا لنا كتابات كثيرة العدد تحدثوا فيها حول شقهم اقنية الري الجديدة وتنظيف وترميم القديم منها . وقد راوا من ناحية اخرى ، في ظل الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ضرورة تنظيم العلاقات بين افراد المجتمع من جهة وبينهم وبين المعبد والقصر الملكي من جهة أخرى :

ويعتبر قانون «أورنامّو» ـ حتى الآن ـ اقدم القوانين التي كشفت عنها اعمال

التنقيب عن الآثار في غرب آسية . ولكن لم يصلنا منه الا بعض الكسر من الرقم الطينية ، نورد فيما يلي ترجمة لثلاث فقرات منها(٢٠١) :

الفقرة (١) - إذا صدم رجل (عن غير عمد) ابنة رجل وفقدت خصوبتها فعليه أن يدفع ١٠ شيكل فضة(٢٠٢) :

الفقرة (٢) - إذا ضرب رجل (ابنة) رجل وفقدت خصوبتها ، فعليه أن يدفع ثلث مينة فضة . . . . (٢٠٣) .

الفقرة (٤) - إذا قال ابن بالتبني ؟ لابيه وامه : «انت لست ابي ، انت لست امي» فعليه أن يهجر البيت والحقل والحديقة وجميع العبيد والاملاك التي حصل عليها من والديه بالتبني ، وعلى المرء أن يصرف هذا المتبنى .

ب - قانون بيلا لاما ملك اشنونّا (٢٠٣ آ) :

كنا ذكرنا على ص ١٧٠ ان «زيمريليم» ، ملك «ماري» قد اطلق لحمّورابي حرية التصرف في شؤون اواسط بلاد ما بين النهرين . وقد ورد ذلك في رسالة خاصة بوضع مدينة «اشنونّا» . ويبدو أن بعض ملوكها وامرائها قد ركزوا اهتمامهم على تنظيم مجتمعهم بموجب قانون يحدد اطر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، التي كانت قائمة آنذاك بين الافراد والهيئات . وقد وضع في عهد احد ملوكها المدعو «بيلا - لاما» (حوالي ١٩٥٠ ق.م.) ، بعد سقوط حكم سلالة «اورنامّو» في «اور» قانون نقش نصه باللغة البابلية على رقيمين طينيين عثر عليهما في باطن التل الاثري المعروف باسم «تل الحرمل» بالقرب من بغداد ، ونأتي هنا بترجمة فقرات القانون :

---

201) Clay, A.T., Miscellaneous Inscriptions in the Yale Babylonian collection (Yale Oreintal Series, Babylonian Textes, T. I) New Haven, 1915, P. 20.

=) Scheil, RA, XVII, 1919, P. 37.

=) Deimal, A., Sumerische Grammatik, 1924, S. 226-227.

=) Struwe, W.W., Der Alte Orient, B. I, S. 198.

٢٠٢) عادل الشيكل الواحد $\frac{١}{٦٠}$ من الوزنة البابلية التي كانت تعرف باسم «مينة» أي ما يزيد قليلاً عن ٤ ، ٨ غ ، حيث كانت المينة الواحدة تزن ما يساوي الآن نصف كيلو غرام .

٢٠٣) الفقرة الثالثة ممسوحة .

203- A) Von Soden, W., Kleine Beiträge zum Verständnis der Gesetze Hammurabis und Bilalamas (symbolae Hrozny II' = Archiv Orientalni XVIIS. 359 ff)

الفقرة (١) - يقدر «كور»[٢٠٤] الشعير بـ «١» شيكل من الفضة ، وتقدر «٣ كا»[٢٠٥] من الزيت الفاخر بـ «١ شيكل» من الفضة ، ويقدر الـ «سيخ» الواحد و «٥كا» من الشحم بـ «١» شيكل من الفضة ، ويقدر الـ «٤ سيخ» من زيت النهر بـ «١» شيكل من الفضة ، وتقدر الـ «٦» مينة من الصوف بـ «١» شيكل من الفضة ، ويقدر «٢ كور» من [السمسم] بـ «٥» شيكل من الفضة ، ويقدر الـ «كور» الواحد (من البذار) بـ «١ شيكل» من الفضة ، وتقدر الـ «٣» مينة من النحاس بـ «١» شيكل من الفضة ، وتقدر الـ «٢» مينة من النحاس النقي بـ «١» شيكل من الفضة .

الفقرة (٢) - تحدد (قيمة) الـ «كا» من زيت السمسم بـ «٣» سيخ من الشعير وقيمة الـ «كا» من الشحم بـ «١» سيخ [و] «٥ كا» من الشعير ، و «١ كا» من زيت النهر بقيمة «٨ كا» من الشعير .

الفقرة (٣) - يحدد ايجار العجلة الواحدة مع ثيرانها وسائقها بـ «١ ماسكيتوم و٤ سيخ» من الشعير ، واما إذا سددت فضة بدلاً من ذلك فيكون الايجار $\frac{1}{3}$ شيكل ، وعليه أن يسوقها طوال اليوم .

الفقرة (٤) - يحدد ايجار القارب حسب سعته ، فايجار الـ «كور» هو «٢ كا» ، اما اجرة قائد القارب فهي «٤ كا» ، وعليه أن يقوده طوال اليوم .

الفقرة (٥) - إذا أهمل قائد القارب (واجبه) فسبّب بذلك غرق القارب ، فعليه أن يدفع تعويضاً كاملاً ، عن كل ما تسبب بغرقه .

الفقرة (٦) - إذا ادعى رجل ملكية قارب ليس ملكا له فعلا ، فعليه ان يدفع «١٠ شيكل» من الفضة .

الفقرة (٧) - تحدد اجور جني المحاصيل بـ «٢ سيخ» شعيرا او «١٢ قمحة» من الفضة ، إذا حدد الاجر بالفضة .

الفقرة (٨) - اما اجر مذريات الحبوب فهو «١ سيخ» شعيرا .

الفقرة (٩) - إذا استأجر رجل رجلاً آخر للحصاد ، ودفع له «١ شيكل» فضة اجره ، دون ان يضع هذا نفسه تحت تصرفه ، أو لم ينجز له العمل كاملا ، فعليه أن

---

٢٠٤) كان الـ «كور» احد المكاييل المعروفة وعادلت سعته حوالي ١٢٠ ليتراً .

٢٠٥) كان الـ «كا» يعادل $\frac{1}{300}$ من الـ «كور» .

يدفع للمستأجر «١٠ شيكل» فضة . (أما الحصّاد) فيحصل من المستأجر على «١ سيخ و ٥ كا» من الشعير اجرته[٢٠٦] ثم يمونه بالشعير والزيت والقماش[٢٠٧] .

الفقرة (١٠) - إذا استأجر رجل حماراً ، فتكون اجرته «١ سيخ» شعيرا ويدفع «١ سيخ» اجرة سائقه ، وعلى هذا (السائق) أن يعمل طوال اليوم[٢٠٨] .

الفقرة (١١) - إذا استخدم انسان رجلاً ، فاجرته «١ شيكل» فضة ، وعليه أن يدفع لمؤجره «١ قمحة» فضة ، مقابل عمل لمدة شهر كامل[٢٠٩] .

الفقرة (١٢) - إذا قبض على رجل في حقل (يملكه) موشكينوم[٢١٠] اثناء جني المحصول خلال النهار ، فعليه أن يدفع «١٠ شيكل» فضة ، أما إذا قبض عليه ليلا ، فيقتل في المكان ، ولا يخرج حيا .

الفقرة (١٣) - إذا قبض على امرىء خلال النهار في بيت (يملكه) «موشكينوم» فعليه أن يدفع «١٠ شيكل» فضة ، أما إذا قبض عليه ليلا ، فإنه يقتل في المكان ولا يخرج حيا .

الفقرة (١٤) - يحصل الـ [مرابي] على «١ شيكل» من الفضة مقابل «٥ شيكل» فضة وعلى «٢ (شيكل)» مقابل «١٠» .

الفقرة (١٥) - لا يجوز للتاجر وللسابيتوم أن يتسلم فضة أو شعيراً أو صوفاً أو زيت سمسم من اي عبد أو امة ، للمتاجرة بها .

الفقرة (١٦) - لا يقبل من العبد أي رهن .

الفقرة (١٧) - إذا تزوج ابن رجل [بابنة رجل] وجلب جهاز العروس إلى بيت حميه . . . . وإذا توفي احدهما ، يعاد الجهاز إلى صاحبه .

---

٢٠٦) مقابل العمل الذي انجزه .

٢٠٧) أثناء القيام بالعمل وفي حال انجازه .

٢٠٨) المقصود هنا باليوم هو «النهار» فقط ، وليس يوما كاملا .

٢٠٩) تبين هذه الفقرة انه كان يوجد وسطاء لتشغيل العمال .

٢١٠) يبدو من مضمون هذه الفقرة أن مرتبة الـ «موشكينوم» الاجتماعية في هذا العصر كانت ارفع مما اصبحت عليه خلال عهد «حمّورابي» (قارن ذلك بالفقرة ٢١٦ من قانون حمّورابي) .

الفقرة (١٨) إذا أخذ [الابنة] وادخلها إلى بيته وتوفيت ، هكذا لا يرد للرجل كل ما سلمه لحميه ، وانما يحصل كفائدة عن القيمة لكل «كور» $\frac{1}{6}$ شيكل و «٦ قمحات» للشيكل الواحد و «ماسكيتوم» و «٤ سيخ» .

الفقرة (١٩) - إذا اعطى رجل رجلاً قرضاً وحددت فيه قيمة الفضة بالشعير : فإنه يحصل في موسم الحصاد على الشعير والفوائد . . . . ماسكيتوم و ٤ سيخ لكل كور واحد .

الفقرة (٢٠) - إذا اعطى رجل رجلاً قرضاً ، مشروطاً بالرد ، فعليه أن يعامل الدائن بنفس الشروط .

الفقرة (٢١) - إذا اقرض رجل رجلا فضة فإنه يحصل على الفضة وفوائدها . . . . $\frac{1}{6}$ شيكل و ٦ قمحات عن كل شيكل .

الفقرة (٢٢) - إذا أقدم رجل قبل آخر على استرهان جارية من صاحبها ، واقسم صاحبها بأن «ليس لك شيء قبلي» ، فعليه أن يدفع كامل الفضة تعويضاً عن الجارية التي استرهنها بأن «ليس لك الشيء قبلي» ، فعليه أن يدفع كامل الفضة تعويضاً عن الجارية التي استرهنها .

الفقرة (٢٣) - اما اذا لم يكن لرجل دعوى قبل آخر ، ومع ذلك اقدم على استرهان جاريته ثم احتجزها في بيته وقتلها ، فعليه أن يعوض لصاحبها جاريتين مقابلها .

الفقرة (٢٤) - أما إذا لم يكن له دعوى قبله ، ومع ذلك احتجز زوجة «موشكينوم» أو طفله ثم قتلها ، هكذا فإنها جريمة كبرى ، وعقوبة المحتجز الموت .

الفقرة (٢٥) - إذا جاء رجل إلى بيت حميه وقبله حموه في خدمته ، ثم اعطى ابنته لرجل آخر ، فعلى الاب أن يعيد ضعفي مهر العروس الذي تسلمه[٢١١] .

---

٢١١) قصد بهذه الفقرة ، إذا قبل أن يزوجه ابنته وليس استعباده كما ورد لدى دكتور نجيب ميخائيل ابراهيم (مصر والشرق الادنى القديم ج : ٦ ، ص ٤٦) .

الفقرة (٢٦) - اذا سلم رجل جهاز العروس الى ابنة رجل آخر ، واغتصبها رجل ثالث دون أن يكون قد استأذن أباها او امها او انه افتض بكارتها ، هكذا فانه اقترف جريمة كبرى ، عقوبتها الموت .

الفقرة (٢٧) - اذا اخذ رجل ابنة رجل آخر قسراً، دون أن يكون قد حصل على اذن مسبق من أبيها أو أمها ، ولم يكن هناك عقد زواج بذلك مع ابيها أو أمها ، فان هذه الابنة ليست زوجة ، لو عاشت عنده عاماً كاملاً في بيته .

الفقرة (٢٨) - اما اذاابرم هذا الرجل عقد الزواج مع أبيها او امها وعاش معها ، هكذا تصبح هذه المرأة زوجة شرعية ، واذا قبض عليها مع رجل آخر ، فعقوبتها الموت . . انها لن تخرج حية .

الفقرة (٢٩) - اذا أسر رجل خلال حرب او غزوة واقتيد اسيرا عنوة الى بلد أجنبي ، واضطر للبقاء طويلاً ، ثم أخذ رجل زوجته وولدت من الرجل طفلاً هكذا يسترجع الرجل امرأته في حال عودته[٢١٢] .

الفقرة (٣٠) - اذا احط رجل من قدر مستوطنته أو مسقط رأسه وأصبح طريدا ثم أخذ رجل آخر امرأته ، فليس له حق إقامة الدعوى على زوجته .[٢١٣] .

الفقرة (٣١) - اذا فض رجل بكارة جارية رجل آخر ، فعليه ان يدفع ٢/٣ مينة من الفضة لصاحب الجارية ، وتبقى الجارية ملكاً لسيدها .

الفقرة (٣٢) - اذا سلم رجل ابنه للحضانة والتربية ولم يعط الحاضنة تموينها من الشعير والزيت والصوف لمدة ثلاث سنوات متواصلة . فعليه ان يدفع ١٠ مينة فضة مقابل تربية ورعاية ابنه ،وعندها يستطيع استرداده .

الفقرة (٣٣) - اذا سلمت جارية طفلها لابنة رجل آخر ، واذا كبر وتعرف على سيده ، فانه يستطيع الاستيلاء عليه وهو بذلك من حقه .

---

٢١٢) قارن المضمون بالفقرة ١٣٥ من قانون حمّورابي .

٢١٣) قارن المضمون بالفقرة ١٣٦ من قانون حمّورابي .

الفقرة (٣٤) - اذا سلمت جارية من القصر ابنها او ابنتها الى موشكينوم للتربية ، فان القصر يستطيع أن يسترجع هذا الابن او هذه الابنة .

الفقرة (٣٥) - اذا تبنى رجل طفل جارية القصر ، فعليه أن يعوض للقصر نظيره .

الفقر (٣٦) - اذا سلم رجل ممتلكاته المنقولة كوديعة الى (رجل آخر) واذا اختفت هذه الممتلكات ، دون ان يكون البيت قد سرق ، ودون أن يكون الـ «سيبو» مكسوراً أو الشباك مفتحا[٢١٤] ، هكذا على المودع لديه ، ان يرد الوديعة (الى صاحبها) .

الفقرة (٣٧) - اما اذا انهار منزل المودع لديه ، أو سرق بما في ذلك الوديعة ، وحلّت بذلك خسارة بصاحب المنزل ، فعلى صاحب المنزل ان يؤدي القسم على بوابة «تيشباك»[٢١٥] قائلاً : «فُقد متاعي مع متاعك ولم أرتكب امرا مشيناً» فان أقسم ذلك ، فلا دعوى لصاحب الوديعة قبله .

الفقرة (٣٨) - اذا أراد احد الاخوة بيع حصته واحب اخوته شراءها فعليه ان (يفضل اخوته على الآخرين) .

الفقرة (٣٩) - اذا وقع انسان بضائقة وباع بيته نتيجة لذلك ، هكذا يمكنه استرجاع بيته اذا قبل الشاري معاودة البيع .

الفقرة (٤٠) - اذا ابتاع رجل عبدا او امة او ثورا او بضاعة ذات قيمة ، ولكنه لم يستطع تبيان البائع قانونا ، هكذا فهو لص[٢١٦] .

الفقرة (٤١) - اذا أراد اوبار وم اونبيتار وم او مودوم بيع حصته ، هكذا تبتاع السابيتوم حصته بالسعر الجاري[٢١٧] .

---

٢١٤) اي اذا كان قفل الباب او الشباك محطماً .

٢١٥) بوابة معبد احد الآلهة .

٢١٦) قارن المضمون بالفقرة ١٠ من قانون حمّورابي .

٢١٧) كلمات سومرية قديمة لم تعرف معانيها بدقة حتى الآن .

الفقرة (٤٢) - اذا عض انسان انف انسان آخر وقضمه ففصله ، فعليه أن يدفع مينة واحدة من الفضة (مقابل فعله) ، ويدفع للعين مينة واحدة من الفضة ونصف مينة للسن ونصف مينة للاذن وعشرة شيكل من الفضة للطمة[٢١٨] .

الفقرة (٤٣) - اذا قطع انسان اصبع انسان اخر ، فعليه ان يدفع ثلثي مينة فضة مقابل ذلك .

الفقرة (٤٤) - اذا طرح انسان انسانا اخر ارضا فكسر يده ، هكذا عليه ان يدفع ١/ ٢ مينة فضة مقابل ذلك .

الفقرة (٤٥) - اما اذا كسر قدمه فعليه أن يدفع ١/ ٢ مينة من الفضة .

الفقرة (٤٦) - اذا هاجم رجل رجلا اخر وكسر (ساقه) هكذا عليه ان يدفع ٢/ ٣ مينة من الفضة مقابل ذلك .

الفقرة (٤٧) - اذا ضرب رجل رجلا آخر عن غير عمد ، فعليه ان يدفع ١٠ شيكل فضة مقابل ذلك .

الفقرة (٤٨) - بالاضافة الى ما سبق :(وفي حالات العقوبات الأشد) التي تتراوح بين ٢و٣ مينة ، هكذا يحاكم الرجل ، وتعرض العقوبة المفروضة بحقه على الملك[٢١٩] .

الفقرة (٤٩) - اذا قبض على انسان بسرقة احد العبيد او الجواري ، فعليه ان يسلم عبدا مقابل عبد وأمة مقابل أمة .

الفقرة (٥٠) - اذا ألقى حاكم أو مراقب نهر أو أي موظف آخر مهما يكن ، القبض على عبد مفقود أو حمار مفقود يخص القصر أو «موشكينوم» ولايسلمه الى «اشنونّا» وانما يحتفظ به في بيته ، هكذا فانه سارق ويحاكمه القصر ولولم تمض سوى سبعة أيام على ذلك .

---

٢١٨) قارن مضمون الفقرة بالفقرات ١٩٩ - ٢٠٣ من قانون حمّورابي .

٢١٩) يذكرنا مضمون هذه الفقرة بمضمون تصديق الأحكام الخاصة بالعقوبات الشديدة من قبل رئيس الدولة أو ملك المملكة في الوقت الحاضر .

الفقرة (٥١) - على العبد او الامة في «اشنونّـا» الـذي يحمـل علامة العبد «كـانوم» او «ماشكـاتو» أو «اباتوم»[٢٢٠] الا يغـادر بوابة «اشنونّا» الا باذن من صاحبه .

الفقرة (٥٢) - العبد او الجارية الذي يدخل بوابة «اشنونّا» في وفد غريب ، توضع عليه علامة «كانوم» او «ماشكاتوم» أو «اباتوم» ويبقى في ذمة مولاه .

الفقرة (٥٣) - اذا ناطح ثور ثوراً آخر فقتله ، هكذا على صاحبي الثورين اقتسام ثمن الثور الحي ، وما يعادل ثمن الثور المقتول ، فيما بينهما .

الفقرة (٥٤) - اذا عرف عن ثور عادة المناطحة ووصل الى السلـطات نبأ معرفة صاحبه بذلك ولم يشذب قرنيه ، ثم نطح الثور رجلا فقتلـه ، هكـذا على صاحب الثور أن يدفع ٢/٣ مينة فضة [٢٢١] .

الفقرة (٥٥ - اما اذا نطح عبدا فقتله ، فعليه ان يدفع ١٥ شيكل من الفضة .

الفقرة (٥٦) - اذا كان هناك كلب مسعور فوصل الى السلطات نبأ معـرفة صاحبه بذلك ، ولم يحتجزه ، ثم حدث ان عض انسانا وقاد ذلك الى وفاته ، هكذا على صاحب الكلب ان يدفع ٢/٣ مينة من الفضة (تعويضا لذلك) .

الفقرة (٥٧) - اما اذا عض عبدا وقاد الى وفاته ، هكذا على صاحبه ان يدفع ١٥ شيكل من الفضة .

الفقرة (٥٨) - اذا كان هناك حائط متصدع يهدد بالانهيـار ، ووصل الى السلطات نبأ علم صاحبه بذلك ، ومع ذلك فانه لم يدعم الحائط ثم انهار وسبب موت احد من طبقة الأحرار ، ان هذه جريمة كبرى ، ولذلك يقوم الملك بأمر الفصل فيها[٢٢٢] .

الفقرة (٥٩) - اذا طلق رجل زوجته وكان له منهـا اطفال ثم تزوج امرأة

---

٢٢٠) انها تسميات لشكل وسم العبد وملكيته .

٢٢١) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ٢٥١ من قانون حمّورابي .

٢٢٢) انظر التعليق في الهامش رقم ٢١٩ .

اخرى ، هكذا تكون عقوبته الطرد من بيته وتجريده من كل ما يملك ، وذلك عليه ان يسعى وراء المرأة التي أحبها .

ج ـ قانون ليبيت عشتار[٢٢٣] (١٨٧٥ ـ ١٨٦٥ ق . م)

ج - ١ ـ المقدمة :

حين دعا آنو أب الآلهة العظيم وانليل ملك البلدان والسيد الآمر . . الى نيني ـ سانا[٢٢٤] . . والبهجة . . لجبهتها الساطعة ، حين عهد اليها بالحكم في سومر وأكّاد حكماً صالحاً في مدينتها اي ـ سن ، التي أسسها آنو وحين دعا آنو وانليل الراعي العاقل ليبيت عشتار الذي نطق باسمه نونامير ، الى ولاية امر البلاد ، ليقر العدل فيها ويمنع المظالم وليسحق الأعداء والعصيان بقوة السلاح وليصلح أمر السومريّين والأكاديين عندئذ انا ليبيت ـ عشتار راعي نيبّور المتواضع وحارس اوروك الذي لا يهجر ابدا اريدو ، الاله الحق لـ «اوروك» ملك اي ـ سن ، ملك سومر وأكّاد الصالح القلب لانين . . أقمت العدالة وأرسيت دعائمها في سومر وأكّاد طبقاً لكلمة انليل . . حقا لقد حررت في تلك الأيام ابناء وبنات نيبّور وابناء وبنات اور وابناء وبنات اي ـ سن وابناء وبنات سومر الذين فرضت عليهم العبودية . حقاً انني وفقا لـ . . . جعلت الاب يحمي بنيه والابناء يحمون اباءهم ، جعلت الأب يقف الى جانب أولاده وجعلت الأولاد يقفون الى جانب ابيهم . . في بيت الأب وفي بيت الأخ . . حقاً . . انا ليبيت ـ عشتار ابن انليل جئت بسبعين الى بيت الاب وبيت الأخ واتيت الى بيت العازب لـ . . . مدة عشرة اشهر . . عشرة . . زوجة الرجل . . ابن الرجل . .[٢٢٥] .

---

223) S t e e l e, F. R, The Gode of Lipit- ischtar. American Journal of Archaeology L II, 1948, PP. 425 - 450.

- - -) P r i t c h a rd, J. B. Ancient Near Eastern Texts. Princeton, 1950p. 159ff (trans. b. Kramer).

- - -) Struwe, W. W. Der Alte Orient, B. I. 199.

٢٢٤) ابنة الاله «آنو» .

٢٢٥) بقية نص المقدمة مشوهة جدا .

ج ـ ٢ ـ فقرات القانون :

الفقرة (١) ـ . . . . التي أقيمت . . . . .

الفقرة (٢) ـ . . . . أملاك بيت الأب من . . . .

الفقرة (٣) ـ . . . . ابن موظف الدولة ، . . . ابن موظف القصر . . . ابن المراقب . . .

الفقرة (٤) ـ . . . . قارب . . . قاربا سوف . . . .

الفقرة (٥) ـ اذا استأجر رجل قاربا وخرج به في رحلة . . . .

الفقرة (٦) ـ المنحة . . سوف . . . .

الفقرة (٧) ـ اذا سلم رجل حقلا الى بستاني ليرعى (قطيعه) . . (هكذا على البستاني ان يدفع . . .) الى صاحب البستان .

الفقرة (٨) ـ اذا سلم رجل رجلا آخر ارضا بورا ليقيم فيها بستاناً ، واذا لم يكمل الاخير استصلاح الأرض البور ، ليقيم فيها بستاناً ، هكذا على صاحب الأرض ان يسلم الرجل الذي أقام البستان الأرض البور التي اهملها كجزء من حصته[٢٢٦] .

الفقرة (٩) ـ اذا دخل رجل الى بستان رجل وقبض عليه ، انه لص وعليه ان يدفع ١٠ شيكل فضة (غرامة) [٢٢٧] .

الفقرة (١٠) ـ اذا قطع رجل شجرة من حديقة رجل آخر ، فعليه ان يدفع نصف مينة فضة (تعويضا عن ذلك) .

الفقرة (١١) ـ اذا وجدت أرض خلاء تخص رجل وهي مجاورة لمنزل رجل آخر وأهملها صاحبها . فاذا قال له صاحب البيت : «ان الارض مهجورة وقد يتسلل رجل الى بيتي فدعم بيتي» ووافق صاحب الأرض على ذلك ، هكذا يكون صاحب الأرض الخلاء مسؤولا امام صاحب المنزل عما يضيع من مقتنياته (ضمن البيت) .

الفقرة (١٢) ـ اذا ضل عبد رجل ما او امته (الطريق) الى نزل وعاش فيه

---

٢٢٦) قارن مضمون هذه الفقرة بالفقرة ٦١ من قانون حمّورابي .

٢٢٧) قارن مضمون هذه الفقرة بالفقرة ١٣ من قانون «بيلا ـ لاما» .

شهرا كاملا في بيت رجل آخر ، وثبت ذلك على الرجل ، فعليه ان يعوض رأسا برأس[٢٢٨] .

الفقرة (١٣) ـ واذا لم يملك رأسا ، فعليه ان يدفع تعويضا قدره ١٥ شيكل من الفضة .

الفقرة (١٤) ـ اذا عوض عبد عبوديته لسيده ، وثبت انه ادى التعويض مضاعفا ، فانه يعتق .

الفقرة (١٥) ـ اذا كان مكتوم هبة من الملك فانه لا يؤخذ .

الفقرة (١٦) ـ اذا سلم رجل مكتوم برضائه فعليه الا يربط «مكتوم» انه يترك لمن يشاء لمالكه .

الفقرة (١٧) ـ اذا أقدم رجل على ربط رجل آخر بغير حق ، بسبب فعل لا علم له به هكذا يعتبر هذا الرجل حراً ، بينما تقع على الفاعل عقوبة السبب الذي ربط من أجله .

الفقرة (١٨) ـ اذا تأخر صاحب الأرض (أو صاحبة أرض) عن الوفاء بضريبة الأرض ونقلت ملكيتها الى شخص غريب ، هكذا يبقى صاحبها ثلاث سنوات دون أن يطرد ، وبعد ذلك يتملك الأرض من تحمل الضريبة وليس لصاحبها أي دعوى قبله .

الفقرة (١٩) ـ اذا كان صاحب الأرض . . . .

الفقرة (٢٠) ـ اذا اخذ واحد من الورثة . . . .

الفقرة (٢١) ـ . . . بيت الأب . . . تزوج . . . يأخذ هبة البيت لابيها التي قدمت لها كوريثة .

الفقرة (٢٢) ـ اذا كان الأب حيا فان ابنته سواء أكانت انتو او نانيتو فانها تعيش في بيته كوريثة له[٢٢٩] .

الفقرة (٢٣) ـ اذا كانت الابنة في بيت ابيها وما زال حياً . . . .

الفقرة (٢٤) ـ [اذا] ولدت المرأة الشـ[ـ]ـانية [التـ]ي أخذها الرجل ، له

---

٢٢٨) اي ان يعوض عبدا عن عبد أو أمة عن أمة وهو نفس التعبير الذي يستخدم عادة لقطعان الحيوانات كقولنا رأس غنم أو ماعز . .

٢٢٩) فئتان من الكاهنات اللواتي كن يقمن في المعبد .

[أطفا]لا ، هكذا تعود ملكية جهازها ، التي أتت به من بيت أبيها لاطفالها . واما أطفال المرأة الأولى وأطفال المرأة الثانية فعليهم اقتسام املاك والدهم فيما بينهم بالتساوي[230] .

الفقرة (٢٥) - اذا اخذ رجل امرأة وولدت له أطفالاً وبقوا على قيد الحياة ثم ولدت أيضا العبدة لسيدها هي الأخرى اطفالا (منه) ومنح الأب العبدة والاطفال الحرية ، هكذا لا يحق لاطفال العبدة اقتسام البيت مع أطفال سيدهم .

الفقرة (٢٦) - [ا] ذا [ما]تت [امـ]رأته [وأخـ]ذ بعد امرأته [عبدته] امرأة له ، هكذا يكون أطفال [امـرأ]ته [ورثتـ]ه وأطفال العبدة ، الذين انجبتهم لسيدها يعتبـ[رون] أيضا أطفاله وبامكانهم الاستفادة من بيته .

الفقرة (٢٧) - إذا لم تلد امرأة لزوجها أطفالا ولكن عاهرة ولدت له أطفالا ، فعليه ان يزود العاهرة بالخبز والزيت والكساء كمعيشة لها . واما الاطفال الذين أنجبتهم العاهرة فهم ورثته ، ولكن مادامت امرأته (الاولى) على قيد الحياة ، فلا يجوز للعاهرة ان تعيش معها في البيت .

الفقرة (٢٨) - اذا عزف رجل عن امرأته الاولى[231] ، ومع ذلك لم تغادر البيت ، هكذا تكون المرأة التي تزوجها اسيرة لديه ، وعليه أن يرعى المرأة الأولى .

الفقرة (٢٩) - اذا اتى خطيب الابنة الى مسكن حميه المقبل وقام بمراسيم حفل الخطوبة ثم طرده حموه بعد ذلك واعطى زوجته لرفيقه ، هكذا ترد اليه (الى الخطيب) جميع هدايا الخطوبة ، كما لا يحق لحميه ان يزوج الفتاة لرفيقه .

الفقرة (٣٠) - اذا تزوج رجل عاهرة طريق وامره القضاء بألا يزورها ثم أقدم بعد ذلك على الطلاق من زوجته ، فعليه ان يدفع ... مبلغ ...

الفقرة (٣١) - .. . الذي أعطاه اياه بعد موت أبيهم ، فان الورثة يقتسمون أرض أبيهم ، ولكن ميراث الأرض لا يقسم .. انهم «لايطبخون كلمة أبيهم في الماء»[232] .

الفقرة (٣٢) - اذا احتجز اب خلال حياته هدية خطوبة ابنه الأكبر ..

---

٢٣٠) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ١٦٧ من قانون حمّورابي» .

٢٣١) الترجمة الحرفية : «ادار وجهه عنها» .

٢٣٢) اي يحفظون ود أبيهم .

وتزوج الابن خلال حياة ابيه ، هكذا على الورثة عند وفاة الأب . . .

الفقرة (٣٣) ـ اذا ثبت أنه . . لم يقتسم الأرض . . فعليه ان يدفع ١٠ شيكل فضة .

الفقرة (٣٤) ـ اذا استأجر رجل ثورا وجرح خزامة الانف ، هكذا عليه ان يدفع ثلث ثمن الثور[٢٣٣] .

الفقرة (٣٥) ـ اذا استأجر رجل ثورا وفقأ له عينه ، فعليه ان يدفع نصف ثمن الثور [٢٣٤] .

الفقرة (٣٦) ـ اذا استأجر رجل ثورا وكسر له قرنه ، هكذا عليه ان يدفع تعويضا قدره ربع ثمن الثور .

الفقرة (٣٧) ـ اذا استأجر رجل ثورا وجرح ذيله ، فعليه ان يدفع ربع ثمن الثور . .

الفقرة (٣٨) ـ . . . . فعليه ان يدفع . . . . . .

جـ ٣ ـ الخاتمة :

«حقاً بالاتفاق مع كلمة الحق لاوتو جعلت سومر واكّاد تتمسكان بالعدالة الخالصة . حقا اني محوت ، أنا «ليبيت ـ عشتار» وفقا لنطق انليل ، العداء والعصيان ووضعت حدا للنواح والنحيب والصراخ والحرمان . . . . . كما نشرت العدل والحق وقوّيت العدالة وثبت الخير للسومريين والأكّاديين .

حقا اني حيثما أرسيت دعائم الثروة في سومر وأكّاد ، وضعت هذه اللوحة . . . . . . فكل من لا يرتكب سوءا قبلها وكل من لا يشوه كتابتي وكل من لا يمحو نقوشي وكل من لا يكتب عليها . . . . فليمنح الحياة والعمر الطويل ، وليرفع مركزه في اكور ، الا فلتطل عليه جبهة انليل اللامعة . . . . . واما من يرتكب اثما بحقي ومن يشوه ما صنعت يدي ومن يدخل المخزن ويغير في القاعدة[٢٣٥] . ومن يمحو النقوش ومن يكتب اسمه عليها . . . . فانه

٢٣٣) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ٢٤٦ من قانون «حمّورابي» .

٢٣٤) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرتين ٢٤٧ و٢٤٨ من قانون «حمّورابي» .

٢٣٥) يعني ذلك ان هذا القانون كان منقوشا على نصب من الحجر ، ولا بد انه كان شبيها بنصب قانون «حمّورابي» اي أن نص القانون الذي اعتمدناه هنا كان واحدا من نسخ عديدة عن الأصل ، الذي لم يصلنا حتى الآن .

سوف . . . سواء أكان . . . الا فلتنزع عنه وليحدث له . . . . الا فليأخذ منه شنان وسوموجـان سادة الاكثـار . . . . . . يه ، الا فليقـوض اوتـو قاضي السماء والأرض . . . يه . . . من أساسه . . . . ولا تثبت ارضه . . . . ليصب نينورتا البطل القوي ابن «انليل» . . . .

د ـ قانون حمّورابي (١٧٢٨ ـ ١٦٨٦ ق . م) :

لقد نقش كامل نص القانون على نصب من حجر البازلت يبلغ ارتفاعه ٢,٢٥ م ، وهو محفوظ حاليا في متحف اللوفر في باريس ، وكانت بعثة فرنسية للتنقيب عن الآثار قد عثرت عليه خلال عامي ١٩٠١ / ١٩٠٢م في سوسا عاصمة الملك العيلامي «شوتروك ـ ناخّونتي» الذي كان قد نقله اليها حوالي ١١٩٠ق.م . بين غنائم الحرب التي شنها على الأراضي السومرية والاكّادية . وكان قد أمر بمسح الكتابة العمورّية ـ البابلية وان تنقش كتابة عيلامية مكانها . وقد بدىء بتنفيذ الأمر فعلا على الوجه الخلفي من النصب ولكن يبدو انه قد أوقف تنفيذ أمره لاسباب مازلنا نجهلها ، بعد ان مسحت بعض فقرات القانون :

ويغطي نص القانون كامل سطح المسلة الاملس باستثناء قمتها ، التي تحمل نقش رسم الملك «حـمّورابي» واقفا امام اله الشمس (شمش) ويجلس الالـه على عرشه وقد شخص بحزم من أشعة الشمس التي تنطلق من كتفيه ، ومعروف انها كانت دوما تمثل شعاره الدائم . ويهم الاله بتسليم الملك صولجانا او ملفا يمسكه بيده اليمنى وهو رمز السلطان والعدالة (اللوحة رقم ١٩)[٢٣٦] .

ولا شك في أن هذا النصب كان واحدا من نسخ عديـدة بعضهـا بحجمـه وبعضها الآخر اصغر منه واقيمت في ساحات مدن الامبراطورية البابلية . ولذلك لا نعلم من اية مدينة كان «شوتروك ـ ناخّونتي» قد نقلها الى عاصمته .

ويتألف النص من ٢٨٢ فقرة ، مسحت من بينها الفقرات ٦٥ ـ ١٠٠ ولكن علماء اللغات استطاعوا ولحسن الحظ أن يعثروا على بعضها منقوشا على رقم طينية

---

236) MDP, IV, PL. 3ff.

–) MDP, VII, PL. 5.

–) Mo o r t g a t, A, Die Kunst des alten Mesopotamien , Tf. 209.

عثر عليها في مكتبة الملك الاشوري اشور - بانيبال، وان يكملوا معظم الممسوح من هذه الفقرات على المسلة .

ويتكون نص الوثيقة (٢٣٧) . من ثلاثة أجزاء هي :

١ - المقدمة - ٢ - المتن وهو صلب القانون - ٣ - الخاتمة .

١ - المقدمة (٢٣٨) :

عندما حدد آنو المتعالي ، ملك الأنوناكي(٢٣٩)
وانليل سيد السماء والأرض ومقرر مصير البلاد ،
لمردوك ، الابن الأكبر لايا ، الحكم على جميع الناس
وجعلاه سيدا على الاجيجي واطلقا اسمه على بابل
وجعلاه اقوى ما في جهات العالم الأربع
وأقيمت له في وسطها ملكية خالدة بأسس
صامدة صمود السماء والأرض -
في ذلك الوقت جعلاني ، أنا حمورابي
الامير التقي ، خادم الآلهة
لأظهر الحق في البلاد ،
ولاقضي على السوء والشر ،
ولاقف دون طغيان القوي على الضعيف

---

237) Ungnad, A., Keilschrifttexte der Gesetze Hammurabis, 1909.

---) Kohler, J., Speiser, F. E. and Ungnad, A., Hammurabis Gesetz, Bd. 1. and 2, 1904 - 1909.

-) Gressman, H. Altorientalische Texte und Bilder zum Alten Testament, translaed by Ungand, A. 1924.

-) Eilers, W., Die Gesetzesstele Chammurabis, AO, Bd. 31 H., 3-4, 1932 .

-) Cruveilhier, P. Commentair du Gode d'hammurabi, 1938.

-) Pritchard, J. B. Ancient Near Eastern Texts. 1950, P. 164 ff. (translated by Meek, T J).

-) Struwe, W. W. op cit S. 201 ff..

٢٣٨) الترجمة هنا طبقا للتبويب الوارد في النص الاصلي .

٢٣٩) آلهة العالم السلفلي .

ولاشرق كالشمس على ذوي الرؤوس السود[240] وانير البلاد
عرّف «آنو» و«انليل» باسمي لاسعادهم :
حمّورابي الراعي
أنا المسمى من «انليل» ،
يكدس الخيرات والأرزاق ـ
ويأتي بالكثير من كل شيء لنيبّور ـ دورانكي[241].
التقي الحامي لاكور[242]
الملك النشيط ،
الذي أعاد بناء اريدو ،
مظهر طقوس ايابسو[243]
عاصفة جهات العالم الأربع ،
الرافع اسم بابل ،
مفرح قلب سيده مردوك
الذي يقيم يوميا في ايسانجيلا .
اصل الملكية
الذي خلقه سن
منعش أور ،
التقي ،المتواضع ،
حامل الخير لاجيسشيّرجال ،
الملك الواعي
مطيع شمش ، القوي
مدعم اسس سيبّار
المزين بالخضرة مدفن آيا[244]

٢٤٠) اسم القبائل الأكّادية في تلك العصور (راجع ايضا ص ١٢٢) .
٢٤١) كلمة سومرية تشير الى المكانة المقدسة التي احتلتها نيّبور (راجع ايضا ص ١٠٠) .
٢٤٢) معبد «انليل» في مدينة اور .
٢٤٣) معبد مدينة «اريدو» .
٢٤٤) زوجة الاله شمش .

مخطط (أسس) بيت ابابّار نظير المنزل السماوي المحارب
الذي عفا عن لارسا منشيء ابابّار حبيب
الشمس مساعده .
السيد
محيي اوروك ومزود سكانها بالماء الغزير ،
رافع راس اي - انّا
مكثر الخير لآنو وعشتار
حامي البلاد ،
جامع الناس المشردين من «اي - سن» ،
الغامر معبد اجال - ماخ بالخير ،
ثعبان الملوك ، الشقيق الحبيب لزابابا[٢٤٥] ،
مدعم اساس بيت كيش ،
المحيط ايميتي - اورساج بالابهة ،
منظم الطقوس العظيمة لعشتار
مدير معبد خورساج - كالاّما[٢٤٦] .
هول الاعداء
الذي يحقق له رفيقه ايرّا[٢٤٧] رغباته
مدعم «كوتّا»[٢٤٨]
مقدم كل شيء لـ «مشلام»
الثور القوي ، مناطح الحاقد ،
حبيب (توتو)[٢٤٩] ،
مسعد بارسيبا (بورسيبّا) الورع ،

---

٢٤٥) احد آلهة الحرب .
٢٤٦) احدى ضواحي مدينة «كيش» .
٢٤٧) الاله «نيرجال» اله الطاعون والحرب والموت .
٢٤٨) «تل ابراهيم» .
٢٤٩) الاله «نيبو» ابن «مردوك» اله الحكمة ... الخ .

غير المتراجع امام ازيدا
اله الملوك المسيّر بالحكمة ،
موسع حقول ديلبات[٢٥٠]
مالىء مستودعات اوراش[٢٥١] الكبير .
السيد الأهل للصولجان والتاج ،
الذي خلقته الربة الحكيمة ماما[٢٥٢] كاملا ،
مدعم حدود كيش
صانع الطعام الوفير لنيتو[٢٥٣]
الواعي ، العاقل ،
منذر المراعي والمياه للاجاش وجيرسو[٢٥٤] ،
مقدم الضحايا الكبيرة لانيتّو .
صياد الأعداء ، حبيب تيليتوم[٢٥٥] ،
منفذ وصايا «حلاب»[٢٥٦] مفرح قلب عشتار
الامير الفاخر ،
الذي يعرف حدد حقا صلواته[٢٥٧]
ملطف قلب حدد ، البطل ، في بيت ـ كاركارا ،
معيد تأسيس التعيينات في ا ـ آودجا لجال ،
الملك ،
الذي منح الحياة لادب ،
منظم بيت اماخ ،

---

٢٥٠) مدينة «الديلم» .
٢٥١) اله الزراعة .
٢٥٢) الربة الام الهة الخصب .
٢٥٣) ربة الولادة والحظ ، والدة الآلهة .
٢٥٤) احد احياء «لاجاش» . وكان وسطها (راجع ايضا هامش رقم ١٢٢) .
٢٥٥) اسم عشتار في احد ظهوراتها .
٢٥٦) احدى مدن جنوب ما بين النهرين .
٢٥٧) حرفيا «رفع يديه» .

سيد الملوك ، المحارب بدون نظير ،
الذي منح الحياة لماشكان شابري[٢٥٨]
الساقي ميشلام بالفيض .
المفكر العطوف ،
الذي بلغ ينابيع الحكمة ،
موطن سكان مالكا[٢٥٩] في الحصن ،
المشيد دعائم منازلهم بكثرة من أجل «ايا» و دامجال نوتا .[٢٦٠]
رافع ملكيته ،
الذي ضحى دوما قرابين كثيرة ،
الأول بين الملوك ،
مذل المستوطنات على الفرات ،
قوة داجان خالقه ،
الذي عفا عن سكان ميرا[٢٦١] وتوتول[٢٦٢] .
الأمير التقي ،
مضيء وجه عشتار ،
مقدم الطعام لنينازو[٢٦٣] ،
منقذ رعياه من البلاء ،
مدعم جذورهم للسلام في بابل .
راعي الناس ،
الذي اسرّت اعماله عشتار ،
الذي احل عشتار في اي - اول - ماش في وسط

---

٢٥٨) احدى مدن جنوب ما بين النهرين .
٢٥٩) اسم لمنطقة في شمال غرب بلاد ما بين النهرين على حدود مملكة ماري .
٢٦٠) زوجة الاله ايا .
٢٦١) «ماري» .
٢٦٢) مستوطنة الى الجنوب من ماري وتعرف اليوم باسم «هيت» .
٢٦٣) اله العالم السفلي ، ابن «انليل» .

مدينة اكّاد[٢٦٤] .
مكتشف القانون ، قائد القبائل على الطريق الصواب ،
الذي اعاد (لمدينة) اشور ربتها الشفيعة الطيبة .
الذي يطفيء نار (التمرد) ،
الملك ، الذي نشر بوضوح وجلاء اسم عشتار
في نينوى واميشميش
التقي ، المتواضع امام الآلهة الكبرى ،
فرع سومولا ـ ايلو الابن الوريث القوي
لسن ـ موبلّيط
بذرة الملكية الخالدة ،
الملك الجبار ، شمس بابل ، الذي ،
يبعث الضوء على بلاد سومر واكّاد ،
الملك ، الذي تسمع له جهات العالم الاربع ،
انا حبيب عشتار .
عندما اسماني مردوك لحكم الناس بالعدل
وكقائد للبلاد ،
أقمت اسس الحق والعدالة في البلاد
لخير الناس
ذلك الوقت (امرت) :

٢ ـ المتن(فقرات القانون) :

الفقرة (١) ـ اذا اتهم رجل رجلا آخر تحت اليمين ، واقام دعوى بحقه بسبب جريمة ، ولكنه لم يستطع تقديم البرهان على ذلك ، فعقوبة هذا الرجل الموت .

الفقرة (٢) ـ اذا اتهم رجل رجلا آخر بممارسة السحر ، ولم يستطع أن يقدم البرهان على ذلك ، هكذا على المتهم بالسحر ان يذهب إلى النهر ويرمي نفسه فيه .

---

٢٦٤) حرفيا «في وسط الصورة الطرية من اكّاد» .

فاذا غلبه النهر على امره ، هكذا يمكن للمدعي ان يأخذ بيته . واذا طهّر النهر هذا الرجل وبقي سليما هكذا يقتل متهمه بالسحر ، اما الذي قذف بنفسه في النهر فيحصل على بيت متهمه .

الفقرة (٣) - اذا ظهر رجل كشاهد في قضية قانونية تتعلق بجريمة ، ولم يستطع ان يقدم البرهان على الكلمات التي قالها ، فعقوبة هذا الرجل الموت ، اذا كانت القضية القانونية تتعلق بحياة وموت .

الفقرة (٤) - واذا ظهر كشاهد في نزاع قضائي حول حبوب او فضة ، هكذا تفرض بحقه العقوبة التي تترتب على هذا النزاع القضائي .

الفقرة (٥) - اذا حكم قاض في نزاع قضائي واتخذ قرارا وثبته على وثيقة مختومة ، ولكنه عاد فعدل حكمه ، هكذا على المرء ان يبرهن تعديل القاضي للقرار ، وبذلك على القاضي ان يدفع اثني عشر ضعف قيمة الادعاء في هذا النزاع القضائي ، واضافة الى ذلك عليه ان ينهض في الاجتماع (القضائي) عن كرسي القضاء ، ولا يعود ثانية للاجتماع مع القضاة في المحكمة .

الفقرة (٦) - اذا سرق رجل املاك الاله او القصر ، هكذا يجب ان يموت ، وكذلك فعقوبة الذي تسلم المسروق من يده الموت .

الفقرة (٧) - اذا اشترى رجل ، او تسلم كأمانة ، فضة او ذهبا او عبدا او امة او ثورا او شاة او حمارا او اي شيء آخر من يد ابن رجل او يد عبد رجل بدون شهود او عقود ، هكذا يكون الرجل لصا وعقوبته الموت .

الفقرة (٨) - اذا سرق رجل ثورا او شاة او حمارا او خنزيرا او قاربا . فاذا كان هذا يتبع الاله او القصر فعليه أن يدفع ثلاثين ضعفاً ، اما اذا كان يتبع «موشكينوم»[٢٦٥] فغرامته تسديد عشرة اضعافه ، واذا لم يكن لدى اللص ما يسدده ، تكون عقوبته الموت .

الفقرة (٩) - اذا فقد رجل حاجة وثبت وجودها لدى رجل آخر ، وقال هذا : «باعني اياها بائع واشتريتها امام شهود» ، ثم قال صاحب الحاجة المفقودة : «احضر شهودا يعرفون حاجتي المفقودة» ، هكذا على الشاري ان يأتي بالبائع الذي

---

٢٦٥) اصبح مفهوم «موشكينوم» في العصر البابلي يختلف عما كان عليه قبله ، اذ تدنت منزلته الاجتماعية خلال هذا العصر (انظر ايضا الفقرة ١٢ من قانون بيلا - لاما) .

باعه الحاجة ، ويحضر الشهود الذين تم الشراء امامهم . وعلى صاحب الحاجة المفقودة ان يجلب الشهود الذين يتعرفون على المفقود . على القضاة ان يدرسوا اعترافاتهم ، وعلى الشهود الذين كانوا حاضرين اثناء البيع والشهود الذين يعرفون المفقود ان يدلوا بشهادتهم امام الاله ، هكذا يكون البائع هو اللص ، فيجب ان يموت ويستعيد صاحب الحاجة حاجته المفقودة ، ويأخذ الشاري حقه من الفضة من بيت البائع .

الفقرة (١٠) - اذا لم يحضر الشاري البائع ، الذي اشترى منه والشهود الذين اشترى امامهم ، واحضر فقط صاحب المسروقات الشهود الذين يتعرفون على مسروقاته ، هكذا يكون الشاري هو اللص ، وعقوبته الموت ، ويستعيد في هذه الحالة صاحب المسروقات املاكه [٢٦٦] .

الفقرة (١١) - اذا لم يحضر صاحب المسروقات الشهود ، الذين يتعرفون على املاكه هكذا فهو غشاش ، لقد ادعى باطلا وعقوبته الموت .

الفقرة (١٢) - اذا مات البائع ، هكذا يحصل الشاري من بيت البائع على خمسة اضعاف المطلوب ، الذي رفع ادعاء به في هذا النزاع القضائي .

الفقرة (١٣) - اما اذا لم يتواجد شهود حال هذا الرجل ، هكذا يحدد له القضاة مدة ستة اشهر . واذا لم يحضر شهوده بعد انقضاء الشهر السادس فهذا الرجل غشاش ، وتفرض بحقه العقوبة المحددة في مثل هذا النزاع القضائي .

الفقرة (١٤) - اذا سرق رجل ابنا صغيرا لرجل ما ، فعقوبته الموت .

الفقرة (١٥) - اذا ساعد رجل عبد القصر او امة القصر ، عبد «موشكينوم» او امة «موشكينوم» بالخروج خارج بوابة المدينة ، هكذا تكون عقوبته الموت .

الفقرة (١٦) - اذا اخفى رجل في بيته عبدا او امة هاربة من اتباع القصر او «موشكينوم» ولم يخرجها اثر نداءالمنادي ، هكذا تكون عقوبة صاحب البيت الموت[٢٦٧] .

---

٢٦٦) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ٤٠ من قانون «بيلا - لاما» .

٢٦٧) كانت الوسيلة المتبعة لاعلام المواطنين بضياع عبد او امة هو النداء الحر العلني ، وليس الشرطة كما يقول د. نجيب ميخائيل ابراهيم (مصر والشرق الادنى ، الجزء السادس ص : ٦٠) .

الفقرة (١٧) - اذا القى رجل في العراء القبض على عبدٍ هارب او امة هاربة ، وقاده الى سيده ، فعلى صاحبه ان يعطيه «٢ شيكل» من الفضة[٢٦٨] .

الفقرة (١٨) - واذا لم يصرح العبد باسم سيده ، فعليه ان يقوده الى القصر فيدرس وضعه ويعاد الى صاحبه .

الفقرة (١٩) - اذا احتفظ بهذا العبد في بيته ، ووجد العبد بعدها عنده ، فعقوبة الرجل الموت[٢٦٩] .

الفقرة (٢٠) - اذا فلت العبد من يد القابض عليه ، فعلى الرجل ان يقسم لصاحب العبد (اليمين) امام الاله[٢٧٠] وعندئذ لا يتحمل المسؤولية .

الفقرة (٢١) - اذا احدث رجل ثقبا[٢٧١] ، فعقوبة الرجل الموت ، ويدفن امام الثقب .

الفقرة (٢٢) - اذا ضبط رجل بسرقة ، فتكون عقوبته الموت .

الفقرة (٢٣) - اذا لم يلق القبض على السارق ، فعلى صاحب المتاع المسروق ان يسمي امام الاله الحاجيات التي فقدت منه وعلى البلدة والرابيانوم[٢٧٢] ، التي حدثت السرقة داخل حدودها ، ان تعوض عليه ما سرق منه .

الفقرة (٢٤) - اذا وقعت ضحية نتيجة لذلك ، فعلى البلدة والرابيانوم ان تدفع لجماعة المتوفى مينة واحدة من الفضة .

الفقرة (٢٥) - اذا شب حريق في بيت رجل ورنا رجل الاطفاء بعينه على املاك صاحب البيت واخذ شيئا من املاك صاحب البيت ، هكذا يُقذف بالرجل في هذا الحريق .

الفقرة (٢٦) - اذا طلب ريدوم او بايروم[٢٧٣] للاشتراك في حرب ملكية ،

---

٢٦٨) ليس كما ورد عند د. نجيب ميخائيل ابراهيم (نفس المرجع السابق ص ٦٠) ١٠ شيكل .

٢٦٩) اي اذا استخدمه في الاعمال الاقتصادية وذلك بعكس مضمون الفقرة (١٦) .

٢٧٠) اي القسم بالاله وامام تمثاله .

٢٧١) في جدار البيت بقصد السرقة .

٢٧٢) رئيس مجلس البلدة الذي تألف من الشيوخ .

٢٧٣) معنى هذين التعبيرين الحرفي «جندي وقناص» ، والمقصود بذلك على الارجح جنديين سلح الاول بالدروع والتروس والثاني بالسهام والاقواس .

ولم يأت وانما استأجر احدا بدلا منه ، فعقوبة الريدوم او البايروم الموت ، وتسلم املاكه للبديل .

الفقرة (٢٧) - اذا اسر ريدوم او بايروم اثناء ادائه الخدمة (العسكرية) الملكية وسلم اثناء غيابه حقله وحديقته لآخر وقام هذا بواجبه ، فيجب في حالة عودته ووصوله الى المدينة ، ان يرد اليه حقله وحديقته ويقوم عندها بواجباته .

الفقرة (٢٨) - اذا كان للريدوم او للبايروم ، الذي اسر اثناء ادائه للخدمة (العسكرية) الملكية ابن بمقدوره ان يقوم بالواجبات ، فيجب ان يسلم له الحقل والحديقة ، وهو سيقوم بمهام والده .

الفقرة (٢٩) - اذا كان ابنه قاصرا ولا يستطيع ان يقوم بواجبات والده ، فيسلم ثلث الحقل والحديقة لوالدته ، وعلى والدته ان تقوم بتربيته .

الفقرة (٣٠) - اذا اهمل الريدوم او البايروم حقله وحديقته وبيته بسبب صعوبة ادائه واجبه وظل غائبا وتملك شخص آخر اثناء غيابه حقله وحديقته وبيته وقام بواجبه ثلاث سنوات ثم عاد وطالب بحقله وحديقته وبيته ، فلا يعاد اليه ذلك ، بل يحتفظ به الشخص الآخر الذي اخذه وقام بواجبه ، وعليه ان يستمر بالقيام بهذا الواجب .

الفقرة (٣١) - واذا لم يطل غيابه الا سنة واحدة ثم عاد ، فعلى الرجل ان يعيد اليه حقله وبيته وعليه هو ان يقوم بواجباته .

الفقرة (٣٢) - اذا دفع تاجر[٢٧٤] فدية «ريدوم» او «بايروم» الذي اسر اثناء حرب ملكية ومكنه من الوصول الى مدينته ، فعليه ان يدفع فدية نفسه ، اذا وجد في بيته شيء للفدية ، اما اذا لم يكن في بيته شيء يفتدى به فيجب ان يفتديه معبد اله مستوطنته ، واذا لم يوجد شيء في معبد اله المستوطنة ليفتدى به[٢٧٥] فعلى القصر ان يدفع فديته ، اما حقله وحديقته وبيته فلا يسلم مقابل الفدية .

٢٧٤) يعني «التاجر» باللغة البابلية «تامكار» ، وهو الشخص الذي كان يمارس الاعمال التجارية باموال الخاصة او الشخص الذي تاجر برأس مال التاجر الكبير ، لقاء عمولة معينة .

٢٧٥) هذا دليل واضح على فقر المعابد تجاه القصر الملكي ، لانها لم تكن دوما قادرة على دفع دية انسان .

الفقرة (٣٣) ـ اذا ساق ديكوم أو لو بوتّوم[٢٧٦] ، رجلا لفظته جماعته او بديلا عنه الى الخدمة في حرب ملكية ، فعقوبة هذا الديكوم او اللوبوتّوم الموت .

الفقرة (٣٤) ـ اذا اغتصب «ديكوم» او «لو بوتّوم» ادوات منزل ريدوم واجبر الريدوم على التنازل عن حقه ، او اجّرا ريدوم او اهملا حق ريدوم لدى ظالم ، او اخذ من ريدوم المنحة التي خص الملك الـ «ريدوم» بها ، فعقوبة هذا الديكوم او هذا الـ «لو بوتّوم» الموت .

الفقرة (٣٥) ـ اذا ابتاع رجل ماشية او غنما من يد «ريـدوم» كان الملك قد اعطاها للـ «ريدوم» فانه يفقد فضته .

الفقرة (٣٦) ـ حقل وحديقة وبيت الـ «ريـدوم» او الـ «بايـروم» او تابع للاقطاعي غير قابلة للبيع[٢٧٧] .

الفقرة (٣٧) ـ اذا ابتاع رجل حقل او حديقة او بيت «ريدوم» او «بايروم» او تابع لاقطاعي ، فتتلف وثيقته[٢٧٨] ، ويفقد ايضا فضته ، يجب ان يعاد الحقل او الحديقة او البيت الى صاحبه .

الفقرة (٣٨) ـ لا يجوز لـ «ريدوم» او «بايروم» او تابع لاقطاعي ، حصل على حقله او حديقته او بيته مقابل خدمة قام بها ، ان ينقل ملكيتها الى اسم امرأته او ابنته او ان يعطيها مقابل دين عليه .

الفقرة (٣٩) ـ يحق له ان يسجل باسم زوجته او ابنته حقلا او حديقـة او بيتا ، كان قد اشتراه او تملكه (بطريقة ما) ، وكذلك ان يسدده مقابل دين عليه .

الفقرة (٤٠) ـ يحق للـ «ناديتوم»[٢٧٩] او للتامكار او للمكلف بخدمات اخرى ان يبيع حقله او حديقته او بيته مقابل فضة ، وعلى الشاري ان يتحمل الالتزامات المرتبطة بالحقل او الحديقة او البيت الذي اشتراه .

الفقرة (٤١) ـ اذا بادل رجل حقل او حديقة او بيت «ريدوم» او «بايروم» او تابع لاقطاعي باملاكـه ودفـع الفـرق ، فيستـطيع الريـدوم او البايـروم او تابـع

---

٢٧٦) رتبتان عسكريتان لفئتين من قواد الجيش البابلي .

٢٧٧) حرفيا : «لا يجوز بيعها بفضة» .

٢٧٨) حرفيا : «يحطم الرقيم الطيني» .

٢٧٩) كانت فئة من الكاهنات تمتلك ارضا ملكية .

الاقطاعي ، ان يعود الى حقله او حديقته او بيته ، ويستطيع ايضا ان يحتفظ بالفرق الذي دفع له .

الفقرة (٤٢) - اذا استأجر رجل حقلا للزراعة ولم ينتج الحقل حبوبا ، فيجب ان يثبت انه لم يقم باي عمل في الحقل ، وعليه عندها ان يسدد لصاحب الحقل حبوبا تعادل (انتاج) حقل جاره .

الفقرة (٤٣) - واذا لم يستغل الحقل بل تركه بورا ، فعليه ان يسلم صاحب الحقل حبوبا تعادل (انتاج) حقل جاره ، اما الحقل الذي تركه بورا فعليه ان يحفره ثم يحرثه ويعيده الى صاحبه .

الفقرة (٤٤) - اذا استأجر رجل ارضا بورا لمدة ثلاث سنوات لاستصلاحها، ولكنه لم يستصلحها بسبب كسله ، فعليه في السنة الرابعة ان يحفر الارض وان يقلبُ التربة بالعزقة ويعيدها لصاحبها . كذلك عليه ان يكيل له ١٠ كور حبوبا لكل ١٨ اكو[٢٨٠] .

الفقرة (٤٥) - اذا اجّر رجل حقله لفلاح وحصل على ايجار حقله ، ولكن حدد[٢٨١] اغرق الحقل وجرف الفيضان المحصول ، فيتحمل الفلاح الخسارة .

الفقرة (٤٦) - واذا لم يكن قد حصل على الايجار ، كأن يكون قد اعطى الحقل مقابل نصف او ثلث (المحصول) ، فعلى الفلاح وصاحب الحقل ان يتقاسما المحصول بناء على اسس الاتفاقية .

الفقرة (٤٧) - اذا قال فلاح «سأستغل الحقل لصالحي» ، لأنه لم يحصل على فائدة من اعماله خلال السنة الأولى ، هكذا على صاحب الحقل الاّ يعارضه .اذ يجب ان يستغل فلاحة حقله هذا ، ويأخذ الحبوب حسب الاتفاقية .

الفقرة (٤٨) - اذا كان رجل مدينا (لآخر) واغرق «حدد» حقله وجرف الفيضان المحصول او لم ينبت ولم ينم البذار في الحقل بسبب الجفاف ، فانه غير ملزم في هذه السنة ان يسلم دائنه حبوبا وعليه ان يغير وثيقته[٢٨٢] ، كذلك فانه لا يدفع الفائدة عن هذه السنة .

---

٢٨٠) كان الـ«اكو» الواحد يعادل ٠,٣٥ هكتار ، بالنسبة للكور راجع الهامش رقم ٢٠٤ .

٢٨١) راجع ص ١٦١ .

٢٨٢) حرفيا «ان يبلل لوحته بالماء وتمحى الكتابة» ، لأن اللوحة كانت تصنع من الطين .

الفقرة (٤٩) - اذا استدان رجل من تاجر فضة واعطى التاجر مقابلها حقلا جاهزا للزراعة بالحبوب او السمسم وقال له : «استغل الحقل اجمع السمسم والحبوب ، التي تنبت ، وخذها لك» ، فيأخذ ، اذا حصل المستغل على حبوب او سمسم ، صاحب الحقل عند الحصاد السمسم والحبوب التي انتجها الحقل ، ويعطي التاجر الحبوب مقابل فضته ، التي تسلمها من التاجر ومعها كامل الفائدة ، يضاف الى ذلك قيمة الجهد (الذي بذل في استغلال الحقل) .

الفقرة (٥٠) - واذا اعطى حقل حبوب جاهزا او حقل سمسم جاهزا مقابل دينه ، فعلى صاحب الحقل ان يعيد للتاجر الفضة مع كامل الفائدة .

الفقرة (٥١) - واذا لم يكن لديه فضة ليسدد دينه ، فعليه ان يسلم التاجر حبوبا وسمسما بقيمة الفضة ، التي استدانها منه مع كامل الفائدة بما يتناسب مع التعليمات الملكية [٢٨٣] .

الفقرة (٥٢) - واذا لم يحصل الفلاح على حبوب او سمسم في الحقل ، فعلى هذا الاّ يغير عقده .

الفقرة (٥٣) - واذا كان رجل ما شديد الاهمال في تثبيت دعائم سدّ حقله ، وانهار السد نتيجة لذلك ، وفاضت المياه فأغرقت الأرض المزروعة ، فعلى الرجل ، الذي انهار سد حقله ، ان يعوض عليه (على المتضرر) الحبوب ، التي سبب اغراقها .

الفقرة (٥٤) - واذا لم يستطع تسديد الحبوب ، فيباع مع املاكه مقابل فضة يتقاسمها فيما بينهم الذين جرفت المياه حبوبهم على الحقل المستغل التابع للمستوطنة .

الفقرة (٥٥) - اذا فتح رجل ساقية الري وسبب اهماله اغراق حقل جاره بالماء فعليه ان يكيل من الحبوب ما يعادل (انتاج) حقل جاره[٢٨٤] .

الفقرة (٥٦) - إذا ترك رجل الماء يجري واغرق بذلك نباتات حقل جاره فعليه أن يكيل له ١٠ كور حبوبا لكل ١٨ اكو .

الفقرة (٥٧) - اذا لم يتفق الراعي مع صاحب الحقل لترعى اغنامه الأعشاب

---

٢٨٣) قصد بذلك لائحة الاسعار الملكية .

٢٨٤) الذي لم تغرقه المياه .

(في الحقل) ومع ذلك رعت الاغنام بدون علم صاحب الحقل ، فيجني صاحب الحقل محصوله واما الراعي ، الذي رعى غنمه في الحقل بدون علم صاحب الحقل فعليه ان يعطي صاحب الحقل زيادة على ذلك ٢٠ كورا من الحبوب عن كل ١٨ «اكو» .

الفقرة (٥٨) - اذا ترك الراعي بعد ان زربت الاغنام داخل البوابة ، كامل القطيع يخرج الى الحقل ومن ثم رعى الاغنام على الحقل ، فعلى الراعي ان يحرس الحقل الذي رعى اغنامه فيه ، وعليه عند المحصول ان يعطي صاحب الحقل ٦٠ كورا من الحبوب لكل ١٨ اكو .

الفقرة (٥٩) - اذا قطع رجل شجرة من حديقة رجل دون علم صاحبها ، فعليه ان يدفع نصف مينة فضة .

الفقرة (٦٠) - اذا سلم رجل حقلا لبستاني ، لغرسه حديقة ، وغرس الحقل ، هكذا يعتني بالحديقة اربعة اعوام (وبعدها) يقتسم المالك والبستاني في السنة الخامسة الحديقة بالتساوي فيما بينهما ، ويختار صاحب الحديقة (الحقل) حصته اولا ويأخذها .

الفقرة (٦١) - واذا لم ينته البستاني بعد في الحقل من اعمال الغرس ، وترك قسما من الأرض بدون استغلال ، فيكون القسم غير المستغل ضمن حصته[٢٨٥] .

الفقرة (٦٢) - ولكن اذا لم يجعل من الحقل الذي سلم له حديقة ، فعلى البستاني ، اذا كان الحقل ارضا صالحة (للزراعة) ، ان يكيل لصاحب الحقل (تعويضا) عن السنوات التي ابقى خلالها الحقل بورا وذلك بقدر العقار المجاور ، وبالاضافة الى ذلك عليه ان يقوم بالاعمال (الضرورية) على الحقل وان يعيده لصاحبه .

الفقرة (٦٣) - اذا كان الحقل ارضابورا،فعلى (البستاني) ، ان ينجز الأعمال الضرورية على الحقل وان يعيده لصاحبه ، وعليه بالاضافة الى ذلك ان يكيل له عن كل سنة ١٠ كور حبوبا لكل ١٨ اكو .

الفقرة (٦٤) - اذا اعطى رجل حديقة لبستاني ليلقّح الأشجار ، فعلى البستاني ، طالما انه يحتفظ بالحديقة ، ان يعطي صاحب الحديقة ثلثي انتاج الحديقة

---

٢٨٥) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ٨ من قانون «ليبيت - عشتار» .

وان يحتفظ لنفسه بالثلث الباقي .

الفقرة (٦٥) - وإذا لم يقم البستاني بعملية التلقيح مما أدى إلى انخفاض الانتاج ، هكذا (يكيل) البستاني عطاء الحديقة مثل الحديقة المجاورة .

الفقرة (٦٦) - اذا استدان رجل من تاجر فضة واصر التاجر على دفع الدين ، ولكنه لم يستطع ان يسدد (المبلغ) واعطى التاجر حديقته بعد التلقيح ، وقال : «خذ كل التمور التي تنتجها الحديقة مقابل فضتك» . فلا يجوز ان يوافق التاجر على ذلك . اذ على صاحب الحديقة ان يأخذ التمور التي تنتجها الحديقة ويعطي التاجر قيمة الفضة مع جميع الفوائد كما هو وارد في اللوحة ، وعلى صاحب الحديقة ان يحتفظ بالفائض من التمور التي تنتجها الحديقة .

الفقرة (٦٧) - اذا بنى رجل بيتا وجاره . . .

الفقرة (٦٨) - . . . .

الفقرة (٦٩) - . . . .

الفقرة (٧٠) - . . . .[٢٨٦] .

الفقرة (٧١) - اذا اعطى رجل حبوبا او فضة او حاجيات (اخرى) ثمنا لبيت[٢٨٧] حوله إشكال ما ، كأن يتبع بيت جاره ، الذي يريد شراءه . هكذا يخسر (الرجل) كل ما اعطاه ، ويجب اعادة البيت لـ(صاحبه) ، واذا لم يكن هناك إشكال يخص هذا البيت ، فإنه يستطيع شراءه و (يعطي) مقابل هذا البيت حبوبا او فضة او حاجيات اخرى .

الفقرات (٧٢ - ٧٧) -[٢٨٨] .

الفقرة (٧٨) - [اذا . . .] سكن (مستأجر) في بيت رجل واعطى لصاحب [البيت] ايجار[ه] السنوي الكامل ، [ثم] امر صاحب البيت المستأجر ان يذهب (ان يسلم البيت) قبل انتهاء المدة المحددة، هكذا [يخسر] صاحب البيت الفضة التي

٢٨٦) مسحت هذه الفقرات بأمر الملك العيلامي ، ويظهر انها تعلقت بالبيوت والمزارع وايجارها بدليل ما تبقى من نص الفقرة ٦٧ وما يعنيه مضمون الفقرة ٧١ .

٢٨٧) يقصد هنا بالبيت «مزرعة» كاملة بما فيها البيت .

٢٨٨) مسحت ايضا بأمر الملك العيلامي ويتبين من بعض الكلمات المتبقية منها انها تعلقت بالبيوت .

اعطاه اياها المستأجر . لأنه أكره المستأجر على مغادرة البيت قبل انقضاء المدة (المحددة) .

الفقرات (٧٩ - ٨٧) -[٢٨٩] .

الفقرة (٨٨) اذا دين تاجر ما رجلا حبوبا بفائدة ، هكذا يحصل التاجر على فائدة قدرها ٦٠كا من الحبوب لكل «كور» واحد ، اما اذا كان الدين فضة مقابل فائدة ، فيحصل التاجر على فائدة قدرها ٦/ ١ شيكل و ٦ شي [٢٩٠] عن كل شيكل واحد من الفضة .

الفقـرة (٨٩) اذا دين تاجـر حبوبـا بفائـدة ، فيستطيع الحصـول على بي واحد[٢٩١] . فائدة عن كل ١ كور من الحبوب ، اما اذا كان الدين فضة بفائـدة ، فيحصل مقابل كل شيكل فضة على ٦/ ١ (شيكل) و ٦ جران فائدة [٢٩٢] .

الفقرة (٩٠) - اذا لم يكن لدى الرجل المدين فضة ليدفعها ، وانما حبوب ، فعلى التاجر ، بناء على التعليمات الملكية ، ان يحاسبه بـ ١ بي لكل كور واحـد من الحبوب .

الفقرة (٩١) - [اذا أخذ] تاجر فائدة تزيد على [١ بي] لكل كور واحد من [الحبوب] و [تزيد على] ٦/ ١ شيكل و٦ جر[ان] فضـ[ـة عن كل شيكل واحد من الفضة]، فيخسر كل ما أعطاه (بالفائدة) .

الفقرة (٩٢) - . . . .[٢٩٣] .

الفقرة (٩٣) - اما اذا كان التاجر [. . .] ولم يحسم من اصل المبلغ الكمية الكافية من الحبوب التي تسلمها ولم يكتب عقدا جديدا(بالباقي من المبلـغ) او اذا اضاف الفائدة على رأس المال ، فعلى التاجر (في هذه الحالة) ان يعيد ضعف الكمية التي تسلمها من الحبوب الى المدين .

٢٨٩) ربما تعلق مضمونها بايجارات المنازل او بالتجارة او بكليهما معا ، مسحت ايضا بأمر الملك العيلامي .

٢٩٠) لقد عادل ٥/ ١ شيكل تقريبا .

٢٩١) عادل البي الواحد ٦٠ كا ، ١ كا = ٣٠٠/ ١ كور (انظر ايضا الهوامش ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٨) .

٢٩٢) ١ شيكل = ١٨ جران = ٨,٤ غ تقريبا (انظر ايضا الهامش ٢٠٢) .

٢٩٣) مسحت ايضا بأمر الملك العيلامي .

الفقرة (٩٤) - اذا سلم تاجر حبوبا او فضة بفائدة وعند التسليم وزن الفضة (رأس المال) بالوزن الصغير[٢٩٤] والحبوب بالكيل الصغير وعند حصوله على الدين استرجع الفضة بالوزن الكبير والحبوب بالكيل الكبير، فيخسر التاجر [جميع دينه من المال].

الفقرة (٩٥) - اذا دين رجل حبوبا او فضة بفائدة، ولم يكن المراقب ؟ موجودا اثناء ذلك، فانه يخسر كل ما دينه .

الفقرة (٩٦) - اذا استدان رجل من تاجر حبوبا او فضة ولم يستطع تسديدها فضة او حبوبا وانما حاجيات اخرى (بدلا منها)، فانه يستطيع ان يسلم التاجر كل ما يملك أمام شهود[٢٩٥] (اي انه يجلب ذلك حقا)، عندها لا يجوز للتاجر ان يرفض ذلك، فعليه ان يقبل به .

الفقرة (٩٧) - . . . .[٢٩٦] .

الفقرة (٩٨) - اذا سلم رجل آخر فضة للمشاركة التجارية، فعليهما ان يقتسما فيما بينهما بحضرة الإله الربح والخسارة الناجمين عن ذلك .

الفقرة (٩٩) - (ينقص الفقرة بعض الكلمات وتستكمل على الشكل التالي) :

«اذا دين تاجر تاجرا متجولا مالا بفائدة، بقصد الاتجار به، ثم ارسله على طريق (وتعرض) التاجر المتجول (لحادث) على الطريق (هكذا فانه غير مسؤول عن) المال الذي عهد اليه به» .

الفقرة (١٠٠) - اذا اعطى تاجر «شامّالوم»[٢٩٧] فضة بقصد البيع والشراء، وارسله في سفرة ثم زاد الـ «شامالّوم» خلال سفرته من كمية الفضة التي اعطيت له، وحقق الـ «شامالّوم» ربحا حيث سافر، هكذا يحصي عدد الأيام التي غابها خلال سفرته، وعليه ان يرضي تاجره .

---

٢٩٤) حرفيا «بوزن الحجرة الصغيرة» .

٢٩٥) حرفيا «ما في يديه» .

٢٩٦) ممسوحة ولم يبق منها سوى « . . . فانه يقتل» وربما تعلقت بالتجارة بدليل محتوى الفقرات اللاحقة .

٢٩٧) كلمة سومرية ومعناها «حامل الكيس» والمقصود هنا البائع المتجول، أي بعكس الـ «تامكار» انظر ايضاً الهامش ٢٧٤ .

الفقرة (١٠١) - اما اذا لم يحقق ربحا (في المنطقة) التي جاب بقاعها ، فعليه ان يعيد للتاجر ضعف الفضة التي تسلمها منه .

الفقرة (١٠٢) - اذا دين تاجر «شامالّوم» فضة بدون فائدة وتعرض حيث سافر للخسارة فعليه ان يعيد للتاجر المبلغ الفعلي (الذي استدانه) .

الفقرة (١٠٣) - واذا سلبه عدو (لص) على الطريق كل ما معه وما يحمله ، فعليه اداء اليمين امام الاله ، وعندها يعفى من تحمل المسؤولية .

الفقرة (١٠٤) - اذا اعطى تاجر «شامالّوم» حبوبا او صوفا او زيتا او حاجات اخرى بقصد البيع ، فعلى الـ «شامالّوم» ان يحصل على وثيقة[٢٩٨] ، بالفضة التي اعطاها للتاجر .

الفقرة (١٠٥) - اذا كان الـ «شامالّوم» مهملا ولم يأخذ وثيقة بالفضة التي سددها للتاجر فعليه الاّ يسجل الفضة في الحساب ، لأنه لم يحصل على وثيقة بها .

الفقرة (١٠٦) - اذا تسلم «شامالّوم» فضة من تاجر وانكرها على تاجره ، فعلى التاجر ان يبرهن امام الاله والشهود ان الـ «شامالّوم» قد تسلم منه الفضة وعلى الـ «شامالّوم» ان يعيد ثلاثة اضعاف الفضة التي تسلمها من التاجر .

الفقرة (١٠٧) - اذا كلف[٢٩٩] تاجر «شامالّوم» ثم عاد الـ «شامالّوم» وسلم كل شيء للتاجر ، الذي كان قد تسلمه ، ولكن التاجر انكر ما سلمه له الـ «شامالّوم» ، فعلى الـ «شامالّوم» ان يثبت ذلك عليه امام الاله وامام الشهود ، وعلى التاجر ان يعيد للـ «شامالّوم» ستة اضعاف (القيمة) ، لأنه انكر على الـ «شامالّوم» ما تسلمه منه .

الفقرة (١٠٨) - اذا لم تأخذ ساقية خمور ثمنا للـ «شيكاروم»[٣٠٠] ، حبوبا وانما استلمت (بدلا من ذلك) فضة (بالوزن) الكبير للحجرة ، مقابل كمية أقل من كمية الحبوب المحددة للخمر ، وفي حالة ثبوت ذلك ، يقذف بها في الماء (النهر) .

الفقرة (١٠٩) - اذا تجمع غشاشون في بيت احدى بائعات الخمور ، ولم تلق

---

٢٩٨) حرفيا «لوحة مكتوبة» .

٢٩٩) المقصود هنا ، ان يعهد التاجر للـ «شامالّوم» بتحصيل دين باسم التاجر او القيام بأية مهمة مالية اخرى .

٣٠٠) شراب مسكر كان يصنع من الشعير .

القبض عليهم وتسلمهم الى القصر[٣٠١] ، فعقوبة هذه البائعة الموت .

الفقـرة (١١٠) - اذا فتحـت «ناديتـوم» او «انتـوم»[٣٠٢] التـي تعيش في الجاجوم[٣٠٣] الباب لحانـة ما ، وذهبـت الى الحانـة لتتنـاول «شيكاروم» فعقوبتهـا الموت .

الفقرة (١١١) اذا اعارت بائعة خمر ٦٠ كا[٣٠٤] من مشروب الـ «بيشوم»[٣٠٥] فإنها تحصل عند جمع المحصول على ٥٠ كا[٣٠٦] .

الفقرة (١١٢) - اذا وجد رجل في سفرة واعطى رجـلا آخـر فضـة وذهبـا واحجارا كريمة ومتعلقات اخرى وما لديه منها ، وكلفه بنقلها ، ولكن هذا الرجل لم يسلم ما عهد اليه حيث يجب تسليمه ، وانما وضعه جانبا ، فعلى صاحب البضاعة ان يثبت ذلك ان الرجل لم يسلم ما ارسل من اجله ، وبذا عليه ان يسلم صاحب البضاعة ستة اضعاف ما سلم له .

الفقرة (١١٣) - اذا كان لرجل دين لدى آخر من الحبوب او الفضة وأخذ بدون علم صاحب الحبوب ، حبوبا من المستودع او البيدر ، فعليه ان يعيد كل ما اخذه ويخسر ايضا جميع دينه .

الفقرة (١١٤) - اذا لم يكن لرجل دين لدى آخر من الحبوب او الفضة ، وقام امرؤ آخر بالرغم من ذلك فرهنه مقابل ذلك ، هكذا يكون ملزما بوزنة ٣/ ١ مينة فضة على كل محتجز .

الفقرة (١١٥) - اذا كان لرجل دين لدى آخر من الحبوب او الفضة ورهنه احدهم لديه ، ولكن الرهينة توفيت بصورة طبيعية لدى المحتجز ، فلا يشكل ذلك سببا للادعاء .

٣٠١) المقصود هنا اخبار السلطات بوجودهم في حانتها .

٣٠٢) زوجة الاله او اخته .

٣٠٣) احد اجنحة المعبد وكان شبيها بالدير خلال العصور الوسطى .

٣٠٤) ورد في الترجمة المشوهـة للنص الأصلي في كتـاب د . نجيب ميخائيل ابـراهيم (مصر والشرق الأدنى - الجزء السادس) «قنينة» ، بالرغم ان الرقم واضح في النص الأصلي وهـو ٦٠ كا .

٣٠٥) المعنى الدقيق للكلمة غير معروف حتى الآن .

٣٠٦) المقصود هنا «فائدة» على الكمية المعارة .

الفقرة (١١٦) - اذا ماتت رهينة في بيت المحتجز بفعل الجلد او التنكيل ، فعلى صاحب الرهينة ان يثبت ذلك على التاجر ، وعندها تكون عقوبة التاجر موت ابنه ، واذا كانت الرهينة عبد رجل فعليه ان يدفع ٣/ ١ مينة فضة ويخسر كل دينه .

الفقرة (١١٧) - اذا كان رجل مدينا (ولذلك) سلم امرأته او ابنه او ابنته مقابل الدين من الفضة ، فعليها الخدمة طوال ثلاث سنوات في بيت الشاري أو الكفيل[٣٠٧] ، وعليه ان يطلق سراحها حرة في السنة الرابعة .

الفقرة (١١٨) - اذا اعطى عبدا او امة مقابل دين ، فيستطيع التاجر ان يتصرف به مقابل الفضة ، ولم يعد بالمستطاع استرجاعه بطرق قضائية .

الفقرة (١١٩) - اذا كان رجل مدينا واعطى مقابل الفضة امته ، التي ولدت منه اطفالا فان صاحب الأمة يستطيع ان يزن الفضة ، التي وزنها له التاجر ، وان يسترجع امته .

الفقرة (١٢٠) - اذا سلم رجل حبوبه بقصد تخزينها في بيت رجل ونقصت منها كمية في مستودع الحبوب ، او ان صاحب البيت الذي فتح المستودع لديه هو الذي اخذ الحبوب او انكرها قطعا ، انه لم يحفظ الحبوب في بيته ، فعلى صاحب الحبوب ان يحدد كمية حبوبه امام الاله ، وبذا على صاحب البيت ان يعيد لصاحب الحبوب ضعفي كمية حبوبه .

الفقرة (١٢١) - اذا خزن رجل حبوبه في بيت رجل ، فعليه ان يدفع ٥ كا حبوبا عن كل كور واحد من الحبوب ، اجرة سنوية للتخزين[٣٠٨] .

الفقرة (١٢٢) - اذا اراد رجل ان يسلم رجلا فضة او ذهبا او حبوبا او اي شيء آخر لحفظها ، هكذا لا يشكل ذلك سببا للادعاء .

الفقرة (١٢٣) - إذا سلمها للحفظ بدون شهود وبدون أن يبرم عقداً بذلك ، وانكرها المستلم عليه ، هكذا لا يشكل ذلك سبباً للادعاء .

الفقرة (١٢٤) - اذا سلم رجل رجلا فضة او ذهبا او اشياء اخرى للحفظ امام شهود وانكرها الرجل عليه ، فعليه ان يثبت ذلك ، وبالتالي على الرجل ان يعيد ضعف ما انكره (من الحاجيات) .

---

٣٠٧) حرفيا : «المستعبد» .

٣٠٨) راجع الهامش رقم ٢٩١ .

الفقرة (١٢٥) - اذا سلم رجل بعض ما يملكه للحفظ ونقص شيء منه حيث تم التسليم وكذلك من املاك صاحب البيت ، وليكن بسبب ثقب في البيت ، فعلى صاحب البيت الذي كان مهملا ان يعوض لصاحب الملك كامل ما تسلمه منه للتخزين وافتقده . اما صاحب البيت فعليه ان يبحث عن المفقود له وان يستعيده من السارق .

الفقرة (١٢٦) - اذا ادعى رجل (بقوله) : «فقدت شيئا» ولكن لم يفقد منه شيء بالفعل وقدم بذلك ادعاء باطلا امام مجلس المدينة ، فعلى مجلس المدينة ان يبرهن بالمقابل امام الاله ، بأنه لم يفقد شيئا ، وبذلك عليه ان يعطي مجلس المدينة ضعف ما ادعى فقدانه .

الفقرة (١٢٧) - اذا اشار رجل باصبعه الى «انتوم»[٣٠٩] او امرأة رجل دون ان يثبت شيئا ضدها ، فعلى هذا الرجل ان يمثل امام القضاء ويحلق شعر صدغية .[٣١٠]

الفقرة (١٢٨) - اذا اخذ رجل امرأة دون عقد مبرم بذلك ، فتكون هذه المرأة ليست زوجته .

الفقرة (١٢٩) - اذا ضبطت امرأة رجل مضطجعة مع رجل آخر ، فيكبل الاثنان ويقذف بهما في الماء (النهر) ، اما اذا اراد رجل ان تعيش زوجته ، فيترك الملك (بالمقابل) عبده[٣١١] على قيد الحياة .

الفقرة (١٣٠) اذا اغتصب رجل امرأة رجل تسكن في بيت والدها[٣١٢] ، قبل ان تكون قد ضاجعت رجلا ، ورقد على صدرها ، وضبط بالجرم المشهود ، فتكون عقوبة الرجل الموت اما المرأة فلا تتحمل مسؤولية .

الفقرة (١٣١) - اذا اتهمت امرأة من قبل زوجها ولكنها لم تضبط مع رجل آخر ، فعليها ان تؤدي اليمين امام الإله وعندها تعود الى بيتها[٣١٣] .

---

٣٠٩) كانت هذه الاشارة من الرجل تعني وصم المرأة بالعار .

٣١٠) علامة لاقترافه الاثم .

٣١١) «العبد» هنا يعني التابع او المواطن .

٣١٢) اي ان عقد الزواج قد ابرم ، ولكن مهر العروس لم يكن قد تم دفعه لسبب ما ، لذلك تبقى المرأة تسكن في بيت والدها .

٣١٣) بيت اسرتها .

الفقرة (١٣٢) - اذا اشير باصبع الى امرأة رجل بسبب رجل آخر ، ولكنها لم تضبط مع هذا الرجل ، فعليها ان تلقي بنفسها في النهر نزولا عند رغبة زوجها .

الفقرة (١٣٣) - اذا اسر رجل وكان في بيته طعام فعلى زوجته ان تحرس املاكها ولا تذهب الى بيت رجل آخر . اما اذا لم ترع هذه المرأة املاكها ؟ بل ذهبت الى بيت رجل آخر ، يجب ان يثبت ذلك على المرأة وان يقذف بها في النهر .

الفقرة (١٣٤) - اذا اسر رجل ولم يكن في بيته وسيلة عيش ، فتستطيع زوجته (والحالة هذه) ان تذهب الى بيت (رجل) آخر ، دون ان تتحمل هذه المرأة أية مسؤولية .

الفقرة (١٣٥) - اذا اسر رجل ولم يكن في بيته وسيلة عيش وذهبت امرأته قبل عودته إلى بيت (رجل) آخر وأنجبت اطفالا ثم عاد زوجها بعد ذلك ووصل الى مستوطنته ، فعلى هذه المرأة أن تعود الى زوجها الأول ، وأما الأطفال فيتبعون اباهم[٣١٤] .

الفقرة (١٣٦) - اذا تخلى رجل عن مستوطنته وغادرها ، ثم ذهبت زوجته بعد ذلك الى بيت (رجل) آخر ، واذا عاد هذا الرجل ، واراد ان يستعيد امرأته ، فعليها الاّ تعود اليه ، لأنه حقّر مستوطنته وهجرها[٣١٥] .

الفقرة (١٣٧) - اذا صمم رجل ان يهجر «شوجيتوم»[٣١٦] ولدت منه اطفالا او «ناديتوم» انجبت منه اطفالا ، فعليه ان يعطي هذه المرأة بائنتها وقطعتها من الحقل والحديقة والاملاك المنقولة ، كي تستطيع رعاية اطفالها ، واذا ربت اطفالها حتى شبوا ، فانها تعطى نصيبها من كل شيء أعطي لأطفالها ، بما يعادل حصة احد ابنائها الورثة ، وعندها يستطيع الرجل الذي تحبه ان يتزوجها .

الفقرة (١٣٨) - اذا اراد رجل ان يطلق امرأته الأولى التي لم تنجب منه أطفالا ، فعليه ان يعطيها فضة تعادل مهرها وان يسمح لها ايضا بالحصول على كل ما أتتت به من بيت والدها وعندها يستطيع ان يتركها.

---

٣١٤) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ٢٩ من قانون «بيلا - لاما» .

٣١٥) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ٣٠ من قانون «بيلا - لاما» .

٣١٦) بسبب عدم وضوح هذه الكلمة في النص الأصلي فان قراءتها غير دقيقة وتعني اما «عاهرة» من طبقة «حرة» او «عشيقة» .

الفقرة (١٣٩) - اذا لم يكن هناك مهر ، فعليه ان يعطيها مينة واحدة من الفضة كبدل للطلاق .

الفقرة (١٤٠) - اذا كان هذا الرجل «موشكينوم» فعليه ان يعطيها ٣/١ مينة فضة .

الفقرة (١٤١) - اذا صممت امرأة رجل ان تعيش في بيت الرجل على الذهاب وتصرفت بـ «مبالغ البيت» وبعثرت ادواته وشهّرت بزوجها ، فعلى المرء ان يثبت ذلك ، واذا اراد الرجل ان يطلقها ، فانه يستطيع ان يتركها . انه ليس بحاجة لأن يعطيها بدل الطلاق اما اذا لم يعلن الرجل الطلاق منها ، فبامكانه (بالرغم من ذلك) ان يتخذ له زوجة اخرى وعلى هذه الزوجة (الأولى) ان تسكن في بيت زوجها كأمة عنده .

الفقرة (١٤٢) - اذا كرهت امرأة رجلها وقالت له : «لا تلمسني» ، هكذا يبحث امرها ، في مجلس المدينة ، اذا ما كانت شريفة ولا شيء يعيبها ، بالرغم ان زوجها قد اعتاد ان يذهب خارج البيت ويحط من قدرها ، فهي غير مذنبة وتستطيع ان تأخذ جهازها وتذهب الى بيت ابيها .

الفقرة (١٤٣) - اذا لم تكن المرأة شريفة على الدوام ، وانما اعتادت ان تذهب خارج البيت وان تبعثر (ادوات) منزلها وان تحط من قدر زوجها ، فيقذف بهذه المرأة في الماء .

الفقرة (١٤٤) - اذا اخذ رجل «ناديتوم» وجلبت لزوجها معها امة وولدت اطفالا وصمم الرجل ان يتزوج من «شوجيتوم» ، فلا يسمح لهذا الرجل بذلك ، انه لا يستطيع ان يأخذ «شوجيتوم» .

الفقرة (١٤٥) - اذا اخذ رجل «ناديتوم» ولم تنجب منه اطفالا ولكنه صمم ان يأخذ «شوجيتوم» ، فيمكنه أن يأخذ «شوجيتوم» ، ويقودها الى بيته ، ولكن هذه الـ «شوجيتوم» لا تتساوى منزلة مع الـ «ناديتوم» .

الفقرة (١٤٦) - اذا اخذ رجل «ناديتوم» واعطت رجلها امة وولدت هذه الأمة منه أطفالا ، ولكنها وضعت نفسها في منزلة سيدتها ، فلا تستطيع سيدتها ان تبيعها مقابل فضة (ولكن) يمكنها أن تعرّفها بميسم ، وتصنفها بين العبيد .

الفقرة (١٤٧) - واذا لم تلد اطفالا ، فتستطيع سيدتها ان تبيعها .

الفقرة (١٤٨) - اذا اخذ رجل امرأة وحل بها مرض «لا آبوم» (الحمى المعدية) وصمم ان يأخذ (امرأة) اخرى ، فانه يستطيع ان يأخذها ، ولكن لا يحق له ان يطلق المرأة المريضة ، انها تستطيع ان تسكن في البيت الذي يبنيه لها ، وعليه ان يقدم لها تموينها طالما هي على قيد الحياة .

الفقرة (١٤٩) - واذا لم تقبل هذه المرأة بذلك ، اي بالعيش في بيت زوجها ، فعليه ان يعيد اليها ما اتت به من بيت والدها ، ويمكنها عندئذ الانصراف .

الفقرة (١٥٠) - اذا اهدى رجل امرأته حقلا او حديقة او بيتا او املاكا منقولة ، ووضع وثيقة (بذلك) ، فلا يستطيع ابناؤها بعد موت زوجها ان يطالبوها قضائيا بذلك ، فالوالدة تستطيع ان تعطي الارث لمن تحب من بين ابنائها ، وليست مجبرة ان تعطي الآخرين .

الفقرة (١٥١) - اذا كانت امرأة تقطن في بيت رجل وتعهدت لزوجها بعقد ووضعت له وثيقة بذلك : ان احد دائني رجلها لا ينال منها، فلا يستطيع دائنوه ، اذا حمل هذا الرجل دينا معه قبل زواجه بهذه المرأة ان ينالوا من هذه المرأة ، كذلك لا يستطيع دائنوها اذا حملت هذه دينا معها الى بيت زوجها ، ان ينالوا من الرجل .

الفقرة (١٥٢) - واذا ترتب عليهما دين بعد ان أتت هذه المرأة الى بيت الرجل، فيكونان متضامنين عند الـ «تامكار» .

الفقرة (١٥٣) - اذا رتبت امرأة امر قتل زوجها نزولا عند رغبة رجل آخر ، هكذا تجلّس هذه المرأة على الخازوق .

الفقرة (١٥٤) - اذا ضاجع رجل ابنته ، هكذا يجب ان يبعد هذا الرجل عن مستوطنته .

الفقرة (١٥٥) - اذا اختار رجل لابنه عروسا وضاجعها ابنه ، ثم رقد هو بالذات على صدرها وضبط (بالجرم المشهود) ، عندها يكبل هذا الرجل ويقذف به في الماء .

الفقرة (١٥٦) - اذا اختار رجل لابنه عروسا ولم يضاجعها ابنه (بعد) ولكنه (الوالد) رقد على صدرها ، فعليه ان يزن ١/٢ مينة فضة وأن يعوض عليها جميع ما أتت به من بيت والدها ، وبذا يمكن لأي رجل تحبه ان يتزوجها .

الفقرة (١٥٧) - اذا رقد رجل بعد (وفاة) والده على صدر امه ، فيحرق كلاهما .

الفقرة (١٥٨) - اذا رقد رجل بعد (وفاة) والده على صدر مربيته ، التي أنجبت اطفالا وضبط اثناء ذلك ، فيطرد الرجل خارج بيت والده .

الفقرة (١٥٩) - اذا جلب رجل جهاز الخطبة الى بيت حميه ودفع مهر العروس ثم رنا بعينه الى امرأة اخرى وقال لحميه : «لا اريد ابنتك» ، فيستطيع الأب ان يأخذ جميع ما أحضر إليه .

الفقرة (١٦٠) - اذا جلب رجل جهاز الخطيبة الى بيت حميه ودفع مهر العروس ، ثم قال والد الخطيبة : «لا أعطيك ابنتي» ، فعليه ان يعيد ضعف ما أحضر إليه .

الفقرة (١٦١) - اذا جلب رجل جهاز الخطيبة الى بيت حميه ودفع مهر العروس ، ولكن رجلا بمنزلته[٣١٧] وشى به ، وقال والد الابنة لسيد المرأة : «لا أريد ان أعطيك ابنتي» فعليه أن يعيد ضعف ما أحضر اليه ، أما الرجل الآخر الذي بمنزلته ، فلا يستطيع أن يأخذ المرأة .

الفقرة (١٦٢) - اذا اخذ رجل امرأة وأنجبت منه اطفالا ، ثم ماتت هذه المرأة ، فلا يحق لوالدها ان يدعي الحصول على جهازها ، فجهازها من حق اطفالها .

الفقرة (١٦٣) - اذا اخذ رجل امرأة ولم تنجب له اطفالا ، ثم ماتت هذه المرأة ، فلا يستطيع رجلها اذا اعاد اليه حموه مهر العروس الذي اتى به الى بيت حميه ، ان يدعي قضائيا ملكية جهازها ، فجهازها يتبع والدها .

الفقرة (١٦٤) - واذا لم يعد اليه حموه مهر العروس ، فعليه ان يحسم من جهازها قيمة مهرها ويعيد جهازها (الباقي منه) الى بيت والدها .

الفقرة (١٦٥) - اذا اهدى رجل ابنه الوريث الذي احبه حقلا وحديقة وبيتا ، وكتب له وثيقة (بذلك) ، واذا مات الوالد واقتسم الابناء فيما بينهم بالتساوي املاك البيت ، فعليه ان يأخذ ما اعطاه له والده بالاضافة الى حصته من املاك البيت (المتبقية) .

---

٣١٧) قارن مضمون هذه الفقرة مع مضمون الفقرة ٢٩ من قانون «لبيت - عشتار» والمعني هنا بـ «منزلته» «نفس طبقته» .

الفقرة (١٦٦) - اذا اخذ رجل لأولاده (الشرعيين) نساء (ولكن) لم يأخذ لابنه الصغير امرأة بعد ، فعلى (الاولاد) بعد وفاة ابيهم ، في حالة اقتسام (التركة) فيما بينهم ، ان يحسموا من املاك بيت الوالد لحساب الطفل (الذي كان صغيرا) ولم يأخذ امرأة ، بالاضافة الى حصته ، فضة لمهر العروس ، وان يسمحوا له بأن يتزوج امرأة .

الفقرة (١٦٧) - اذا اخذ رجل امرأة وولدت له اطفالا ثم ماتت هذه المرأة واخذ بعدها امرأة اخرى وولدت له هي الأخرى ايضا اطفالا ، فعلى الأطفال ، اذا توفي والدهم ، ان يقتسموا (التركة) تبعا للأمهات : اذ يحق لكل جانب منهم ان يأخذ جهاز والدته ثم يتقاسم مع الآخر تركة الوالد بالتساوي[٣١٨] .

الفقرة (١٦٨) - اذا صمم رجل ان يطرد ابنه وقال للقضاة : «سأطرد ابني» فعلى القضاة ان يدرسوا مشكلته ، واذا لم يقترف الابن خطأ جسيا عقوبته حرمان الابن من حق الارث ، فلا يسمح للأب ان يحرم ابنه من الارث .

الفقرة (١٦٩) - اما اذا اقترف (الابن) بحق والده خطأ جسيا عقوبته الحرمان من الارث ، فعلى المرء ان يصفح عنه للمرة الأولى ، اما اذا اقترف للمرة الثانية خطأ جسيا فيستطيع الاب ان يحرم ابنه من حقه بالارث .

الفقرة (١٧٠) - اذا انجبت المرأة الأولى لرجلها اطفالا وانجبت ايضا امته منه اطفالا ، وقال الوالد في حياته للأطفال الذين انجبتهم له الأمة : «اطفالي» واعتبرهم من بين اطفال المرأة الأولى ، فعلى اطفال المرأة الأولى واطفال الأمة في حالة وفاة والدهم ان يقتسموا تركة الوالد فيما بينهم ، ويختار الابن الوريث (الابن البكر) من المرأة الأولى حصته اولا .

الفقرة (١٧١) - اذا لم يقل الاب في حياته الى الاطفال الذين انجبتهم له الامة «اطفالي» ، فلا يجوز ان يقتسم اطفال الامة ، في حالة وفاة ابيهم ، املاك بيت الاب ، ولكن تعتبر الامة والاطفال احرار ، لا يحق لاطفال المرأة الاولى ان يستعبدوا اطفال الامة ، وتحصل المرأة الاولى على جهازها والمنحة الزوجية التي اعطاها لها رجلها وسجلها على لوحة (وثيقة) وتبقى تسكن في بيت رجلها ، ولها حق

٣١٨) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ٢٤ من قانون «لبيت - عشتار» .

الانتفاع مادامت على قيد الحياة ، ولكن لا يحق لها ان تتصرف به مقابل فضة ، فتركتها من حق اطفالها .

الفقرة (١٧٢) - اذا لم يعطها رجلها «منحة الزواج» فيجب ان يعوض عليها بدل زواجها وتحصل على قسم من املاك بيت زوجها يساوي حصةابن وريث. واذا ضغط عليها ابناؤها لتهجر البيت فعلى القضاة ان يدرسوا امرها ويفرضوا عقوبة على اطفالها ، فالمرأة لا تهجر بيت زوجها. اما اذا كانت المرأة مصممة على الذهاب ، فعلى ابنائها ان يسمحوا لها بالحصول على المنحة الزوجية التي اعطاها لها رجلها ، وان تأخذ جهازها بنفسها من بيت والدها ، وعندها تستطيع ان تتزوج الذي يحبها .

الفقرة (١٧٣) - اذا انجبت هذه المرأة اطفالا للرجل (الثاني) الذي تزوجته ، ثم ماتت هذه المرأة ، فيقتسم ابناؤها من الأول ومن الثاني جهازها .

الفقرة (١٧٤) - اذا لم تنجب لرجلها الاخير اطفالا ، فيحصل ابناء رجلها الاول على جهازها .

الفقرة (١٧٥) - اذا اخذ عبد القصر او عبد «موشكينوم» ابنة رجل (حر) وانجبت منه اطفالا ، فلا يحق لصاحب العبد ان يستعبد اطفال ابنة الرجل (الحر) .

الفقرة (١٧٦) - اذا تزوج ايضا عبد القصر او عبد «موشكينوم» ابنة رجل (حر) واصطحبت معها ، لانه اخذها ، جهازها من بيت والدها الى بيت عبد القصر او بيت عبد الـ «موشكينوم» واقتنيا بعد استقرارهما بيتا واملاكا ثم توفي عبد القصر او عبد الـ «موشكينوم» فتحصل ابنة الرجل على جهازها . اما الذي اقتنياه كلاهما ، عندما استقرا معا ، فيجب ان يقسم الى نصفين ، يحصل سيد العبد على نصف وابنة الرجل تحصل على النصف الآخر لاطفالها . واذا لم يكن لابنة الرجل جهاز ، فيجب عندها ان تقسم مقتنياتهما التي حصلاها اثناء استقرارهما معا الى نصفين . يحصل سيد العبد على نصف وتحصل ابنة الرجل على النصف الآخر لاطفالها .

الفقرة (١٧٧) - اذا صممت ارملة لها اطفال على الذهاب الى بيت رجل آخر ، فلا يجوز لها ان تذهب دون علم القضاة . واذا ارادت ان تذهب الى بيت (رجل) آخر ، فعلى القضاة ان يبحثوا امر بيت زوجها المتوفى ، فيعهدون به اليها والى رجلها الآخر ويضعان لوحة (وثيقة) يذكران فيها : سيحافظ كلاهما على البيت

ويريان الاطفال الصغار دون ان يبيعا الادوات مقابل فضة ، فشاري ادوات اطفال ارملة يخسر فضته وتعاد الاملاك الى صاحبها .

الفقرة (١٧٨) - اذا حصلت «انتوم» او «ناديتوم» أو «زيكروم»[٣١٩] من والدها على جهاز وكتب لها وثيقة بذلك ، ولكنه لم يكتب في الوثيقة انها حرة التصرف بتركتها كيفما تشاء ، فان اخوتها يحصلون في حالة وفاة الوالدعلى حقلها وحديقتها وعليهم ان يعطوها نصيبها طعاما وزيتا وكساء وان يرضوها . (اما) اذا لم يسلمها اخوتها طعاما وزيتا وكساء بدلاً من نصيبها ولم يرضها هؤلاء ، عندها تستطيع ان تسلم حقلها وحديقتها الى المستغل (في هذه الحالة الفلاح) الذي تريده ، وعلى الفلاح ان يقدم لها (تكاليف) معيشتها . انها تستطيع ان تتمتع بالحقل والحديقة وكل شيء اعطاها والدها مادامت على قيد الحياة ، لكن ليس لها حق بيعها مقابل فضة او تسدد بها دينا ، فتركتها تعود الى اخوتها .

الفقرة (١٧٩) - اذا اعطى اب لـ «انتوم» او «ناديتوم» و «زيكروم» جهازا وكتب وثيقة بذلك ، وذكر فيها انها تستطيع ان تتصرف بتركتها كيفما تشاء وضمن لها حرية التصرف فانها تستطيع في حالة وفاة والدها ، ان تعطي تركتها حيث تريد ، ولا يستطيع اخوتها مطالبتها قضائيا بشيء .

الفقرة (١٨٠) - اذا لم يعط اب ابنته الـ «ناديتوم» التي تعيش في الـ «جاجوم» او الـ «زيكروم» جهازا ، فانها تحصل في حالة وفاة والدها من املاك بيت الوالد على حصة تعادل حصة ابن وريث وتستطيع ان تستغلها مادامت على قيد الحياة ، ولكن تركتها تعود الى اخوتها .

الفقرة (١٨١) - اذا كرس اب «ناديتوم» او «عاهرة معبد» او «عذراء معبد» للاله دون ان يصحبها بجهازها ، فانها تحصل في حالة وفاة ابيها من املاك بيت الاب على ثلث الارث ، وتستطيع ان تنتفع به مادامت على قيد الحياة ، اما تركتها فتعود الى اخوتها .

الفقرة (١٨٢) - اذا لم يعط والد لابنته «ناديتوم» مردوك البابلي جهازا ولم يكتب لها لوحة مختومة بذلك ، فانها تقتسم في حالة وفاة والدها مع اخوتها تركة

٣١٩) «زيكروم» تعني عاهرة معبد ، علما انها وردت في النص بصيغة المذكر .

والدها وتحصل على ثلث التركة وليست متكفلة بالواجبات [٣٢٠] ، وهي تستطيع أن تعطي تركتها لاحدى «ناديتوم» مردوك ، التي تريد .

الفقرة (١٨٣) - اذا اعطى رجل ابنته الـ «شوجيتوم» جهازا واعطاها لرجل وكتب لها لوحة بذلك ، فانها لا تحصل فيما بعد ، في حالة وفاة والدها على نصيب من تركة الوالد .

الفقرة (١٨٤) - اذا لم يعط اب ابنته الـ «شوجيتوم» جهازا ولم يعطها (يزوجها) لرجل ، فان على اخوتها فيما بعد ، في حالة وفاة الاب ، ان يعطوها جهازا يتناسب مع قيمة املاك بيت الوالد (التركة) وان يزوجوها الرجل الذي تحب (ويريدها) .

الفقرة (١٨٥) - اذا تبنى رجل طفلا صغيرا لم يعرف اصله واعتنى بتربيته ، فلا يمكن استعادة هذا الطفل المتبنى بالطرق القضائية .

الفقرة (١٨٦) - اذا تبنى رجل طفلا صغيرا وعرف بعد التبني والده ووالدته ، فان هذا الطفل يستطيع ان يعود الى بيت والده .

الفقرة (١٨٧) - لا يجوز استعادة ابن احد افراد البلاط الملكي او ابن تابع للقصر او لـ «زيكروم» المتبنى ، بالطرق القضائية .

الفقرة (١٨٨) - اذا تبنى حرفي طفلا صغيرا ورباه وعلمه صنعته ، فلا يمكن استعادته بالطرق القضائية .

الفقرة (١٨٩) - اما اذا لم يعلمه صنعته ، عندها يستطيع الطفل ان يعود الى بيت والده .

الفقرة (١٩٠) - اذا تبنى رجل طفلا صغيرا ورباه حتى اصبح شابا ، ولكنه لم يعتبره من بين ابنائه ، فيستطيع المتبنى ان يعود الى بيت والده .

الفقرة (١٩١) - اذا تبنى رجل طفلا صغيرا ورباه واسس له بيتا ورزق اطفالا فيمابعد وصمم على عدم الاعتراف بالمتبنى ، فعلى المتبنى الا ينصرف صفر اليدين ، اذ على متبنيه ان يعطيه ثلث متاعه وعندها يمكنه الانصراف ، ولكنه غير مجبر ان يعطيه شيئا من الحقل والحديقة والبيت .

الفقرة (١٩٢) - اذا كان المتبنى احد افراد البلاط الملكي او طفل «زيكروم»

---

٣٢٠) منح المشرع في هذه الفقرة كاهنة معبد مردوك حقوقا ، لم يعطها للنسوة الاخريات .

وقال لمتبنيه او متبنيته : «انت لست والدي» او «انت لست والدتي» ، فعقوبته قص لسانه[٣٢١] .

الفقرة (١٩٣) ـ اذا كان المتبنى طفل احد افراد البلاط الملكي او طفل «زيكروم» وعرف بيت والده ، واحتقر متبنيه بسبب ذلك ، وذهب الى بيت والده ، فتفقأ عينه .

الفقرة (١٩٤) ـ اذا اعطى رجل طفلا لمربية ومات الطفل في يد المربية واستبدلته (بآخر) دون علم والده او والدته ، هكذا يجب اثبات ذلك وعندها تكون عقوبتها قطع ثدييها لانها استبدلته بطفل آخر دون علم والده ووالدته .

الفقرة (١٩٥) ـ اذا صفع ولد اباه ، فتبتر يده .

الفقرة (١٩٦) ـ اذا فقأ رجل عين ابن رجل آخر ، فتفقأ عينه[٣٢٢] .

الفقرة (١٩٧) ـ اذا كسر عظم رجل آخر ، فيكسر عظمه .

الفقرة (١٩٨) ـ اذا فقأ عين «موشكينوم» او كسر عظم «موشكينوم» ، فعليه ان يزن مقابل ذلك مينة واحدة من الفضة .

الفقرة (١٩٩) ـ اذا فقأ عين عبد رجل او كسر عظم عبد رجل ، فعليه ان يدفع نصف مينة من الفضة .

الفقرة (٢٠٠) ـ اذا اسقط رجل سن رجل يساويه منزلة[٣٢٣] فعقوبته اسقاط سنه .

الفقرة (٢٠١) ـ اذا اسقط سن «موشكينوم» فعليه ان يزن ٣/ ١ مينة من الفضة .

الفقرة (٢٠٢) ـ اذا صفع رجل رجلا آخر اعلى منه منزلة على وجنته ، فعقوبته ٦٠ جلدة بسوط من جلد الثور في الاجتماع[٣٢٤] .

---

٣٢١) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ٤ من قانون «اورنامّو» .

٣٢٢) قارن مضمون الفقرات ١٩٦ ـ ٢٠٨ بمضمون الفقرات ٤٣ ـ ٤٨ من قانون «بيلا ـ لاما» .

٣٢٣) اي من نفس طبقته .

٣٢٤) اجتماع مجلس الشيوخ (= مجلس البلدة او المدينة او المستوطنة) .

الفقرة (٢٠٣) - اذا صفع ابن رجل ابن رجل آخر يساويه منزلة على وجنته فعليه ان يزن مينة واحدة من الفضة تعويضا له .

الفقرة (٢٠٤) - اذا صفع «موشكينوم» «موشكينوم» آخر (على) وجنته ، فعليه ان يزن ١٠ شيكل من الفضة تعويضا له .

الفقرة (٢٠٥) - اذا صفع عبد رجل ابن رجل (على) وجنته ، فعقوبته قص اذنه .

الفقرة (٢٠٦) - اذا ضرب رجل رجلا اثناء شجار وجرحه ، فعلى الرجل ان يقسم (بقوله) : «لم اضربه عمدا» وعندها يدفع (اجر) الطبيب (فقط) .

الفقرة (٢٠٧) - اذا مات (الرجل) نتيجة للضرب ، فعليه (الضارب) القسم ، فاذا كان ابن رجل ، فيجب عندها ان يزن ٢/ ١ مينة من الفضة .

الفقرة (٢٠٨) - اما اذا كان ابن «موشكينوم» فعليه ان يزن ٣/ ١ مينة من الفضة .

الفقرة (٢٠٩) - اذا ضرب رجل ابنة رجل وفقدت خصوبتها ، فعليه ان يزن ١٠ شيكل من الفضة .

الفقرة (٢١٠) - واذا ماتت هذه المرأة ، فتقتل ابنته .

الفقرة (٢١١) - اذا فقدت ابنة «موشكينوم» خصوبتها بسبب الضرب ، فعليه ان يزن ٥ شيكل من الفضة .

الفقرة (٢١٢) - اذا ماتت هذه المرأة فعليه ان يزن ٢/ ١ مينة من الفضة .

الفقرة (٢١٣) - اذا ضرب امة رجل وفقدت خصوبتها ، فعليه ان يزن ٢ شيكل من الفضة .

الفقرة (٢١٤) - اذا ماتت هذه الامة ، فعليه ان يزن ٣/ ١ مينة من الفضة .

الفقرة (٢١٥) - اذا اجرى طبيب عملية جراحية كبيرة[٣٢٥] بسكين من البرونز لرجل وانقذ (حياة) هذا الرجل او فتح له خراجا وانقذ عينه . فيحصل (الطبيب) على ١٠ شيكل من الفضة اجره .

الفقرة (٢١٦) - اذا كان طفل «موشكينوم» ، فيحصل الطبيب على ٥ شيكل من الفضة .

---

٣٢٥) حرفيا «اذا اجرى . . جرحا كبيرا» .

الفقرة (٢١٧) - اذا كان عبد رجل ، فعلى صاحب العبد ان يعطي الطبيب ٢ شيكل فضة .

الفقرة (٢١٨) - اذا اجرى طبيب عملية جراحية بسكين من البرونز لرجل وسبب ذلك موت الرجل ، او فتح خراجا بسكين برونزية لرجل وخرب عينه ، فعقوبته بتر يده .

الفقرة (٢١٩) - اذا اجرى طبيب عملية جراحية بسكين برونزية لعبد رجل وسبب موته ، فعليه ان يعوض عليه عبدا بعبد[٣٢٦] .

الفقرة (٢٢٠) - اذا فتح له خراجا بسكين برونزية وخرب له عينه ، فعليه ان يزن نصف ثمنه فضة .

الفقرة (٢٢١) - اذا اصلح طبيب عظما مكسورا لرجل وعالج له عصبا مريضا وتعافى ، فعلى المريض ان يعطيه ٥ شيكل فضة .

الفقرة (٢٢٢) - اذا كان هذا ابن «موشكينوم» فعليه ان يعطي الطبيب ٣ شيكل فضة .

الفقرة (٢٢٣) - اذا كان هذا عبد رجل فعلى صاحب العبد ان يعطي الطبيب ٣ شيكل فضة .

الفقرة (٢٢٤) - اذا اجرى طبيب بيطري[٣٢٧] عملية جراحية كبيرة لثور أو حمار وانقذه ، فعلى صاحب الثور او الحمار ان يعطيه اجره من الفضة ، ما يعادل سدس ثمن شراء الحيوان .

الفقرة (٢٢٥) - واذا اجرى عملية جراحية كبيرة لثور او حمار وسبب موته ، فعليه ان يعطي صاحب الثور او الحمار ربع الثمن[٣٢٨] .

الفقرة (٢٢٦) - اذا مسح رجل (مختص بالوشم)[٣٢٩] بدون (معرفة) صاحب العبد علامة عبد ليس ملكا له ، فعقوبته بتر يده .

الفقرة (٢٢٧) - اذا خدع رجل الموشم ، وقام هذا بمسح علامة الوشم لعبد

---

٣٢٦) ربما نسي الكاتب هنا سهوا ان ينقش نص الفقرة الخاصة بالـ «موشكينوم» .

٣٢٧) حرفيا «طبيب حمار او ثور» .

٣٢٨) ربما كان التعويض ١/٥ الثمن ، لان علامة العدد غير واضحة في النص .

٣٢٩) كان يسمى في البابلية القديمة «جالآبوم» .

لا يملكه ، فان هذا الرجل يقتل ويعلق على بوابته ، اما الموشم فعليه ان يقسم «لم اسمحها عن علم (سابق) ، وعندها لا يتحمل مسؤولية .

الفقرة (٢٢٨) - اذا شيد بنّاء لرجل بيتا ، فعلى الرجل ان يدفع له اجرا هو : ٢ شيكل من الفضة عن كل مساحة قدرها سار[٣٣٠] واحد من البيت .

الفقرة (٢٢٩) - اذا شيد بنّاء لرجل بيتا ولم يتقن عمله وانهار البيت الذي بناه وسبب موت صاحب البيت ، فيجب ان يقتل هذا البناء .

الفقرة (٢٣٠) - اذا سبب موت ابن صاحب البيت ، فيجب ان يقتل ابن البناء .

الفقرة (٢٣١) - اذا سبب موت عبد صاحب البيت ، فعليه ان يعطي صاحب البيت عبدا عوضا عن عبده .

الفقرة (٢٣٢) - اذا خربت بسبب ذلك املاك وحاجيات ، فعليه ان يعوض كل ما سبب بخرابه وعليه ان يعيد بناء البيت على حسابه الخاص ، لان عمله لم يكن متقنا .

الفقرة (٢٣٣) - اذا شيد بنّاء لرجل بيتا ولكن عمله لم يكن متقنا ، بحيث تداعى احد الجدران ، فعلى البنّاء ان يعيد تدعيم الجدار من حسابه الخاص .

الفقرة (٢٣٤) - اذا سد مراكبي هيكل سفينة لرجل ما ، سعتها ٦٠ كورا . فعلى هذا الرجل ان يدفع له اجرا قدره ٢ شيكل من الفضة .

الفقرة (٢٣٥) - اذا سد مراكبي شقوق سفينة لرجل ما ، وكان مهملا في عمله ، بحيث تفكك احد اقواسها خلال نفس السنة ، او ظهر خطأ في ذلك ، فعلى المراكبي ان يفكك السفينة على حسابه الخاص وان يصنع (سفينة) قوية ويسلمها لصاحبها .

الفقرة (٢٣٦) - اذا اجّر رجل سفينة لبحار ، وكان البحار مهملا وغرقت السفينة او تحطمت ، هكذا على البحار ان يعوض لصاحب السفينة سفينة بدلا منها .

الفقرة (٢٣٧) - اذا استأجر رجل سفينة وبحارا وحمّل السفينة حبوبا او اصوافا او زيتااو خمورا او اشياء اخرى،وكان البحار مهملا فغرقت السفينة

---

٣٣٠) كان السار الواحد يعادل ١/١٠٠ من الـ «اكو» ، راجع ايضا الهامش رقم : ٢٨٠ .

ودمرت حمولتها ، فعلى البحار ان يعوض (للرجل) السفينة التي غرقت وما دمر فيها .

الفقرة (٢٣٨) - اذا اغرق بحار سفينة رجل ما ، ولكنه تمكن ان ينتشلها ، فعليه ان يدفع من الفضة ما يعادل نصف ثمنها .

الفقرة (٢٣٩) - اذا استأجر رجل بحارا ، فعليه ان يعطيه في السنة ٦ (كور من الحبوب) .

الفقرة (٢٤٠) - اذا اصطدمت سفينة مبحرة مع التيار[٣٣١] بسفينة مبحرة بعكس التيار[٣٣٢] واغرقتها ، فعلى صاحب السفينة الغارقة ان يذكر امام الاله ، ما غرق مع سفينته وعلى صاحب السفينة المبحرة مع التيار ، التي اغرقت السفينة المبحرة بعكس التيار ، ان يعوض له كل ما غرق له .

الفقرة (٢٤١) - اذا احتجز رجل ثورا كرهينة ، فعليه ان يدفع ٣/ ١ مينة من الفضة[٣٣٣] .

الفقرتان (٢٤٢ و ٢٤٣) - [٣٣٤] اذا استأجر رجل ماشية لمدة سنة واحدة ، فعليه ان يدفع لصاحب الماشية ٤ كور من الحبوب اجرة حيوان الجر (و) ٣ كور من الحبوب اجرة . . . ثور .

الفقرة (٢٤٤) - اذا استأجر رجل ثورا او حمارا وافترسه اسد في العراء ، فعلى صاحبه لوحده ان يتحمل الخسارة .

الفقرة (٢٤٥) - اذا استأجر رجل ثورا ومات الثور بسبب اهماله او جلده له ، فعليه ان يعوض لصاحبه ثورا بديلا .

الفقرة (٢٤٦) - اذا استأجر رجل ثورا وكسر حافره او جرحه في عضل رقبته ، فعليه ان يعوض لصاحب الثور ثورا بديلا[٣٣٥] .

٣٣١) سفينة «تجذيف» .

٣٣٢) سفينة «شراعية» .

٣٣٣) اي اذا استخدم الثور دون اذن من صاحبه .

٣٣٤) جرت العادة عند دراسة او اعادة ترجمة قانون حمورابي جعل هاتين الفقرتين منفصلتين عن بعضهما بعضا ، ولكن لا أرى ذلك ضروريا ، لأن مضمونهما واحد .

٣٣٥) قارن مضمون الفقرات ٢٤٦-٢٤٨ بمضمون الفقرات ٣٤-٣٧ من قانون «لبيت - عشتار» .

الفقرة (٢٤٧) - اذا استأجر رجل ثورا وخرب له عينه ، فعليه ان يعطي صاحب الثور ما يعادل نصف ثمنه من الفضة .

الفقرة (٢٤٨) - اذا استأجر رجل ثورا وكسر له قرنه او قص له ذيله أو أصاب لحم ظهره فعليه ان يعطي (لصاحبه) ما يعادل خمس ثمنه فضة .

الفقرة (٢٤٩) - اذا استأجر رجل ثورا ولكن الاله ضربه وسبب موته ، فعلى الرجل الذي استأجره ان يقسم بالاله ، ويصبح بذلك حرا .

الفقرة (٢٥٠) - اذا نطح ثور بقرنيه ، عند اقتياده في الشارع ، رجلا وسبب موته ، هكذا لا يجوز المطالبة (بالتعويض) قضائيا .

الفقرة (٢٥١) - اذا (عرف) ثور رجل (بعادة) النطح ، وقال له مجلس المدينة : «انه ينطح» ، ولكنه لم يخفف قرنيه ولم يربطه ، ثم نطح هذا الثور ابن رجل ما وسبب موته ، فعليه ان يدفع ٢/ ١ مينة من الفضة[٣٣٦] .

الفقرة (٢٥٢) - اذا كان هذا عبد رجل ، فعليه ان يدفع ٣/ ١ مينة من الفضة .

الفقرة (٢٥٣) - اذا استأجر رجل رجلا آخر لحراسة حقله وأمّنه على البذار ، وعهد اليه بالثيران وتعهد له بزراعة الحقل ، اذا سرق هذا الرجل البذار والعلف وضبط ذلك في يده ، تبتر يده .

الفقرة (٢٥٤) - اذا اخذ البذار ؟ او اجهد الثيران ، فعليه ان يعوض فرق الحبوب (على المساحة التي) نكشها بالعزقة (قياسا للمساحة الاخرى المزروعة) .

الفقرة (٢٥٥) - اذا سلم رجل ماشية مقابل اجرة او سرق البذار وسبب في عدم انبات شيء في الحقل ، فيجب اثبات ذلك ، وعليه عندئذ ان يكيل في موسم المحصول ٦٠ كورا من الحبوب لكل ١٨ اكو .

الفقرة (٢٥٦) - واذا لم يستطع ان يسدد ما تكفل به ، فعلى المرء ان يجره بالثيران على الحقل .

الفقرة (٢٥٧) - اذا استأجر رجل حارثا فعليه ان يعطيه ٨ كور من الحبوب في السنة .

---

٣٣٦) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة ٥٤ من قانون «بيلا - لاما» .

الفقرة (٢٥٨) - اذا استأجر رجل راعي ثيران فعليه ان يعطيه ٦ كور من الحبوب في السنة .

الفقرة (٢٥٩) - اذا سرق رجل محراثا في الحقل ، فعليه ان يعطي صاحب المحراث ٥ شيكل من الفضة .

الفقرة (٢٦٠) - اذا سرق رجل اداة البذار او عزقة ، فعليه ان يعطي ٣ شيكل من الفضة .

الفقرة (٢٦١) - اذا استأجر رجل راع ليرعى ماشية او غنما ، فعليه ان يعطيه ٨ كور من الحبوب سنويا .

الفقرة (٢٦٢) - اذا . . . رجل ثورا او شاة لـ ؟ . . . .

الفقرة (٢٦٣) - اذا فقد ثورا او نعجة سلم اليه ، فعليه ان يعوض لصاحب الثور بثور والنعجة بنعجة .

الفقرة (٢٦٤) - اذا سلم احد الرعاة ماشية او غنما للعناية بها (وكان قد) حصل على اجره ورضي بذلك ، ثم نقص عدد الماشية او الغنم ، وقلّ النسل ، فعليه ان يعوض مقدار النقص والايرادات السنوية حسب شروط العقد .

الفقرة (٢٦٥) - اذا كان الراعي ، الذي سلم ماشية او نعاجا للرعي ، غير امين ، فغيرّ علامة (الماشية) وتصرف بالماشية مقابل فضة ، فيجب ان يثبت عليه ذلك ، وعليه عندها ان يعوض عشرة اضعاف ما سرق من الماشية والاغنام .

الفقرة (٢٦٦) - اذا حلّ بالقطيع «هجوم (غضب) الاله»[٣٣٧] او افترسها اسد ، فعلى الراعي ان يطهّر (نفسه) امام الاله ، وعلى صاحب القطيع ان يتسلم الهالك من القطيع .

الفقرة (٢٦٧) - اذا كان الراعي مهملا وترك العرج يدب في القطيع ، فعليه ان يعوض لصاحب القطيع النقص في الماشية والنعاج ، الذي سببه العرج ، الذي دب في القطيع .

الفقرة (٢٦٨) - اذا استأجر رجل ثورا للدراسة فتكون اجرته ٢٠ كا من الحبوب[٣٣٨] .

---

٣٣٧) مرض الطاعون .

٣٣٨) كانت مدة الايجار - على الارجح - نهار عمل واحد فقط .

الفقرة (٢٦٩) - اذا استأجر حمارا للدراسة ، فتكون اجرته ١٠ كا من الحبوب .

الفقرة (٢٧٠) - اذا استأجر عنزة ؟ للدراسة فتكون اجرتها ١ كا من الحبوب .

الفقرة (٢٧١) - اذا استأجر رجل ثيرانا وعربة وقائدها ، فعليه ان يدفع اجرة قدرها ٣ بي في اليوم الواحد .

الفقرة (٢٧٢) - اذا استأجر رجل العربة فقط ، فعليه ان يدفع أجرة قدرها ٤٠ كا في اليوم الواحد .

الفقرة (٢٧٣) - اذا استأجر رجل مستخدما فعليه ان يدفع منذ بداية السنة حتى الشهر الخامس(٣٣٩) ٦ جران فضة في اليوم الواحد ، ومنذ الشهر السادس وحتى نهاية السنة ٥ جران فضة في اليوم الواحد .

الفقرة (٢٧٤) - اذا استأجر رجل حرفيا (ابن حرفي) فعليه [لـ ...]٥ جران فضة ولصانع الطوب ؟ ٥ [جران فضـ]ـة لعامل النسيج ؟ ... [جران] فضة ، وكأجر لصانع الاختام ... [جران] فضة [للجواهـر] جي ... [جـران فضــ]ـة وللحداد .... [... جران فضـ]ـة [وللـ ...] نجـار ٤ (؟) جران فضة ، وللدباغ [...] جران فضة ، ولصانع السلال [...] جران فضة وللبنّـاء [... جران فضـ]ـة كأجر عن كل يوم .

الفقرة (٢٧٥) - اذا استأجر [ر] جل قاربا طويلا ، فاجرته ٣ جران فضة في اليوم الواحد .

الفقرة (٢٧٦) - اذا استأجر رجل قارب تجذيف ، فعليه ان يدفع $2\frac{1}{2}$ جران فضة في اليوم الواحد .

الفقرة (٢٧٧) - اذا استأجر رجل سفينة (سعتها) ٦٠ كورا فعليه ان يدفع $\frac{1}{6}$ شيكل فضة اجرتها اليومية .

الفقرة (٢٧٨) - اذا اشترى رجل عبدا أو أمة ولم يمض (على ذلك) شهر

---

٣٣٩) أي خلال اشهر جمع المحاصيل وجني الثمار ، وكانت السنة البابلية تبدأ في الأول من شهر نيسان (ابريل) .

(واحد بعد) ، واصابه اثناء ذلك مرض الـ «بينّوم»[٣٤٠] ، فيستطيع الشاري ان يعيده للبائع ويستعيد الشاري الفضة التي وزنها له .

الفقرة (٢٧٩) ـ اذا اشترى رجل عبدا أو أمة ، وأقيم ادعاء بشأن ذلك ، فيكون البائع مسؤولا عن الادعاء .

الفقرة (٢٨٠) ـ اذا اشترى رجل في البلد المعادي عبد رجل أو أمته ، وتعرف صاحب العبد أو الأمة ، اذا عاد الى البلاد ، على عبده أو أمته ، فيطلق سراح العبد أو الأمة اذا كان من مواطني البلاد[٣٤١] .

الفقرة (٢٨١) ـ أما اذا كان من مواطني بلد آخر ، فعلى الشاري ان يذكر قيمة الفضة أمام الاله التي وزنها ، وعلى صاحب العبد أو الأمة ان يدفع للتاجر فضته ويستعيد عبده أو أمته .

الفقرة (٢٨٢) ـ اذا قال عبد لسيده : «أنت لست سيدي» ، فعلى السيد ان يبرهن انه عبده ، وعندها على سيده ان يصلم اذنه (العبد) .

٣ ـ الخاتمة :

(انها) قوانين العدالة
التي وضعها «حمّورابي» ، الملك النشيط ،
واقام بواسطتها للبلاد قيادة رشيدة ، وحكومة عادلة .
انا «حمّورابي» ، الملك ، أنا الكامل .
ولم أكن مهملا لـ «ذوي الرؤوس السود» ،
الذين أهداهم لي «انليل» ،
وسلمني «مردوك» رعايتهم ،
ولم اضع يدي في «حضني»[٣٤٢] ،
وبحثت لهم عن مواطن الخير ،

---

٣٤٠) «مرض الطاعون» .

٣٤١) من مواطني «سومر واكّاد» .

٣٤٢) اي «لم أكن كسولا وخاملا» .

ووسعت المراعي ،
وأرسلت عليهم الضوء .
فبالسلاح الذي زودني به «زابابا» و «عشتار» ،
وبالحكمة التي خصني بها «ايا» ،
وبالمجد الذي زودني به «مردوك» ،
قضيت على الاعداء في الأعلى والأسفل[٣٤٣] .
واخمدت نار العصيان لخير البلاد ،
ووطنت الناس في أماكن محصنة ،
ولم اترك انسانا مطاردا لهم يصلهم[٣٤٤] .
نادتني الآلهة الكبيرة ،
هكذا فانا الراعي ، راعي الخير ، وصولجانه عادل .
يخيم ظلي الخيّر على مدينتي[٣٤٥] .
وضممت الى صدري سكان بلاد «سومر واكّاد» ،
ومع الهي الحامي (أخ) البلاد ،
اهتم بهم بسلام ،
واحميهم باعماق معرفتي .
لم اترك القوي يسلب الضعيف حقه ،
ولكي أثبت حق الأرملة واليتيم ،
وفي مدينة بابل ، المدينة
التي رفع رأسها «آنو» و «انليل»
في معهد «ايسانجيلا»[٣٤٦]
الثابت الاسس ، والخالدة كالسماء والأرض ،
ولا قيم الحق في البلاد ،

٣٤٣) الاعلى هو شمال بلاد ما بين النهرين ، والاسفل جنوبها على الخليج العربي .
٣٤٤) أي «لم اترك عدوا لهم على قيد الحياة» .
٣٤٥) مدينة «بابل» .
٣٤٦) اسم معبد «مردوك» في بابل .

ولا قرر مصير البلاد ،
ولا عيد الحق للمظلومين ،
لذلك (كله) دونت الفاظي العذبة على لوحتي التذكارية .
واقمتها أمام تمثالي كملك للعدالة .
أنا الملك البارز بين الملوك .
كلماتي مختارة وليس لقدرتي نظيرها .
وبامر «شمش» ،
قاضي السماء والأرض الكبير ،
تسود عدالتي الأرض ،
وبناء على كلمة سيدي مردوك ،
لن ينال محتقر من رسومي[٣٤٧] ،
وفي «ايسانجيلا» الذي أحبه ،
سيلفظ اسمي بالاحترام الى الأبد .
سيمثل الرجل المظلوم ، الذي انزلق في نزاع قضائي
أمام صورتي
كملك للعدالة ،
ويقرأ عليها كتابتي ،
ويسمع الفاظي العذبة ،
ويوضح له نصبي التذكاري مشكلته القضائية ،
فليجد هنا محكمة عادلة ،
وليتنفس الصعداء (لأن) :
«حمّورابي ، السيد ، كالاب الحقيقي
(الى جانب) البشر ،
(وهو) الذي انحنى أمام كلمة سيده مردوك ،
ونشر انتصار مردوك معززا في الاعلى والاسفل ،
وافرح قلب سيده مردوك ،

٣٤٧) نقوش الكتابة والصور الفنية .

وبالاضافة الى ذلك حدد نصيب الناس لخيرهم الى الأبد،
ونظم كذلك قانون البلاد، هذا ماعليه ان يقوله[٣٤٨]،
وأمام سيده مردوك (وسيدته) سار بانيتوم[٣٤٩] ،
يغمرني بالبركات من كل قلبه .
الاله الشفيع ، الربة الشفيعة ، الآلهة ،
التي تدخل ايسانجيلا ، (اله) الطوب الـ «ايسانجيلي» ،
علها تأتي يوميا بالرغبات الطيبة أمام سيدي مردوك،
(و) سيدتي «سار بانيتوم» .
الى الأبد ، وحتى نهاية الأيام ،
فليحفظ الملك الذي سيكون في هذه البلاد ،
كلمات العدالة ، التي كتبتها
على مسلتي .
قانون البلاد ، الذي اصدرته ،
قرارات البلاد التي اتخذتها ،
عليه الاّ يهملها ، وعليه الاّ يحتقر
رسو(مي) .

اذا كان هذا الرجل ،
نبيها ورغب في حكم بلاده بالعدل ،
عليه ان يعمل بكلماتي التي كتبتها ،
على مسلتي .
قانون البلاد ، الذي اصدرته ،
قرارات البلاد ، التي اتخذتها ،
عليه الاّ يهملها ، وعليه الاّ يحتقر
رسو (مي) .

---

٣٤٨) المقصود هنا «المتقاضي» .
٣٤٩) عقيلة الاله «مردوك» .

اذا كان هذا الرجل ،
نبيها ورغب في حكم بلاده بالعدل ،
فعليه ان يعمل بكلماتي التي كتبتها ،
على مسلتي .
وترشده هذه المسلة ،
الى التفسير وفي الطريق ،
وإلى القانون الذي أصدرته ،
وقرارات البلاد التي اتخذتها .
فليقد اتباعه ذوي الرؤوس السود بالعدل ،
فليعتمد قانونها وليتخذ قراراتها ،
وليقضي في بلاده على المسيئين والاشرار ،
وليجلب الخير لاتباعه .
انا حمّورابي ، ملك العدالة .
الذي اهداه شمش القانون .
كلماتي مختارة ،
وليس لاعمالي نظيرها ،
انها ليست فارغة (المضمون) الا للاحمق ،
انها ممتازة تسر الحكيم ،
اذا انتبه هذا الرجل
لكلماتي التي كتبتها على مسلتي ،
ولم يضع قانوني خلف ظهره ، ولم يحور كلماتي ،
ولم يهمل نقوشـ(ـي) ،
ليكن هذا الرجل ،
بمنزلتي ، ملكا للعدالة ،
وليطل شمش صولجان (حكمه)[٣٥٠] ،

٣٥٠) ان يطيل مدة حكمه .

وليقد اتباعه بالحق .
اذا لم يحترم
هذا الرجل
كلماتي التي كتبتها على مسلتي ،
ويحتقر لعناتي ولعنات الآلهة .
ولم يخفها ،
وانما يمسح القانون الذي اصدرته ،
ويحوّر كلماتي ،
ويهمل نقوشـ(ـي) ،
ويمسح اسـمـي ،
ويكتب اسمه بدلاً منه ، وبسبب هذه اللعنات
يكتبها باسم آخر ،
هـذا الرجل
فليكن ملكا ، فليكن سيدا ،
فليكن باتيزي أو أي رجل آخر ،
أيا كان اسمه .
علّ آنو الكبير ، اب الآلهة ، المعرّف
بسلطاني ،
(ان يأخذ) شهرة ملكه ويكسر صوبجان (حكمه) ،
ويلعن مصيره .
علّ انليل السيد ،
محدد الاقدار ،
الذي لا يهمل الدعاء ، الرافع
لسلطاني ،
يثير الشغب (وينشر) اليأس في بيته ،
الذي يقود الى زواله .
وليكن نصيبه ،

عصر حكم المشقة وأيام الفاقة ،
وسنوات الجوع والظلام الدامس ،
وزوال نور العين .
عله يبشر باندثار مدينته وتبعثر شعبه ،
وأبعاد ملكيته ،
وعدم دوام اسمه وذكره في بلاده ،
(يبشر بذلك) بمحكمة فمه[٣٥١] .
علّ نينليل[٣٥٢] ، الوالدة العظيمة ،
ذات الرجاء المقبول في الـ «اكور» ،
الأميرة ، داعيتي العطوفة ،
ان تحول قضيته في مكان حكم وقرار انليل
الى شر .
(علّها) تلقن انليل ، الملك ،
خراب بلاده ، ودمار شعبه ،
واراقة دمه كالماء .
علّ أيا ، الأمير العظيم ،
الأول في تحديد المصائر ،
سيد الآلهة ، العليم بكل شيء ،
مطيل أيام حياتي ،
ان يسلبه الحس والعقل ،
ويقوده الى (عالم) النسيان ،
ويسد منابع انهاره[٣٥٣] ،
ويمحل نبات الخبز ، حياة البشر ،

---

٣٥١) المقصود هنا «انليل» .
٣٥٢) عقيلة «انليل» .
٣٥٣) كان الاله «ايا» الى جانب كونه اله الحكمة ، أيضاً اله مياه العالم السفلي والينابيع .

في بـلاده .
علّ «شمش» ، قاضي السماء والأرض الاعظم ،
منظم قانون المخلوقات الحية ، السيد ،
ان يـدمـر مـلكيـته ،
ويذل قـانـونه ،
ويـربـك طـريـقـه ،
ويزلزل أرض ومقر افراد جيشه ،
ويحدد له عند تقديمه القرابين مستقبلا مشئوما
باقتلاع جذور ملكيته ،
ودمـار بـلاده .
علّ كلمة شمش الحاقدة ،
تقود الزوال اليه ،
وتنتزعه من الأعلى بين الأحياء ،
وتترك روحه (الميتة) في الأسفل تبحث
عن الماء .
علّ «سن» سيد السماء ، الاله خالقي ،
الذي يظهر منجله[٣٥٤] واضحا بين الآلهة ،
ينتزع منه طيارته[٣٥٥] وعرش ملكه ،
ويصيبه بقصاصه القاسي وعقابه الاكبر ،
الذي لا يفارق جسده ،
وينهي أيام وأقمار[٣٥٦] وسنوات حكمه
بـالمشقة والويلات ،
ويجعل اعداء الملكية ينظرون اليه ،

---

٣٥٤) كان الهلال شعار الاله «سن» ، وحيث ان شكله يشبه شكل المنجل ، لذلك ورد التعبير هنا «منجله» كرمز للهلال .
٣٥٥) «طيّارته» اي غطاء رأسه والمقصود هنا «التاج» .
٣٥٦) المقصود بالأقمار «الشهور» ، لان الشهر البابلي كان شهرا قمريا .

ويجعل نصيبه الحياة التي تصارع الموت[٣٥٧] .
علّ حدد سيد الخصب ،
ساقي السماء والأرض ، مصيري ،
يقطع عنه غزارة مطر السماء ،
وتدفق الينابيع ،
ويدمر بلاده بالجوع والجشع ،
ويرسل صرخة مزلزلة حاقدة فوق بلاده ،
ويحول بلاده الى مجمع للفيضان .
علّ «زابابا» المحارب الكبير ،
الابن الاكبر لـ «اكور» ،
الذي يخطو الى يميني ،
يحطم سلاحه في ساحة المعركة ،
ويجعل نهاره ليلا ،
ويترك عدوه يدوسه .
علّ «عشتار» سيدة القتال والمعركة ،
التي تلوح بسلاحي ، ربتي الشفيعة الرحيمة ،
التي تحب سلطاني ، تلعن بقلبها الحاقد
وغيظها الكبير ملكيته .
علّها تجعل خيره شرا ،
وتحطم سلاحه في ساحة القتال والمعركة ،
وتدبر له العصيان والارتباك ،
وتهزم جنوده ، وتسقي الأرض بدمائهم ،
وتقيم له تلا على أرض المعركة
من جثثهم ،
والا تشفق على افراد جيشه ،

---

٣٥٧) أي ان يصيبه مرض عضال .

وتـملىء بـه
يد عدوه
وتقوده اسيرا الى بلاد العدو .
علّ «نيرجال» الجبار بين الآلهة ،
الصامد بلا نظير ، صانع انتصاري ،
يحرق بقوته الخارقة اتباعه
كالغاب بـالنـار .
ليشطره (الى نصفين) بسلاحه الجبار ،
ويحطم اعضاءه كتمثال من الصلصال .
علّ «نينتو» أميرة البلدان الطاهرة ،
الـوالدة ، خالقتي ،
تـخطف ورثتـه ،
والاّ تمنحه من يحمل اسمه من بعده ،
ولا تخلق بين اتباعه ،
بذرة من نـسله .
علّ «نينكارّاك»[٣٥٨] ، ابنة «آنو» ،
داعيتي في الـ «اكور» ،
تصيبه بمرض عضال ،
ومكروه شـديـد ،
وجرح بليغ ، لا شفاء منه ،
وما من طبيب يكتشف طبيعته ،
الذي لا يخفف بالتضميد ،
كالعضة المميتة التي لا تزول .
وتسبب اطفاء (نور) حياته ،
(وفقدانه) لقوة رجولته .
علّ آلهة السماء والأرض الكبيرة ،

٣٥٨) ربة الشفاء ، وتسمى أيضاً «جولا» .

الـ «انونّاكي» بمجموعهم ،
الاله الحامي للبيت (المعبد)، (اله) الطوب من «ابابّار»[٣٥٩]
يـلـعـنه وذريـته ،
وأرضه واتـبـاعه ،
وشـعـبـه وجـنده ،
لـعـنة لا تـغـتـفـر .
علّ انليل الثابت ينطق ،
لعنات حاقدة ، علّها تبلغه بسرعة .

رابعا ـ قانون حمّورابي بين النظرية والتطبيق

أ ـ تقسيم الحقول :

كان حمّورابي يصدر أيضا الأوامر الملكية يطلب فيها الى ولاته التدخل فورا لحل كل نزاع قد ينشب بين سكان المقاطعات وخاصة الذي تعلق بالاراضي الزراعية ، التي كان يعاد تحديد بعضها كل عام بعد انتهاء موسم فيضانات نهري دجلة والفرات . وقد أمر في احدى رسائله [٣٦٠] الى وإليه في مدينة «لارسا» ان يحل النزاع الذي وقع بين مواطنين اثنين حول تقسيم حقل بينهما :

. . . الى شمش ـ خاسّـ(ـير) ومردوك ـ ناسّـ(ـير) يأمر حمّورابي في هذه القضية ما يلي :
نقل الي أبّي ـ حدد ، الـ . . . ، الخبر التالي قائلا : نازعني شيب ـ سن ابن ابياتوم

٣٥٩) معبد الاله «شمش» .

360) Thureau - Dangin , F. , Lettres de Hammurapi à Schamasch - Chassir (Musée du Louvre - Départment des antiquités orientales: Textes cunéiformes, Tome VII), Paris, 1924, traultes dans la «Revue d'Assyriologie», XXI, 1924, Nr. 64.

(الملقب بالاطرش) ملكية حقل أبي ، الذي نمتلكه منذ زمن (قديم) ، وبعدها اجتمع شمش ـ خاسّير ومجلس المدينة والشيوخ وحلّوا مشكلة الحقل . ولم يمتلك ابياتوم والد الاطرش هذا الحقل ، لانه ملكنا حقا . هذا ما اكده لي هؤلاء وسلموني (به) لوحة مكتوبة . ووقع ابياتوم والد الاطرش شاهدا على ذلك . والآن ينازعني الاطرش ، ابن ابياتوم (ملكية) الحقل ، ويحرس أيضاً حبوبي ، هذا ما اخبرني به . فاذا كان الأمر حقا ، كما اخبرني به «ابّي ـ حدد . . . وحلّ شمش ـ خاسّير ومجلس المدينة والشيوخ مشكلة الحقل وجعلوه لابّي ـ حدد وليس لانسان آخر ، وان ابياتوم ، والد الاطرش وقع شاهدا على اللوحة ، سلّموا الحقل والحبوب لابّي ـ حدد دون غيره . واذا لم تحل مشكلة هذا الحقل ، وان شمش ـ خاسّير لم يقل ذلك ولم يسلم ابّي ـ حدد (الحقل) فلينزل عندها سلاح الاله على الحقل[٣٦١] ، وعليكم انتم مجلس المدينة والشيوخ ان تبحثوا الحل قضائيا بحضرة الاله ، وان تسلموا الحقل مدى الحياة .

ب ـ الحيلولة دون اغتصاب المواطنين املاك بعضهم بعضا :

وكان يحدث أحيانا ان يغتصب البعض أراض زراعية هي حق لغيرهم ، ولذا كان حمّورابي يتدخل بالأمر وورد ذلك صراحة في الرسالة التالية التي وجهها الى واليه في «لارسا[٣٦٢]» .

الى شمش ـ خاسّير وسن ـ موشالّيم وزملائهما ، يأمر حمّورابي في هذه القضية التالي : لقد وضع اوراش ـ موبلّيط زعيم الناس الغربيين[٣٦٣] حراسة على الحقل الذي يملكه النّجار ايدين ـ نانا ، والواقع بين زيبناتوم وايجيك كيروم ، الذي كان ايرا ـ جارّاد قد اغتصبه من ايدين ـ نانا .

وكتبت بسرعة الى اوراش ـ موبلّيط بان يبعد الحراسة ، التي اقامها على حقل

---

٣٦١) المقصود هنا على الارجح ان سلاح الاله ـ أي شعاره ـ كان يحمل ويدور به شيوخ المدينة حول الحقل ، اشارة لقول الاله كلمة الفصل .

362) Thureau- Dangin, op. cit. No. 36.

(٣٦٣) بالرغم ان «البابليين» كانوا أيضاً من «العمّوريين» ، ظلوا يطلقون هذه التسمية على القبائل العموريّة ، التي تجولت في المناطق الشمالية الغربية من بلاد ما بين النهرين .

«ايدين ـ نانا» ، والاّ يقترب من الحقل . لذا فيما يخص الحراسة التي اقامها على حقل «ايدين ـ نانا» ، فعليكم أبعادها، وصدّقوا (ملكية) النجّار ايدين ـ نانا لهذا الحقل ، ولا لانسان آخر .

ولم تكن أيضاً فقرات قانون «حمّورابي» المتعلقة بالعناية باقنية الري والسدود المائية وتنظيمها وتوزيع مياهها نصا مهملا على لوحة من الحجر قصد به التبجح ، وانما اهتم الملك شخصيا بتنفيذ مضمونها ، حيث تدخل أحيانا بنفسه لحل الخلافات التي كانت تقع بين المواطنين للحصول على مياه الري . وقد اصدر الأوامر الملكية بهذا الخصوص ، بدليل الرسالة التالية التي وجهها أيضاً الى حاكم «لارسا[٣٦٤]» :

الى شمش ـ خاسّير وزملائه ، يأمر حمّورابي التالي :

يكتب لي المراقبان مانيوم واويل ـ ايليم ان «مستوى المياه في قناة أوجد يشيا انخفض لدرجة انها لم تعد تصل الآن الى حقلنا (الذي استأجرناه) ، هكذا يكتبان لي» . اذهبوا الى مصب قناة اوجديشيا ، فاذا كان مستوى المياه منخفضا ، بحيث لم يصل الى حقلهما الذي استأجراه ، فاقيموا مضخة ! على مصب قناة اوجديشيا . أما اذا كانت المياه الجارية في قناة اوجديشيا غير شحيحة وكافية لري حقلهما ، فلا تقيموا مضخة ! على مصب قناة اوجديشيا .

وبالاضافة الى ذلك هناك نزاع بين المراقبين مانيوم واويل ـ ايليم حول الحقل الذي استأجراه ، ثبتوا لهما (هذا) الحقل المستأجر استنادا الى الوثيقة ، التي سلمتها لهما .

ج ـ سهر ديوان القصر على تنفيذ مضمون القانون : ـ

وكان «حـمّورابي» يعهد ايضا الى موثوقين لديه للقيام بالمراسلات عندما كان ينشغل بامور الدولـة الاخـرى كالحـروب والسيـاسة الخارجيـة ، بدليل الرسالـة التالية ، التي وجهها احد هؤلاء الموثوقين الى والي مدينة «لارسا» ، يطلب فيها اليه ان يرسي دعائم العدالة عند توزيع الاراضي بين افراد الاسر وتقسيم العمل بينهم على اراضي الدولة[٣٦٥] :

---

364) Thureau - Dangin , op . cit .

365) Thureau- Dangin, op. cit. No. 64

الى «شمش خاسّير» ، علّ شمش يطيل عمرك ، يأمر اويل ـ نينورتا التالي :

وصلني من بيرشوم ابن موتوم ـ ايل الخبر التالي : «زودنا في بيت ابينا بمستخدم كمراسل وآخر كحارس للثيران ، اما حقول بيت ابينا فلم توسع[٣٦٦] سوى لمستخدم هو حارث الثيران» . فاذا كان . . . (مستخدما) واحدا ، فقد حصلوا على نصيبهم . فعليك ان تحقق في الموضوع : فاذا كان قد خصص لهم خادمان في بيت ابيهم ، خصص لهم حصتين ، وعليه الا ياتي الى القصر ثانية .

د ـ تأجير البيوت وفقرات القانون الخاصة بها :

ولا شك في انه قد عمل ايضا بفقرات القانون المتعلقة بتأجير البيوت . ويؤكد لنا ذلك الوثيقة التالية ، التي يرقى تاريخها الى السنة السابعة والثلاثين من عهد «حمّورابي» ، وذلك في صيغة عقد ابرم بين مواطنين اثنين بشأن استئجار بيت[٣٦٧] :

. . . يستأجر ايلي ـ اونيني بيتا من مالكه ايدين ـ ايا ، احد سكان ايدين ـ ايا بأجر سنوي . وقد وزن ايلي ـ اونيني لادين ـ ايا شيكلا واحدا و١٥ شي من الفضة . يحصل ايدين ـ ايا على ١/٢ شيكل و ١٥ شي من الفضة (اسماء الشهود) ، ومهر هؤلاء الوثيقة بالاختام . التاريخ شهر نيسان[٣٦٨] (الشهر الاول ، اليوم الاول) السنة : جيش توروكّو .

هـ ـ تطبيق فقرات القانون الخاصة بتأجير واستئجار الاراضي :

وجدت ايضا فقرات القانون ، التي تؤكد على ضرورة تنظيم العقود عند استئجار الاراضي الزراعية ايضا تطبيقها العملي . وهذا واضح في وثيقة عثر عليها في مدينة «سيبّار» ويرقى تاريخها الى عهد الملك «حمّورابي»[٣٦٩] :

استأجر واراد ـ ايليشو حقلا من يابخاتوم ابنة ازيجاتار مساحته ١٢ اكو في شامكامي ويكيل ١٢ كور حبوبا في معبد شمش مقابل ذلك ويعطيها خلال ستة

---

٣٦٦) كانت الاراضي الزراعية توزع عادة حسب عدد العاملين فيها .

٣٦٧) ريفتين ، ا ، ن : قانون الحقوق لـ «ايلونسكي» في بابل القديمة .

٣٦٨) يستخدم العرب في الوقت الحاضر في غرب آسية معظم اسماء الشهور ، التي كان البابليون يستخدمونها .

٣٦٩) ريفتين ، ا،ن : نفس المصدر السابق ، رقم ٣٩ .

اعياد ٢٠ كا دقيق شعير (وقطعة) لحم واحدة ويعطيها ايضا نصف شيكل فضة كشاة حقل[٣٧٠] . وقع العقد امام شمش شيريبام وامام ايليشو بيشو ابـن شمش كارّاد وامام ليشار و ؟ ابنة لخوشينا (وامام) امات ـ شمش (. . .) .

و ـ تنفيذ القانون في عهد خلفاء حمّورابي :

وسار خلفاء «حمّورابي» على نهجه في تطبيق قانونه بدليل الوثيقة التالية التي يعود تاريخها الى السنة الثانية من عهد الملك «سمسو ـ ايلونا» ، وهي عبارة عن عقد ابرم بين والدة ورجل استأجر ابنها للقيام باعمال له[٣٧١] :

استأجر جيلجاميش ـ جميل ابن لاماسوم المدعـو ايليـو ـ شمش من والدتـه «لاماسوم» لمدة ثلاثة اشهر . وحدد اجره لثلاثة اشهر بـ ٥/٣ ٢ كور من الحبوب (واستلمت) من ذلك ٤/١ (شيـكل) ، ثم ترد اسماء الشهـود ، ومهـر الشهـود (الوثيقة) بالاختام . الشهر نيسان (الشهر الاول) ، اليوم العشرون منه ، عام السنة الجديدة للملك سمسو ـ ايلونا .

ويرقى تاريخ العقد التالي الى السنة الحادية عشرة من عهـد الملك سمسو ـ ايلونا والذي ينص على تأجير احد الناس لجهده[٣٧٢] :

استأجر نابودا مجالنونا المدعو ابيلا موريم بدءا من شهر دوموزي (= تموز = الرابع) ، اليوم الاول منه وحتى شهر نيسان (= الاول) مساء الثلاثين منـه . ويعطيه كل شهر ٦٠ كا حبوبا مؤونته ، ورداء بقيمة شيكل واحد من الفضة . ومهر الشهود (الوثيقة) بـ الخاتم مع اريدو ـ ليوير ومع سينيتالسا . (في) شهر دوموزي (الرابع) اليوم الاول منه . عام بناء الملك سمسو ـ ايلونا لسور اور .

وعثر ايضا على وثيقة اخرى يرقى تاريخها الى السنة الثالثة عشرة لحكم الملك امّي ـ سدوكا ، وهي عبارة عن عقد ابرم بين احد المواطنين ومواطن آخر ، استأجر

---

٣٧٠) يعود استخدام الرمز الكتابي الخاص بـ «حمل» او شاة» الى بقايا التقليد السومري في تلك العصور ، حيث لعب الحيوان الاهلي دور النقود في عمليات التبادل التجاري .

٣٧١) ريفتين ، ا،ن : نفس المصدر السابق ، رقم ٣٥ .

٣٧٢) ريفتين ، ا،ن : نفس المصدر السابق ، رقم ٣٦ .

بموجبه احد عبيده ليعمل طحانا لديه[٣٧٣] :

يستأجر مردوك ـ موبلّيط اريب ـ اوراش . . . من سيده ايـدين ـ اوراش كطحان لمدة شهرين . فعليه ان يطحن ٦٠ كا من الدقيق الناعم في اليوم ، ويعبيء يوميا عشرة اسطل من الماء . ويحصل يوميا (مقابل ذلك) على ٢ كا طعاما له و ٣ كا خمر تمور شرابه . ويكال لسيده ايدين ـ اوراش اضافة الى ذلك ٢/ ١ ٢ كور من الحبوب اجرته لمدة شهرين . واذا عثر على شيء في يده ، يفقد (سيـده) اجـره . ويحصل من اجره على ٣/ ٢ شيكل فضة (اسماء الشهود) الشهر ايار (الثاني) اليوم الاول منه ، السنة امّي ـ سدوكا ، عندما رفع الراية الملكية .

ز ـ قانون «حـمّورابي» ومجتمعات ممالك غرب آسية الاخرى :

وقد عبرت فقرات قانون «حـمّورابي» عن واقع الحياة الاجتماعية في بلاد ما بين النهرين خاصة ومناطق غرب آسية الاخرى عامة ، بدليل ان سكان المدن التي خضعت لسلطان عدوه الملك العيلامي «ريـم ـ سن» كانـوا يعملـون بموجبهـا في علاقاتهم الاقتصادية . والبرهان على ذلك نص الوثائق التالية التي يعود تاريخها الى عهد هذا الملك :

يرقى تاريخ الوثيقة الاولى الى السنة الحادية والثلاثين لحكـم «ريـم ـ سن» وجاء فيها[٣٧٤] :

اشترى ابيل اموريم ارضا بكرا مساحتها ١ اكو بالقرب (من حقل) ابيل اموريم الواقع في جوار الحقل الخاضع للضريبة ، بالقرب (من حقل) بيتوم ـ رابي واخيه شيب ـ سن ، والارض البكر هي ملك سن ـ اوبـلا . لقـد وزن السعـر الكامل ٣ شيكل فضة ، ولكي لا يخل بالعقد اقسم (بالاله) نانار وشمش وريم ـ سن الملك .

وامام المراسل مردوك ـ أيريش ، والوالي ماخيرو ووراد تيتورّو والطبيـب خابو ونيديتو وايبكو بابا وسن ـ انجوراني وبيرخوم الكاتب . اختام الشهـود .

---

٣٧٣) ريفتين ، ا.ن : رقم ٣٨ .

٣٧٤) ريفتين ، ا.ن : نفس المصدر السابق : رقم ١٦ .

شهر شباط (الحادي عشر) اليوم الخامس (منه) ، السنة الثانية عندما احتلت اي - سن .

ولدينا وثيقة اخرى كتبت في السنة الخامسة عشرة من عهد الملك العيلامي ، وهي عبارة عن عقد بيع والدة لابنها[٣٧٥] :

اشترى بالمو - ناخي المدعو ساليلومو ابن سينموري من والدته سينموري . وزن ثمنه الكامل ١١ شيكل من الفضة . ولكي لا تقيم اي ادعاء قبله في المستقبل ، اقسمت (هي) بالملك ، (اسماء الشهود) واختامهم . شهر تشريت[٣٧٦] (السابع) اليوم الثالث والعشرون منه ، عام : كايدا ومدينة نازارو التي احتلها الملك بسلاحه الفتاك .

وبين ايدينا ايضا نص عقد شراء رجل عبد رجل آخر ، يرقى تاريخه الى السنة الخامسة عشرة من حكم الملك العيلامي (ريم - سن)[٣٧٧] :

اشترى بالمو - ناخي من نيتيني عبدا اسمه شو - عمورّو ملك نيتيني . وزن له ١٣ شيكل من الفضة كامل ثمنه . وامام مانو الكوكورّ و[٣٧٨] وامام الساقي بارا وامام الصائغ ريشيرا وامام ليساميل . . . ، وامام مخمر البيرة شمش - جيميل وامام شوا ابن تابي - ايلو وامام نيديتو . . . وامام التاجر لاكيبو وامام لونين شوبوركا ابن شيمي - ايبي وامام اخو - باتيرو . . . اختام الشهود . شهر ادّار (الثاني عشر)[٣٧٩] : عام كايدا ومدينة نازارو التي احتلها (الملك) بالسلاح الفتاك .

ومن بين الوثائق الاخرى التي يرقى تاريخها الى السنة التاسعة عشرة لحكم الملك ريم - سن نص عقد بين مواطنين تبادلا بموجبه قطعتين من الاراضي الزراعية ، مع دفع الفرق بين السعرين المقدرين لهما[٣٨٠] :

---

٣٧٥) ريفتين ، ا،ن : نفس المصدر السابق رقم ٢٤ .

٣٧٦) شهر تشرين (اكتوبر) .

٣٧٧) ريفتين ، ا،ن : رقم ٢٥ .

٣٧٨) معنى الكلمة غير معروف حتى الآن .

٣٧٩) شهر اذار (مارس) .

٣٨٠) ريفتين ، ا،ن : نفس المصدر السابق ، رقم ٢٨ .

يحصل بالمو ـ نانحي من تاريبو على حديقة مغروسة بثلاث وثلاثين شجرة نخيل مساحتها ١٤ سار ، وعلى ٤٠ سارا من الارض البكر . ويعطيه بديلا لها ٢٠ شجرة نخيل عند ايل ـ عمورّو و ١٣ نخلة عند يا ـ انتينوم ويعطيه ثمن الاربعين سارا من الارض البكر ٣ شيكل فضة . ولكي لا يقيم مستقبلا اي ادعاء ، اقسم (تاريبو) بنانّار واوتو وريم ـ سن (اسماء اثني عشر شاهدا) (اختام الشهود) ، شهر اراخسامنو (= الثامن ، = آب) . اليوم . . . عام : شق قناة من دجلة نهر الآلهة ، حتى البحر .

خامسا ـ مفهوم الملكية والدولة بعد الاكّاديين واثر الحضارة الاكّادية على مجتمعات ما بين النهرين

أ ـ مفهوم ملكية سلالتي «اور» و«لاجاش» واثر الحضارة الاكّادية على السومريين :

لم يستطع الملوك السومريون الجدد ، بالرغم من ميلهم للظهور بمظهر التقي الورع الذي يقدم الطاعة العمياء للالهة ، التحرر من الاثار التي خلفها المفهوم الأكّادي للملكية والحضارة في حياتهم الدينية وتصرفاتهم العسكرية والسياسية .

وسار بعضهم على النهج الأكّادي وفي مقدمتهم الملك «شولجي» واطلقوا على انفسهم لقب «الاله» بدليل اقتران الشارة الالهية باسمائهم .

وعلى صعيد اللغة ، فبالرغم ان ملوك سلالة اور كانوا من اصل سومري وجعلوا اللغة السومرية لغة المملكة الرسمية ، فقد كانت اللهجتان الأكّادية والعمورّية هما السائدتين في اوساط الاكثرية الساحقة من سكان المدن التابعة لهم .

وتغلغلت هاتان اللهجتان مع مرور الزمن في الدوائر الرسمية السومرية لدرجة اصبح ثلاثة من ملوكهم اسماء مطعمة بالعمورّية وهم : «امار ـ سن» و«شو ـ سن» و«ابّي ـ سن» . والمقطع الثاني من هذهالاسماء هو عموري خالص وهو اسم اله القمر الأكّادي ـ العمورّي ، الذي احتل ايضا مكانة بارزة في المجمع الرباني السومري حتى بعد زوال الوجود السياسي للامبراطورية الأكّادية . وقد شيد

السومريون معابد باسمه وخاصة في مدينة «اور» . وتراجعت اللغة السومرية امام الأكّادية التي اصبحت لغة المعاملات التجارية في عهد الملك «امار ـ سن» .

ب ـ مفهوم الملكية في «اي ـ سن» و«لارسا» واثر الحضارة الأكّادية :

ولقب ملوك مدينتي «اي ـ سن» و«لارسا» انفسهم ، وخاصة ملوك «اي ـ سن» بـ «ملوك سومر وأكّاد» ، ولكنهم لم يتخذوا لانفسهم لقب ملك جهات العالم الاربع . ويدلنا ذلك على ضعف نفوذهم السياسي قياسا لنفوذ ملوك «اور» و«أكّاد» . ومن جهة اخرى ظلوا يصفون ذاتهم بـ «الالوهية» مقتدين بذلك بالملوك الأكّاديين وبعض ملوك سلالة «اور» .

ج ـ مفهوم الملكية لدى العيلاميين واثر الحضارة الأكّادية :

ولم يقتصر اثر الحضارة الأكّادية على السومريين فحسب ، بل شمل ايضا العيلاميين في بلادهم وبلاد ما بين النهرين على حد سواء .

لقد كان الملوك الأكّاديون ينصبون على المدن العيلامية التي خضعت لنفوذهم ولاة بمنزلة «باتيزي» كـ «باتيزي» مدينة «سوسا» . ونتيجة لذلك اصبح هؤلاء دعاة الحضارة الأكّادية ، ولا غرابة ان نجد اللهجة الأكّادية قد غزت الارض العيلامية ، بدليل ان اسم والد الملك باشا ـ شوشيناك وهو «شيمبي ـ اشخوك» أكّادي خالص . واما فيما يخص عهد الملك «باشا ـ شوشيناك» فلم يكن اكثر من طفرة يائسة لاحياء العيلامية حضاريا وعسكريا . ولذلك عاد خلفاؤه لاستخدام الأكّادية لغة وكتابة . ثم دعمت الدولة البابلية الوجود «العموري» و«الأكّادي» في ارض عيلام . ونتيجة لذلك بقيت الأكّادية البابلية مسيطرة في عيلام حتى بعد زوال الوجود السياسي للدولة البابلية القديمة تحت ضربات الغزاة الحثيين والكاشيين حوالي عام ١٥٣٠ ق.م .

د ـ مفهوم الملكية والدولة البابلية :

يشكل قانون «حمّورابي» والاوامر الخطية ، التي كان يصدرها او تصدر نيابة عنه في قصره في «بابل» اهم مرجع يزودنا بمعلومات قيمة حول تركيب هيكل الدولة البابلية والطريقة التي كانت تسير بها شؤونها العامة .

ولا شك في ان «حمّورابي» لم يصدر قانونه خلال الفترة الاولى من حكمه ،

وانما بعد ان مضى اكثر من ثلاثين عاما على توليه السلطة في «بابل» . والدليل على ذلك ما ذكره في مقدمة وخاتمة قانونه من اسماء مدن اقام في ربوعها دعائم السلام ودعّم الحق وارسى في مناطقها قواعد السلام التي لم تكن تخضع جميعها لنفوذه الا خلال الفترة الاخيرة من حكمه . ولكن هذا لا يعني ان الدولة البابلية كانت تسير قبل ذلك بدون قانون وانظمة تحدد مسار امورها وعلاقات افرادها الاجتماعية والاقتصادية . اذ شكلت القوانين التي صدرت قبل عهد «حمّورابي» ومعها العادات والتقاليد «العمورّية» و «الأكّادية» ، القواعد الضرورية التي اعتمدها «حمّورابي» في تسيير شؤون دولته قبل ان يصدر قانونه المشهور . بدليل ان مضمون عدد كبير من الفقرات اقتبسه من القوانين السابقة لعصره .

ولكن شريعة الملك البابلي تميزت عما سبقها من القوانين ، انها وضعت بعد ان عاش «حمّورابي» فترات تجارب قاسية في الحكم . ونظرة واحدة على فقرات هذا القانون ترينا بكل وضوح انها تتضمن تنظيما موحدا لكافة العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين .

وقد تناول القانون موضوع التأكيد على العناية بالزراعة والحدائق وضرورة الاهتمام بالماشية وعلفها وتنظيم الطب البيطري . وفي حالة الادعاء يجب على المدعي احضار الشهود الذين يثبتون اقواله بالوقائع . لذلك ركز على اهميتهم في المحاكمات وخطورة الاتهام بالباطل . وحدد دور القاضي في اصدار الحكم وواجباته والعقوبات المترتبة على تراجعه عن الحكم الذي يصدره . ونظم القانون ايضا امور التجارة والديون ومشكلة بناء السفن وشؤون الملاحة والرهائن وبناء البيوت وشرائها وايجارها . كما تناول وضع العبيد واحوالهم الاقتصادية وحدد دورهم في المجتمع . وثبت اركان الاسرة وقوى دعائمها وحدد اوضاع التبني واقتسام الارث بين الورثة ومركز المرأة الاجتماعي وحقوق الارملة ودور الطبيب واهميته واجره . وحذر من امر خطورة الخيانة بشتى طرقها وانواعها . ونظم امر الخدمة بالجيش واكد على ضرورة تأديتها . وركز ايضا على ضرورة المحافظة على املاك الدولة (= القصر) والاله (= المعبد) والملكية الخاصة وحدد العقوبات المترتبة على السرقة . وثبت ايضا مقدار الاجر اليومي للاجراء الزراعيين وللحرفيين وحدد دور بائع الخمور وساقيها ووضع الخمارات .

وحيث ان الدولة اصبحت تخضع لقانون موحد ، صارت ادارتها مركزية تسير من القصر في «بابل» بدليل تلك الكتب الرسمية ، التي كانت ترسل منه الى مقاطعات الدولة المختلفة ، ويؤمر فيها الحكام بحسم الخلافات بين الناس . وفي هذه الحالة لابد ان يكون قد عاونه مستشارون عديدون اختصوا بادارة الشؤون الداخلية والخارجية . حيث اختص كل منهم بحل شؤون معينة حددها له الملك بنفسه . وكان للملك نائبه على هذا الصعيد ومقر عمله ايضا في القصر وهو رئيس الكتبة ، ويمكننا ان نشبه منصبه من حيث الشكل والمضمون برئيس الديوان في الانظمة الملكية وبحامل اختام الملك وبمثابة رئيس الوزراء من الناحية العملية في عصرنا الحاضر . وكان يوجه الرسائل باسم الملك وبناء على توجيهاته ، وخاصة خلال تلك الحروب والغزوات التي استهلكت حيزا كبيرا من جهود الملك ووقته . والى جانب المراسلات الداخلية عرفت الدولة البابلية في عهد حمّورابي المراسلات الديبلوماسية التي جرت بينه وبين ملوك وامراء عصره ، الذين عقد معهم الاحلاف العسكرية .

وتعكس الاوامر الخطية التي كانت تصدر عن قصر «حمّورابي» وخاصة الى «سن - ادّينام» واليه على مدن «لارسا» و«اور» و«اوروك» و«لاجاش» قوة شخصية الملك ، الذي يسهر على تنفيذ جميع اوامره ، وتذكرنا هذه التركة الوثائقية الهامة بتلك المجموعات الضخمة من الرسائل الرومانية التي وجهها «تراجان» الى «بيلينوس» : وبالرغم ان المدة الزمنية الفاصلة بين عصري الحاكمية العظيمين تزيد على الف وستمائة سنة ، نجد ان رسائلهما الى ولاتهما متشابهة جدا في الاسلوب ، وان نصوص المجموعتين الوثائقيتين الهامتين خالية تماما من الكلمات الجوفاء ، لانها تتعلق فقط بالموضوع الهام الواجب معالجته . ثم انها كلمات واضحة غير قابلة للتأويل او الاجتهاد . ولذلك كان اسلوبها مقتضبا ويجسد حزم كل من الحاكمين . كما انها تؤكد على ضرورة الاسراع في اتخاذ القرارات لحل المشاكل بين الناس . وكان حمّورابي كـ «تراجان» يحرص ان يطلع على ادق التفاصيل لمشاكل افراد شعبه اليومية ، واذا ما كانت اوامره تنفذ بالشكل الذي اراده او امر به ، ام انها كانت تحرف او تهمل[٣٨١] .

---

381) Neyer, Ed., Geschichte des Altertums, 1. Band, 2. Hälfte, 449.

وقد جمع الملك في يديه السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، التي عرفتها الدولة البابلية ، ولكن انجاز كل الاعمال المتعلقة بهذه السلطات ، كان يتم بواسطة معاونين له خاضعين لمراقبة البلاط الملكي ، وكان بعض هؤلاء مقيما في القصر . فبالرغم من ادعاء «حمورابي» انه وضع قانونه ، فلا شك في ان مجلسا تشريعيا في القصر كان عونا له في جمع القوانين المتعارف عليها وصياغة الجديد منها بما يتلاءم مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية الجديدة خلال عهده .

ولكن الملك كان بمثابة **القاضي الاكبر** في الدولة اي رئيس **مجلس القضاء الاعلى** الذي كان يتألف من الـ **شيلاك ـ ناكو**، وهم الـ **رابيانو**، اي القضاة وكان مقر مجلسهم في القصر . كما كانت توجد مجالس قضائية **فرعية** في المدن تعاون **مجلس القضاء الاعلى** في الفصل في الدعوى بين سكان المنطقة المعنية . وكان يحدث ان احد المتخاصمين او جميعهم يذهب الى القصر لعرض قضيته من جديد ، اذا لم يقتنع بالحكم الذي اصدره **مجلس القضاء الفرعي** وعندها يتدخل **مجلس القضاء الاعلى** واحيانا الملك بنفسه ، فيبت بالامر ويعلم حاكم المدينة بمنطوق الحكم ويطلب اليه بصورة خطية ومقتضبة التنفيذ .

واما المعبد فقد انحسرت سلطته القضائية وتقلصت لدرجة اصبح معها دور الكهنة مقتصرا فقط على القيام بدور الشهود عند قسم المتخاصمين او احدهم اليمين امام تمثال الاله الاكبر كعنصر اثبات في قضية الخلاف القائم . ويمكننا ان نعتبر ذلك مثلا حيا للفصل بين السلطتين الزمنية والدينية .

وكان يوجد أيضاً الى جانب ذلك كله مراقبون مهمتهم الاشراف على حسن سير أمور الدولة ، وكوّنوا جهازا أشبه ما يكون بجهاز الشرطة في العصر الحاضر ، وعليهم السهر على احترام الناس للقوانين المرعية ، وعدم الاخلال بالامن والحيلولة دون الحاق الضرر بسلامة بعضهم بعضها .

وكان الملك أيضاً هو القائد العام للجيش ، وكثيرا ما كان يقود الجيش بنفسه في المعارك وخاصة الحاسمة منها ، وكان يعهد الى قادة اشداء لديه قيادة العمليات العسكرية الأخرى .

وقد يبدو لاول وهلة ، ان انجازات «حمّورابي» الداخلية والخارجية ستدفعه للسير في طريق ملوك «أكّاد» في تأليههم لانفسهم . ولكنه اكتفى بلقب رسول

السلام بعث لنشر العدل وارساء دعائم الحق والسلام في البلدان . ولا شك في ان هذه العقيدة تمثل خطوة متقدمة اخرى على طريق البشرية الى الوحدانية .

هـ ـ انتصار الحضارة العمورّية البابلية وشعور «حمّورابي» القومي :

كنا ذكرنا ان «العمورّيين» كانوا يشكلون الاكثرية الساحقة من سكان بلاد ما بين النهرين ، قبل بداية العصر السومري الجديد (= اور الثالثة) . ويعني ذلك ان جذورهم الحضارية كانت ضاربة في تربة بلاد ما بين النهرين وفي بلاد الشام قبل نشوء الدولة البابلية القديمة بمدة طويلة من الزمن . وكانت هذه الحقيقة من أهـم الاسباب التي سهلت على «العمورّيين» تسلم السلطة في مدينتي «بابـل» و «ماري» . ومكنت حمّورابي من احراز الانتصارات العسكرية على العيلاميين وما تبقى من امراء المدن السومرية ، وأصبحت اللهجة «العمورّية البابلية» في عصر المملكة البابلية القديمة وبخاصة في عهد «حمّورابي» وخلفائه لغة الدولة الرسمية وأداة المعاملات التجارية الوحيدة . فبعد ان كانت هذه اللهجة مقتصرة على عامة الشعب أخذت أيضاً تحتل مكانها كلغة الطقوس الدينية الى جانب اللغة السومرية الكهنوتية في جميع معابد المملكة . ثم حلّت مكانها نهائيا في كثير من معابد «سومر» و «أكّاد» . ويمكننا تشبيهها باللغة الالمانية التي أصبحت بواسطة الدعوة اللوثرية بديلة عن اللاتينية في الكنائس البروتستانتية في المانيا .

وكان «حمّورابي» فخورا بـ «لهجته العمورّية» ، لدرجة انه الغى اسماء العلم الأجنبية في اسرته واستعاض عنها بلقب «أبو» أو «شيخ[٣٨٢]» . ولا شك في ان ذلك كان ردة فعل طبيعية ضد العيلاميين والسومريين والبؤر البشرية الغريبة الاخرى في البلاد .

وانتصرت في عصر المملكة البابلية القديمة أيضاً الديانة «العمورّية» وآلهتها بطقوسها وتعاليمها في صراعها ضد الآلهة السومرية ، وصار مردوك هو الاله القومي لمدينة «بابل» واله عامة الشعب وسيطرت تعاليمه على أفكار شعوب ما بين النهرين خلال الفترات اللاحقة من تاريخ غرب آسية القديم . واثر كهنته على الأوضاع الداخلية في أعظم امبراطوريات الشرق القديم ، وهي الامبراطورية الآشورية (راجع الجزء الثاني) .

382) Schmökel , H . , Kulturgeschichte des Alten Orient , S . 94 - 96.

ونضج الانتاج الفكري في عهد الدولة البابلية . فعلى صعيد الأدب والشعر مثلا الفت الملاحم ووضعت الاشعار وغيرها من النصوص الادبية الاخرى أو ترجمت عن السومرية مثل ملحمة جيلجاميش وهبوط الربة عشتار الى العالم السفلي التي رفدت أساطير الآلهة الاغريقية بمادة غنية من المواضيع والأفكار .

واهتم البابليون أيضاً بالعلوم الطبيعية كالفلك والطب والصيدلة والحساب والهندسة وأسسوا المدارس لتعليم الأطفال أصول الكتابة وتثقيفهم في الدين والعلوم . (راجع القسم الثاني : الجزء الأول) .

وبقيت هذه الحضارة تشكل الطابع المميز لكافة الحقب اللاحقة في تاريخ غرب آسية القديم ، لانها انتشرت في كافة أنحاء النصف الغربي من عالم الشرق القديم وضربت جذورها الروحية والمادية في تربة هذه الأقطار ، بعد ان اعتمدت الحضارة الأكّادية أساسا لها . وقد مكنها هذا الشمول من الصمود في وجه جميع الغزوات التي تعرضت اليها المنطقة خاصة على يد الكاشيين والحثيين والحوريين - الميتانيين والعبريين والهيكسوس والميديين والفرس وأخيرا أمام المد الاغريقي بقيادة الاسكندر وبعده الهجمة الرومانية . ولقد وجد الاسكندر نفسه ، بالرغم من الأفكار المثالية التي ادعى انها كونت أسباب غزوه للعالم القديم ، اسيرا للحضارة البابلية ومعبد مردوك وعلوم كهنته في مدينة «بابل» (راجع القسم الثاني : الجزء الأول) .

الدراسة الثامنة
الكاشيون
(١٥٣٠ ـ ١٢٣٨ ق.م)

اولا ـ الهجوم الحثي على بابل وانهيار الدولة البابلية

كان الحثيون يستوطنون منطقة «كبادوكيا» في اواسط آسية الصغرى وأسسوا هناك دولة قوية (راجع ص ٢٦٧) وتعاظم نفوذهم العسكري ثم اجتاز احد ملوكهم المدعو «مورشيلي» الأول في عام ١٥٣٠ ق .م . جبال طوروس في مقدمة جيشه فغزا شمال سورية ثم هاجم اواسط بلاد ما بين النهرين واحتل مدينة «بابل» وانهى الوجود السياسي لحكم سلالة «حمّورابي» فيها .

وبين ايدينا اشارة وردت في النصوص البابلية القديمة تؤكد هذا الغزو الحثي المفاجىء لأرض «بابل» تقول : **ان الحثيين زحفوا ضد سمسو ـ ديتانا وأرض اكّاد** . ولكن الحثيين لم يستوطنوا أرض «سومر» و «اكّاد» كما فعل الجوتيون من قبل ، وانما اكتفوا بتدمير المملكة البابلية بعد ان اغتصبوا كنوز معابدها وقصورها وعادوا الى آسية الصغرى مخلفين الحكم في البلاد الى جماعات من البؤر البشرية الجبلية الاخرى وهي البؤر «الكاشية» .

ثانيا ـ الكاشيون يتسلمون السلطة في «بابل»

وكانت تحركات جماعات البؤر البشرية الجبلية الكاشية والميتانية ـ الحورية (انظر أيضاً ص ٣١٢) باتجاه أراضي ما بين النهرين قد سبقت الغزو الحثي لأرض «سومر» و «اكّاد» . ويرقى تاريخ اول خبر موثوق وصلنا عن تحركات البؤر الكاشية الى عهد الملك البابلي سمسو ـ ايلونا ، خليفة الملك «حمّورابي» . وكنا ذكرنا ان المدعو «ريم ـ سن» قد عاد ببعض طلائعهم عند زحفه ضد بابل من الشمال الشرقي لارض سومر واكّاد . ومما لا شك فيه ان طلائعهم الأولى ظهرت في أرض «سومر»

و«أكّاد»قبل عهد الملك سمسو ـ أيلونا بعشرات السنين، أي في نفس عصر زحف البؤر البشرية الميتانية ـ الحورية الى الجزء الشمال الغربي من بلاد ما بين النهرين (انظر ص ٣١٢) . وقد استأثر الكاشيون بالسلطة في العاصمة البابلية بمساعدة الحثيين وبعد غياب القيادة «العمورّية» عن مسرح الأحداث .

ثالثا ـ السلطة الكاشية وتوسعها ، واشهر ملوكها

أ ـ صراع الكاشيين ضد دولة البحر :

وحاولت سلالة «دولة البحر» الحاكمة في اقصى الجنوب أيضاً ان تغتنم فرصة انهيار السلطة البابلية لتوسع مناطق نفوذها باتجاه الشمال . الا ان الملك الكاشي «كانداش» استطاع ان يقف في وجهها ، بعد ان جمع شتات القبائل الكاشية في البلاد . ويقول «كانداش» في كتابة وصلتنا نسخة عنها انه دمر معبد الاله «انليل» **عند غزوه مدينة بابل وأصبح يسمي نفسه كانداش ملك جهات العالم الأربع**[٣٨٣] .

وخلف ملوك عديدون «كانداش» على العرش فبلغ عددهم ١٢ ملكا ، وانتهت هذه الحقبة بخبر يرقى تاريخه الى عام ١٤٥٠ ق . م . يقول : ان «ايا ـ جميل» آخر ملوك دولة البحر سقط صريعا في معركة خاضها ضد عيلام ، التي نالت استقلالها ثانية بعد انهيار الدولة البابلية القديمة . واغتنم الكاشيون هذه الفرصة وجمع بولام ـ بورياش (اخ الملك الكاشي كاشتيلياش الثالث) جنده وغزا أراضي دولة البحر وأصبح سيد البلاد .

ب ـ أشهر الملوك الكاشيين :

وبعد وفاة «اولام ـ بورياش» خلفه في الحكم «آجوم» الثالث ثم «كاراينداش» ثم تعاقب على العرش «كاداشمان ـ خاربي» الأول (١٤١٠ ـ ١٣٨٦ ق . م .) و «كوريجالزو» و«كاداشمان ـ انليل» الأول (١٣٨٦-١٣٦٧ ق.م) و«بورنا ـ بورياش» الثاني (١٣٦٧ ـ ١٣٤٦ ق . م .) و «كاداشمان ـ خاربي» الثاني (١٣٤٦ ـ ١٣٤٣ ق . م .) و«كوريجالزو» الثاني (١٣٤٣ ـ ١٣٢١ ق . م .) ثم أعقب هذا الاخير ملوك عديدون كان آخرهم «كاداشمان ـ خاربي» الثالث

---

383) Winckler , Untersuchungen zur altorientalischen Geschichte , 34 u . 56 , 9 . King , Chronicles , I , 103 , 1 .

(١٢٤١ ـ ١٢٣٨ ق . م .) الـذي هزمـه الجيش الآشوري في عهـد الملك «توكولتي ـ نينورتا» الأول وانهى الحكم الكاشي في بلاد ما بين النهرين (انظر أيضاً ص : ٣٢٢) .

ج ـ التوسع الكاشي :

اعتبر الملوك الكاشيون أنفسهم «الورثة الشرعيين» لملوك الدولة البابلية القديمة وللملوك الامبراطورية الأكّادية أيضاً .

ولم يكد «كانداش» يتربع على العرش الكاشي في بابل حتى أطلق على نفسه لقب ملك جهات العالم الأربع . ويقول «آجوم» الأول انه بسط نفوذه على بلاد سومر ويتبجح انه اعاد الى بابل تماثيل الآلهة التي كان الحثيون قد اخرجوهـا من معابدها ونقلوها الى بلادهم . واذا صح هذا القول فيكون الكاشيون قد اصطدموا بالحثيين واجتازوا حوض الفرات الاعلى واجبروهم على تسليم التماثيل التي اعادوها الى معابدها . وأما «آجوم» الثاني فيفتخر قائلا انه وطن اناسا كثيرين في مدينة اشنونّا ولقب نفسه بملك باداان والمان وملك الجوتيـين السفـلاء . فاذا كان هذا الادعـاء صحيحا ، انهم جابهوا الدول المعروفة في عصرهم عسكريا وجلبوا الخير لسكـان البلاد ـ وهذا أمر يشك بصحته ـ فان هذا المجد الكـاشي لم يدم طويـلا بسبب تعاظم القوتين الحثية والآشورية . وانغلق الكاشيون على انفسهم في مدينة «بابل» ومدن قليلة اخرى في المنطقة البابلية ، راضين بتلك البقعة الضيقـة التـي بقيت خاضعة لنفوذهم . حيث ان الكاشيين عجزوا عن اخضاع ذاك الشعب الصغـير الصامد في عاصمته «آشور» الواقعة في الجزء الشمالي من بلاد ما بين النهرين . وظل الشعب الآشوري يرفض بعناد الخضوع للسلطة الكاشية أو الاعتراف بها ، الى ان تمكن مليكه «توكولتي نينورتا» الأول من انهاء وجودها السياسي في «بابل» .

رابعا ـ علاقات الملوك الكاشيين بملوك الدول المعاصرة

وربطت بعض الملوك الكاشيين علاقات منها الودية مع فراعنة مصر ومنهـا العدائية مع ملوك الدولة الحثية .

أ ـ العلاقات مع مصر :

كشفت لنا اعمال التنقيب عن الآثار اقيمت في «تـل العمارنـة» في مصر عن

مجموعة كبيرة من الرسائل الديبلوماسية بلغ عددها حوالي ثلاثمائة رسالة ، ويرقى تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وقد تبادلها الملوك المصريون مع ملوك وامراء دول غرب آسية . ويهمنا الآن من بينها الرسائل الخاصة التي تبادلها بعض الملوك الكاشيين مع فراعنة مصر «امينوفيس» الثالث و «امينوفيس» الرابع و «توت عانخ عمون» . ويتعلق مضمونها بالمصاهرة بين البيتين المالكين وبتبادل الهدايا وارسال الذهب من مصر الى الملوك الكاشيين . ولنتبين طبيعة العلاقات بين البيتين المالكين ، نأتي هنا بثلاثة نماذج من هذه الرسائل .

والنموذج الأول عبارة عن نص الرسالة الموجهة من «كاداشمان - خاربي» الأول (١٤١٠ - ١٣٨٦ ق . م .) الى الملك المصري «امينوفيس» الثالث (١٤٠٥ - ١٣٧٠ ق . م .) وجاء فيه[٣٨٤] :

انظر . . . ! انك لم توافق على زواج ابنتك من أخي ، وكتبت (في هذا الخصوص) : «منذ القدم لم تزوج قط ابنة ملك مصري لانسان[٣٨٥] . لماذا تقول ذلك ؟ . أنت الملك وتستطيع ان تتصرف كما يحلو لك ، فمن هو الذي سيعارضك اذا اعطيتها[٣٨٦] ؟ . عندما بلغ ذلك مسمعي كتبت الى أخي[٣٨٧] ما يلي : عندك بنات بالغات ونساء جميلات ، ارسل امرأة جميلة تختارها ، من الذي سيقول : ان هذه ليست ابنة ملك ؟ ، ولكنك لم ترسل ، لانك قررت ذلك . الم تبحث عن الاخوة والصداقة المتينة ، لكي نزداد اقترابا من بعضنا . وكتبت إليك سبب الزواج . لماذا لم يرسل لي أخي ولو امرأة واحدة ؟ . حقا انك لم ترسل لي امرأة هل علي أن اتخذ (منك نفس الموقف) ولا أرسل لك امرأة ؟ كلا ستكون بناتي لديك ، لن ابخل عليك بهن[٣٨٨] . . .

---

384) Kundtzon , J . A . , Die El - Amarna - Tafeln , Leipzig , 1909-1912 , No . 4

٣٨٥) أي «لاي انسان غريب أو عادي» .

٣٨٦) حرفيا : «من يقول لك شيئا» .

٣٨٧) المقصود هنا «ملك مصر» .

٣٨٨) تدلنا الكلمات المتبقية من هذا المقطع ان المفقود من النص تعلق بارسال حيوانات برية من مصر الى الملك الكاشي .

وأما فيما يخص الذهب الذي كتبت اليك بشأنه ، أرسل لي ذهبا كثيرا وبكميات كبيرة قبل ان يأتي رسولك الي أرسل بسرعة خلال هذا الصيف ، وليكن في شهر تموز وليكن في شهر آب ، كي استطيع انجاز المشروع ، الذي صممت على تنفيذه .

واذا أرسلت الذهب ، خلال هذا الصيف ، في تموز أو آب ، الذي كتبت اليك بشأنه (عندها) ساعطيك ابنتي ، ولذلك أرسل ذهبا كثيرا كما تريد . واذا لم ترسل الذهب في شهر تموز أو آب ولم ينجز المشروع الذي بدأت بتفيذه ، فلماذا ترسل شيئا بعد ذلك ؟ لاني أكون قد انتهيت من انجاز المشروع الذي بدأت بتنفيذه ؟ . ولو أرسلت بعد ذلك ٣٠٠٠ وزنة[٣٨٨-آ] من الذهب سأرفض استلامها واعيدها اليك ، ولن اعطيك ابنتي زوجة لك .

وبعث «كاداشمان ـ خاربي» أيضاً رسالة اخرى الى الملك المصري يتهمه فيها انه يعامل رسله في بلاطه المصري معاملة سئية . وان أخته ربما لم تكن على قيد الحياة بين حريم فرعون مصر . واجابه فرعون مصر برسالة فند فيها هذه المزاعم[٣٨٩] :

الى كاداشمان ـ خاربي ملك كاراد ونياش[٣٩٠] أخي : هكذا يقول أخوك نيبو ـ آريا[٣٩١] الملك الكبير ، ملك مصر ، كل شيء عندي بخير ، وعسى ان يكون كل شيء عندك بخير ، عسى ان يكون بيتك ونساؤك وأطفالك وشيوخك واحصنتك وعرباتك وبلدانك بخير . ان حالتي جيدة وبيتي ونسائي وأطفالي وشيوخي واحصنتي وعرباتي وجنودي بخير وكذلك بلداني بخير .

انظر ! لقد بلغني الامر الذي كتبت حوله ، قولك : «انظر ! تريد الزواج من ابنتي ولكن اختي التي اعطاكها والدي . هي عندك ولم يرها انسان بعد ذلك ، هل هي على قيد الحياة أم ماتت ؟» ، هذه كلماتك التي كتبتها على لوحتك . ولكن متى أرسلت كاميرو[٣٩٢] ، كي يتعرف على أختك ويستطيع التحدث اليها أو يجدد

(٣٨٨ ـ آ) عادلت الوزنة الواحدة ١٥٠ كغ (تالينت) .

389) Kundtzon , op . cit . No . 1

٣٩٠) اسم «بابل» في اللغة المصرية خلال هذا العصر .

٣٩١) اسم «امينوفيس الثالث» قبل توليه العرش المصري .

٣٩٢) كان لقب احد الموظفين الكبار في البلاط الكاشي .

التعرف بها ؟ كي ندعه يتحدث معها[٣٩٣] . أما هؤلاء الناس الذين أرسلتهم (أمثال) ريكاخادم (؟) زاكارافاحدهما سائق حميرمن بلاد . . . أماالآخر . . . ولم يكن بينهما احد يمت بصلة قربى لوالدك ، و . . . بالاضافة الى ذلك دع الرسل الذين كانوا عندك يتحدثون اليهم . . . مع أمها . وكتبت ما يلي : «تكلمت الى رسلي في حضرة نسائك وكن أمامك : انظروا هنا سيدتكم ، الواقفة أمامكم ، الا ان رسلي لم يتعرفوا عليها ، هل هي فعلا اختي الشبيهة بتلك» . وكتبت أيضاً : «إلا ان رسلي لم يتعرفوا عليها» . وقلت أيضاً : «من يستطيع التعرف عليها ؟» ، لماذا لم ترسل كاميرو ، الذي يستطيع قول كلمة الصدق ، والذي يدخل ليرى بيتها وعلاقتها بالملك . . وكتبت أيضاً : «يمكن ان تكون ابنة موشكينوم أو جاجي[٣٩٤] أو ابنة خانيجالباتي أو انها من بلاد أوغاريت[٣٩٥] ، التي رآها رسلي ، ومن يقول للذين أرسلتهم ، هذه هي ولم تفتح فاها ولم تقل لهم شيئا[٣٩٦] . هذه هي كلماتك ، فلو ان أختك ماتت فمن يطمس معالم ذلك ؟ فهل نضع واحد اخرى مكانها[٣٩٧] ، فالاله عمون يرافق أختك ، انها أخت الزوجة الرئيسة[٣٩٨] (. . . . . . .)[٣٩٩] .

وكتبت لي التالي : «اذا وصل رسلي الى بناتي المتزوجات بالملوك . . فانهم يتكلمون معهن ويرسلن لي الهدايا» ، هذه هي كلماتك . انظر ! ملوك محيطك كبار . . . وبناتك يحصلن على شيء منهم ويرسلنه اليك . أما اختك ، فماذا تملك عندي ؟ وبالرغم من ذلك فاذا ما حصلت على شيء ، هكذا ارسل اليك أجود مما تعطيه لبناتك ، والذي تحصل عليه مجددا من جيرانك ! .

---

٣٩٣) أي عليك ان ترسل انسانا ذا مرتبة رفيعة ليستطيع التحدث اليها .

٣٩٤) يمكن ان يكون هذا التعبير «جاجي» اختصارا للتعبير الحثي «كاش ـ كاش» ، الذي كان يطلق على احد الشعوب المحاربة ، التي كانت تقطن الساحل الجنوبي من البحر الاسود . وينظر الى هذا التعبير «العرقي !» بانه اصل لاسم «القوقاز» ، ولكن كثيرا ما يربط بينه وبين التعبير «ماجوج» الوارد في التوراة وقصد به السكيتيون .

٣٩٥) اشارة الى احتقار الدول الكبرى لمواطني الدويلات الصغيرة .

٣٩٦) أي لم تتكلم .

٣٩٧) اي «نستبد لها باخرى وندعي انها أختك» .

٣٩٨) أي «ان منزلتها تساوي منزلة الزوجة الأولى (= الرئيسة)» .

٣٩٩) فجوة في النص كانت تحوي أربعة اسطر .

وكتبت أيضاً انني لم احافظ على وعد والـدي[٤٠٠] : «وانـك لا تحافـظ على كلماته[٤٠١]» وتابعت قائلا : «اقم علاقة اخوة فيما بيننا !» ، هذه هي كلماتك التـي كتبتها . انظر ! اننا اخوة ، واني احتج على (سوء تصرف) رسلك ، لانهم تكلموا أمامك : «انه لم يعطنا شيئا ، نحن الذين نأتي الى مصر» . واقـول بصدد هؤلاء الذين يأتون الي : يأتي احدهم بعد الآخر الى البلاد ويحصـل على فضة وذهـب وزيت واردية وعلى كل شيء جيد ، ويقول كذبا للذي أرسله (أي لك) ، لقد اتى الرسل سابقا الى والدك وقال بعضهم كذبا ، ويأتون أيضا اليك ويقولون الكذب . ولذلك قررت الاّ (اعطيهم شيئا) بعد .

وكتبت أيضاً : «سألت رسلي ، الم يضم جيشكم محاربين في صفوفه ؟ وهذه الفتاة التي أرسلتها هي غير جميلة» ، هذه هي كلماتك ، (واجيبك عليها) :
لم يكن الأمر كذلك ، لقد حدثك رسلك غير الحقيقة ، لقد قالوا ذلك من أنفسهم ودون سؤال من أحد ، اذا ما كان جيشك يضم نخبة من المحاربين في صفوفه ، لماذا اسأل أنا اذن ، اذا ماكان جيشك يضم نخبة من المحاربين في صفوفـه تابعـين لك واحصنة تمتلكها ؟ . لا تسمع لقول رسلك ، لان افواهم لا تنطق سوى الكذب ، ولهذا السبب تكتب ذلك . ويقولون لك ذلك لانهم يخشونك ، ولكي يسلموا من بين يديك[٤٠٢]

وكتبت كذلك . «لقد الحقت عرباتي بعربات الحكام ، ولم يشاهـدوا[٤٠٣] البلد الغريب» . هكذا (كان الأمر) أيضا بالنسبة للعربات . ولقد طلبوا احصنة من بلادي ، جميع احصنتي وعرباتي التي امتلكها . وكتبت مع ريكا ، ان الزيت صب على رأس الفتـاة العـذراء ، هكـذا لم ترسـل لي سوى هديـة من الزيـت الصافي[٤٠٤] . . . .

وبعث أيضاً الملك الكاشي «بورنا ـ بورياش» (١٣٦٧ ـ ١٣٤٦ ق . م .)

---

٤٠٠) حرفيا : خرجت على كلماته .

٤٠١) حرفيا : لا تفهم حقيقة كلماته . . .

٤٠٢) اي يسلموا من شر عقابك لهم .

٤٠٣) رسل الملك الكاشي .

٤٠٤) نهاية الرسالة مفقودة .

الى الملك المصري «امينوفيس» الرابع (اخناتون) ١٣٧٠ ـ ١٣٥٢ ق . م . رسالة يطلب منه فيها ذهبا كثيرا لينفذ بناء المعبد الذي بدأ بتشييده . ويعاتبه لا ستقباله الوفد الآشوري لانه اعتبر ذلك عملا غير ودي ، طالما ان سلفه الملك الكاشي «كوريجالزو» رفض ان يتحالف مع «الكنعانيين» في فلسطين ضد فرعون مصر السابق عندما عرضوا عليه هذا الأمر آنذاك[٤٠٥] :

. . . . [٤٠٦].

الى نيخور اوريا[٤٠٧] ، ملك مصر ، هكذا يتكلم اخوك بورنا ـ بورياش ملك كاراد ونياش اني بخير ، عساك وبيتك ونساؤك وأطفالك وبلادك وشيوخك واحصنتك وعرباتك في احسن حال : عندما كان والدي ووالدك في علاقة صداقة جيدة بينهما ، تبادلا ارسال الهدايا والاشياء الجميلة ، التي تمناها كل منهما ، ولم يمنع احدهما شيئا عن الآخر .

وقد ارسل لي اخي حتى الآن ٢ مينة من الذهب هدية ، ولما كان الذهب متوفرا عندك بكميات كبيرة ، ارسل (لي) كما كان يرسل والدك . لماذا لم ترسل سوى ٢ مينة من الذهب ؟ اني مصمم على القيام باعمال كثيرة متنوعة في المعبد ، وبدأت بتنفيذها ، أبعث لي ذهبا كثيرا ، واكتب لي ما تحتاجه من بلادي ليرسل اليك .

وفي عهد أبي كوريجالزو كتب اليه جميع الكنعانيين قائلين : «سنستوطن كل حدود البلاد . . . وسننهض نود التحالف معك» ، أما والدي فقد كتب اليهم : «ابتعدوا عن فكرة التحالف معي ، فاذا نهضتم ضد ملك مصر ، أخي ، واتصلتم بآخر فلن اوافقكم ، (بل) اني سادمركم لانه (ملك مصر) متحالف معي» .

وبسبب والدك لم يسمع والدي كلامهم ، والآن لم ارسل اليك اتباعي الآشوريين كما ادعوا . ولماذا قدموا (اذن) الى بلادك ؟ فاذا كنت تحترمني وتحبني ، لا تعقد معهم اية اتفاقية ، لكي يعود الرسل بدون نتيجة ، ارسلهم صفر اليدين . وها أنا أرسل اليك ٣ مينة هدية من حجر اللازورد وخمسة أزواج من الاحصنة لخمس عربات .

---

405) Kundtzon , J . A . , op . cit. No. 9.

٤٠٦) المقدمة مفقودة .

٤٠٧) انظر الهامش رقم ٣٩١ .

تدلنا هذه النماذج من الرسائل على تعالي البيت المصري المالك واحتقاره للبيت الكاشي . ولذلك لا تعكس مخاطبة الملك المصري للملك الكاشي بـ «أخ» تساوي منزلتي الملكين ، كما يعتقد لاول وهلة ، حيث انها ليست اكثر من أسلوب مجاملة من قبل الملك المصري للحصول على نساء واحصنة من البيت الكاشي .

وقد رفض الملك المصري ان يزوج ابنته من اخ الملك الكاشي ، واستغرب في رسالته هذا الطلب ، قائلا للملك الكاشي منذ القدم لم تزوج قط ابنة ملك مصري لانسان ، وكأنه يقول كيف تجرؤ أنت على طلبها ؟ .

حقا كيف يمكن ان يوافق الملك المصري على ذلك ، وهو الذي يرى في نفسه ممثلا للحضارة المصرية العريقة مقابل شخص متطفل على الملك ، ليس اهلا ان يكون صهرا للملك المصري ؟ . كيف كان بامكان الملك المصري ان يقبل زواج بناته أو اخواته من افراد بيت مالك يبيعون بناتهم واخواتهم مقابل الحصول على الذهب ؟ . وبالرغم من استغراب الملك المصري لهذا الطلب وتحقيره للملك الكاشي ، لم يجد هذا الاخير عيبا بالظهور وكأنه يجثو على ركبتيه متوسلا للملك المصري لان يرسل له امرأة مصرية . ولما كان يتعذر عليه الحصول على أميرة مصرية ، فلابأس ان يتكرم الملك المصري بارسال احدى نساء بلاطه بدلا منها . وكان المهم بالنسبة للملك الكاشي ان تكون المرأة من مصر . ومع ذلك يستغرب الملك الكاشي ان تكون المرأة التي أرسلها له اخوه فرعون مصر غير جميلة . ومن يدري ، فربما كانت هذه المرأة غير مصرية ، اختارها فرعون مصر من بين جواريه وسباياه ! .

ولا شك في ان الملك الكاشي حاول من وراء ذلك ان يخدع شعبه الخاص اولا والشعب البابلي ثانيا والشعوب الاخرى الخاضعة لسلطانه ثالثا انه صهر للبيت المالك ذي الحضارة العريقة . ولم ينكر الملك الكاشي هذه الحقيقة عندما تساءل في كتابه لفرعون مصر : من الذي سيقول ان هذه ليست ابنة ملك ؟ . انه الشعور بالنقص الذي تميزت به جميع تصرفات الملوك الكاشيين في علاقاتهم مع الملوك المصريين لذلك لم يتورع الملوك الكاشيون عن ارسال بناتهم واخواتهم حريما للملك المصري وربما وصيفات له ولاعوانه . وكان هم الملوك الكاشيين أيضا الحصول على الذهب المصري مقابل كرامتهم«الملكية» ، التي كانوايفتخرون بها في صيغ القاب ملكية

رنانة . واذا لم يرسل فرعون مصر الى الملك الكاشي الذهب المطلوب ، عندها لن يعطيه ابنته زوجة له ، كما ذكر هو في رسالته الى الملك المصري . ولابأس في حالة الحصول على الذهب المطلوب ان تمضي السنون على وجود ابنته أو اخته في البلاط المصري ، دون ان يعلم عن مصيرها شيئا .

ب ـ العلاقات مع الملوك الحثيين .

ويوجد برهان اخر على اذلال ملوك الدول القوية للملوك الكاشيين وانحطاط مكانتهم عندهم ، وهو رسالة موجهة من أحد موظفي القصر الكاشي الكبار في عهد «كوريجالزو» الى الملك الحثي ، ومما جاء فيها : **تخاطبنا في رسائلك وكأننا عبيدك** . ولا بد ان تكون رسالة الملك الحثي الى الكاشي قد امتلات بالاهانات الى الملك الكاشي . والا لما كان هذا الموظف الكبير في القصر الكاشي قد خاطب الملك الحثي بهذه اللهجة من العتاب المرير .

ج ـ العلاقات مع الملوك الآشوريين :

واتصفت علاقات الملوك الكاشيين بالآشوريين ابدا بالتوتر . وبالرغم ان الملوك الآشوريين لم يعترفوا بالسلطة الكاشية ، فقد كان الملك الكاشي «بورنا ـ بورياش» الثاني يعتبرهم من بين اتباعه . ويظهر ذلك في عتابه للملك المصري لاستقباله الوفد الآشوري الذي قدم الى مصر بدون موافقة الملك الكاشي أوعلمه . وبالرغم من ذلك فقد كان الكاشيون يخشون تعاظم القوة الآشورية بدليل رجاء الملك الكاشي لفرعون مصر بان يعيد الوفد الآشوري الى بلاده صفر اليدين ، أي بدون ان يعقد أية معاهدة مع الآشوريين أو ان يصل الى أي اتفاق معهم . غير ان الملك المصري لم يعر ذلك أي اهتمام ولم يعلق عليه في رسالته الجوابية الى الملك الكاشي .

خامسا ـ مفهوم الملكية الكاشية ونظام الدولة

لقد حذا الملوك الكاشيون حذو الملك الأكّادي «سرجون» فاقاموا لانفسهم مقرا جديدا جعلوه عاصمتهم الثانية الى جانب مدينة «بابل» ، وهو المعروف في الكتابات المسمارية القديمة بـ «دور ـ كوريجالزو» ويعرف في الوقت الحاضر بـ «عقرقوف» (الخارطة : ٢) .

ويتبين لنا من اسم هذا المقر الجديد انه شيد في عهد الملك «كوريجالزو» الأول حوالي ١٣٨٠ ق.م . . واقام الكاشيون أيضاً معابد في مدن اخرى ، حيث بنى الملك «كارايانداش» معبدا للربة «انّين» في مدينة اوروك. وزين واجهات جدرانه الداخلية باللوحات الجدارية من الآجر المنقوش بمناظر الآلهة الكاشية(٤٠٨) (اللوحة رقم ٢٠) . وليست هذه التزيينات الا محاولة كاشية فاشلة للتعبير عن انتاجهم الفني ، الذي لم يخرج عن اطار المذهب البابلي في النحت والتصوير .

وقد شكل الكاشيون في جنوب بلاد ما بين النهرين واواسطها طبقة حاكمة اختلفت في طباعها وعلاقاتها الاجتماعية فيما بينها عن عامة الشعب المغلوب على أمره ، الذي شكل «العمورّيون» سواده الاعظم . ولذلك اعتمد ملوكهم على الجيش الذي كوّن الكاشيون تشكيلاته القتالية ، للحفاظ على سيطرتهم وتدعيم اركان عرشهم .

وكان الملوك الكاشيون اقطاعيين كبارا أيضاً لانهم اغتصبوا مساحات واسعة من الأراضي الزراعية التي كان يمتلكها العمورّيون . واستغلوا عامة الشعب في حرثها وزراعتها وريها . ولكي يضمنوا أيضاً ولاء قادة الجيش اقطعوهم مناطق واسعة من الأراضي الزراعية الخصبة . وقوي نفوذ بعض هؤلاء القادة لدرجة تمكنوا معها من القيام بعصيان ضد الملك نفسه ، عندما حاول ازاحتهم عن القيادة او ترقية بعضهم دون الآخر(٤٠٩) .

---

408) UVB , I , 1939 , Tf . 15 - 17 , S . 30 ff

-) Moortgat , A . , Die bildende Kunst des alten Orients und die Bergvölker , 1932 , Tf . XCVI , S . 100 .

-) Moortgat , A . , Bildwerk und Volkstum Vorderasiens zur Hethiterzeit , 1934, Abb . 12 , S . 12.

-) Parrot , A . , Sumer , Abb . 392 .

–) Schäffer and Andrae , Die Kunst des alten Orients , propyloen Kunstgeschichte , 3 . aufl. 1942 , 516 .

409) Meyer , Ed . , Geschichte des alten Orients , I. Bd. . , 2 . Abt . § . 372- 373.

واوجد الملوك الكاشيون طريقة جديدة في تثبيت ملكية هذه الاقطاعات الزراعية باسماء أصحابها الجدد ، وهي طريقة لم تكن معروفة في غرب آسية قبلهم . لقد سجلت هذه الاقطاعات على الواح من الحجر وهي اقدم اصل معروف لما نسميه في عصرنا الحاضر «حجارة الطابو(٤١٠)» . وكانت تعرف في اللغة الكاشية بـ «الكودورّو» (اللوحة رقم ٢١)(٤١١) . وكانت هذه الـ «كودورّو» تثبت على حدود الاقطاعات الزراعية بعد ان يحفر عليها اسم صاحب الاقطاع وحدود الأراضي التي اقطعت له . ونقشت عليهاأيضاً شعارات الآلهة الكاشية والبابلية شهوداعلى ملكيته لها . واعفى الملوك الكاشيون هذه الاقطاعات من الضرائب والالتزامات الاخرى المترتبة عليها ، في حين اثقلوا كاهل سواد الشعب «العمورّي» بالضرائب وأعمال السخرة .

وعندما تسلم الكاشيون السلطة في «بابل» ، لم يكن لهم حضارة متطورة ، ولذلك اقتبسوا عن العمورّيين حضارتهم كطقوس الآلهة المحلية وعبدوا مردوك وجعلوا من مقره الرئيسي «بابل» عاصمتهم الأولى ، بالرغم من بناء أحد ملوكهم المقر الجديد «دور - كوريجالزو» . وقد احتل هذا الاله قمة المجمع الربّاني الكاشي ، وظل يطلق عليه في عهدهم بعل البلدان . وللتقرب منه بواسطة كهنته اعفى الملوك الكاشيون مثل «آجوم» الثاني جميع أملاك معبده الضخم في بابل من جميع الضرائب تجاه القصر .

واستخدم الملوك الكاشيون مع مرور الزمن اكثر الالقاب الملكية البابلية ، وقد ورد ذلك في بعض كتاباتهم التدشينية مثل : **الملك الجبار ملك بابل ، ملك سومر ، ملك اكّاد ، ملك الكاشّو ، ملك كارادونياش . . .** . وتدلنا صيغ هذه

---

(٤١٠) بالرغم ان هذه الحجارة كانت معروفة أيضاً خلال العصر السومري الأول ، الا انها استخدمت آنذاك لتحديد اقطاعات الآلهة من الأراضي الزراعية ، التي كانت ملكا لجميع أفراد دويلة المعبد ، كما كان الحال في عهد «ميزيليم» و «اي اناتوم» مثلا ، انظر أيضاً ص ١٠٤ .

411) Hall, Sculptures, 33, pl. X middle.

-) King, L. W.. Babylonian Boundary Stones, 1912, pl. LXXXIII ff, P. 29 ff.

-) Parrot, A., Sumer, Abb. 395 D.

الالقاب ان الملوك الكاشيين تحاشوا تأليه أنفسهم بعكس الملوك الأكّاديين ، كما عجزوا عن فهم مضمون الملكية البابلية ، الذي عرفته سلالة «حمّورابي» ، وهو ان الملك كان يلقب نفسه بـ رسول السلام .

لقد أخذ الكاشيون عن البابليين طريقة التأريخ ، ولكنهم طوروها بتأريخهم الاحداث الملكية استنادا الى رأس السنة البابلية ، التي كانت تبدأ في أول شهر نيسان (ابريل) ، الذي يلي اعتلاء الملك الكاشي العرش ، بدلا من تاريخ الاحداث استنادا لليوم والشهر الذي تربع فيه الملك على العرش ، كقولهم مثلا : في **نفس اليوم الذي لمس فيه الملك يدي الاله مردوك المسكوبتين من الذهب في معبد ايزانجيلا ، اليوم الذي حددت فيه الآلهة احداث السنة الجديدة**[٤١٢] ، أي في نفس اليوم الذي كانت تقام فيه الاحتفالات بمناسبة هذه الذكرى ، عندما كان الملك يتبارك بلمس يدي الاله مردوك وتقبيلهما . وهذا التقليد على كل حال قديم العهد في بلاد ما بين النهرين ويذكرنا بما كان يفعله الملوك السومريون القدماء عند اعتلائهم العرش والتبارك بالاله «انليل» .

ولم يجلب الكاشيون معهم الى بلاد ما بين النهرين سوى ظاهرة حضارية جديدة ، هي معرفتهم الجيدة لتربية الخيول ، التي كثيرا ما نصادف ذكرها في كتاباتهم ومراسلاتهم مع الملوك . وقد وضعوا فهارس للكلمات الفنية الخاصة بتربيتها والعناية بها وتحسين سلالاتها . وهذا يشير الى ان مناطقهم الاصلية تقع في اواسط آسية الصغرى ، وشكلوا جزءا من هجمة الشعوب الجبلية على مناطق بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين (انظر أيضاً ص : ٩٠) .

سادسا ـ وضع بلاد بابل خلال الحكم الكاشي

لم تشهد بلاد «بابل» خلال تاريخها الطويل وتطور حضارتها العريقة حقبة وصلت أوضاعها الداخلية خلالها الى المستوى المنهار ، الذي عرفته ابّان الحكم الكاشي . ودفع هذا الوضع الشعب البابلي الى القوقعة والانغلاق على نفسه بعد أن كان منفتحا على الشعوب الاخرى يعمل بجد في بناء صرح الحضارة الانسانية .

---

412) Meyer , Ed . , op .cit 460.

ولذلك يعتبر العهد الكاشي في اواسط وجنوب بلاد ما بين النهرين بحق عصر الظلام والاضطهاد في تاريخ هذه المنطقة .

وكان الاحتلال الكاشي لاواسط بلاد ما بين النهرين وجنوبها نوعا من الاستعمار الاستيطاني ، الذي سبب في انهيار اقتصاد الانسان البابلي وفي تقييد حريته السياسية . وحاول الانسان البابلي يائسا ان يجد تعليلا منطقيا يقبله عقله لاسباب هذه الكارثة . وأخيراً اعتقد انه اكتشف سر هذه المأساة وذلك في تقصيره تجاه آلهته ، لأنه لم يقدّم لها العبادة النقية الطاهرة التي تستحقها . ولذلك ابتعدت الآلهة عن الشعب ، بعد ان حمته على مرّ قرون عديدة من شر الكوارث ، عندما كان في خدمتها ممتثلا أوامرها ومنفذا رغباتها . لقد وجد الانسان البابلي انه اقترف المعاصي بحقها ، لذلك تخلت عنه . ولكن هذا الانسان استخدم أسلوبا جديدا حتى اكتشف هذا السر ، هو أسلوب السحر والشعوذة ، أسلوب العرّافين ، الذي كان قانون حمّورابي قد حدد عقوبة الاعدام على من يمارسه . وقد ادى ذلك الى إيمان الشعب بقوى جديدة لم تكن واسعة الانتشار خلال العصور السابقة ، وهي قوى الجن الخفية ، التي رأى انها جلبت له المحن والكوارث . ولم يشمل ذلك الظالم الطاغي فحسب ، بل أيضاً اولئك الصالحين الاتقياء ، الذين لم يهملوا واجباتهم الدينية وأداء الصلوات الطاهرة تقربا من الآلهة . ولذلك فقد آمنوا بهذه القوى ، علّها تنقذهم من هذه المحنة والمأساة ، التي مزقت نفسية الانسان البابلي وحولته الى مركب من عقد النقص ، دفعت به الى اليأس الذي لا حد له . وبالرغم من خيبة الأمل هذه بقي الشعب مؤمنا ، ان مردوك هو الاله الوحيد المنقذ و الغفور الرحيم ، الذي بيديه وحده أسباب انقاذ الشعوب من محنها . وقد ورد هذا صراحة في الابتهال التالي ، وهو واحد من اناشيد تظلم كثيرة شرح فيها الانسان البابلي وضعه للآلهة راجيا اياها العفو والغفران(٤١٣) :

---

413) Moortgat , A . , Geschichte Vorderasiens bis zum Hellenismus.

تعريب د. توفيق سليمان و د . علي أبو عساف ، بعنوان «تاريخ الشرق الأدنى القديم» ص : ١٩٨ - ١٩٩ .

أريد تقديس سيد الحكمة

. . . .

نظرت خلفي فاذا بالصعاب تطاردني
وكأن مامن قربان قدم لالهي مني

اولم ينطق باسم الهتي عند الطعام
وكأني لم أخر على وجهي راكعا ،
وكأن سجودي لم يكن للعيان واضحا ،
او كامرىء خرس لسانه وسد فوه ، عن الترجي والصلاة ،
وابطل الأعياد وأهمل التضحيات ،

. . . .

ذلك الذي لم يناج ربه
ملتهما حتى طعامه ،
تاركا ربته دون ان يقدم رقيا طينيا لها ،
مقسما بالهه المقدس بكل استخفاف وبساطة
هكذا ظهرت انا
ولكني لم افكر الا بالتوسل والصلاة .
كانت الصلاة احساسي
والقربان واجبي (الأول) في الحياة
كان يوم تقديس الاله
رغبتي القلبية
وعرس الربة لي
ربح وغنى (وهمية)
كانت الصلاة من اجل الملك
لي فرحة
والعزف على الأوتار

لي رغبة

. . . .

الا ان ما يبدو للانسان خيرا
فعند الله محتقر
وما يهمل في قلبه
فعند الله خير
من يعلم ارادة الآلهة في السماء
ويحيط بخططهم الحكيمة ؟
كيف يستطيع الناس البلهاء
الاحاطة بتغيير (ارادة) الآلهة ؟
فالذي يعيش ليلا
قد يصبح في النهار ميتا صريعا
لقد اظلم فجأة
فيسحق سريعا
في لحظة ما (تراه)
يغني ويلعب
لتجده بعدها في الـ «نو»
يولول «كالأم» الثكلى
وكما تتبدل الضياء والظلمة
تتغير الارادة

ومن خلال هذه المأساة التي عاشها الشعب البابلي ، نشأ نوع من أدب الحكمة ساد اوساط عامة الشعب وتناول بموضوعاته جميع المفاهيم الخلقية والدينية اليومية ، بعيدا عن مواقف الكهنة وفلسفتهم المعقدة في فهم الحياة . وهنا كان لابد لهم ان يسايروا مواقف الشعب وان ينسجموا مع سلوكه الجديد ، حتى لا تنشأ هوة سحيقة تفصلهم عنه . حيث ان احوج ما يحتاجه الشعب البسيط هو نقطة انطلاق واضحة مفهومة لطريق حياته ، لا ان يبقى محتارا في اختيار الطريق الذي عليه ان يسلكه . وهنا تتجسم العلة بالذات ، كيف قدر للشعوذة في بلاد بابل ان تتوسع في

مضمونها ومداها خلال القرون اللاحقة ، بشكل لم يعرف مثيله في اية حقبة من عصور التاريخ[٤١٤] .

---

414) Moortgat, op. cit.,

النسخة المعربة ، ص : ٢٠١ .

الدراسة التاسعة

الحثيون

(٠٠٠ ـ ١١٩٠ ق.م)

اولا ـ اصل القبائل الحثية

اعتاد علماء آثار وتاريخ غرب آسية القديم ، ان يطلقوا على القبائل ، التي كانت تقطن في اواسط آسية الصغرى خلال عصور ما قبل التاريخ اسم ما قبل الحثيين ويقولون ايضا ان هذه القبائل لا تمت بصلة قربى الى الحثيين ، الذين شكلوا بعد قرون عديدة جزءا من هجرة ما تعرف بـ الشعوب والقبائل الهندو آرية . ويعتقد ان القبائل الحثية استوطنت بعض مناطق آسية الصغرى في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد . وكانت تربطها صلات قربى قوية بقبائل الكنتوم التي كانت تقطن البلقان . وهذا دليل على انهم نزحوا من هذه المناطق الى منطقة حوض منعطف نهر «الهاليس» في اواسط آسية الصغرى . وهناك نظرية اخرى تقول انهم نزحوا إلى أواسط آسية الصغرى ، من المناطق الشمالية الواقعة على سواحل البحر الأسود .

ثانيا ـ تأسيس المملكة الحثية (الخارطة ٤)

كنا ذكرنا ان الآشوريين اقاموا مستوطنات لهم في المنطقة ، التي تعرف بـ «كبادوكيا» وبسطوا نفوذهم الاقتصادي على البقاع التي اصبحت تشكل موطن القبائل الحثية التاريخي وفي مقدمتها المنطقة المعروفة في التاريخ باسم «كانيش» . وهي التي يرى العلماء انها نهضت ضد الآشوريين ، الذين استنجدوا بـ «سرجون» الأكادي لنصرتهم ضد السكان المحليين (انظر ايضا ص : ١٢٤) .

ونشأت على مرّ الزمن دويلات مدن حثية في الأناضول كان اشهرها «كوشّار» و «نيشـا» و «زالباونيشـا» و «خاتّوشـا» (بوغـازكوي الحـالية) ، وكذلك «بورشخاندا» . ونشبت الحروب بين هذه الدويلات من اجل توسيع مناطق نفوذها ولتبوء مركز الصـدارة السياسية والعسـكرية ، شأنهـا في ذلك شأن دويلات المدن السومرية . وبقي الأمر كذلك الى ان تبلور الموقف خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، بتشكيل اول مملكة حثية متحدة على انقاض دويلات المدن .

وورد في احدى الكتابـات الحثية المعروفـة بكتابـة الملك الـ «نيشي» المدعـو «انيتّا» ابن «بيتخانا» ، حاكم «كوشّار» وصف لبعض الحروب ، التي خاضها ضد الدويلات الحثية . ومن بين هذه الحروب الانتصار العسكري الساحق الذي احرزه على المدعـو «بيوشتـي» ملك «خاتّوشا»[٤١٥] ، حيث غزا هذا الملك «خاتّوشـا» و «زالباونيشا» ودمرهما شر تدمير . ويكيل هذا الملك الشتائم في هذه الكتابة على كل من يسكن مدينة «خاتّوشا» في المستقبل ، وجعل عاصمة دويلته «نيشا» عاصمة للملكة الحثية الجديدة . ولكن لعناته وشتائمه هذه لم تحل في المستقبل بين الملوك الحثين وبـين اقامتهـم في «خاتّوشـا» هذه . اذ جعلـوا منهـا ، بسبب موقعهـا الاستراتيجي ، عاصمة مزدهرة للامبراطـورية الحثية ، التي اصبحت من اعظم دول النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد في الشرق القديم .

ثالثاً ـ الامبراطورية الحثية القديمة وأشهر ملوكها
(١٦٠٠ ـ ١٣٨٠ ق.م)

أ ـ لابارنا (١٦٠٠ ـ ١٥٧٠ ق . م .) :

يرقى تاريخ اقدم الاخبار التي بين ايدينا حول توسيع المملكة الحثية لمناطق نفوذها الى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن السادس عشر قبل الميلاد . وذلك الى الزمن الـذي اعتلى فيه المدعـو «لابارنـا» العـرش الحثـي وسمّـى نفسـه ايضـا

415) Otten, H., in, Fischer - Weltgeschichte 3, 1966, S. 109 f.

«خاتّوشيلي» واعاد بناء مدينة «خاتّوشا» . واخضع هذا الملك لنفوذه عددا من مستوطنات المناطق الخصبة في اودية جبال طوروس . ومهّد بذلك الطريق لخلفائه للتدخل في شؤون السياسة الدولية في غرب آسية ، واحتلوا بذلك مكانة رفيعة الى جانب ملوك «بابل» و «مصر» . ولقب «لابارنا» نفسه بـ «الملك الكبير» ، لأنه هو نفسه المؤسس الأول للمملكة الحثية القديمة . ولذلك صار الملوك الحثيون خلال العصور اللاحقة يعيدون نسبهم اليه ويلقبون انفسهم بـ «لابارنا» و «ابناء لابارنا» ، كما اصبح هذا الاسم يعني «ملكا» ، **بدليل ما ورد في نص من عصر هذا الملك : عندما مرض لابارنا الكبير[416] في مدينة كوشّار وسلم الحكم لابنه . . قال لابارنا لموظفيه : الآن نصبت عليكم ابني (باسم) لابارنا .**

ب ـ خاتّوشيلي الأول (١٥٧٠ ـ ١٥٣٠ ق . م .) :

خلف «خاتّوشيلي» الأول اباه «لابارنا» على العرش الحثي . وكان اول عمل قام به نقله مقر ملكه الى مدينة «خاتّوشا» ، حيث تجاهل شتائم ولعنات الملك «انيتّا» على كل من يسكن هذه المدينة . وقام «خاتّوشيلي» بهذه الخطوة لأنه اكتشف اهمية موقع هذه المدينة الاستراتيجي ، الذي اصبح يتفق مع الهدف التوسعي للمملكة الحثية ، وعلى الأخص باتجاه الأراضي الواقعة خلف الحدود الجنوبية منها :

لقد خرج هذاالملك بمملكته من إطارالتقوقع الاقليمي داخل اواسط آسية الصغرى وفي بعض اودية جبال طوروس الخصيبة الى مجال مسرح الأحداث الدولية في غرب اسية . حيث اجتاز جبال طوروس في مقدمة جيشه[417] وغزا امارة حلب في شمال سورية . ولكنه اصيب بجرح بالغ خلال ذلك ، مما اضطره للانسحاب والعودة الى بلاده ، وتوفي متأثرا بجراحه في مدينة «كوشّار» .

واجرى «خاتّوشيلي» تعديلات هامة في وضع المملكة الداخلي تتعلق بوراثة العرش . لقد كان عليه ، تمشيا مع العرف والتقليد الحثيين الخاصين بوراثة

---

٤١٦) كان يلقب بـ «الكبير» تمييزاً له عن الملوك الحثيّين اللاحقين .

٤١٧) ذكر الملك «خاتّوشيلي» نفسه شرحا مفصلا لهذا التوسع على رقيم طيني اكتشف في عام ١٩٥٧م خلال اعمال لتنقيب عن الآثار في العاصمة الحثية «خاتّوشا» : راجع :

Otten, H., op. cit. S. 115f.

العرش ، ان ينصب ابنه الأكبر «لابارنا» . ولكنه سلم العرش لابنه الأصغر «مورشيلي» الأول ، وهو على فراش الموت . وبالاضافة الى ذلك فقد اهمل «خاتّوشيلي» الأول خلال ولايته الملكة (الوالدة) وولي العهد وخرج ايضا على ارادة مجلس الأشراف ، الذي كان يسمى بالحثية الـ بانكو . وهكذا مات مدينا لهذا المجلس بشرح الأسباب ، التي دفعته لتنصيب «مورشيلي» على العرش بدلا من الوريث الشرعي الابن الأكبر «لابارنا» . وايضا لم يعلل احتقاره الملكة (الوالدة) ، التي كانت تتدخل عادة بشؤون الحكم في عهد سابقيه من الملوك ، وكانت تشاركهم الرأي في حل اعقد المشاكل السياسية .

ج ـ مورشيلي الأول (١٥٣٠ ـ ١٥١٠ ق.م.)

لقد احس الملك «خاتّوشيلي» الأول بضرورة تسمية ابنه بالتبني «مورشيلي» الأول خلفا له على العرش الحثي بدلا من ابنه المريض الوريث الشرعي للسلطة . ويظهر ان «خاتّوشيلي» اكتشف في ابنه «مورشيلي» صفات القائد العسكري الفذ والحيوية التي افتقر اليها «لابارنا» المريض . ولذلك كانت تسميته خلفا على العرش الحثي اعظم خدمة قدمها «خاتّوشيلي» الأول للحثيين وللمملكة الحثية .

وبعد ان تربع الملك الشاب على العرش الحثي زحف في مقدمة جيش كبير نحو الجنوب ضد امارة حلب للانتقام منها ، لأنها تسببت بموت «والده» وولي نعمته ، فاحتل مدينة (حلبا (= حلب) ، ثم اتجه الى بلاد ما بين النهرين ، وقضى في نفس ذلك العام (١٥٣٠ ق . م .) على حكم آخر ملوك الدولة البابلية القديمة . وبين ايدينا كتابة حثية تؤكد هذا الهجوم ، والتي تقول : زحف (مورشيلي) الى حلبا **فخربها وعاد منها بالأسرى والغنائم الى خاتّوشا ، ثم اتجه الى بابل وهاجم الحورّي ، وعاد من بابل ايضا بالأسرى والغنائم . .**

ولم يقصد «مورشيلي» الأول من تنفيذ هذه الخطوة العسكرية الجريئة توطين الحثيين في بلاد ما بين النهرين ، بل هدف منها التأكيد على عظمة القوة الحثية امام الدول والممالك ، التي قد تنهض ضده ، وخاصة الآشوريين والحوريين ـ الميتانيين . اذن كان قصده الكسب الاستراتيجي المعنوي بالدرجة الأولى وليس فقط الحصول على المكاسب والغنائم المادية او حتى التوسع الاقليمي في بلاد ما بين النهرين . بدليل انه انسحب من هذه البلاد بعد ان دمر المملكة البابلية القديمة .

وعندما اصبحت المملكة الحثية تمتلك هذه القوة العسكرية والسياسية الضخمة ، ازداد معها تدفق غنائم الحروب والأتاوات الى الخزينة الحثية . ولذلك صار عرشها مغريا للطامعين به . واصبح لا مفر من ان تقع الفتن وتحاك المؤامرات ضمن دوائر البلاط الملكي الحثي بين افراد الحاشية الملكية او بين المتنفذين الآخرين . ونسج صهر الملك المدعو «زيدانتا» مع عديل الملك وساقيه المدعو «خانتيلي» خيوط مؤامرة ضده وانتهت باغتياله في عام ١٥١٠ ق . م . وهكذا تشكلت الحلقة الأولى في سلسلة طويلة من المؤامرات والدسائس والفتن عمت الدوائر المتنفذة في القصر الحثي .

د ـ خانتيلي الأول (١٥١٠ ـ ١٤٩٠ ق . م .) :

تبوأ «خانتيلي» الأول العرش الحثي اثر المؤامرة التي اودت بحياة عديله الملك «مورشيلي» الأول (انظر ايضا الهامش رقم : ٤٥٣) . وضعفت خلال عهده السلطة الحثية على كلا الصعيدين الخارجي والداخلي وفقدت سيطرتها على المناطق التي خضعت لها في شمال سورية . وعمّ الانحلال قلب الأراضي الحثية نفسها ، واضطر معها «خانتيلي» لأن يتنازل عن ملكية المدينة الحثية المقدسة «نيريك» . واغتنم الحوريون ـ الميتانيون الفرصة فدعموا نفوذهم في شمال سورية ، وتنفس الكاشيون في «بابل» الصعداء .

هـ ـ تيليبينو والقانون الجديد لوراثة العرش (١٤٦٥ ـ ١٤٥٠ ق . م .) :

وكثرت المؤامرات والفتن التي استمرت خمسة وعشرين عاما واشتد عنفها بعد ممات «خانتيلي» الأول ، وصارت الاغتيالات هي العرف السائد في دوائر الدولة الحثية وسلاحهم الفتاك في الوصول الى العرش وجمع الثروات . ولذلك تعاقب خلال هذه الفترة اربعة ملوك على العرش الحثي كان آخرهم المدعو «تيليبينو»[٤١٨] ؛ لقد اغتصب المدعو «زيدانتا» العرش الحثي بعد ان اغتال ابن «خانتيلي» المرشح للجلوس على العرش وعددا من افراد الأسرة المالكة . ولكنه لم ينعم طويلا بالحكم حيث اغتاله ابنه المدعو «أمّونا» . الذي اصبح ملكا . وبعد وفاته اغتيل اثنان من

---

٤١٨) سردت احداث هذه الفترة بصورة أكثر تفصيلاً ، لدى :

Klengel, H., Klengel, E., Die Hethiter und ihre Nachbaren, 1968, S. 68-69.

ابنائه واعتلى العرش الحثي المدعو «خوسيا» . وحاول هذا المتسلط الجديد قتل عديله «تيليبينو» ، ولكن محاولته هذه باءت بالفشل . عندها اسقطه «تيليبينو» من على العرش ونفاه الى خارج البلاد . ولذلك لا نعلم ما اذا كان «تيليبينو» ينتمي الى السلالة الملكية الشرعية ، ام انه كان مغتصبا جديدا للعرش . وبعد ذلك، كله ليس غريبا ان يحاول البعض اغتياله مع زوجته شأنه شأن اسلافه ؛ وقد جرت هذه المحاولة فعلا .

واصدر الملك «تيليبينو» اثر محاولة الاغتيال هذه قانونا جديدا نظم فيه مشكلة وراثة العرش الحثي . وكان يأمل بذلك ان يضع حدا للفوضى التي كانت تسود دوائر البلاط الملكي والأوساط الحثية المتنفذة . ولكي يضفي الملك على قانونه ، الذي اصبح يعرف باسمه ، الصفة الشرعية ، حصل على موافقة مجلس الأشراف (= البانكو) عليه :

وسرد «تيليبينو» في قانونه[٤١٩] بدءاً بالفقرة الاولى وانتهاء بالفقرة السادسة والعشرين منه قصة الصراعات الدامية التي دارت بين افراد البيت المالك والمؤامرات والدسائس التي سادت جو العلاقات بين الافراد المتنفذين في الدوائر الرسمية الحثية . فقد ذكر اسماء الملوك وافراد البيت المالك ، الذين ذهبوا ضحية الاغتيالات ، لذلك نصت المادة السابعة والعشرون صراحة على تحريم الحاق الاذى والضرر باحد افراد البيت المالك ، فيقول «تيليبينو» فيها :

اصبحت اراقة الدماء في الاسرة المالكة امراً عادياً ، وماتت الملكة «اشتاباريّا» ومات ايضاً «امّونا» ابن الملك . وقال العرّافون : «اتعظوا ! لقد اريقت دماء غزيرة في خاتّوشا والآن دعوت انا تيليبينو ، مجلس التوليّا [٤٢٠] في خاتّوشا للانعقاد ،

---

419) Forrer, E., Die Boghazköe - Texte in Umschrift, 2, Nr. 23: Keilschrift - Urkunden aus Boghazköe, XI, Nr. 1.

-) Sturtevent, E.H., and Bechtel, G.,A Hittite Chrestomathy, Philadelphia, 1935, P.175 ff.

٤٢٠) كان «التولّيا» مجلساً عسكرياً وتمتع بصلاحيات محاكمة اي فرد في الاسرة المالكة او النبلاء، حامت حوله شبهة اشتراكه في مؤامرة ضد الملك او اسرته او تحريضه اي انسان للقيام بها .

ويحرم منذ هذه اللحظة على اي كان في خاتّوشا ان يلحق الاذى والضرر بأحد افراد الاسرة المالكة او قتله بخنجر .

وأما في المادة الثامنة والعشرين فقد حدد «تيليبينو» نظام وراثة العرش بقوله :

يجب ان يصبح ملكاً ابن الملك من الزوجة الرئيسة (الاولى) ، واذا ليس للملك ابن من الدرجة الاولى ، يصبح ملكاً ابنه من الدرجة الثانية ، واذا لم يكن له ابن يصبح ملكاً زوج ابنة الملكة من الدرجة الاولى .

ونصت المادة التاسعة والعشرون على وجوب توفّر المحبة والوئام والوحدة بين الملك الوريث وابنائه واخوته وعساكره ، ليبقوا جميعاً اقوياء . ويحظر على الملك قتل أحد أفراد الأسرة المالكة كما لا يجوز له أن يعفو عن الاعداء ، ويقول «تيليبينو» بهذا الخصوص :

وليكن من يكن ملكاً بعدي ، فعليه ان يكون في وحدة تامة مع اخوته وابنائه واقربائه وجميع افراد اسرته وجنوده ، وتأتي انت وتذل بساعد قوي اعداء البلاد ، لا تقل : «العفو» لا يجوز ان تعفو ، بل عليك ان تضغط عليهم ، لا يجوز ان تقتل احداً من افراد الاسرة المالكة ، لان هذا الفعل مشين .

وجاء في المادة الثلاثين انه يحظر على الملك الغدر باقربائه ، وعليه ان يصارحهم اذا ظن انهم يحيكون مؤامرة ضده ، وذلك تحاشياً لاراقة الدماء ، وان يذكرهم بمضمون نص لوحة قانون «تيليبينو» ، الذي يروي قصة اراقة الدماء في «خاتّوشا» ، وأكّد «تيليبينو» في هذا الصدد :

ومن يصير ملكاً ويضمر العداء للاخ او للاخت ، فعليه ان يصارحهما بذلك بقوله ، انكما تتآمران ، اقرأ على اللوحة قصة سفك الدماء ، كانت اراقة الدماء تتكرر في خاتّوشا ، ولكن الآلهة قررت في ذلك الوقت ما يخص وضع السلالة الكبيرة .

وبعدها تأتي المادة الواحدة والثلاثون ، لتنص على عقوبة ابن الملك ؛ الذي يقترف جرماً ضد اخوته او اخواته :

وكل من يقوم بين اخوته بعمل سيء ، فعليه ان يعلم انه يقامر برأسه الملكي ، وعندها يدعى المجلس للانعقاد . واذا نفذ مخططه فعليه ان يعوض على ذلك برأسه . ولكن لا يجوز ان يعدم سراً ولا يجوز الانتقام من بيته وامرأته وبناته . واذا اجرم ابن الملك فعليه ان يعوض على ذلك برأسه فقط ، ولكن على المرء

الأ يلحق الضرر ببيته وابنائه . واذا لاقى ابناء الملك حتفهم لسبب ما ، هكذا لا تشمل (العقوبة) بيوتهم وحقولهم وكرومهم وبيادرهم وعبيدهم وماشيتهم واغنامهم .

واتت المادة الثانية والثلاثون ليؤكد «تيليبينو» فيها على مضمون المادة السابقة بقوله الموجه للذين يحق لهم قول كلمة الفصل بالامر :

واذا قام ابن الملك بعمل اجرامي ، فعليه ان يقدم رأسه ثمناً (لذلك) . واما بيته وابنه فلا تلحقوا اذى بهما ، لأن التصرف بافراد او املاك ابن الملك امر خطأ . والذين يقومون بمثل هذه الافعال الشريرة هم افراد . . . مراقبو البيت ، مراقب قصر الابناء ، رئيس الحرس الخاص ، رئيس السقاة . هؤلاء هم ، لأنهم يريدون اغتصاب بيوتات ابناء الملك ، حيث يقولون : «تلك المستوطنة ملكي» ، انهم يلحقون الاذى بصاحب المستوطنة .

ويحذر «تيليبينو» في المادة الثالثة والثلاثين حاشية الملك من مغبة القيام باي عمل إجرامي ضد افراد البيت المالك وعليهم ان يتخذوا عبرة من افعال اولئك المجرمين بحق اسلافهم :

وبدءاً من هذا اليوم ، اعلموا انتم يا ابناء القصر والحرس الخاص والصاغة وخدم المائدةوالطباخون وحاملي الصولجان والشالاشخيًا[٤٢١] وقادة الآلاف في جيش خاتّوشا ، اعلموا للمستقبل وعليكم ان تتعظوا بـ «تانوّا» و «تاخاروايلي» و «تارخوخشو»[٤٢٢] . واذا فعل انسان شراً وليكن رب البيت او مراقب ابناء القصر او رئيس السقاة او الحرس الخاص او قائد (. . .) . . . عليكم انتم اعضاء الـ «بانكو» القاء القبض عليه وفرض العقوبة المناسبة به .

و ـ انهيار المملكة الحثية القديمة :

يعتبر «تيليبينو» آخر ملك قوي في تاريخ المملكة الحثية القديمة . وخلفه بعد وفاته «توتخاليّا» الثاني ، وحكم بعد هذا الملك ملوك عديدون . ونشب الصراع من جديد بين افراد البيت المالك دون ان يستطيع مجلس الـ «بانكو» وضع حد

---

٤٢١) لقب لموظف كبير في البلاط الملكي الحثي .

٤٢٢) كان هؤلاء الثلاثة قد اجرموا بحق اسلاف «تيليبينو» .

لاستمراره . وهنا فقدت المملكة الحثية سيطرتها على المقاطعات في شمال سورية وانتعشت المملكة الحورية ثانية ، واستمر هذا الحال الى ان اعتلى العرش الحثي ملك جديد ، يدعى «شوبّلوليوما» ، الذي يعتبر بحق اشهر الملوك الحثيين قاطبة . اذ دخلت في عهده المملكة الحثية مرحلة جديدة من القوة والعظمة ، يمكننا ان نعتبرها بداية عصر جديد في تاريخ الحثيين ، انه عصر المملكة الحثية الحديثة ، الذي أصبحت خلاله اعظم امبراطورية في الشرق القديم .

رابعاً ـ الامبراطورية الحثية الحديثة (١٣٨٠ ـ ١١٩٠ ق.م)

أ ـ شوبّيلوليوما (١٣٨٠ ـ ١٣٤٦ ق.م) :

رأى «شوبّيلوليوما» ان اول عمل عليه القيام به هو اعادة بسط نفوذ الحثيين على المناطق التي انفصلت عن مملكتهم في سورية وشرق آسية الصغرى وغربها . وخاض اول حروبه ضد سكان مناطق شرق آسية الصغرى وفي اعالي نهر الفرات ، وانتصر فيها جميعاً . ولم تكد انباء انتصاراته هذه تصل مسامع امراء الممالك الصغيرة الاخرى في غرب آسية الصغرى كامير مملكة «كيشّاوتنا» حتى سارعوا لاعلان الولاء من جديد للمملكة الحثية والتحالف معها . وصارت مملكة «كيشّاوتنا» منذ ذلك الوقت تحتل مكاناً مرموقاً ضمن اطار المملكة الحثية الجديدة على الصعيدين السياسي والعسكري بدليل ان آلهتها الخاصة بها اصبحت تحتل منزلة رفيعة الى جانب الالهة الحثية في كافة المعاهدات التي أبرمها الحثيون مع الممالك الأخرى . ثم حذت حذوها الامارات المجاورة لحدود المملكة الميتانية ـ الحورية ، مثل امارة «شي» . وشكل موقف هذه الامارة احد الاسباب المباشرة للاصطدام المحتم بين المملكتين الحثية والحورية ـ الميتانية في عهد ملكها «توشراتّا» (راجع ايضاً ص : ٣١٦) . واجتاز الملك الحثي في مقدمة جيشه جبال طوروس ووصل الى لبنان وغزا مناطق «عمورّو» في اواسط شمال بلاد الشام (سورية) وعلى ساحلها وفرض على امرائها جزية بلغت ٣٠٠ شيكل من الذهب .

وعندها ارسل الامراء السوريون الموالون لفرعون مصر الوفود مزودة بالكتب

الرسمية لـ «اخناتون» يذكرون فيها انباء تقدم الجيش الحثي في جنوب البلاد واستيلوه عليها بخضوع الامارات السورية الواحدة تلو الاخرى للنفوذ الحثي وخاصة امارة «نوخاشي» . وان الحثيين في طريقهم لاحتلال المدينة الساحلية «جبيل» التي ارسل ملكها بدوره بطلب النجدة من فرعون مصر (انظر ايضاً ص : ٣٧٠ وما بعدها) .

واستعان الحثيون ، خلال قيامهم بهذه العمليات العسكرية بامراء بلاد الشام المناهضين للسلطة المصرية . وقد سهل هؤلاء على الحثيين الانتصار في هذه الحروب ، بحيث اصبح معظم النصف الشمالي من بلاد الشام خاضعاً لنفوذهم ، وبقي على الحثيين بعد هذه الانتصارات امر تصفية الحساب مع آخر مملكة فيه هي المملكة الحورية - الميتانية، التي بقيت تشكل العقبة الكأداء الوحيدة في طريق السيطرة الحثية الكاملة على جميع مناطق النصف الشمالي من بلاد الشام (سورية ولبنان)

وبدأ الملك الحثي اعماله العدائية ضدها عندما اقام علاقات ديبلوماسية مع احد الملوك الحوريين المدعو «ارتاتاما» . ورأى الملك الحوري - الميتاني الاكبر «توشراتّا» في خطوة الملك الحثي عملاً عدائياً موجهاً ضده . ثم ازداد جو العلاقات توتراً بينه وبين الملك الحثي عندما اعلنت امارة الـ «شي» تأييدها للملك الحثي . فوجد الملك الحوري - الميتاني ان لا مفر من اعلان الحرب على الملك الحثي . ورأى «شو بيّلوليوما» من جانبه في ذلك فرصة سانحة طالما انتظرها للقيام بعمل عسكري مضاد ينهي به الوجود السياسي لهذا المنافس القوي «توشراتّا» . ولذلك قاد جيشه المنتصر باتجاه الجنوب - الشرقي في زحف كبير على الاراضي الحورية - الميتانية . واصطدم اولاً مع الآشوريين واجبرهم على التراجع الى داخل حدود دويلتهم الاصلية «آشور» . ثم تابع زحفه نحو العاصمة الحورية - الميتانية «واشوكانّي» فاصطدم مع جيش «توشراتّا» وهزمه ثم حاصر العاصمة «واشوكانّي» الى ان استسلمت فدمرها وانهى سلطة «توشراتّا» فيها . ولكنه عاد فنصب من جديد ابن «توشراتّا» على عرش والده وقدّم له الدعم . وقد هدف الملك الحثي من ذلك اقامة حزام من الدول التابعة للمملكة الحثية لحماية اراضيها امام الاطماع الآشورية . ولذلك ابرم مع تابعه معاهدة دفاع مشترك تنص على وجوب وقوف كل منهما الى

جانب الآخر عندما تتعرض اراضي اي من الدولتين لهجوم دولة ثالثة . ولا شك في ان الملك الحثي قصد بذلك الدولة الآشورية اولا ثم المملكة الكاشية ثانياً وخطر الاجتياح الآرامي لشمال بلاد الشام ثالثاً . ولاستكمال بناء هذا السور الحصين من الممالك والامارات التابعة نصب اثنين من ابنائه على الحدود الجنوبية للمملكة الحثية ملكين على مقاطعتي «كركميش» و «حلبا» (حلب) .

وكانت مصر خلال هذه الحقبة من تاريخ غرب آسية تعيش فترة ضعف قاتلة منعتها من الوقوف في وجه اطماع الملك الحثي ، الذي غزت اخبار انتصاراته آفاق اقطار العالم القديم . ودفعت هذه الشهرة الملكة المصرية لرجاء الملك «شوبيّلوليوما» بان يرسل اليها احد ابنائه كزوج لها ، لأنها تأنف الزواج باحد افراد حاشية القصر المصري ، كما ورد في رسالة منها الى الملك الحثي . وانها سخرية القدر ، اذ كان الملك المصري يرفض أن يزوج ابنته او اخته باخ الملك الكاشي ، ويقول له في رسالته التي اتينا على ذكرها (راجع ص : ٢٥٣) منذ القدم لم تزوج ابنة ملك مصري لانسان ، اما الآن فاصبحت زوجة فرعون مصر نفسها ترجو الملك الحثي بان يرسل لها احد ابنائه لتتخذه زوجاً لها . ويدلنا ذلك على اختلال موازين القوى في النصف الغربي من الشرق القديم ، خلال عهد الملك الحثي «شوبيّلوليوما» . واصبحت انظار ملوك وامراء شعوب هذه البلدان موجهة الى «خاتّوشا» بدلاً من «ممفيس» او «اشور» او «بابل» .

ب ـ مورشيلي الثاني (١٣٤٥ ـ ١٣١٥ ق.م) :

تربع على العرش الحثي بعد ممات «شوبيّلوليوما» ابنه المريض «ارنوواندا» ، الذي توفي بعد حكم لم يدم سوى بضعة اشهر . وخلفه اخوه «مورشيلي» الثاني . وزحف مورشيلي اثر ذلك في مقدمة جيشه لاخضاع المناطق التي اغتنمت فرصة وفاة ابيه واخيه واعلنت الانفصال عن المملكة الحثية[٤٢٣] . واستغلت قبائل همجية في مناطق جبال «البونت» هذه الفرصة واغارت على الحدود الشمالية والشرقية لاراضي المملكة . وتصدى لها الملك الحثي في سلسلة من الحروب المتواصلة استمرت قرابة

---

٤٢٣) ورد وصف أكثر تفصيلاً حول ذلك في كتابات «مورشيلي» ، راجع بهذا الخصوص :
Goetze, A., in Mitteilungen der Vorderasiatisch - Ägyptischen Gesellschaft, 38, 1933, S.17 ff.

عشرين عاماً ، ولم تتخللها سوى فترات قصيرة من الراحة خلال الاعياد ومواسم الامطار. وبالرغم من أن هذه الحروب المتواصلةانهكت الجيش الحثي، الا انها لم تحل بين ملكه وبين ان يحقق طموحه ، اذ وسع مناطق نفوذه باتجاه الجنوب في المنطقة الكيليكية ونحو الشرق باتجاه ارمينيا . واستطاع ايضاً ان يستعيد نفـوذ الحثيين في شمال بلاد الشام بما فيها المناطق الحورية ـ الميتانية . ومات في عام ١٣١٥ ق.م . وخلفه على العرش الملك «مورواتالِّ» .

ج ـ مورواتالِّ والحرب ضد مصر (١٣١٥ ـ ١٢٩٠ ق.م) :

سيطر الملك «موورتالِّ» بسرعة خاطفة على مقاليد الأمـور في المملـكة الحثية وعادت حدود الاراضي الخاضعة للسلطة الحثية ، كما كانت في عهد الملك المشهور «شوبيِّلوليوما» تمتد من ارمينيا وحدود دويلة «آشور» شرقاً حتى كيليكيا غرباً ومـن شمال اواسط آسية الصغرى شمالاً حتى الحدود الجنوبية لاواسط بلاد الشام جنوباً . ولكن الوضع الدولي لم يعد كما كان في عهد «شوبيِّلوليوما» ، اذ استطاعت مصر ان تجتاز محنتها وتمكنت الاسرة الثامنة عشرة ان تعيد بناء الدولة المصرية الحديثة بفضل اعتلاء الملك المصري «سيتوس» الاول عرشهـا . وحـاول هذا الملك ان يسـتعيد الوجود المصري في كافة انحاء سورية ولكنه فشل في اخضـاع مدينة قادش الواقعة في اواسط سورية على نهر العاصي الى الجنوب قليلاً من مدينة حمص الحالية . وقد كانت هذه المدينة المحصنة عاصمة امارة «قادش» ، التي اسستها فلول الهيكسوس بعد ان طردوا خارج مصر خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد . كذلك وقف الحثيون في وجه الاطماع التوسعية لفرعون مصر في النصف الشمالي من بلاد الشام .

وتوصل الطرفان الحثي والمصري الى شكل من الاتفاق حول تقسيم مناطـق النفوذ . ولكن يبدو ان الحثيين نقضوا بنـوده بعـد موت فرعـون مصر بمحاولتهـم استعادة سيطرتهم على مناطق فلسطين الشمالية . ولكن عندما تبوأ العرش المصري الملك الطموح «رعمسيس» (١٢٩٨ ـ ١٢٣٢ ق.م) ، اصبح لا مفـر من وقـوع اصطدام مسلح بين الجانبين ، يحدد مضير بلاد الشام خاصة واقطار النصف الغربي من عالم الشرق القديم عامة .

١ ـ اسباب الحرب :

كان الحثيون ـ كما ذكرنا ـ قد بسطوا نفوذهم على كافة المناطق السورية واصبحت تجارة غرب آسية ومصر خاضعة لمراقبتهم ، مما دفع ملك «قبرص» الى الكتابة لفرعون مصر يشكو اليه هذا الامر ، الذي الحق الضرر بمصالح بلاده . وسيطر الحثيون ايضاً على الثروات الطبيعية في بلاد الشام من اخشاب ومعادن وحبوب ومواد استهلاكية عديدة اخرى كانت متوفرة فيها . وبالاضافة الى هذه الاسباب الاقتصادية كانت هناك ايضاً عوامل عسكرية استراتيجية دفعت المصريين الى اليقظة من جديد والى الاستعداد لمواجهة الحثيين . لقد هدد هؤلاء بوصولهم الى شمال فلسطين الأرض المصرية خاصة ان الكنعانيين في فلسطين كانوا على استعداد للتعاون مع الحثيين ضد الوجود المصري هناك ، وكانوا قد عرضوا على الملك الكاشي التعاون معه ضد فرعون مصر (راجع ايضاً ص : ٣٥٧) ، فكيف لا يتعاونون الآن مع حليف على استعداد لقبول عرضهم ؟.

٢ ـ التحضير للحرب :

وقد أدرك الملك الحثي من جانبه ايضاً ان الاصطدام المسلح بالقوة المصرية امر لا مفر منه ، خاصة بعد ان تسلم «رعمسيس» الثاني الشاب السلطة في مصر . واخذ يحضر للمعركة المرتقبة : فنقل مقر قيادته وحكمه من العاصمة الملكية «خاتّوشا» الى بقعة اكثر قرباً من مسرح الاحداث العسكرية وفيها مدينة «داتّاشّا» في جنوب آسية الصغرى . وحشد ايضاً كل طاقاته وامكاناته وحلفائه العسكرية والمادية استعداداً للحرب . ويقدر بعض الباحثين ان عدد افراد جيشه بلغ العشرين الفاً . وبالمقابل قام رعمسيس ايضاً بخطوات تحضيرية للمعركة ، حيث انشأ فرقاً عسكرية جديدة خاصة بهذه الحرب وقسم جيشه الى اربع فرق تولى هو بنفسه قيادة احداها ، ولم يقل ايضاً عدد افراد جيشه عن عدد جنود الجيش الحثي[٤٢٤] .

٣ ـ الحرب :

لقد عثر على نقوش هيروغليفية مصرية على جدران معبد «ابو سمبل» في

424) Breasted, J. H., Geschichte Ägyptens, S. 241.

النوبة في معبد الأقصر في «طيبا» من عهد الملك «رعمسيس» الثاني مصحوبة بمشاهد مصورة . وتروي لنا هذه النقوش مع الصور مراحل الحرب التي دارت رحاها بين الطرفين المصري والحثي . وبالاضافة الى ذلك فانها تشكل مادة غنية جدا لدراسة فنون الحرب والقتال التي عرفتها شعوب النصف الغربي من عالم الشرق القديم خلال هذه الفترة .

ويصف «رعمسيس» سير المعارك ، التي وقعت بالقرب من «قادش» خلال السنة الخامسة لتسلمه السلطة في مصر ، وذلك عندما حاول للمرة الثانية الاغارة على المواقع الحثية الامامية في سورية والاستيلاء على حصن «قادش» .

واراد رعمسيس ان يلتقي بسرعة بالجيش الحثي ويأخذه على حين غرة ، لذلك قاد بنفسه فرقة من جيشه وزحف للاصطدام به ، وترك المشاة وقسما من العربات الحربية تلحق به في المؤخرة . والسبب الذي دفع «رعمسيس» للقيام بهذه العملية السريعة كان خبرا ملفقا نقله اليه جاسوسان من البدو عملا لصالح الحثيين . وقد اخبر الجاسوسان الملك المصري في معسكره ، ان «مورواتاليّ» يتباطأ في زحفه نحو قادش خوفا من المصريين ، وانه الآن في حلب ويتحاشى الاصطدام مع جلالة الملك المصري . وما ان بلغ قول الجاسوسين مسامع «رعمسيس» ، حتى قرر اغتنام الفرصة والزحف لاحتلال «قادش» والانقضاض بعدها على الطلائع والقواعد الحثية الأمامية شمال قادش ولكن سرعان ما تبين للملك المصري ، انه وقع في الشرك الذي نصبه له الحثيون . ولكنه استطاع بشجاعته وحسن تصرفه ان يخترق الطوق الذي ضربه الاعداء حوله وان ينجو بحياته من الأسر المحقق . ويقول «رعمسيس» ان اصطدام الجيشين حدث بعد ذلك .

وبالرغم من ان «رعمسيس» ادعى الانتصار في هذه المعركة ، الا انه لم يستطع انكار الخسائر التي مني بها جيشه ، مما اضطره للعودة مسرعا الى مصر . ولنترك هنا رعمسيس يحدثنا عن مراحل الحرب ، التي تعتبر حتى ذلك الوقت اقسى وأهم الحروب التي نشبت بين دولتين في الشرق القديم . وتتعرض هذه الوثيقة لذكر تاريخ الحرب وعسكرة الجيش المصري في جنوب قادش ولوضع الحثيين وفرق استطلاعهم ، واركان حرب «رعمسيس» والهجوم الحثي المفاجىء واختراق رعمسيس للحصار الذي وجد نفسه فيه . وذكر «رعمسيس» اخيرا في هذه الوثيقة

نص معاهدة السلام ، التي ابرمت بين المصريين والحثيين في عهد الملك الحثي «خاتّوشيلي» الثالث .

٣ ـ آ ـ مراحل الحرب حسب المصادر المصرية :[٤٢٥] :

التاريخ

في اليوم التاسع من الشهر الثالث لصيف السنة الخامسة ، في عهد جلالة هوروس : الثور الجبار محبوب العدالة ، ملك مصر العليا والسفلى : اوسر ـ ماعت ـ رع سيتيب ـ عن رع ابن رع : رعمسيس ـ ميري ـ عمون معطى الحياة خلدا .

المعسكر جنوب قادش

وكان جلالته خلال حملته الثانية المظفرة في زاهي[٤٢٦] ، وكان افراد الحرس النشيط احياء وفي صحة جيدة ، في خيمة جلالته على المرتفعات جنوب قادش . وعندما ظهر جلالته كشروق رع ، كان يحمل اسلحة والده مونتو[٤٢٧] .

جاسوسان حثيان يأتيان الى الملك المصري

وعندما زحف جلالته باتجاه الشمال واصبح جلالته جنوب مدينة شبطونة[٤٢٨] قدم اليه اثنان من الشاسّو[٤٢٩] وقالا لجلالته : «ارسلنا اخوتنا من اكابر القبيلة التابعة للأمير الحثي المهزوم ، لنقول لجلالته : نرغب ان نكون من اتباع فرعون ـ له الحياة والفلاح والصحة ـ ونريد ان نهرب من الامير الحثي المهزوم . وان الامير الحثي المهزوم موجود الآن في حلب الى الشمال من تونيب[٤٣٠] انه يخشى ان يتجه الى فرعون ـ له الحياة والفلاح والصحة ـ نحو الجنوب» .

---

425) Lepsius, Denkmäler aus Ägypten und Äthiopien, Bd. III, Bl. 187c-d, Bd. III, Bl. 153.

-) Brugsh, Recueil des monuments .., Bd. II, P. 53.

-) Breasted, Ancient Records..., Bd, III, P. 143 ff.

٤٢٦) كان المصريون يطلقون هذا الاسم اصلا على «فينيقيا» في النصف الشمالي من ساحل بلاد الشام (على ساحلي سورية ولبنان) . اما في عهد «رعمسيس» فصاروا يطلقونه على المناطق بين جبال لبنان ووادي العاصي .

٤٢٧) «مونتو» كان اله الشمس وعبد في «طيبا» وفي هيرمونتيس وكان في عصر الدولة المصرية القديمة كبير آلهة مصر السفلى ثم اله الحرب ، ورسم في شكل انسان برأس طير الحدأة .

٤٢٨) كانت احدى امارات بلاد الشام المتحالفة مع الحثيين .

٤٢٩) «شاسّو» : البدو .

٤٣٠) تونيب : اسم مدينة وامارة كانت تقع في غرب اواسط شمال بلاد الشام (سورية) انظر ايضا ص : ٣٧١ وما بعدها .

وضع القوات الحثية والمصرية قبل المعركة

وجلب الأمير الحثي حاكم كل بلاد مع محاربيه وخيالته واتخذ وضع القتال خلف قادش المخادعة ولكن جلالته لم يكن يعلم بذلك . وعندها اتجه جلالته نحو الشمال فوصل الى المنطقة الواقعة الى الشمال الغربي من قادش واقام جلالته هناك معسكر جيشه .

اسيران من فرق الاستطلاع الحثية يخبران
رعمسيس عن الموقع الحقيقي للجيش الحثي

وكان جلالته متربعا على عرش ذهبي على الضفة الغربية من نهر العاصي ، عندما جاءت اليه سرية من حرسه الخاص تقود اسيرين من (فرقة) استطلاع الامير الحثي ، ويسأل جلالته : «من انتما ؟» فأجابا : «فيما يخصنا ، ارسلنا الأمير الحثي المهزوم لنستطلع مكان وجود جلالتكم» ، وأجاب جلالته : «واين هو ، الأمير الحثي المهزوم ؟. لقد سمعت خبرا يقول انه موجود في حلب» فأجابا : «تأمل ! اتخذ الأمير الحثي المهزوم مواقعه مع كافة البلدان التي اصطحبها معه بالقوة ، من جميع المناطق الواقعة على حدود الدولة الحثية من بلاد نهارينا(٤٣١) وجميع بلدان كد(٤٣٢) ومعه محاربون وعربات حربية تحمل اعلامها(٤٣٣) ، ويفوق عدد الجميع رمال شاطىء البحر . انظر ! انهم متأهبون للقتال خلف قادش المخادعة» .

دعوة رعمسيس اركان حربه لعقد اجتماع معه

واستدعى جلالته الاشراف ، وتلا عليهم كل كلمة قالها له جاسوسا الأمير الحثي المهزوم ، وعقّب جلالته على ذلك : «انظروا هذا الأسلوب الذي اتى به قادة العساكر والحكام الذين تخضع لهم بلدان فرعون ـ له الحياة والفلاح والصحة ـ اتوا الي وقالوا لفرعون : «الأمير الحثي المهزوم موجود في حلب ، لقد هرب امام جلالته

---

٤٣١) «نهارينا» كان هذا الاسم يطلق على مناطق الدولة الحورية ـ الميتانية (انظر ايضا ص : ٣١٢) .

٤٣٢) كان هذا الاسم يطلق على جزء من الأراضي الكيليكية في شمال بلاد الشام .

٤٣٣) كانت فرقة كل بلد تحمل العلم الخاص بها خلال الحروب .

عندما بلغه نبأ قدومه . وهكذا قالوا يوميا لجلالته . . ، انظروا ! ولكن الآن ، وفي هذه اللحظة بالذات ، بلغتني انباء من جاسوسين للأمير الحثي المهزوم ، ان امير البلاد الحثية المهزوم مختبىء مع (جيوش) بلدان بعدد لا يحصى وهي معه ، اناس واحصنة باعداد لا تحصى كالرمال . وانهم الآن خلف قادش الخائنة ، ودون ان يعلم ذلك قواد العساكر والحكام الذين تخضع لهم بلدان فرعون ـ له الحياة والفلاح و الصحة » .

وأجابه الاشراف ، الذين كانوا بين يديه ، : «انه خطأ كبير ، ارتكبه قواد العساكر وحكام فرعون ـ له الحياة والفلاح والصحة ـ ان امير البلاد الحثية المهزوم كان هناك ، حيث كان الملك ، ولأنهم نقلوا لعظمته يوميا التقرير (المغلوط للمستطلعين) .

وعندها امر الوزير ان يقود جيش جلالته الذي كان في طريق زحفه الى جنوب «شبطونة» ، الى المكان الذي كان جلالته قد اقام فيه معسكره .

الهجوم الحثي يفاجىء الجيش المصري

وانظروا عندما كان جلالته في حديثه مع اشرافه ، اتى امير البلاد الحثية المهزوم ومعه مشاته وعربات القتال وكذلك البلدان التي كانت معه بعدد لا يحصى عبر القناة جنوب قادش وهجم على قلب جيش جلالته وهو في طريقه دون ان يعلم بذلك (ولم ينتظر) . وهنا تخاذلت امامه عساكر وعربات قتال جلالته واتجه إلى الشمال حيث كان جلالته ، وطوق جيش امير البلاد الحثية المهزوم حرس جلالته الذي كان عنده .

رعمسيس يخترق الحصار الحثي

وعندما علم الملك بذلك وانقض عليهم حاقدا كأبيه «مونتو» رب طيبا وحمل سلاحه وارتدى درعه . وكان مثل بعل[٤٣٤] في ساعته[٤٣٥] . وذهب بنفسه الى حصانه

---

٤٣٤) بدأت آلهة بلاد الشام (السورية والفلسطينية والفينيقية) بالانتشار في مصر خلال عصر الدولة الحديثة بواسطة التجار والجنود . وكان المصريون ينظرون الى هذه الآلهة على انها شريرة تسبب الكوارث والحروب . ولذلك شبه الاله الفينيقي «بعل» بالاله المصري «سوتيخ» ، الاخ الشرير لـ «اوزيريس» .

٤٣٥) اي في الوقت الذي يكون «بعل» في أشد ساعاته غضبا .

المسمى «النصر في طيبا» وانطلق بسرعة خاطفة في مقدمة الجيش وحيدا هناك . **وتوغل في وسط صفوف الاعداء، صفوف اميرالبلاد الحثيةالمهزوم والبلدان الكثيرة معه . وكان جلالته كـ «سوتيخ» وبقوته الجبارة ، عندما غضب في وسطهم وصرعهم وقذف عظمته بهم على رؤوسهم الواحد بعد الآخر في فيضان نهر العاصي .**

وانتصرت على جميع البلدان ، انا وحدي ، عندما تخلى جيشي عني وعربات القتال ولم يعد احد منهم يلتفت الي ، اقسم بحب رع وبحظوة اتوم لي ان كل شيء قاله جلالته هنا صحيحا امام جيشي وامام عرباتي الحربية .

٤ ـ نتائج الحرب

لقد ذكر رعمسيس صراحة في تقريره ان الحثيين استخدموا الجاسوسية العسكرية ضده في هذه الحرب . ويعتبر ذلك اقدم خبر وصلنا حتى الآن حول استخدام التجسس ضد العدو في الحروب . ويبدو ان الحثيين ادركوا ما للجاسوسية من اهمية كبيرة في نقل المعلومات الدقيقة بانتظام عن اوضاع العدو العسكرية والقتالية وبالتالي ايصال الأخبار الملفقة عن اوضاع الجيش الحثي الى العدو . ولا شك في ان الخبر الذي نقله الـ «شاسّوان» الجاسوسان الى رعمسيس قد غرر به بحيث غير خطته لملاقاة العدو . وهنا وجد الملك الحثي متسعا من الوقت لتنفيذ خطته الهجومية التكتيكية بناء على دراسة المعلومات الدقيقة ، التي كان يحصل عليها باستمرار حول تحركات الجيش المصري واوضاع معسكره . ولم ينفع رعمسيس كثيرا القاء القبض على الجاسوسين الحثيين اللذين اضطرا للافصاح عن الموقع الحقيقي لمعسكرات الجيش الحثي ، بسبب ضيق الوقت الذي بقي متوفرا له قبل بداية الهجوم الحثي .

ولا شك في ان «رعمسيس» وجد نفسه في منطقة اكثر امرائها وسكانها من مؤيدي الحثيين ، بدليل قوله الى اركان حربه ، مستغربا : **انظروا هذا الأسلوب الذي اتى به قادة العسكر والحكام الذين تخضع لهم بلدان فرعون . . . اذ كان**

هؤلاء يؤكدون له يوميا نبأ وجود القوات الحثية في حلب ، اي على بعد حوالي ٢٠٠ كم الى الشمال من قادش . ونلاحظ هنا انه بالرغم من كثرة عدد افراد الجيش الحثي وانتشارهم في المنطقة ، فقد بقي موقع معسكره مجهولا لدى «رعمسيس» . وهذا دليل على ان السكان لم يسربوا اخبارا عن موقع المعسكر الحثي الى قادة أو حكام بلدان فرعون ، وان «رعمسيس» كان خلال ذلك في عزلة تامة في بقاع اعتبرها ارضه .

ومع ان «رعمسيس» الثاني كان مشهورا بتزييف الحقائق ، بدليل انه امر بنقش اسمه على عدد كبير من النصب التذكارية التي اقامها بعض اسلافه ، الا انه لم ينكر هجوم الجيش الحثي المفاجيء على معسكره وسحقه قواته ، بقوله : . . . **تخلى (عني) جيشي وعربات القتال ولم يعد احد منهم يلتفت الي . . . .** ولا شك في ان السرعة الخاطفة التي انقض بها الجيش الحثي على المصري ، قد اربكت القوات المصرية فدب الذعر والخوف في نفوس افرادها ، فسقط البعض منهم صرعى وهرب أو أسر البعض الآخر . ولا يجوز لنا ان نفهم قول «رعمسيس» ان . . . **جلالته قذف بهم (الاعداء) على رؤوسهم الواحد بعد الآخر في فيضان نهر العاصي . . . .** سوى محاولة منه لاظهار قوته وجبروته وانه انقذ نفسه وجيشه من الهلاك المحتم والحق الهزيمة بجيش العدو . ومع ذلك كله يبقى انقاذه حياته انجازا فرديا جبارا تجاه هزيمته النكراء التي ترتبت على عدم درايته بأمور القتال التي تطورت كثيرا في عصره ، وخاصة استخدام الجاسوسية على العدو . وقد اصبحت الجاسوسية تشكل اهم العوامل الحاسمة في انتصار الجيوش خلال العصور اللاحقة (انظر الجزء الثاني : حرب سرجون الثاني ضد اورارتو) .

وهناك دليل واضح آخر على انتصار الحثيين ، وهو عزل المدعو «بينتشينا» ، احد ملوك الدويلات السورية المتحالفة مع المصريين ، عن عرشه بعد معركة «قادش» ونصب عوضا عنه مؤيدا للحثيين . ولو كان «رعمسيس» هو المنتصر حقا كما حاول جاهدا ان يؤكد على ذلك ، لكان «بينتشينا» هذا قد بقي على عرشه . ويؤكد صحة هذا التحليل استعادة الحثيين سيطرتهم على مقاطعة «عمورّو» ، التي كانت تخضع اصلا للنفوذ المصري .

د ـ اورشي ـ تيشوب (١٢٩٠ ـ ١٢٨٣ ق . م .) ، خاتّوشيلي الثالث (١٢٨٢ ـ ١٢٥٠ ق . م .) :

١ ـ خاتّوشيلي وصراعه مع اورشي ـ تيشوب :

تسلم «اورشي ـ تيشوب» السلطة بعد وفاة والده ، اي في الوقت الذي كانت حالة التوتر تسود العلاقات بين الامبراطوريتين الحثية والمصرية . وحاول ان يبعد عمه «خاتّوشيلي» الثالث عن منصبه كحاكم احدى المقاطعات الحثية في آسية الصغرى . وهنا وجد العم نفسه مضطرا للنهوض في وجه ابن اخيه الى ان ازاحه من على العرش الحثي بعد سبع سنوات من الصراع المرير ضده :

وقد عثر في مدينة «خاتّوشا» على وثيقة بالكتابة المسمارية وباللغة الحثية يرقى تاريخها الى عهد «خاتّوشيلي» الذي يروي فيها بنفسه قصة احداث طفولته ويصف فيها ايضا وضعه في عهد اخيه «موواتاليّ» ، ويذكر المناصب التي تسلمها ثم قصة صراعه مع ابن اخيه «اورشي تيشوب» .

ويحاول «خاتّوشيلي» تبرير الأسباب التي دفعته لأزاحة ابن اخيه عن العرش . وهذا النص عبارة عن نص «تاريخ حياة» كامل العناصر ، ويعكس لنا ايضا صورة حية عن السياسة الداخلية والخارجية لدول النصف الأول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وفيما يلي ترجمة لبعض مقاطع نص هذه الوثيقة ، باستثناء بعض الكلمات المقتبسة من اللغات الأجنبية وبعض الشارات السومرية التي ترد فيه ، ويقول «خاتّوشيلي»[٤٣٦] :

ـ ١ ـ

هكذا (يتكلم) لابارنا[٤٣٧] ، خاتّوشيلي ، أكبر ملك ، ملك بلاد مدينة الحثيين ابن مورشيلي ، الملك الكبير ، ملك بلاد مدينة الحثيين ، حفيد شوبّيلوليوما ، الملك الكبير ملك بلاد مدينة الحثيين ، حفيد خاتّوشيلي ، ملك مدينة كوشّار .

---

436) Sturtevent, E. N. and Bechtel, G., A Hittite Chrestomathy.

) Goetze, A., Hattuschilisch, Mitteilungen der Vorderasiatisch Agyptischen Gesellschaft, 29, Heft 3, 1925..

٤٣٧) انظر ص : ٢٦٩ .

- ٢ -

وأعلن بناء على ارادة عشتار الربانية ، وعلى كل امرىء ان يسمع ذلك ، انه يجب على الدوام تقديس عشتار خاصة بين آلهة شمسي ابن وحفيد وذرية شمسي[٤٣٨] .

- ٣ -

لقد انجبنا والدنا «مورشيلي» ، نحن ، اربعة اطفال : خالبا شولوبي ، وموواتاليّ والطفلة دينجير - ميش - ار - اي[٤٣٩]، وكنت اصغرهم جميعا . وعندما كنت طفلا ، كنت غبيا كالحمار ، وارسلت سيدتي عشتار والدي مورشيلي في الحلم الى اخي موواتاليّ ، قائلة : «لقد حددت سنوات خاتّوشيلي ، لن يعيش طويلا . سلمني (الطفل) الآن ليصبح كاهني وعندها سيبقى على قيد الحياة» . وأخذني والدي ، أنا الفتى ، وسلمني لخدمة الربة وقدمت الاضاحي ككاهن في منصب كهنوتي وحصلت بيد سيدتي عشتار على الثواب واخذت سيدتي عشتار بيدي ورعتني .

وعندما اصبح والدي مورشيلي الها[٤٤٠]، تربع اخي موواتاليّ على عرش والدي واصبحت في عهد اخي آمرا لمعسكرات القصر ، وبعدها اسماني اخي لمنصب الـ «ميشيديي» الكبير . وسلمني ادارة البلاد العليا[٤٤١] واصبحت تحت ادارتي . وكان ارماداتّا ابن زيدا يسيرّ شؤونها قبلي . وبمحبة سيدتي عشتار لي ، كان اخي موواتاليّ يغدق علي النعم . وحسدني سكان البلاد عندما رأوا علي نعم عشتار واخي . وعندها اخذ ارماداتّا ابن زيدا يتعاون مع آخرين ضدي ويناصبني العداء محاولا ايذائي . والصقت بي التهم وطلبني اخي موواتاليّ للمحاكمة . وظهرت لي سيدتي عشتار في المنام وابلغتني ما يلي : «اريد ان اضعك في عهدة احدالآلهة، ولكن عليك الاّ تخاف» . وبعفو الربة اصبحت طاهرا ، ولأن سيدتي اخذت بيدي ، فلم تسلمني لاله شرير او محكمة جائرة ولم تهزمني قط اسلحة العدو ،

---

٤٣٨) كان الملك الحثي يلقب ايضا بـ «شمسي» .

٤٣٩) اسم سومري .

٤٤٠) اي عندما توفي ، اذ كان الملك الحثي يلقب بـ «الاله» بعد وفاته (انظر ص : ٣٠٥) .

٤٤١) المناطق الشمالية من البلاد الحثية .

وعندما ساءت احوالي حمتني سيدتي عشتار في كل شيء ، وهكذا حظيت عندما كنت مريضا بنعم الربة . وأخذت سيدتي الربة بيدي في كل مكان ، ولأني كنت (لدى الربة) رجلا موثوقا ، ولأني تحركت بقدر الآلهة (وعملت بموجب تعليماتها) لذلك لم اقم بأعمال الناس الاشرار . سيدتي الربة ! لقد انقذتيني في كل مكان ، الم يكن الأمر (كذلك) ؟ ولم تهملني الربة في اي وقت . ولم تتركني لعدوي ، ولم تسلمني لاضدادي ولحسادي امام المحكمة . واذا وشى بي عدو او وشى بي احد الأضداد ، واذا وشى بي عدو في قصر الملك ، فان سيدتي عشتار حمتني وساعدتني في كل مكان . حقا لقد حمتني في كل مكان ، وسلمتني سيدتي عشتار اعدائي وحسادي بيدي وأنهيتهم . . .

. . . .(٤٤٢)

- ٩ -

وعندما زحف اخي ضد البلاد المصرية وأعدت توطين (سكان) البلاد التي ذكرتها وقدت المشاة والخيالة من هذه المنطقة الى اخي للحرب ضد مصر . وكنت في حضرة اخي الآمر على ما كان تحت يدي من المشاة والخيالة(٤٤٣) التابعين للبلاد الحثية . وبالرغم من ان ارماداتّا ابن زيدا رأى علي نعم سيدتي عشتار ونعم اخي ، فانه لم يحترم ذلك ، بل اقام مع امرأته واطفاله الطقوس السحرية ضدي . ولذلك ملأ مدينة شمّوخا ، مدينة الربة (بالأوساخ)(٤٤٤) . ولكن لما عدت من ارض مصر وذهبت الى الربة لتقديم الأضاحي وأقمت الطقوس المرعية للربة . وبناء على رغبة الربة اخذت ابنة كاهن عشتار اللاوواز ـ انتيّا(٤٤٥) زوجة لي ، ومنحتنا حب الرجل والمرأة وأنجبنا ابناء وبنات . وعندها اعلمتني ربتي : «ليكن كل بيتك خدما لي» . وسلمت نفسي مع بيتي لخدمة الربة . ودخلت الربة الينا الى البيت الذي منحتنا اياه

---

٤٤٢) يتعرض «خاتّوشيلي» في المقاطع ٤ـ٨ لموضوع تعميره البلاد الخاضعة لسلطانه .

٤٤٣) يقصد بـ «الخيالة» الفرسان وقواعد عربات القتال .

٤٤٤) كانت هذه المدينة احد المراكز الهامة لعبادة الربة الحثية «عشتار» .

٤٤٥) مركز آخر من مراكز عبادة الربة عشتار ، وكان يقوم في كبادوكيا ، وانتقل اليه «خاتّوشيلي» بعد ان اصبح المركز الأول «قذرا !» .

الربة . . . ولكن انفصلت مدينة خاكبيشا[٤٤٦] . وعندها طردت الـ «كاشكيين» واخضعتهم (لسلطاني) واصبحت ملكا على مدينة خاكبيشا ، وأصبحت أنت[٤٤٧] ملكة على بلاد مدينة خاكبيشا .

- ١٠ -

وطال امد المحاكمة في البلاط[٤٤٨] ، ولكن سيدتي عشتار اظهرت في هذا الوقت قدرتها الربّانية وازالت العراقيل التي كانت تقف في طريق المحاكمة . وتبين ان ارماداتّا وامرأته واطفاله (جميعا) اقترفوا آثاما دينية وثبت ذلك ضدهم ، وتبين ايضا انه ملأ مدينة شمّوخا بالاقذار واخضعته سيدتي الربة لي . وسلمه لي اخي مع امرأته واطفاله وبيته وابلغني اخي ان : شيبا - لو - اي[٤٤٩] لا علاقة له بالموضوع . وبما أن أخي ناصري في هذه المحاكمة ، لذلك لم اعامله (ارماداتّا) بحقد ، وعفوت عن ارماداتّا لأنه قريبي وعجوز ومريض . وكذلك لم اقترب من شيبا - لو - اي . ولأني لم اعاملها بسوء ولم اقترب منها ، ارسلت ارماداتّا وابنه الى الاشيا . [٤٥٠] وقد اخذت نصف بلاده وأعدتها ! الى ارماداتّا ! (ومات اخي) . وبقيت مخلصا لأخي ولم اتصرف حسب اهوائي الشخصية ، ولأنه لم يكن لأخي عند موته[٤٥١] ولد شرعي[٤٥٢] ، أخذت اورشي - تيشوب ابن زوجته الثانية ونصبته حاكما على البلاد الحثية وسلمته الجيش بكامله واصبح ملكا كبيرا على كافة البلاد الحثية . وأما انا فكنت فقط ملكا في مدينة خاكبيشا ، وزحفت مع الجيش وقوات العربات واعدت بناء مدينة نيريك التي دمرت في عهد خانتيلي[٤٥٣] ، واخضعت ايضا المناطق المجاورة لمدينة نيريك وضواحيها مثل نيرا ومدينة خاشّورا وفرضت الجزية .

٤٤٦) اعلنت هذه المدينة ، خلال الحرب الحثية - المصرية انفصالها عن المملكة الحثية بمساعدة قبائل الـ «كاشكا» .

٤٤٧) الربة «عشتار» .

٤٤٨) كان «خاتّوشيلي» قد رفع ادعاء قبل «ارماداتّا» واسرته لدى القصر بتهمة اقامة طقوس السّحر ضده .

٤٤٩) ابن «ارماداتّا» الأكبر .

٤٥٠) «قبرص» .

٤٥١) حرفيا : في هذا الوقت .

٤٥٢) المقصود ابن الزوجة الرئيسة (انظر ايضا ص : ٢٧٣) .

٤٥٣) اعاد «خاتّوشيلي» بناء مدينة «نيريك» التي دمرت في عهد «خانتيلي» (راجع ايضا ص =

- ١١ -

ولكن عندما رأى اورشي - تيشوب النعمة التي حظيت بها عند الربة الكبيرة حسدني هو الآخر واراد ايذائي فاستعاد جميع اتباعي من ولايتي(٤٥٤) وانتزع مني ايضا مدينة شمّوخا(٤٥٥) ومعها جميع البلدان التي كانت خربة واعدت بناءها من جديد ، واحتقرني . ولكنه لم ينتزع مني مدينة «خاكبيشّا» حسب رغبة الربة . ولأني كنت كاهنا لاله الطقس الـ «نيريكي» في مدينة «خاكبيشّا» لم ينتزعها ايضا مني ، واحتراما لأخي لم اتصرف حسب اهوائي الشخصية لذلك خضعت سبع سنوات طوال .

وحاول المدعو اورشي - تيشوب نزولا عند رغبة اله وعملا بنصيحة الناس ان يحطمني وينتزع مني مدينة «خاكبيشّا» ومدينة «نيريك» ، وعندها لم اقبل بالخضوع ، لذلك اعلنت الانفصال عنه .

ولكني لم افعل ذلك بأسلوب اجرامي(٤٥٦)، عندما ناصبته العداء ، كأن نهضت ضده على عربة قتال او نهضت ضده في البلاط ضمن القصر ، بل بعثت اليه بصراحة وبأخلاق نبيلة بالتحدي التالي : «لقد بادرتني العداء وأنت الملك الكبير ، اني ملك للحصن الذي تركته لي ، اني ملك الحصن لوحدي . لا بأس ، ستقرر عشتار الشمّوخية واله الطقس النيركي مصيرنا» ، هذا ما كتبته الى اورشي - تيشوب . واذا اعترض امرؤ على ذلك قائلا : «الم تنصبه حاكما انت بيدك ؟ فكيف تعلن عليه الآن الحرب ؟» . ولكن لو لم يبدأ النزاع ضدي فهل كانت (الآلهة) قد جعلت حقا الملك الكبير يخضع للصغير ؟ ، ولكن بما أنه بدأ النزاع ضدي فقد اخضعته الآلهة لي في هذه القضية . وعندما بعثت اليه هذه الكلمات : «لا بأس هكذا اذن» انطلق عندها من مدينة ماراشّا - نتيّا زاحفا الى البلاد العليا . واذ بـ شيبا - لو - اي ابن ارماداتّا يقف الى جانبه ، وكلفه بجمع الجيش له في البلاد العليا لأن شيبا - لو - اي كان قد ناصبني العداء ، ولكن جهوده لم تكلل بالنجاح ضدي . . .

= ٢٧١) وبذلك تكون قد بقيت قرابة ثلاثة قرون خرابا .

٤٥٤) اي المناطق التي كانت تحت ادارة «خاتّوشيلي في امارة «خاكبيشّا» .

٤٥٥) اعتقد اورشي تيشوب ، ان بانتزاعه مدينة «شمّوخا» من يد عمه سيبعد مساعدة عشتار عنه خلال هذا الصراع .

٤٥٦) يريد «خاتّوشيلي» هنا اقناع الاجيال القادمة ، انه لم يتآمر ضد ابن اخيه الملك ، كما كان يحدث من قبل ، وانما عمل تماما بموجب قانون «تيليبينو» .

- ١٢ -

وساعدتني سيدتي عشتار وحدث فعلا كما شاءت . وأظهرت سيدتي عشتار ايضا (في هذه القضية) قدرتها الربانية . وأتت عشتار في الحلم (لأولئك) السادة الذين طاردهم اورشي - تيشوب قائلة : «. . . . انا عشتار جعلت كافة المناطق في مدينة خاتّي من نصيب خاتّوشيلي» . واصبحت علنا مزودا بقوة عشتار الربّانية . ولما حالت بين اورشي - تيشوب وبين تحركه الى اية جهة ، اصبح محاصرا في مدينة «شمّوخا» كالخنزير في زريبته ، ووقف الكاشكيون ، الذين ناصبوني العداء (فيما مضى) ، الى جانبي ، وعادت خاتّوشا للانضمام الي . ولم افعل امرا بناء على اهوائي الشخصية ، ودخلت مدينة شمّوخا حيث يقيم اورشي - تيشوب ، واقتدته كالأسير واعطيته بعض المدن المحصنة في بلاد نوخّاشي[٤٥٧]، ومكث هناك . ولكن تبين انه كان لديه خطة اخرى وهي الهرب الى بلاد كاردونياش[٤٥٨] . ولما سمعت بذلك القيت القبض عليه وارسلته الى الجانب (الآخر) من البحر وطردت ايضا شيبا - لو - اي خارج البلاد وأخذت منه بيته وسلمته لسيدتي عشتار ، وحققت لي سيدتي عشتار بعد ذلك الرغبة تلو الأخرى .

- ١٣ -

وقد كنت تافها عندما اخذتيني ، انت ، سيدتي عشتار ونصبتيني على المكان المرتفع[٤٥٩] في البلاد الحثية، ومنحتيني شرف الملك . واعطيت بيت ارماداتّا لسيدتي عشتار ودشنته باسمها وسلمته لها . وسلمتها ايضا محتويات هذا البيت وسلمت ايضا ما كنت امتلكه ، واعطيته للربة . واما فيما يخص بيت ارماداتّا الذي اعطيته لها ، والمدن التي كانت تخص ارماداتّا فقدأقمت هناك حجارة الـ «زي - كين»[٤٦٠] وخصصت (للمعابد) اوعية الـ «خارشيالي» . عشتار هي ربتي ، ولذلك زدت من عدد الأضاحي والقرابين لها . واعطيت الربة المدفن[٤٦١] الذي شيدته . واعطيتك

٤٥٧) انظر ص : ٣٧٩ .

٤٥٨) راجع ص : ٢٥٤ .

٤٥٩) المقصود) العرش الحثي .

٤٦٠) حجارة تذكارية ، كانت تقام على التلال في بلاد الشام خارج حدود المدن الحثية .

٤٦١) حرفيا : «بيت العظام» .

ايفـا ابني توتخاليا خادمتك ، ويتسلم ابني توتخاليا بيت عشتـار ، وبمـا انـي خادم الربة ، فعليه ان يكون ايضا خادمها . والبيت الذي خصصته باسم الربة ، فعلى كل انسان ان يقيم الـ «شيانان مارنان»[٤٦٢] للربة .

ـ ١٤ ـ

و لكن من لا يسمح في المستقبل لنسل خاتّـوشيلي والـ «بوتوخيبـا» بممارسة الطقوس وخدمة الربة عشتار ومن يطمع ببيت جار وباخيّا وبأمـلاكه ومنقولاتـه ومستودعاته ، فليظهر مع عشتار في المحكمة . . .

٢ ـ علاقة خاتّوشيلي مع جارتيه المملكتين الكاشية والآشورية :

كان يتربـع ، خلال عهـد «خاتّـوشيلي» على العـرش الـكاشي ، الملك «كاداشمان ـ تورجو» (١٢٩٤ ـ ١٢٧٨ ق . م .) ، الذي كانت تربطه علاقات حسنـة بالآشـوريين . وقـد حاول «اورشي ـ تيشـوب» ، كما ورد في قصـة حياة «خاتّوشيلي» ، الهرب الى الملك الكاشي ولذلك تدخـل الملك الحثي في الشـؤون الداخلية للمملكة الـكاشية . فدعـم جناحـا في القصر الـكاشي معارضـا للملك الكاشي . ولكنه بذل من ناحية اخرى جهودا مضنية واظهر كياسة ديبلوماسية بارعة في اقناع الكاشيين بعدم التعاون مع الآشوريين ، لأن القوة الحثية تعـادل اربعـة اضعاف القوة الآشورية على حد قوله . وبمـا انـه لم يتوصـل الى النتيجـة التـي ترضيه ، لجأ الى مخاطبة الكاشيين في رسائله اليهم بلغة القوة والتعالي ، ممـا دفـع بشخصية كبيرة في البلاط الكاشي ليجيبه في احدى الرسائل : **انك لا تكتب إلينـا كأخ ، بل وكأننا عبيدك .**

٣ ـ خاتّوشيلي ومعاهدة السلام الحثية ـ المصرية :

كان «خاتّوشيلي» محقا في خوفه من تعاظم القوة العسكرية الآشورية الصاعدة وتهديدها للمصالح الحثية . ثم انه أحسّ الآن اكثر مما شعر به في اي وقت مضى باشتداد خطر القبائل الهمجية الرابضة على الحدود الغربية لامبراطوريته . وكانت هذه القبائل تنتظر حلول الظرف المناسب لتنقض على العاصمة «خاتّوشـا» وتنهـي الوجود السياسي للامبراطورية الحثية .

٤٦٢) تعبير كان يطلق على احد فصول الطقوس الدينية ، لم يعرف مضمونه حتى الآن .

وكان ايضا الوضع الداخلي في بلاده دائم التوتر بسبب ازاحته ابن اخيه اورشي - تيشوب عن العرش ، لأن انصاره ظلّوا يترقبون فرصة سانحة للثأر من «خاتّوشيلي» .

وكان الملك الحثي قد عاش بنفسه مآسي حرب «قادش» ، التي انهكت ايضا قوة الجيش الحثي بالرغم من انتصاره فيها ، واصبح غير قادر على الحرب على جبهات متعددة كما كان الحال في عهد «شوبّيلوليوما» .

ولهذه الأسباب مجتمعة ادرك الاخطار المترتبة على ابقاء جو العلاقات متوترا بينه وبين عدو الحثيين التقليدي فرعون مصر «رعمسيس» الثاني . ورأى ان الحكمة تستدعي عقد معاهدة صلح وسلام بينه وبين الملك المصري ، تنهي حالة التوتر والحرب التي سادت جو العلاقات بين الدولتين العظميين لعشرات من السنين قبل عهد «خاتّوشيلي» وعندها فقط يستطيع ان يتفرغ لمجابهة اعدائه في الداخل من انصار «اورشي - تيشوب» ولمنازلة الآشوريين في الخارج . ولذلك بعث الى رعمسيس» الثاني وفدا لمفاوضات السلام ويحمل معه مشروع معاهدة صلح بين الجانبين مكتوبا على لوحة من الفضة .

وقد وجد نص المعاهدة النهائي مكتوبا على جدران معبد الاله «عمون» في الكرنك وبقايا من اسطر عشر في «طيبا» . ولا شك في ان المتن المصري لنص المعاهدة هو ترجمة للنص الأصلي الذي صيغ باللغة البابلية ، لغة المراسلات الديبلوماسية في ذلك العصر . وعثر ايضا خلال اعمال التنقيبت عن الآثار في العاصمة الحثية على رقيمين طينيين عليهما نقش نص المعاهدة .

ويعتبر النص النهائي الذي امر «خاتّوشيلي» الثالث نقشه على لوحة من الفضة اقدم نص لمعاهدة من هذا النوع ، كما انه يلقي ضوءا ساطعا على العلاقات الدولية التي كانت سائدة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ووقع الملكان هذه المعاهدة في السنة الحادية والعشرين لحكم «رعمسيس» الثاني ، اي بعد ست عشرة سنة من حرب «قادش» . ولا شك في ان اقتسام بلاد الشام بين الامبراطوريتين الكبريين ، كان احدى النتائج المباشرة لتوقيع هذه المعاهدة . وقد نصت المعاهدة صراحة على عدم اعتداء احداهما على الأخرى ، وعلى اقامة دفاع مشترك بينهما وتسليم اللاجئين السياسيين وغيرها من الأمور الهامة

التي تعلقت بمصلحتهما المشتركة . ولتوطيد العلاقات بينهما وتأكيدا على حسن النية المتبادلة بين الجانبين زوّج الملك الحثي ابنته لـ «رعمسيس» الثاني . وفيما يلي ترجمة لنص المعاهدة كما ورد في المتنين المصري والحثي .

النص الكامل للمعاهدة كما جاءت في المتنين المصري (٤٦٢ - أ) والحثي[٤٦٣] :

التاريخ

اليوم الواحد والعشرون من الشهر الاول من فصل الشتاء والعام الواحد والعشرون لحكم جلالة ملك مصر العليا والسفلى : اوسر - ماعت - رع سيتيب - عن - رع ابن رع : رعمسيس ميري - عمون . . .

(وتعقب ذلك القاب اخرى لفرعون)

وصول الرسل الحثيين الى مصر

في هذا اليوم ، عندما كان جلالته في مدينة بيت رعمسيس ميري - عمون يقدم الاحترام لوالده عمون - رع ، وهاراختي واتوم رب البلدين (المعبود في) هيليوبوليس ، وعمون الـ «رعمسيسي» ذي القوة الخارقة ابن نوت[٤٦٤] ، كما منحوه احتفالات خالدة وسنوات سلام دائمة ابدية ، لان كل بلد اجنبي طأطأ الرأس تحت نعليه الى الابد . وعندها قدم رسول الملك والقائد نائب (فرعون) . . . الرسول الملكي . . اوسر - ماعت - رع سيتيب - عن - رع . . . تار - تيشيبو ورسول البلاد الحثية ، . . . سيلي . . . حاملا اللوحة الفضية التي بعث بها امير البلاد الحثية العظيم خاتّوشيلي الى فرعون - له الحياة والفلاح والصحة

---

462 A) Muller, W M , Der Bundnisvertrag Ramess II. und des Hetiterkönigs, Mittellungen der Vorderasiatischen Gesellschaft, 7. Jahrgang, Heft 5, Berlin 1902.

) Breasted, J H , Ancient Records... Voll. III, P. 163 ff.

-) Pritchard, J B , Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, Princeton 1950, p. 199 ff (transl by Wilson)

463) Keilschrifttexte aus Boghazköi, I, 7.

) Keilschrifturkunden aus Boghazköi, III, 121.

٤٦٤) كانت ربة السماء ، وعقيلة اله الارض «جيب» .

طالبا السلام من جلالة اوسر ـ ماعت ـ رع سيتيب ـ عن ـ رع ابن رع رعمسيس ـ ميري عمون ، معطى كوالده يوميا حياة الخلود .

ديباجة النسخة المصرية	ديباجة النسخة الحثية
نسخة عن اللوحة الفضية التي بعث بها رئيس «خاتّوشا» ، امير البلاد الحثية العظيم ، خاتّوشيلي الى فرعون ـ له الحياة والفلاح ـ مع رسوله «موزي» ، راجيا السلام من جلالته اوسر ـ ماعت ـ رع ابن رع : رعمسيس ـ ميري عمون ـ ثور الحكام ، الذي يثبت حدوده كما يشاء في كل بلاد .	(لم يعثر حتى الآن على المتن الحثي)

صلب المعاهدة

١ ـ المتعاقدون

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
وضع هذا النص رئيس «خاتّوشا» امير البلاد الحثية العظيم ، «خاتّو ـ شيلي» الجبار ابن ابن شوبّيلو ـ ليوما ابن البلاد الحثية الكبير الجبار على لوحة من الفضة لـ «اوسر ـ ماعت ـ رع» حاكم مصر العظيم القوي ابن «مين ـ ماعت ـ رع» حاكم مصر العظيم القوي ابن ابن مين ـ بيهتي ـ رع[٤٦٥] حاكم مصر العظيم القوي ، انها	وبذا ابرم «رياماساسا ماي امانا الملك العظيم ملك مصر القوي معاهدة مع اخيه «خاتّوشيلي» الملك العظيم ، ملك ارض «خيتّا» ، كي يمنحا صلحا وحسن اخاء . . ما داما حيين الى الابد . «رياماساسا ماي امانا» ملك مصر العظيم ، القوي في كل الاراضي ، ابن منموروايا الملك العظيم ، ملك مصر

٤٦٥) «رعمسيس» الاول .

معاهـدة سلام وصداقة خـيرة ، التي تدعـم السـلام بيننـا . . . «خيتـا» مع «مصر» الى الابد .

القوي ابن ابن «منبا خير تيار يا ، الملك العـظيم ملك مصر القـوي الى «خاتّوشيلي» الملك العظيم ملك ارض «خاتّوشـا» القـوي ابـن ابـن «شوبّيلوليومـا» الملك العـظيم ملك ارض «خاتّوشا» القوي ، انظـر الآن ، فاني اقدم اخـاء حسنـا وسلامـا طيبـا حسنـا ، تتحـالف بموجبـه «مصر» مع «خيتّا» الى الابد وهكذا يكون .

٢ ـ العلاقات السابقة بين الدولتين

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
فيما يخص العلاقـات بـين حاكم مصر العظيم وامير البلاد الحثية العـظيم لم يشأ الاله بواسطة معاهدة منذ القدم ، منذ البداية ان يترك حالة العداء قائمة بينهما ، الا انه في عهد «موواتاليّ» امير البـلاد الحثية العـظيم اخـي ، حارب اخـي رعمسيس ـ مـيري ـ عمـون حاكم مصر العظيم ، ولكن الآن بدءا من هذا اليوم يرتبط «خاتّـوشيلي» امـير البـلاد الحثية العـظيم بمعاهـدة اقامهـا «رع» و«سـوتيخ» بـين مصر والبـلاد الحثية لاعادة العلاقـات بينهما وتـكون السياسـة التي عملهـا «رع» والتـي	تأمل سياسة الملك العـظيم ملك مصر والملك العـظيم ملك «خاتّوشـا» منـذ الازل ، فان الالـه لم يسمـح بقيام خصومة بينهما بواسطة معاهدة ابدية . . . . تأمل : «رياماساسا ماي امانـا» الملك العـظيم ملك مصر فانـه من اجـل ان يجعل السياسة التي صنعهـا «شـمش» و«تيشوب» لمصر مع ارض «خاتّوشـا» بسبب سياسته[٤٦٦] التي كانت آثمة منذ الازل (فانه لن يكون خصام او عداء بينهما الى الابـد والى الزمـن السرمدي) .

٤٦٦) المقصود هنا «موواتالي» .

عملهـا سوتيخ دائمـة لارض مصر ولبلاد «خاتّوشـا» ولا يسمحـا بعدئـذ بقيام عداء بينهما الى الابد .

٣ ـ بنود المعاهدة الحالية

آ ـ العلاقات الطيبة بين «خاتّوشيلي» و«رعمسيس»

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
هكذا يرتبط اذن «خاتّـوشيلي» امـير البـلاد الحثية العـظيم بمعاهـدة مع «اوسر ـ ماعـت ـ رع سيتيب ـ عن ـ رع» حاكم مصر العظيم بدءا من هذا اليوم ، كي تقوم بيننا الى الابد علاقات سلام طيبة وصلات اخوة حسنة ، انـه في اخاء معي انه في سلام معي ، اني في اخاء معه واني في سلام معه الى الابد . منذ موت اخي «مو واتاليّ» امير البـلاد الحثية العظيم عرش والده ، وانـا مع «رعمسيس ميري عمون» حاكم مصر العظيم باخاء وسلام . وهـذا افضـل من اي اخاء وسلام وجدا على الارض حتى الآن .	ان «رياماساسـا ماي امانـا» الملك العـظيم ملك مصر قد الـزم نفسـه بمعاهدة على لوحة من الفضة مع اخيه «خاتّـوشيلي» الملك العـظيم ، ملك ارض «خيتّا» ، منـذ هذا اليوم بصلـح طيب واخاء حسـن بيننـا الى الابـد . وهكذا فانه اخ لي وفي سلام معه . لذلك عقدنا اخاء وسلاما وحسـن نية افضل من الاخاء والسلام الذي كان في الازمنة السابقة بين مصر وخيتّا .

ب ـ اقامة علاقات سلمية دائمة

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
هكذا فانا بوصفي حاكم البـلاد الحثية العظيم مع رعمسيس ـ ميري ـ عمو ن حاكم مصر العظيم بسلام طيب واخوة	تأمـل ! ان «ر يا ماساسـا ماي امانـا» الملك العظيم ملك مصر في سلام طيب واخـاء حسـن مع «خاتّـوشيلي» الملك

حسنة ، فليكن ابناء ابنـاء امـير البـلاد الحثية العظيم في اخوة وسلام مع ابناء ابناء رعمسيس ـ ميري عمـون حاكم مصر العظيم وانهم سيكونون في وضع شبيه بحالتنا من الاخوة والسلام وبناء على ما ابرمته بلاد مصر مع البلاد الحثية وذلك كما نحـــن في سلام واخـــوة الى الابـــد ، على ان لا تقـــوم عداوات بينهم .	العظيم ملك بلاد «خيتّـا» . تأمـل ان ابناء «ر ياماساسا ماي امانا» ملك مصر سيكونون الى الابد في اخوة مع ابنـاء «خاتّوشيلي» الملك العظيم ، ملك بلاد «خيتّا» وانهم سيسيرون على سياستنا في اخائنا وسلامنا ، وان مصر وبلاد خيتّا في وئام وانهم اخوة مثلنا الى الابد .

جـ ـ التخلي المتبادل عن الاستفزازات والاعمال العدائية

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
على امـير البـلاد الحثية الا يطأ ارض مصر الى الابد ليغتصـب منهـا شيئـا ، وعلى «اوسر ـ ماعـت ـ رع سيتيب ـ عن ـ رع» حاكم مصر العظيم الا يطأ البلاد الحثية ليغتصب منها شيئا .	الى الابد لن يعتدي «ر يا ماساسا ماي امانا» الملك العـظيم ، ملك مصر على ارض «خيتّا» ليغتصـب منهـا شيئـا . والى الابـد لن يعتـــدى «خاتّـــوشيلي» الملك العظيم ، ملك بلاد «خيتّـا» على مصر ليغتصب منها شيئا .

د ـ تعهد «خاتّوشيلي» بتنفيذ الاتفاقيات السابقة

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
فيما يخص المعاهدة السابقة التي ابرمت في عهـد «شوبّيلوليومـا» امـير البــلاد الحثية العظيم ، وفيما يخص المعاهدة في عهـد «مورواتـاليّ» امـير البــلاد الحثية العظيم ، فاتعهد بتنفيذها .	(لم يعثر على المتن الحثي حتى الآن)

هـ ـ تعهد الطرفين بتنفيذ بنود المعاهدة

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
هكذا سينفذ معنا «رعمسيس ـ ميري ـ عمون» حاكم مصر العظيم بدءا من هذا اليوم الاتفاقيات التي ابرمها معنا سنحترمها وسنبحث الوضع السابق بناء على ذلك	تأمل القدر الخالد الذي حدده «شمش» و«تيشوب» لـ «مصر» وبلاد «خيتّا» للسلام والمؤاخات حتى لا يقوم خصام بينهما . وتأمل «رياماساسا ماي امانا» الملك العظيم ، ملك مصر بتسلمه الآن ان يبرم صلحا منذ هذا اليوم ، وان «مصر» و«خيتّا» في سلام واخوة دائمين .

و ـ المساعدات المتبادلة بين الطرفين ضد اي عدو لهما

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
اذا هاجم عدو ما بلدان «اوسر ـ ماعت ـ رع سيتيب ـ عن ـ رع» حاكم مصر العظيم وارسل (فرعون) الى امير البلاد الحثية قائلا : تعال الى مصر مساعدا ضده ، فعلى امير البلاد الحثية القدوم ، وعلى أمير البلاد الحثية العظيم أن يحطم عدوه . واذا لم يرغب امير البلاد الحثية بالمجيء (شخصياً) ، فعليه ان يرسل عساكره وجنود العربات ويحطم عدوه .	اذا هاجم عدو ما ارض «خيتّا» وارسل «خاتّوشيلي العظيم من ارض «خيتّا» قائلا : «اسرع لمساعدتي ضده فعلى «رياماساسا ماي امانا» الملك العظيم ، ملك مصر ان يرسل جنوده وعرباته ويجب ان يقتل عدوه ويعيد الثقة(؟) الى ارض «خيتّا» .

ز ـ المساعدات المتبادلة بين الطرفين لاخماد الثورات في البلدان الخاضعة لهما

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
او اذا اضطر «رعمسيس ـ ميري ـ عمون» حاكم مصر العظيم للزحف ضد اتباعه الذين يزعجونه ويريد تدميرهم ، فعلى امير البلاد الحثية العظيم ان يقوم بنفس الخطوة ويدمر الذين نهضوا ضده .	او اذا (غضب) «خاتّوشيلي» الملك العظيم ملك بلاد «خيتّا» على خدم له او ارتكبوا اثما ضده ، وارسل الى «ريا ماساسا» الملك العظيم ملك مصر بهذا الخصوص ، هكذا يجب ان يرسل جنوده وعرباته «ريا ماساسا ماي امانا» في الحال ويقضون على من اصبحت غاضبا عليهم .

ح ـ (مادة مكملة للمادة «و»)

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
اما اذا هاجم عدو آخر ملك «خيتّا» ، العظيم فيجب ان يأتي اليه حاكم مصر العظيم «اوسر ـ ماعت ـ رع سيتيب ـ عمون» مساعدا لقتل عدوه ، واذا لم يرغب «رعمسيس ميري عمون» حاكم مصر العظيم بالمجيء (شخصيا) فانه . . . وخيالته ، هذا عدا عن ارسال رد لارض «خيتّا» (ويجب ان يرسل جنوده «خيتّا» ؟) .	واذا هاجم عدو آخر «مصر» وارسل «رياما ساسا ماي امانا» ملك مصر الى اخيه «خاتّوشيلي» ملك بلاد «خيتّا» قائلا : «اسرع ، اسرع لمساعدتي ضده ، فعلى خاتّوشيلي ملك بلاد «خيتّا» ان يرسل جنوده (وعرباته) في الحال ، وعليه ان يذبح عدوي .

ط ـ (مادة مكملة للمادة «ز»)

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
واذا تعدى خدم رئيس «خيتّا» العظيم	واذا اصبح «ريا ماساسا» الملك العظيم

عليه ، «رعمسيس ميري عمون» حاكم مصر العظيم	ملكا غاضبا على اتباعه الذين ارتكبوا اثما ضده وارسل الى «خاتّوشيلي» ملك «خيتّا» اخي بخصوص ذلك ، عندها يجب على «خاتّوشيلي» الملك العظيم ، ان يرسل جنوده وعرباته الى ملك مصر ، وان يقضي عليهم جميعا .

ي ـ مادة خاصة بوراثة العرش الحثي

النص المصري	النص الحثي باللغة البابلية
. . . .	(٤٠) تأمل ان ابن «خاتّوشيلي» ملك بلاد «خيتّا» (المعاهدة التي ابرمناها (؟) .. (٤١) في مصر (خاتّوشيلي) والده بعد سنين ... (٤٢) ... ارض قد ارتكبوا جريمة ... (٤٣) ... عربات حيث كنت سأعود ... (٤٤) ... في ارض «خيتّا»(؟) . . . .

ك ـ الالتزامات المتبادلة بعدم استقبال اللاجئين السياسيين
(النص المصري فقط !)

اذا هرب أحد كبار مصر واتى الى أمير البلاد الحثية العظيم وليكن من مدينة أو . . . من ممتلكات «رعمسيس ميري ـ عمون» حاكم مصر العظم واتى الى امير البلاد الحثية العظيم فعلى أمير البلاد الحثية العظيم الاّ يستقبله (بل) على أمير البلاد

الحثية العظيم ان يعيده الى سيده «اوسر ـ مات ـ رع سيتيب ـ عن ـ رع» حاكم مصر الكبير .

أو اذا هرب انسان أو اثنان غير معروفين . . . ، وقدما الى البلاد الحثية ليصبحا تابعين لبلد أجنبي ، فلا يجوز استقبالهما في البلاد الحثية ، ويجب اعادتهما الى «رعمسيس ميري ـ عمون» حاكم مصر العظيم .

او اذا هرب احد كبار البلاد الحثية وقدم الى «اوسر ـ مات ـ رع سيتيب ـ عن ـ رع» حاكم مصر العظيم ، وليكن من مدينة أو من منطقة أو من بقعة تتبع البلاد الحثية ، واتى الى «رعمسيس ميري ـ عمون» حاكم مصر العظيم ، هكذا على «اوسر ـ ماعت ـ رع سيتيب عن ـ رع» حاكم مصر العظيم الاّ يستقبله (بل) على «رعمسيس ميري ـ عمون» حاكم مصر العظيم ان يعيده الى أمير البلاد الحثية العظيم ، يجب الاّ يستقبله .

وكذلك اذا هرب انسان أو اثنان أو ثلاثة غير معروفين وقدموا الى ارض مصر ليصبحوا تابعين لبلد أجنبي ، فعلى «اوسر ـ ماعت ـ رع سيتيب ـ عن ـ رع» حاكم مصر العظيم الاّ يستقبلهم (بل) عليه ان يعيدهم الى أمير البلاد الحثية .

ل ـ تسليم اللاجئين وحمايتهم

إذا هرب انسان من بلاد مصر أو اثنان أو ثلاثة واتوا الى أمير البلاد الحثية العظيم ، فعلى أمير البلاد الحثية العظيم ان يلقي القبض عليهم ويعيدهم الى «اوسر ـ ماعت ـ رع سيتيب ـ عن ـ رع» حاكم مصر العظيم . أما فيما يخص الشخص الذي يعاد الى «رعمسيس ميري ـ عمون» حاكم مصر العظيم ، فيجب ألاّ يعاقبه على ذنبه والاّ يلحق الضرر ببيته أو نسائه أو اطفاله والاّ يلحق الضرر بعينيه أو اذنيه أو فيه أو قدميه ، يجب الاّ يتهم بجريمة .

وكذلك اذا هرب انسان من البلاد الحثية او اثنان أو ثلاثة واتوا الى «اوسر ـ ماعت ـ رع سيتيب ـ عن ـ رع» حاكم مصر العظيم ، فعلى «رعمسيس ـ ميري عمون» حاكم مصر العظيم ان يلقي القبض عليهم ويعيدهم الى امير البلاد الحثية العظيم ، وعلى امير البلاد الحثية العظيم الاّ يعاقبهم على ذنبهم والاّ يلحق الضرر ببيوتهم أو نسائهم أو اطفالهم ويجب الاّ يقتلوا والاّ يلحق الضرر باذني (احدهم) أو عينيه أو فيه أو قدميه ، يجب الاّ يعاقبوا على ذنبهم ، يجب الاّ يتهموا بجريمة .

م ـ (حوالي خمسة اسطر ، تذكر فيها اسماء الآلهة المصرية والآلهة الحثية شهودا على المعاهدة)

ن ـ اللعنات على الذي يخل بشروط المعاهدة والبركات للذي ينفذها .

تعتبر هذه الكلمات الموجودة على لوحة من الفضة ، نافذة المفعول بالنسبة للبلاد الحثية وللبلاد المصرية . أما فيما يخص الذي لا يعمل بها ، فلتدمره الآلهة الحثية الالف والآلهة المصرية الالف .

أما فيما يخص الذين يعملون بموجب هذه الكلمات الموجودة على هذه اللوحة الفضية ولم ينهضوا ضدها ، وليكونوا من البلاد الحثية أو اناسا من مصر فلتمنحهم الآلهة المصرية الالف مع بيوتهم وبلدانهم وخدمهم (اتباعهم) الصحة والعافية .

.....................(٤٦٧)

٤ ـ ملاحظات عامة حول المعاهدة :

ان نظرة واحدة على نص المعاهدة كما ورد في المتنين المصري والحثي - البابلي ، تؤكد لنا الاسلوب المسهب للنص المصري والاختصار المتقن في النص الحثي . ونجد أيضا اختلافا واضحا بين المتنين فيما يتعلق بالقاب المتعاقدين الملكية . حيث يلقب الحاكم الحثي في المتن المصري بـ **الأمير** ، بينما يقرن اسم الحاكم المصري بلقب **الملك** . ويبدو ان «رعمسيس» اتبع هذه القاعدة عند ترجمة نص المعاهدة من المسمارية البابلية الى الهيروغليفية . وذلك باستثناء حالات نادرة من بينها ماورد في البند الخاص بـ **اقامة علاقات سلام دائمة** بين الدولتين حيث لقب كل منهما بـ **الحاكم** . وأما المتن الحثي فلم يذكر فيه لقب امير لاي من الملكين . ويرد أيضاً في المتن الحثي تعبير أخ ، في حين يتجاهل «رعمسيس» أحيانا ذكره في المتن المصري ويستبدل له بتعبير اخاه .

وقد اعتمد كاتب المتن الحثي في البند الخاص بـ **اقامة علاقات طيبة بين الملكين** الدقة في التعبير ، حيث اقتصر فيه فقط على ذكر المفاضلة بين حالة السلام القائمة الآن وبين السلام السابق الذي اتصفت به العلاقات بين البلدين ، في حين يبالغ «رعمسيس» في المتن المصري عندما يفاضل بين هذه العلاقات الطيبة وبين اية معاهدة وجدت على **الأرض حتى الآن** .

---

٤٦٧) ويختتم المتن المصري بوصف منظر اللوحة الفضية .

لقد ورد في المتن المصري بند خاص تعهد خاتّوشيلي فيه بتنفيذ الاتفاقيات السابقة ، بينما لم يذكرها كاتب المتن الحثي . فهل يعود سبب ذلك الى عدم العثور على نص هذا البند في المتن الحثي ، أم ان المملكة الحثية كانت قد نقضت فعلا الاتفاقيات السابقة كما ذكرنا . او ان «رعمسيس» يتحمل مسؤولية اضافة هذا البند الى المعاهدة في المتن المصري بدون علم«خاتّوشيلي» ؟ ولا نستطيع الاجابة على ذلك لافتقارنا الى وجود البراهين المادية لها .

وقد أكد في البند الخاص بـ تعهد الطرفين بتنفيذ المعاهدة في المتن المصري تعهد «خاتّوشيلي» ببحث الوضع السابق ، بينما لم يرد في المتن الحثي أمر من هذا القبيل . وان دلنا على شيء فانما يدلنا على ان «رعمسيس» كان مهتما جدا بتسوية الوضع السابق الخاص بتقسيم مناطق النفوذ في بلاد الشام ، وخاصة بعد ان اضطر الى الانسحاب من المعركة والعودة مسرعا الى مصر . ولذلك كان لا بد من ان تدرج في نص المعاهدة مادة خاصة بالقضاء على الثورات ، التي قد تنشب ضد الملكين وخاصة في بلاد الشام ، بعد ان قسمت بين المملكتين . وقد بدأ على الارجح خط اقتسام مناطق النفوذ في بلاد الشام من تدمر شرقا نحو الغرب مارا بقادش الى ان يصل جنوب جزيرة «ارواد» في البحر المتوسط (الخارطة رقم ٥) . غير أننا لا نعلم إلى أي من الطرفين آلت ملكية «قادش» ، التي دارت بالقرب منها رحى الحرب بين «رعمسيس» لثاني والملك الحثي «مرواتاليّ» .

وقد ورد في المادة الخاصة بـ تسليم اللاجئين ان بعضا من الامراء والاضداد السياسيين كانوا يلجأون عادة من بلد الى البلد الآخر ، فيكرمون ويقيمون فيه ويمنحون حق اللجوء السياسي ، كما هو الحال في الوقت الحاضر . ولذلك اكدت هذه المادة على ضرورة تسليم «اللاجئين» ولكنها حفظت لهم حقوقهم الشخصية وأمنهم ، بعد تسليمهم الى بلادهم . ولذا يجب الا يعاقب اللاجىء على ذنبه ، يجب الاّ يتهم بجريمة . وهذا تمييز واضح بين اللاجئين السياسيين والمجرمين العاديين ، الذين كانوا أيضاً يهربون من بلادهم الى البلاد الاخرى المعادية . ولذلك ادرك المتعاقدان ان اللجوء السياسي لا يشكل جريمة يعاقب عليها اللاجىء . وضمنت هذه المادة أيضاً حقوق وسلامة ذوى اللاجىء السياسية .

ولا شك في ان مضمون هذه المادة قد تأثر بمضامين القوانين والعادات والتقاليد الحثية (راجع ايضاً ص ٢٧٣ و ٢٧٤) .

ويفهم من مضمون المادة الخاصة بـ موضوع وراثة العرش الحثي حرص الملك «خاتّوشيلي» على توريث ابنه عرش المملكة ، وخطورة الوضع الداخلي في البلاد الحثية ، التي سببها الصراع الدموي الذي نشب بين «خاتّوشيلي» و «اورشي - تيشوب» . ونستخلص منها أيضاً ان الملك الحثي كان يتوقع اشتداد المعارضة من قبل انصار ابن أخيه داخل البلاد الحثية بعد وفاته وجلوس ابنه على العرش الحثي . ولذلك أكد في هذه المادة على ضرورة وقوف «رعمسيس» الى جانب ابنه ونصرته على اعدائه في الداخل . غير ان النص المصري لم يرد فيه مثل ذلك ، الامر الذي يدفعنا لان نتساءل عما اذا كانت هذه المادة قد اضيفت في النص الحثي دون علم «رعمسيس» بها ، ام ان «رعمسيس» عمد الى اهمالها في النص المصري لاسباب داخلية وخارجية خاصة به ! .

خامسا ـ مفهوم الملكية الحثية وادارة الدولة والسياسة الخارجية

أ ـ مفهوم الملكية :

كانت الدولة الحثية تتألف عند تكوينها ـ كما ذكرنا ـ من عدد من القبائل المتحدة . وقادها مجتمعة اقوى رؤسائها ، الذي أصبح ملكا عليها جميعا ، بعد انتصاره في حروب متواصلة ضد القبائل الاخرى المستقرة منها والمتجولة .

وكان رئيس القبيلة المستقلة هو قائد جيشها وكاهنها الاعظم وقاضيها الاكبر . وعندما تكونت الدولة الموحدة انبثق مفهوم الملك والملكية من المكانة التي كان رئيس القبيلة يشغلها قبل تكوّن المملكة الحثية الموحدة . ولذلك أحيط شخص الملك بهالة مقدسة شأنه في ذلك شأن الملوك الآخرين في النصف الغربي من عالم الشرق القديم .

وكانت الطقوس الدينية تقام باسمه خلال حياته لانه احتفظ أيضاً بمنصب الكاهن الاعظم في المملكة ، ثم علت منزلته الروحية بعد وفاته وصار الها يحتل

مكانة رفيعة في مصاف الآلهة الحثية . وصارت أيضاً رسومات الملوك الحثيين تنقش بصورة رمزية ممثلة في صولجان اله الشمس أو انها تحفر معانقة الآلهة ، كالرسم الذي عثر عليه في مدينة «ياتسليكايا» بالقرب من مدينة «خاتّوشا» . ويمثل هذا الرسم كبير الآلهة الحثية «تيشوب» وهو يضم الى صدره احد الملوك الحثيين(٤٦٨) . ويختلف هذا المفهوم في بعض جوانبه عن مفهوم الأكّاديين للملكية ، حيث لقب ملوكهم بـ «الاله» وهم ما زالوا على قيد الحياة . ويغاير أيضا المفهوم الحقيقي للملكية البابلية ، اذ وصف الملك البابلي نفسه انه رسول السلام .

وعاشت الملكية الحثية تطورا جديدا آخر في عصرها الحديث ، عندما قوي نفوذ المملكة وصار الملوك يطلقون على أنفسهم لقب شمس ، الذي أصبح يعني الملك كما ورد في قصة حياة «خاتّوشلي»، (انظر الحاشية رقم ٤٣٨) . وقد استخدمه أيضاً امراءالنصف الشمالي من بلاد الشام من بين ألقاب الملك الحثي في مراسلاتهم مع الملوك الحثيين(٤٦٩) . ويدلنا هذا على ان الملوك الحثيين تأثروا ببعض مفاهيم الملكيات ، التي كانت معروفة خلال عصرهم في بعض ممالك النصف الغربي من عالم الشرق القديم . ولا شك في ان هذه المفاهيم كانت غريبة عن الطباع عندما بدأوا باستيطان مناطق آسية الصغرى .

ب ـ ادارة الدولة والسياسة الخارجية :

وحيث ان الملك الحثي حصر في شخصه مهام الكاهن الاعظم والقائد العام للجيش والقاضي الاكبر في المملكة ، لذلك كان هو أيضاً المشرف الاعلى على تسيير الشؤون الروحية وتنفيذ الاعمال العسكرية الهامة والقضائية الشائكة الصعبة . وكان هو وحده صاحب الحق في اعلان الحرب وتوقيع معاهدات الصلح .

وكان الوطن الأم للحثيين في آسية الصغرى مقسما الى عدة مناطق ادارية تبعا لاتساع المجال الجغرافي لعشائر كل قبيلة حثية ، وكان لكل منطقة ادارية عاصمتها المحلية وملكها أو حاكمها المحلي . وكان مسؤولا مباشرة أمام الملك الحثي الاكبر في عاصمة المملكة عن نتائج حكمه لمقاطعته ، وكان عليه ايضاً ان يجند الافراد من منطقته ويقودهم الى الملك الاكبر في العاصمة الرئيسة للمملكة . وكثيرا ما كان

---

468) Meyer , E . , Geschichte des Altertums , I , Bd . 2 . Abt . S . 711 .

469) Klengel , H . , Geschichte und Kultur Altsyriens , 1965 , S . 89 .

يحدث انه يقودهم في طريقه الى ساحة المعركة للالتقاء بجنود الملك (راجع قصة حياة الملك خاتّوشيلي) . وكان على الحاكم أو الملك المحلي أيضاً ان يجبي الضرائب وان يرسلها الى القصر الحثي في العاصمة الرئيسة المركزية .

وقد اتبع الملوك الحثيون على الصعيد الخارجي مع اتباعهم من المقاطعات المغلوبة على أمرها في النصف الشمالي من بلاد الشام (سورية) وبعض مناطق آسية الصغرى (خارج الأرض الحثية الاصلية) سياسة جديدة ، لم تعرفها دول العالم القديم حتى ذلك الوقت . حيث لم يعامل الملوك الحثيون اتباعهم من تلك البلدان معاملة اتصفت بالذل والاستعباد المباشر ، كما كان يفعل ملوك الدول الاخرى ، وانما ابرموا معهم معاهدات صداقة ودفاع مشترك . وبموجب هذه المعاهدات الزم الملوك الحثيون ملوك وامراء اتباعهم بالارتباط المعنوي بالقصر الحثي . وهنا ظهر هؤلاء وأنهم حلفاء طبيعيون للملك الحثي يقفون على قدم المساواة معه ضد العدو المشترك للطرفين . ومثلنا الواضح على ذلك معاهدة الدفاع المشترك مع ماتّي ـ وازا» الميتاني (انظر ص : ٣١٦) . ولكن الحقيقة المرة هي ان هذه الشعوب المستضعفة المغلوبة على أمرها ، كانت تدفع الجزية وترسل الاتاوات والضرائب الى القصر الحثي ، وتقدم له القوات العسكرية التي يطلبها خلال الحروب . ولذلك كانت هذه الامارات والبلدان تحاول الانفصال عن المملكة الحثية كلما وجدت فرصة سانحة تمكنها من تحقيق هذا الغرض .

سادسا ـ أهم المخلفات الحضارية الحثية

أ ـ القانون :

لقد عثر في مدينة «خاتّوشا» على رقيميين طينيين نقش عليهما نص قانون حثي يتألف من مائتي فقرة . وفي هذا النص يوجد عدد كبير من الكلمات والرموز الكتابية المقتبسة عن البابلية . ويرجح ان احد «الفضوليين» نسخ هذا القانون عن نصه الأصلي ، بدليل عدم وجود مقدمة أو خاتمة له . ولكن هناك احتمالا آخر هو ان تكون المقدمة والخاتمة قد نقشتا على رقيمين آخرين، لم يتم العثور عليهما حتى الآن .

ويعود تاريخ هذا القانون الى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد . ويتصف القانون بعدم تنسيق المواضيع التي يعالجها ، حيث ان الفوضى تعتري تسلسل فقراته التي تظهر مكررة في بعض مقاطعه . ولكن الشيء الجديد في هذا القانون هو ان المشرع اشار في بعض الفقرات الى فقرات قوانين سابقة كانت معروفة في المملكة الحثية . ولاعطاء فكرة عامة عن هذا القانون ، نورد هنا ترجمة بعض فقراته التالية(٤٧٠) .

اللوحة الأولى

الفقرة (١) - على قاتل الرجل أو المرأة خلال عراك ، ان يدفنهما(٤٧١) ، ويعطي أربعة رؤوس رجالا أو نساء بديلة ، ويكون بيته رهنا لذلك .

الفقرة (٢) - على قاتل العبد أو الأمة خلال عراك ، ان يدفنهما ويعطي رأسين رجالا أو نساء بديلين ، ويعتبر بيته رهنا لذلك .

الفقرة (٣) - على ضارب الرجل أو المرأة بغير عمد ، حتى الموت ، ان يدفنهما ويعطي رأسين بديلا ، ويكون بيته رهينا لذلك .

الفقرة (٤) - على ضارب العبد أو الأمة حتى الموت بغير عمد ، ان يدفنهما ويعطي رأسا بديلا ، ويكون بيته رهنا لذلك .

الفقرة (٧) - اذا سبب رجل العمى لرجل ما او (اذا) كسر أسنانه ، فعليه ان يدفع ٢٠ نصف شيكل فضة ، ويعتبر بيته رهنا لذلك .

الفقرة (٨) - مسبب العمى لعبد أو أمة أو الكاسر لاسنانهما ، عليه ان يدفع ١٠ نصف شيكل فضة ويعتبر بيته رهنا لذلك .

الفقرة (٢٠) - الحثي السارق أحد عبيد مدينة «خاتّوشا» من مقاطعة لوفيا ثم اقتاده الى داخل البلاد الحثية ، ثم عثر عليه سيده ، هكذا (على اللص) ان يدفع ١٢

---

470) Hrozn'y, F., Keilschrifttexte aus Boghazköi, VI, Wissenschaftliche Veröffentlichung der Deutschen Orientgesellschaft, Nr. 36, 1921, Pl. 2- 26.

-) Hrozn'y, F., Code hittite provenent de l'Asie Mineure, Paris, 1922.

-) Pritchard , J . P . , Ancient Near Easrtern Text ... , P . 188 ff . (trans . by A . Götze) .

٤٧١) كانت عملية الدفن ومراسيمها تكلف أموالا كثيرة ، لذلك أكّد المشرع على ضرورة تحمل القاتل نفقات هذه العملية .

تصف شيكل فضة (تعويضا) ويكون بيته رهنا لذلك .

الفقرة (٢١) - السارق لعبد رجل لوفي من مقاطعة لوفيًا والذي اقتاده الى داخل البلاد الحثية وعثر عليه صاحبه ، يمكنه ان يستعيد عبده ، بدون تعويض عن ذلك .

الفقرة (٢٢) - العبد الهارب أو الأمة الهاربة وعثر عليه صاحبه في قطيع آخر[٤٧٢] ، وعليه ان يدفع للرجل (صاحب العبد) اجرا قدره ١٢ نصف شيكل فضة عن كل شهر .

الفقرة (٤٠) - إذا فقد محارب ودعي «رجل الخدمة» (لحمل السلاح) وقال «هذه خدمتي لحمل السلاح وهذا هو واجبي أيضاً» ، فإنه يحصل على حقل المحارب ، وعليه أن يحمل السلاح وان «يؤدي واجبه» ، أما إذا رفض أن يحمل السلاح ، فإنه يفقد الحقل المهجور من قبل المحارب ، وعلى أفراد المستوطنة أن يعتنوا (بالحقل)[٤٧٣] .

الفقرة (٩٤) - إذا سرق رجل (شيئاً) من بيت ما ، فعليه أن يعيد معادل ما سرقه . وجب في السابق أن يدفع الانسان في حالة السطو بالاضافة إلى ذلك مينة واحدة من الفضة ، أما الآن فعليه أن يدفع ١٢ نصف شيكل من الفضة[٤٧٤] . إذا سرق أشياء كثيرة ، فإنه يغرم كثيراً ، وإذا سرق قليلاً ، فإنه يغرم قليلاً ، ويكون بيته رهناً لذلك .

الفقرة (٩٥) - إذا سرق عبد (شيئاً) من بيت ، فعليه أن يعيد معادل ما سرقه ، أما في حالة السطو فعليه أن يدفع أيضاً ٦ نصف شيكل فضة ، ويجب أيضاً أن تقص اذن العبد وان يجدع انفه ، وان يعاد إلى صاحبه . أما إذا قال صاحبه «اعوض عنه ذلك» ، فعليه أن يعوض ذلك ، أما إذا رفض التعويض عن العبد ، فإنه يخسر عبده .

---

٤٧٢) كان يطلق على مجموعة من العبيد تعبير «القطيع» تشبيها بالماشية ويظهر ان هذه الغرامة كانت اجرة للخدمة التي اداها العبد لغير صاحبه خلال مدة غيابه أو هربه واقامته عند رجل غريب .

٤٧٣) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرتين «٢٧» و«٣٠» في قانون حمورابي .

٤٧٤) الاشارة إلى القوانين السابقة ، التي كان يعمل بموجبها في المملكة الحثية .

الفقرة (٩٨) - إذا اضرم رجل النار في بيت ما ، فعليه أن يعيد بناءه ، وعليه أيضاً بطبيعة الحال أن يعوض ما دمر في البيت من انفس أو ماشية أو أغنام .

الفقرة (٩٩) - إذا اضرم عبد النار في بيت ما ، فعلى صاحبه أن يعوض عنه ذلك ، ويجب أن تقص اذنا العبد وان يجدع انفه ، ثم يعاد إلى صاحبه ، أما إذا لم يعوض السيد عن العبد ، فإنه يفقد عبده .

اللوحة الثانية

الفقرة (١٧٠) - إذا قتل رجل افعى ، ونطق اثناء ذلك اسم رجل آخر ، فعليه أن يدفع مينة واحدة من الفضة ، وإذا كان (الرجل) عبداً ، فعقوبته الموت .

الفقرة (١٧٢) - إذا موّن انسان رَجلاً وقت الجوع وانقذ حياته ، فعلى هذا الرجل أن يعوض عن نفسه بآخر ، وإذا كان هذا الانسان عبداً ، فعليه أن يعطيه ١٠ نصف شيكل من الفضة .

الفقرة (١٧٣) - . . . . . إذا نهض عبد في وجه صاحبه ، فعليه أن (يلقي نفسه) في الماء[٤٧٥] .

ب - أهم الآلهة الحثية :

عبد الحثيون آلهة كثيرة بلغ عددها الف اله . ويعود سبب ذلك إلى كثرة القبائل الحثية من جهة وإلى كثرة الآلهة الخاصة بكل قبيلة من جهة أخرى . وكانت هذه القبائل قد اصطحبتها معها إلى داخل اطار المملكة الموحدة وظلت تقدسها وتقيم باسمها المعابد والمنشآت الدينية الاخرى . وكان لا بد للمملكة الموحدة من اله اكبر يرمز لهذه الوحدة ، فقد جعل الملوك الحثيون الاله «تيشوب» وقرينته الربّين الرئيسين في المملكة . وكان «تيشوب» يرسم على هيئة انسان وبيده اليسرى حزمة الصاعقة أو الماء ، بينما يمسك باليمنى فأس القتال أو المنجل ، وهو بذلك شبيه بالاله «العموري» حدد (اللوحة رقم ٢٢)[٤٧٦] .

وعبد الحثيون ايضاً الاله «تيليبينو» ، اله الخصب وباعث الحياة في الطبيعة من جديد . واقتبس الحثيون عبادة وطقوس آلهة غرب آسية الاخرى وفي مقدمتها

---

٤٧٥) المقصود هنا «النهر» .

476) Vieyra, Maurice N.A., Hittite Art, 1955, Pl. 62.

الربة «عشتار» ، كما اطلقوا اسمها على عدد من المدن والمعابد في بلادهم (راجع قصة حياة خاتّوشيلي) .

ج - تأثر الحثيين بالحضارة البابلية :

وكان للحثيين لغة خاصة بهم تعرف في علم اللغات الشرقية القديمة بـ «الحثية» وكتابة تسمى «الهيروغليفية الحثية» ، التي تختلف في اشكال رموزها عن اشكال رموز الهيروغليفية المصرية . وقد تبين للحثيين على مر الزمن ، وخاصة بعد أن أصبحت مملكتهم قوة عظمى تخضع لسلطانها شعوب اجنبية كثيرة ، ان لغتهم وكتابتهم اصبحتا غير قادرتين على تأمين متطلبات المملكة الحثية لصعوبة استخدامها في المراسلات مع ملوك وامراء غرب آسية ومصر . ولذلك اقتبسوا اللغة والكتابة البابليتين واستخدموها في هذه المراسلات والاعمال التجارية الخارجية . وترجموا أيضاً إلى لغتهم الاصلية روائع التراث الادبي والديني البابلي والسومري مثل «ملحمة جيلجاميش» .

الدراسة العاشرة
المملكة الحورية ـ الميتانية
(من حوالي ١٥٠٠ ـ ١٣٣٠ ق.م)

أولاً ـ تأسيس المملكة الحورية ـ الميتانية

كان من بين الجماعات البشرية ، التي هاجرت إلى شمال غرب بلاد ما بين النهرين واستوطنت المناطق الواقعة في اعالي نهر الخابور قبائل تعرف بـ «الحورية» . وقد شكلت جزءاً مما يسمى الموجة الهندو ـ آرية الكبرى . وكانت هذه القبائل قد سلكت طريقاً سلمياً في هذا الاستيطان شبيها بالذي اتبعته القبائل الكاشية في بداية استيطانها ارض «سومر» و «أكاد» . وكانت عشائرها باديء الامر بدوا رحلا ثم عمل بعضها كعمال ومستخدمين لدى سكان القرى والمدن «العمورّية» ، وخاصة لدى التي تبعت مملكة «ماري» المجاورة .

وعلى مر الزمن استملكت هذه القبائل بعض المناطق في الاراضي العمورّية ، ثم اغتنمت فرصة تدمير «حمّورابي» مملكة «ماري» فوسعت مناطق انتشارها وزادت تثبيت نفوذها في المنطقة . وما أن سقطت العاصمة البابلية في يد الحثيين حوالي عام ١٥٣٠ ق.م. حتى كانت هذه القبائل قد اسست مملكة تعرف باسم «المملكة الحورية ـ الميتانية» وعاصمتها مدينة «واشوكاني» ، التي لم يعثر على موقعها حتى الآن . وكان المصريون يطلقون على المنطقة الحورية ـ الميتانية اسم «نهارينا» واسماها البابليون «بلاد خانيجالبات» .

وعرفت هذه القبائل ، شأن الكاشيين والهيكسوس ، تربية الخيول ، التي انحصرت في يد فئة معينة منها وشكلت بواسطتها طبقة من الفرسان اطلق عليها اسم «ميتاني» أو «ماريانّو» ، التي تسلمت قيادة الشعب الحوري . واستناداً إلى ذلك صار علماء آثار وتاريخ غريب آسية القديم يطلقون على هذه المملكة اسما مركباً هو «المملكة الحورية ـ الميتانية» .

وكان لهذه القبائل لغتها الخاصة المعروفة بـ «الحورية» . وقد وصلتنا نصوص منها من عدة مصادر من بينها «تل العمارنة»[477] ومدينة «نيبّور»[478] ومدينة «رأس الشمرة» والعاصمة الحثية «خاتّوشا» .

ثانياً ـ اشهر الملوك الحوريين ـ الميتانيين

اعتلى عرش المملكة الحورية ـ الميتانية ملوك عديدون وكان من اشهرهم «شوتّارنا» الاول و «بارسا شاتار» و «شاوشّاتار» و «ارتاتاما» الاول و «شوتّارنا» الثاني و «توشراتّا» ثم «ماتّي وازا» وآخرهم المدعو «هوربا ـ تيلاّ» ، حيث انتهت في عهده المملكة الحورية ـ الميتانية إلى الزوال حوالي عام ١٣٣٠ ق.م. .

وكان نفوذ هذه المملكة يقوى ويتعاظم كلما ضعفت سلطة المملكة الحثية . ولذلك استطاع بعض ملوكها ان يوسعوا دائرة نفوذهم السياسية والعسكرية حتى شملت بقاعاً واسعة خارج منطقتها الاصلية . وقد بلغت ذروتها حوالي عام ١٤٥٠ ق.م. خلال عهد الملك «شاوشّاتار» إذ امتدت من «ارّانشا» في مقاطعة «كركوك» الحالية شرقاً حتى امارة موكيش بالقرب من «حلب» غربا . ووصل عن هذا الملك انه شن حرباً خاطفة ضد جيرانه الآشوريين في الشرق واحتل عاصمتهم «آشور» ونهب معابدها وعاد إلى عاصمته «واشوكانّي» محملاً بغنائم الحرب ومن بينها باب مرصع بالذهب والفضة . ولكن المملكة الحثية استعادت سيطرتها على المناطق الواقعة في شمال بلاد الشام وفي بعض نواحي شمال غرب بلاد مابين النهرين المتاخمة لاراضي المملكة الحورية ـ الميتانية . ولما بلغت المملكة الحثية ذروة عظمتها في عهد ملكها «شوبّيلوليوما» اصبح لا مفر من الاصطدام العسكري بين هذا الملك والمملكة الحورية ـ الميتانية .

ثالثاً ـ علاقات المملكة الحورية ـ الميتانية بالمملكة المصرية ـ الحديثة

ارتبط بعض ملوك المملكة الحورية ـ الميتانية بعدد من اخوتهم ملوك المملكة

---

477) Jensen, Zeitschrift der Assyriologie, V, VI, XIV.

478) Clay, Babylonian Expedition, XV, P. 30, 25. 4.

المصرية الحديثة بصلات وثيقة طيبة ، وكانت بدون شك أكثر قوة من تلك التي ربطت الملكين المصريين امينوفيس الثالث والرابع (اخناتون) بالبيت الكاشي المالك . ودليلنا على ذلك اللهجة الخطابية الودية المتبادلة بين الملك «شوتّارنا» ابن «ارتاتاما» وفرعون مصر «تحوتموس» الرابع (١٤٢٤ - ١٤٠٥ ق.م.) . ولا يستبعد أن يكون «امينحوتب» الثالث هو نفسه ابن اخت «شوتّارنا» . حيث تذكر رسائل «تل العمارنة» أيضاً أن الملك المصري «امينحوتب» الثالث هذا قد تزوج ابنة «شوتّارنا» واسمها «جيلوخيا» . وزودها والدها بجهاز ضخم قيم وبحاشية كبيرة مؤلفة من ٣١٧ امرأة من وصيفات وخادمات . وقد ذكر ذلك «امينحوتب» الثالث نفسه على الجعل الحجرية التي امر بصنعها خصيصاً لهذه المناسبة . ثم زوج «امينحوتب» هذا ابنه وخليفته «امينحوتب» الرابع اميرة ميتانية كانت اخت «شوتّارنا» . وجاء أيضاً في رسالة من «توشراتّا» إلى الملك المصري[٤٧٩] :

إلى نيموريا[٤٨٠] ، الملك الكبير ، ملك مصر ، أخي ، صهري ، إلى الذي احبه ويحبني ، هكذا يتكلم توشراتّا ، الملك العظيم ، عمك الذي يحبك ، ملك الميتانيين ، اخوك ، انا بخير علّك بخير علّ بيتك واختي وبقية نسائك واطفالك وعرباتك ، واحصنتك ، وبلادك وكل ما تملك ، علّهم جميعاً بخير وفير وفير جداً .

كانت صداقة متينة تربط فيا مضى بين آبائك وآبائي . وقد وطدتها ، وكانت صداقة متينة جداً تربطك مع والدي . وحيث اننا الآن في علاقات صداقة متينة جداً ، فقد جعلتها - أنت - أقوى بعشرة أضعاف عما كانت عليه في عهد والدي ، علّ الآلهة تزيدها قوة عما نحن فيه الآن من صداقة ، ونزولا عند رغبة سيدي تيشوب وسيدي عمون ستبقى كذلك إلى الابد .

وعندما بعث أخي[٤٨١] رسوله ماني ، قال أخي : «ابعث لي ابنتك زوجة (لي) وسيدة لمصر» ، وحيث اني لا أريد أن أسبب الالم لقلب أخي ، قلت بسرور : سأحقق له ذلك ، ولقد أريت ماني (المرأة) التي رغبها أخي . وعندما شاهدها

479) Kundtzon, J.A., Die El- Ámarna- Tafeln, Leipzig 1905, S. 136 ff..

٤٨٠) الاسم الشخصي للملك «امينحوتب» الثالث قبل اعتلائه عرش مصر .

٤٨١) (انت) ملك مصر .

امتدحها جداً ، علّها تصل بخير إلى بلاد أخي ، علّ عشتار وعمون يجعلان أخي مسروراً .

ونقل لي رسولي جيليا كلمات أخي ، ولما سمعتها بدت لي طيبة جداً وسررت للكميات[٤٨٢] وعقبت على ذلك : «انظر ! بناء على هذه الكلمات سنظل في علاقات صداقة ابدية» . وعندما ارسلت إلى أخي ، قلت أيضاً : «سنحتفظ بصداقة طيبة جداً جداً ، وسنبقى اصدقاء أوفياء» . وقلت إلى أخي أيضاً : عشرة اضعاف ما كان لوالدي . ورجوت من أخي ذهبا كثيراً ، حيث قلت : «علّ أخي يخصص لي أكثر مما (ارسله) لوالدي ويرسله (عادة) الي» ، الم ترسل لوالدي ذهباً كثيراً ، أوعية اضاحي ذهبية كبيرة واباريق ذهبية كبيرة وارسلت له لوحات ذهبية كبيرة ، لقد ارسلت له (من ذلك) كثيراً كالنحاس . . . .

وعلّ أخي يرسل لي ذهباً كثيراً ، بكميات كبيرة ، علّ اخي يرسل الي : علّ اخي يرسل ذهباً أكثر مما ارسله لوالدي ، (إذ) يوجد في بلاد أخي ذهب كثير كالرمال . . . .

رابعاً ـ الحرب بين الحوريين ـ الميتانيين والحثيين ونهاية المملكة الحورية ـ الميتانية

لقد جسدت شخصية الملك «توشراتّا» نقيضين في آن واحد ، هما قوة المملكة الحورية ـ الميتانية وعظمتها من جهة ونهايتها السياسية والعسكرية المفاجئة من جهة أخرى .

وقد ورد في مقدمة معاهدة الدفاع المشترك التي عقدت بين ابن «توشراتّا» ، خليفته «ماتّي وازا» ، وبين الملك الحثي «شوبّيلوليوما» اسم ملك حوري آخر هو «ارتاتاما» . غير اننا لا ندري إذا ما كان هذا الملك احد اقرباء الملك الحوري ـ الميتاني ام تابعاً له . ولكن الشيء الاكيد هو أن «توشراتّا» كان الملك الاكبر الذي دانت له كل البقاع الحورية ـ الميتانية بالولاء .

---

٤٨٢) كميات الذهب .

وقد أقام الملك الحثي علاقات ديبلوماسية مع الملك «ارتاتاما» ، وتحدى بذلك وجود الملك الحوري ـ الميتاني الاكبر ، الذي رأى في هذه الخطوة إذلالا لشخصه ، وتحدياً صارخاً لنفوذه . وازداد الجو توتراً بين المملكتين عندما اعلنت مقاطعة الـ «شي» المجاورة لاراضي المملكة الحورية ـ الميتانية الولاء للملك الحثي (راجع ايضاً ص : ٢٧٦) ، فدفع ذلك كله الملك «توشراتّا» إلى اعلان الحرب على الملك الحثي .

وأما الملك الحثي فرأى في ذلك فرصة سانحة له للهجوم على المملكة الحورية ـ الميتانية . فزحف في مقدمة جيشه واجتاح مناطق بلاد الشام الشمالية ثم قام بعملية التفاف كبيرة على الحدود الشمالية والشرقية للمملكة الحورية ـ الميتانية واصطدم مع الآشوريين وردهم إلى داخل حدود ارضهم الاصلية . ثم عاد فاجتاح الاراضي الحورية في طريقه إلى العاصمة «واشوكانّي» . وخاض معارك عسكرية ضد «توشراتّا» وانتصر عليه واحتل عاصمته ثم نهبها ودمرها شر تدمير . (راجع أيضاً ص : ٢٧٦) . واغتنم المدعو «شوتّارنا» ابن «ارتاتاما» الفرصة فخرب ودمر في الاراضي الحورية ـ الميتانية التي كانت تابعة للملك «توشراتّا» . وقد اعتقد أن عمله هذا سيجعله مقرباً من الملك الحثي المنتصر ، الامر الذي يسهل عليه اعتلاء العرش الحوري ـ الميتاني . ولكن الملك الحثي المنتصر لم ينصبه ولا ابنه على هذا العرش ، وانما ابن عدوه وخصمه «توشراتّا» المدعو «ماتّي ـ وازا» . ثم زوجه ابنته وعقد معه معاهدة صداقة ودفاع مشترك واصبحت المملكة الحورية ـ الميتانية الضعيفة جزءاً من الامبراطورية الحثية كدولة هامشية وحاجزاً واقياً أمام اطماع الآشوريين التوسعية .

ويروي «ماتّي وازا» كيف حاول «شوتّارنا» ابن «ارتاتاما» ، الطامع باعتلاء العرش الحوري ـ الميتاني ، ان يقتله(٤٨٣) :

. . . . . ولكني فلت من يده فاستغثت بآلهة الشمس شوبّيلوليوما ، الملك الكبير ، ملك بلاد خاتّي الملك البطل ، حبيب تيشوب ، هذه الآلهة التي قادتني على

483) Moortgat, A. Geschichte Vorderasiens bis zum Hellenismus, S. 343.

تعريب الدكتور توفيق سليمان والدكتور علي ابو عساف بعنوان «تاريخ الشرق الادنى القديم» ص ٢٠٦ .

طريق خال من المخاطر . . . . وعلى نهر ماراشّانتيا (الهاليس) القيت بنفسي على قدمي الشمس شوبيّلوليوما ، الملك الكبير ملك بلاد خاتّي ، الملك البطل وحبيب تيشوب . وما كان من الملك الكبير الا أن احتضنني بيديه وسر بي سروراً بالغا واستفسر مني عن كافة احوال البلاد الميتانية . وعندما سمع وضع احوال البلاد الميتانية تكلم عندئذٍ الملك الكبير ، الملك البطل : إذا ما انتصرت على شوتّارنا وعلى البلاد الميتانية ، فسوف لا اذلك بل ساجعل منك ابنا لي وسانصبك على عرش ابيك .

ويبين لنا هذا النص أن الملك الحثي خاض حربين في البلاد الحورية - الميتانية . لقد كانت الاولى ضد «توشراتّا» وكانت الثانية ضد «شوتّارنا» ابن «ارتاتاما» . ولا شك في أن الملك الحثي ادرك الخطر الذي تمثل في قوة «شوتّارنا» هذا ، وبخاصة لو اصبح ملكاً متوجاً على العرش الحوري - الميتاني . ولذلك نصّب عليه تابعاً ضعيفاً هو «ماتّي وازا» ابن عدوه التقليدي ، وفضله على الحليف أو ابن الحليف ، الذي كان قد اقام معه علاقات ديبلوماسية شكلت سبباً مباشراً للحرب بين الحوريين - الميتانيين وبينه .

وانقذ الملك الحثي «ماتّي وازا» من مطاردة «شوتّارنا» له وقربه جداً اليه واغدق عليه العطاء . ويتابع «ماتّي وازا» حديثه بهذا الخصوص في نفس النص[٤٨٤] :

وأنا ماتّي وازا ابن الملك ، عندما ذهبت إلى الملك الكبير ، كان بحوزتي من الملك فقط ثلاث عربات ورجلان حوريان ومرافقان ، اتوا بصحبتي . ولم اكن ارتدي الا ثوباً واحداً على جسمي ، ولا أكثر من ذلك . وقد اشفق الملك الكبير علي فاعطاني عربة مكسوة بالذهب واحصنة وادوات مطبخ . . . . ابريقين من الفضة والذهب مع كؤوسهما من الفضة والذهب وثوباً ثميناً ، اعطاني كل هذا وقطع مجوهرات وكل ما يخطر على بال ، اعطاني هو . . . .

---

٤٨٤) نفس المرجع السابق ، النسخة المعربة ، ص : ٢٠٧ .

الدراسة الحادية عشرة
الاشوريون
(١٥٣٠ ـ ١١٩٠ ق.م)

اولا ـ آشور قبل عصر النفوذ الحوري ـ الميتاني

لا نستطيع حتى الآن ان نضع تاريخا منظما واضح المعالم لتعاقب الملوك الاشوريين على عرش آشور خلال العصور الاولى من تاريخ تأسيس مملكتهم ، وبالرغم اننا ذكرنااسماء بعضهم قبل عصر «حمّورابي البابلي (راجع ايضا ص : ١٦٢ وما بعدها) .

ويعيد الملوك الاشوريون خلال عصور متأخرة نسبهم الى مؤسس مملكتهم المدعو «انليل باني» (راجع ايضاص١٦١). اذ كنا ذكرنا في ص: ١٦٢ ان الملك «ايلو ـ شوما» كان قد خاض حربا ضد مؤسس المملكة البابلية القديمة المدعو «سومو ـ آبوم» (١٨٣٠ ـ ١٨١٧ ق.م) . ويفتخر في احدى كتاباته قائلا انه اعطى الأكّاديين وابناءهم الحرية، في اور ونيبّور وادال وكيمار والدير واعاد السلام (الى المناطق) حتى مدينة آشور . وهذا يعني انه انتصر على الملك البابلي . ولما تسلم «حمّورابي» الحكم في «بابل» اخضع آشور لسلطانه . ولكن الملك الآشوري «شمشي ـ حدد» الاول (١٧٤٩ ـ ١٧١٧ ق.م) . (اللوحة رقم ٢٣) الذي عاصر الملك «حمّورابي» لفترة من حكمه ، وسع حدودَ مناطق نفوذه باتجاه الجنوب الغربي داخل المنطقة العمورّية وعين ابنه «اي ـ اسمخ ـ حدد» نائبا له في مدينة «ماري» . وقد تم له ذلك بعد انتصاره العسكري على الملك العمورّي «اي ـ اخدونليم» . ولكن «زيمريليم» ابن «اي ـ اخدونليم» استرجع عرش اسرته وطرد ابن «شمشي ـ حدد» من المدينة بمساعدة دولة «يمخد» .

ويوصف «شمشي ـ حدد» الاول في احدى الكتابات انه اذل بلاد دجلة والفرات ، ويفتخر هونفسه ان آنو وانليل قلداه الحكم على الملوك . . . ويستطرد في هذه الكتابة قائلا . . . وفي هذا الوقت تسلمت الجزية في مدينتي آشور من ملوك

توكريس وملك البلاد العليا واقمت نصبي (التذكاري) وثبت اسمي في بلاد لبآن على ساحل البحر الكبير .

ونستنتج من ذلك ان هذا الملك الآشوري غزا الاجزاء العليا من بلاد ما بين النهرين . ويذكر على رقيم طيني آخر انه غزا عاصمة «خانا» على نهر الخابور واقام هناك معبدا للرب «داجان» . ولا شك في ان المقصود هنا بالبلاد العليا المناطق الشمالية من بلاده وهي الاراضي الارمينية الحالية في آسية الصغرى ، التي تعرف في تاريخ الشرق القديم بـ «اورارتو» . واما قوله «البحر الكبير» و«لبآن» فلا يقصد به «البحر المتوسط» و«لبنان» كما قد يظن لاول وهلة . ولكن المقصود هنا بـ «البحر الكبير» البحر الاسود وبـ «لبآن» منطقة تقع بالقرب من شواطئه الجنوبية[٤٨٥] . اذن لقد امتدت اراضي مملكة «شمشي ـ حدد» الاول ـ حسب قوله ـ لفترة وجيزة من حكمه من البحر الاسود شمالا حتى شمال المنطقة الأكّادية جنوبا ومن شرقي مدينة آشور شرقا حتى حدود مملكة يمخد غربا . ولكن انتصارات الملك البابلي «حمّورابي» العسكرية وضعت حدا لاطماعه التوسعية ، وخاصة بعد ان انتصر عليه واصبحت ارض آشور احدى مقاطعات امبراطورية «حمّورابي» .

ثانيا ـ آشور تحت النفوذ الميتاني

وتنفست «آشور» الصعداء بوفاة الملك «حمّورابي» ، وخاصة اثر سقوط المملكة البابلية باحتلال الملك الحثي «مورشلي» الاول عاصمتها «بابل» في عام ١٥٣٠ ق.م. ثم ما لبثت ان عادت للتقوقع داخل حدودها الاقليمية الضيقة ، لانها عجزت باديء الامر بامكاناتها البشرية والمادية المحدودة عن مواجهة القوى المجاورة لها وهي الحورية ـ الميتانية والكاشية والحثية . وازداد وضعها سوءا بنمو قوة المملكة الحورية ـ الميتانية وتعاظمها ، حيث شن الملك الحوري ـ الميتاني «شاوشاتار» حربا ضدها واخترق حدودها الغربية ، ثم احتل العاصمة «آشور» ونهب معابدها ، واصبحت بذلك خاضعة للنفوذ الحوري ـ الميتاني (راجع ايضا ص : ٣١٣) .

485) Meyer, E. Geschichte des Altertums, I. Bd, 2. Abt. S. 668 -669.

ثالثا ـ آشور تستعيد قوتها وتصبح دولة عظمى

واستغلت «آشور» الصراع العسكري الذي نشب بين المملكتين الحورية ـ الميتانية والحثية الذي انتهى بزوال قوة المملكة الحورية ـ الميتانية ، وكانت قد بدأت بتقـوية نفسهـا قبـل ذلك في عهـد ملكهـا «ايريبـا ـ حددء الاول (١٣٩٠-١٣٦٤ ق.م.) الـذي إستطـاع ان يحـرر بلاده من الهيمنـة الحـورية ـ الميتانية . ولكنها لم تستطع ان تحقق حلمها كاملا الا في عهد خلفه وابنه «اشّور ـ اوبلّيط» (١٣٦٣-١٣٢٨ ق.م)، الذي انتصر على الملك الميتاني «ارتاتاما» الثاني في نهاية سلسلة من الحروب المتواصلة بينهما .

واخذت «آشـور» بعـد ذلك تقـوى وتتحـرك على الصـعيدين الديبلومـاسي والتجـاري الخـارجيين . فاقامـت علاقـات تجـارية مع مصر بعـد انهيار المملـكة الميتانية ، التي كانت تسيطر على الطريق التجاري الواصل بين بلاد ما بين النهرين ومصر عبر شمال واواسط بلاد الشام ويبدو ان فرعون مصر ادرك خطورة الاشوريين في غرب آسية ، لذلك ارسل ٢٠ وزنة (٤٨٥-آ) من الذهب الى الملك الآشوري «اشّور ـ نادين ـ اخّي» .

وكان الملك الآشوري «اشّور ـ اوبلّيط» قد حاول ان يقيم حلفا مع مصر ، وبعث وفـدا الى وادي النيل لتحقيق هذا الهـدف . وقـد ورد في احـدى رسائـل «اشّور ـ اوبلّيط» الى فرعون مصر «اخناتون» ، **ابعث هذا الرسول ليقابلك ويطلع على بلادك وليعرف قصدك وقصد بلادك ، ثم يعود** . وهذه اشارة صريحة من الملك الآشوري للتعاون بينه وبين فرعون مصر تمهيدا لعقد اتفاقية عسكرية يقف كل منهما بجانب الآخر في حال اعتداء دولة اجنبية على اي منهما . وقد عنى الاشـوريون خاصة المملكتين «الحثية» و«الكاشية» .

وقد غضب الكاشيون من قيام الاشـوريين بهـذه الخطـوات الديبلوماسية ، لذلك كتب الملك الكاشي الى اخيه فرعون مصر يعاتبه لاستقباله الرسل الآشوريين (راجع ص : ٢٥٧) ، ولذلك لم يدع الملوك الآشوريين فرصة تمر الا واستغلوها للتدخل في الشؤون الداخلية للممكة الكاشية . وقد اغتنموا فرصة نشوب النزاع

---

٤٨٥ ـ آ) : راجع ايضا هامش ٣٨٨ ـ آ .

بين المتنفذين في البلاط الكاشي حول السلطة ، وتمكنوا اخيرا من تنصيب «كوريجالزو» الثاني (١٣٤٣-١٣٢١) ق.م.) على عرش المملكة الكاشية ، وبذلك ضمنوا وقوف الكاشيين الى جانبهم ضد المملكة الحثية .

وكان على خلفاء «اشّور- او بلّيط» مواصلةدعم قواهم العسكرية وتمتين علاقاتهم مع بعض الممالك والامارات الاخرى في غرب آسية ، اذا ما ارادوا الصمود على مسرح الاحداث التي شهدتها شعوب النصف الغربي من عالم الشرق القديم خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، خاصة وان المملكة الحثية كانت تتحين اية فرصة ممكنة للقضاء على مملكتهم . وبدأت المملكة المصرية الحديثة باستعادة قوتها من جديد في عصر السلالة التاسعة عشرة ، كما اصبحت المملكة الكاشية تشكل عبئا اثقل كاهل الاشوريين . ولذلك اضطر خلفاء «اشّور - اوبلّيط» وهم «اريكدينيلو» (١٣١٧ -١٣٠٦ ق.م) و«حدد - نيراري» الاول (١٣٠٥-١٢٧٤ ق.م.) و«زالما- نصار» الاول (١٢٧٣-١٢٤٤ ق.م.) والقائد العسكري الفذ «توكولتي - نينورتا» الاول (١٢٤٣-١٢٠٧ ق.م.) اضطروا جميعا لشن حروب خارجية وقائية تارة وتوسعية تارة اخرى لاثبات وجودهم :

لقد هاجم «حدد - نيراري» المملكة الكاشية وضمن ولاءها من جديد للتاج الاشوري . ثم اتجه نحو الغرب وغزا كامل المنطقة المتدة من «حرّان» حتى «كركميش» وسيطر بذلك على الطريق التجارية التي كانت تصل بلاد ما بين النهرين بالاجزاء الغربية من آسية الصغرى ، واما في عهد «زلما - نصار» الاول فقد ازدادت حدود المملكة الآشورية اتساعا حتى شملت منطقة «اورارتو» واقام هذا الملك على حدودها الجنوبية مستوطنات آشورية دائمة . ثم هاجم «كركميش» واصطدم ايضا بالجيش الكاشي ، لانه انقلب ضد الآشوريين ، والحق به هزيمة نكراء ، في حين وقف الحثيون موقف المتفرج من ذلك . وسبب ذلك - على ما يبدو ان الملك الكاشي لم يقبل بنصيحة «خاتّوشيلي» الثالث بالانضمام الى جانب الحثيين ضد الآشوريين (راجع ص : ٢٩٢) .

واخيرا بلغت المملكة الآشورية في عهد ملكها «توكولتي - نينورتا» الاول قمة مجدها العسكري في القرن الثالث عشر قبل الميلاد . لقد قام هذا الملك بغزوات عديدة في عيلام ، واخضع سكان مناطق اخرى في الغرب والجنوب الغربي من

منطقة «خانا» و«ماري» و«رابيكو» . ولكن هذا التوسع الآشوري في شمال بلاد الشام (سورية) لاقى مقاومة عنيفة من حلف اقامته الامارات الشامية (السورية) السورية - الحثية ضد الآشوريين . ولكن الملك الآشوري هزم قوات الحلف واسر كما يقول في احدى كتاباته ٢٨٨٠٠ انسانا . ثم واجه قوات حلف آخر كونه ٢٣ اميرا في الجهة الشمالية من ارض آشور التي تألفت من بلاد الـ «نايري» والحق الهزيمة بها . ثم اتجه بانظاره نحو الجنوب وهاجم المملكة الكاشية واقتحم اسوار مدينة «بابل» ونهب معابدها ودمرها ، وفي مقدمتها معبد الاله «مردوك» ، ونقل تمثاله الى مدينة «آشور» رمزاً لهذا الانتصار. ويعتبر عمل الملك الآشوري هذا بحق «مردوك» بداية عصر من العداء بين «بابل» و«آشور» والحلقة الاولى في سلسلة من الصراعات الدامية بينهما وهي صراعات بين عقيدتي الربين «مردوك» و«آشور» . ولم تنته الا بعد ان ازيل الوجود السياسي للامبراطورية الآشورية بواسطة الميديين في عام ٦١٣/٦١٢ ق.م.

رابعا - اهم المخلفات الحضارية الآشورية

القانون :

لقد عثر على رقيمين طينيين في العاصمة الآشورية «آشور» . نقش عليهما نص قانون آشوري يعود تاريخه الى النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد وكتب بما يسمى «اللهجة الآشورية الوسطى» . ويبدو ان القوانين الآشورية لم تشكل تشريعا رسميا متكامل الجوانب كشريعة «حمّورابي» ، بدليل عدم وجود مقدمة وخاتمة لها . ولكنها مع ذلك تجسد في نفس الوقت وحدة تامة من نصوص قانونية مختلفة ، لم نزل نفتقر لوجودها كاملة بين ايدينا .

وتتصف القوانين الآشورية عامة بالقياس الى قانون «حمّورابي» بشدة العقوبات التي نصت عليها هذه القوانين . ثم انها لم تتضمن اية حماية للمدين (الفقرة ٤٤ من اللوحة آ) . وكان فيها وضع النساء «المدني» في غاية الصعوبة وخاصة بعد الزواج ، حيث كان مصيرهن في قبضة الرجل ، ولم يكن يحق لهن الوقوف في وجه تعسفه .

ولكي نكوّن فكرة واضحة عن هذا القانون ، نأتـي فيا يلي تعريبـا لبعض فتراته المنقوشة على هذين الرقيمين الطينيين[٤٨٦] :

اللوحة (آ)

الفقرة (١) - اذا تسللت امرأة ، ولتكن امرأة رجل ولتكن ابنة رجـل ، الى داخل احد المعابد ، وسرقت من داخله ملكا تابعا لهذا البيت المقـدس ، ثم وجـده انسان في يديها ، واذا اثبت ذلك انسان ضدها او القى القبض عليها : فعليه ان يقبل باليمين ويسأل الاله : ويجب ان يفعل بالمرأة ما يريده الاله .

الفقرة (٢) - اذا نطقت امرأة ، ولتكن امرأة رجل او ابنة رجل بكلمة فتنة او تهكمت على الاله[٤٨٧] ، فتتحمل هذه المرأة عقوبتها : امـا زوجهـا وابناؤهـا فلا يتحملون اية مسؤولية .

الفقرة (٣) - اذا كان رجل مريضا وسرقت امرأته شيئا من بيته واعطته الى رجل او الى امرأة او لاي (انسان) آخر ، هكذا تقتل امرأة الرجل هذه واولئك الذين تسلموا (الشيء) من يدها . واذا سرقت امرأة (شيئا) من بيت زوجها وهو (الرجل) في صحة وعافية واعطته لرجل او لامرأة او لاي (انسان) آخر ، فعلى رجل المرأة ان يثبت (ذلك) ، وان يحدد لها عقوبتهـا ، وعلى الـذي تسلمـه من يد المرأة ان يعيده (المسروق) ، وعلى المرء ايضا ان يحدد عقوبة لمستلم الشيء ، هي نفس (العقوبـة) التي حددها الرجل لامرأته .

الفقرة (٤) - اذا تسلم عبد او امة من يد امرأة رجل شيئا ما ، فعلى المرء ان يجدع انف العبد او الامة وان يقطع اذنيهما ، كما يجب تعـويض المسروق . وعلى الرجل ان يقطع اذني زوجته . واذا عفا عن زوجته ولم يقطع اذنيها . هكـذا لايجدع انف العبد او الامة ولا تقطع اذناهما ، كما لا يعوض المسروق .

---

(486) Schröder, O., Keilschrifttexte aus Assur verschiedenen Inhalts, WVDOG, 35 (1920), Nr. 1-6, 143, 144, 193.

-) Driver, G.R. and John C.M., The Assyrian Laws, Oxford 1935.

-) Pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, Princeton 1950, (trans. by Th. J. Meek, P. 180-197).

٤٨٧) حرفيا «سقوط الفم» .

الفقرة (٥) ـ اذا سرقت امرأة رجل من بيت رجل آخر (شيئا) ما تزيد قيمته على ٥ مينة من الرصاص ، فعلى صاحب الملك ان يقسم يمينا نصه التالي : أقسم بحياتي أني احرضها (بقولي) : اسرقي من بيتي» . واذا اراد زوجها فبامكانه تسديد المسروق ودفع ديتها ، ولكن عليه ان يقطع اذنيها (عقوبة) لها . واذا لم يكن زوجها مستعدا لفدائها ، فعلى صاحب الملك المسروق ان يأخذها ويجدع انفها .

الفقرة (٦) ـ اذا وضعت امرأة رجل شيئا جانبا ، هكذا فعلى مستلم الشيء ان يتحمل مسؤولية التعويض عنه .

الفقرة (٢٤) ـ اذا تركت امرأة رجلها ولجأت الى بيت (رجل) آشوري ، وليكن بنفس النزل (المنطقة) او في جواره[٤٨٨] ، وسكنت مع سيدة (هذا) البيت وباتت ثلاث او اربع ليال هنا ، ولم يعرف صاحب البيت بذلك ، ان امرأة رجل تسكن في بيته ، ثم القي القبض على هذه المرأة ، فعلى صاحب البيت الذي تركته امرأته ان يقطع اذني زوجته وان يستعيدها ، ويجب كذلك ان تقطع اذنا المرأة ، التي سكنت عندها امرأته ، واذا اراد رجلها فيمكنه ان يفتديها بـ «٣» وزنة و «٣٠» مينة من الرصاص ، او تؤخذ امرأته منه (٤٨٨ ـ آ) .

ولكن اذا كان صاحب البيت يعرف ان امرأة رجل تسكن عند امرأته في بيته ، فعليه ان يدفع ثلاثة اضعاف .

اما اذا انكر الرجل وقال : «لا علم لي (بذلك)» فعليه ان يذهب (لاله) النهر ، واذا عاد الرجل من النهر ، فعليه ان يدفع ثلاثة اضعاف ، ويكون حرا اذا سدد جميع الالتزامات المتعلقة بالنهر ، اذا عاد الرجل ، الذي تركته امرأته ، من النهر .

ولكن اذا لم يقطع الرجل الذي تركته امرأته اذنيها ، وانما استعادها ، فيجب علم فرض اية عقوبة[٤٨٩] .

الفقرة (٢٥) ـ اذا عاشت امرأة في بيت والدها وتوفي رجلها ، ولم (يقبل) ان يقتسم اخوة رجلها (التركة فيما بينهم) ولم يكن لها ابن ، فعلى اخوة رجلها ، الذين لم

٤٨٨) ورد حرفيا في النص «وحُدد بيت لها» ، اي اذا تأكد وجودها في هذا البيت الغريب .
٤٨٨ ـ آ) راجع الهامش رقم ٣٨٨ ـ آ .
٤٨٩) لا تفرض اية عقوبة بحق الآخرين .

شيء كاملا باستثناء المأكولات (التي جلبها) .

الفقرة (٣١) ـ اذا جلب رجل المهر الى بيت حميه (المستقبل) ، ولكن امرأته ماتت ومازال لدى حميه بنات اخريات ، فانه يستطيع ، اذا أراد حموه ، ان يأخذ احدى بنات حميه بدلا من المرأة المتوفاة ، ويستطيع اذا اراد استعادة الفضة[٤٩١] التي سلمها . (اما) الحبوب او الاغنام او اي مأكول آخر فلا يعطى له ، ليس له حق الحصول الا على الفضة .

الفقرة (٣٤) ـ اذا سكن رجل مع ارملة ولكنه لم يبرم معها عقد زواج ، ثم سكنت سنتين في بيته ، فانها تكون بذلك زوجة شرعية له ، ولا يسمح لها بتركه .

الفقرة (٣٥) ـ اذا ذهبت ارملة الى بيت رجل (اخذها زوجة) ، فان ملكية كل ما اتت به تعود إلى الرجل .

الفقرة (٣٦) ـ اذا عاشت امرأة في بيت والدها او تركها رجلها تعيش في بيت منفرد لوحدها ولكن رجلها انتقل[٤٩٢] دون أن يترك لها زيتا او صوفا او ثيابا او طعاما ، ولم يكلف انسانا بذلك ، فيجب ان تنتظر هذه المرأة رجلها مدة خمسة اعوام ، ولا يجوز لها ان تعيش مع رجل (آخر) ، واذا كان لها ابناء فعليهم الاهتمام بها واطعامها . على المرأة ان تنتظر رجلها وليس لها الحق ان تعيش مع رجل (آخر) . واذا لم يكن له ابناء ، فعليها ان تنتظر رجلها خمسة اعوام ، ولكن يجوز لها عند بداية السنة السادسة ان تسكن عند الرجل الذي يهواه قلبها . واذا عاد رجلها ، فليس له حق قبلها ، انها حرة لرجلها الآخر .

اذا تأخر اكثر من خمسة اعوام دون ان يكون السبب في ذلك ـ كأن هدده عدو للمدينة واضطر للهرب من وجهه[٤٩٣] او القي القبض عليه كشرير ولهذا السبب تأخر بالعودة ـ فعليه ان يبرهن (ذلك) وان يعطيه امرأة بدلا من امرأته ويستطيع عندها استعادة امرأته .

واذا ارسله الملك الى بلاد اجنبية ، (ولهذا) السبب تأخر اكثر من خمسة اعوام بالعودة فعلى امرأته ان تنتظره ، ولا يجوز لها ان تسكن مع رجل (آخر) .

---

٤٩١) المعني هنا «المال» ، وكان الآشوريون يتعاملون بالرصاص .

٤٩٢) ذهب بسفرة او اشترك في حرب .

٤٩٣) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة «١٣٤» من قانون «حمّورابي» .

ولكن اذا سكنت قبل انقضاء الاعوام الخمسة عند رجل (آخر) وولدت (منه) اطفالا ، فيحق لرجلها عندما يعود ، ان يستعيدها مع اطفالها ، لانها لم تنتظر المدة المحددة بالعقد بل تزوجت قبل انقضائها .

الفقرة (٣٧) - اذا أراد رجل ان يترك امرأته ، فانه يستطيع ذلك ، وإذا أراد أن يعطيها شيئا ما (اعطاه لها) ، واذا لم يشأ فبامكانه ذلك ، وعليها ان تتركه صفر اليدين .

الفقرة (٣٨) - اذا عاشت امرأة في بيت والدها وأراد رجلها أن يتركها ، فان من حقه ان يستعيد المجوهرات التي اعطاها لها ، ولكن لا يحق له ان يستعيد هدايا الزواج ، انه ملك للمرأة لانزاع حوله[٤٩٤] .

الفقرة (٣٩) - اذا اعطى رجل (امرأة) ليست ابنته الى رجل آخر وكان والدها مدينا (بشيء) ووضعت كرهينة واتى الدائن الأول ، هكذا يجب ان يرضيه ، بالنسبة لسعر المرأة ، الرجل الذي زوّج المرأة . واذا لم يكن لديه ما يعطيه ، فيستطيع الرجل (أي الدائن) ، ان يأخذه (يستعيده مقابل ذلك) .

ولكن اذا انقذت من (وضع صعب) ، فانها تكون تحت تصرف ، الذي انقذ حياتها .

واذا أخذ رجل هذه المرأة زوجة له ، وليكن انه (أي الذي اعطاه اياها) كتب له وثيقة ، تعهد (بموجبها) تحمل مسؤولية أي ادعاء قبلها ودفع سعر المرأة ، هكذا يكون الذي زوّجها (غير مسؤول عن التعهدات) .

الفقرة (٤٠) - . . . . . لا يجوز للامة ان تتخفّى . ومن يرى أمة متخفية ، فعليه ان يلقي القبض عليها وان يأخذ ثيابها .

اذا رأى انسان أمة متخفية وتركها دون ان يلقي القبض عليها ودون ان يجلبها الى بوابة القصر . وأثبت انسان ذلك ضده واحضره ، فعقوبته هي خمسون جلدة وتثقب اذناه ويدخل فيهما خيط ويربط من الخلف (خلف الرأس) . ويحق للذي أثبت ضده ذلك ان يأخذ ثيابه ، وعليه ان يعمل شهرا كاملا لحساب الملك .

---

٤٩٤) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة «١٥٩» من قانون حمّورابي .

الفقرة (٤٢) - اذا صب رجل في يوم الطلب ؟ زيتا على رأس ابنة رجل أو أحضر خور وبّاتي للاحتفال[٤٩٥] ، فلا يجوز لهم التراجع عن ذلك .

الفقرة (٤٣) - اذا صب رجل زيتا على رأس (ابنة رجل ما) أو جلب خور وبّاتي ، ولكن حدث ان الابن الذي حُدد لهذه المرأة جُرح اوتوفي ، فان (الرجل الأول) يستطيع ان يعطي المرأة لاي من ابنائه الآخرين (من) أكبرهم سنا (حتى) اصغرهم سنا ، بشرط الاّ يقل عمره عن عشرة أعوام ، وهو الذي يحبه .

واذا مات الأب وأيضا الابن ، الذي وجب ان تكون المرأة من نصيبه ، ولكن للابن المتوفى ابنا على قيد الحياة ، الذي لا يقل عمره عن عشرة أعوام ، فعليه ان يأخذ هذه المرأة زوجة له .

واذا كان عمر ابناء الابن المتوفى يقل عن عشرة أعوام ، فيستطيع والد الابنة ، اذا رغب ، ان يعطي ابنته (لاحد هؤلاء الابناء) ، او انه يستطيع ، اذا رغب ، الغاء العقد بالتراضي (مع الجانب الآخر) .

اذا لم يكن هناك ابن ، فعلى (والد الابنة) ان يعيد جميع ما حصل عليه سواء كان أحجارا (كريمة) وكل ما هو من غير المأكولات . ولكنه لا يلزم باعادة المأكولات .

الفقرة (٤٤) - اذا قطن آشوري أو آشورية في بيت رجل كرهينة بالاستناد الى سعرها الفعلي ، فاذا أخذت هذه الرهينة بسعرها الكامل ، فلا يحق للراهن ان يضرب الرهينة ويشدها بشعرها ويجرح أذنيها ويثقبها[٤٩٦] .

الفقرة (٤٦) - اذا لم ترغب امرأة توفي زوجها مغادرة بيتها بعد وفاة زوجها ، فانه يحق لها ، اذا لم يكن زوجها قد كتب لها وثيقة بشيء ، ان تعيش في بيت أحد ابنائها ، الذي تختاره . وعلى ابناء زوجها ان يتعهدوها ، عليهم ان يبرموا عقدا معها ينص على أن يسلموها طعامها وشرابها كالعروس التي يحبونها .

---

٤٩٥) توجد آراء مختلفة حول ترجمة هذه الكلمة : يقول «ايبيلو» انها تعني صفيحة من النحاس بينما يقول «كلاي» ان معناها قطع من اللحم أو حصيلة الموسم ، أما «شرّ» فيرى بانها تعني ثمارا ، في حين يقول «تالكوي» انها تعني «ثمار الخريف» و «شايل» (حاجيات) أما «إيبلينك» انها تعني «هدايا العرس» .

٤٩٦) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة «١١٦» من قانون «حمورابي» .

فاذا كانت هذه امرأة ثانية (أي تزوجها رجلها بعد المرأة الأولى) وليس لها ابناء ، فانه بامكانها ان تعيش عند احد (ابناء زوجها) ، وعليهم مجتمعين ان يتكفلوا معيشتها . واذا كان لها ابناء ولا يريد ابناء المرأة الأولى ان يكفلوا معيشتها ، فانها تستطيع ان تعيش في بيت أحد ابنائها الذي تختاره ، وعلى ابنائها ان يتعهدوا امرها وعليها ان تقوم باعمال لهم .

ولكن اذا وجد بين ابناء رجلها احد يريد الاحتفاظ بها وعندها عليه وحده ان يتعهدها وليس لابنائها الآخرين حاجة لتعهدها .

الفقرة (٤٧) - اذا قام رجل أو امرأة باعمال السحر وعثر على ذلك في يديهما ، وثبت ذلك ضدهما ، هكذا يقتل الذي قام باعمال السحر .

الرجل الذي رأى قيامهما باعمال السحر أو سمع من إنسان رآهما يمارسان السحر ،إذا قال له : «لقد رأيت (ذلك)» ، فعلى السامع ان يذهب الى الملك ويشكو اليه الامر . اذا انكر شاهد العيان ما نقله (شاهد السمع) الى الملك ، فعليه ان يقول أمام اله الثور ابن شمش : «(لتحل علي اللعنة) اذا لم يكن قد قال لي (ذلك)» . انه لا يتحمل (اية مسؤولية) . أما شاهد العيان الذي تكلم حول الأمر ونقض أقواله أمام الملك ، فيقوم الملك بالتحقيق معه ، ويرى ماذا وراءه .

وعلى كاهن القسم ، اذا سمح (الملك) له بالذهاب ؟ ان يدع ذلك الرجل يتكلم وعندها قال : «لن تتحرر من القسم الذي اقسمت به عند الملك ولابنه تماما كما جاء في نص الوثيقة ، الذي اقسمته للملك ولابنه ، اقسمت به» ؟ .

الفقرة (٥٨) - عند تنفيذ جميع العقوبات ليكن اقتلاعا وليكن قصا بامرأة رجل ما ، يجب ان يعلم أيضاً الـ «جالّو»[٤٩٧] بذلك ويقوم بما ورد مكتوبا على هذه اللوحة ؟ .

الفقرة (٥٩) - وعدا عن هذه العقوبات الخاصة بامرأة رجل ما المكتوبة على هذه اللوحة يحق للرجل ان يجلد امرأته ويشدها بشعرها ويجرح اذنيها ، ويثقبهما . ولا يتحمل مسؤولية فعله هذا .

في اليوم الثاني من الشهر السابع «ابونيات ساجيو» .

---

٤٩٧) فئة دنيا من الكهنة .

اللوحة (ب)

الفقرة (١) - اذا اقتسم اخوة بيت أبيهم ، يجوز لاكبرهم سنا ان يختار اولا حصتين اثنتين من البيوت والحدائق والآبار على الأرض غير المستغلة كنصيبه من الارث (و) يأخذهما لنفسه ، وعندها يجوز لاخوته الاختيار دوريا الواحد بعد الآخر ، أما اصغر الابناء سنا فيقسم كل حقل شيلوخلي[٤٩٨] وكل (منتجات) اعمالهم ، ويجوز للابن الاكبر سنا ان يختار حصته اولا ويأخذها ، أما بشأن الحصة الثانية فيتم الاختيار بالقرعة[٤٩٩] .

الفقرة (٢) - اذا اقدم رجل بين اخوته ، الذين لم يقتسموا تركة أبيهم بعد ، على قتل انسان ، فيجب ان يسلم الى سيد الضحية ، ويحق لسيد الضحية ان يقتله أو يعفو عنه اذا رغب بذلك ويأخذ نصيبه من التركة .

الفقرة (٣) - اذا نطق رجل بين اخوته ، الذين (لم) يقتسموا التركة بعد ، بكلمة الخيانة ؟ أو هرب فيستطيع الملك ان يفعل ما يريده بنصيبه من التركة .

الفقرة (٦) - اذا قال رجل لرجل ما : «آخذ بيتك وحقلك مقابل فضة» فيجب قبل ان يأخذ الحقل والبيت مقابل الفضة ، على المنادي ان يصيح ثلاث مرات يوميا ولمدة شهر كامل في مدينة آشور وفي النزل حيث يوجد الحقل والبيت الذي يريد أخذه قائلا : «اني سآخذ الحقل والبيت من ذاك وذاك ابن ذاك وذاك ، في الأرض غير المستغلة التابعة لهذه المستوطنة أو لتلك مقابل فضة ، فمن له حق بذلك او ادعاء ، فعليه ان يحضر الوثائق ويعرضها على الـ «كبيوتو»[٥٠٠] (المراقب) ، ويبدأ التحقيق ، وعليه (ان يحرر ادعاء الغرباء به) ، ويأخذه ومن يحضر وثائقه خلال الشهر الكامل ، حيث لم تنته المدة المحددة بعد ، ويعرضها على المراقب ، فيجب ارضاءه فيما يخص الحقل ، ويستطيع الحصول عليه .

---

٤٩٨) كلمة حورية ، لم يعرف معناها بعد .

٤٩٩) قارن مضمون هذه الفقرة بمضمون الفقرة «١٦٥» من قانون «حمورابي» .

٥٠٠) كان هذا التعبير يطلق خلال العصر الآشوري الحديث على موظفي الدولة المحليين ، الذين اشرفوا على ادارة منطقة صغيرة او على الممثلين للسلطة الأشورية في بلاطات الحكام التابعين لآشور . وأما في العصر الآشوري الوسيط ، الذي يعود تاريخ هذا القانون اليه فكانت هذه اللفظة تعني «مراقبا» .

واذا صاح المنادي في مدينة آشـور ، فيجب ان يتـم ذلك في حضرة احـد مستشاري الملك ، وكاتب المدينة والمنـادي و «مراقبي» الملك . أمـا في مستوطنـة اخرى ، التي يوجد فيها الحقل والبيت ، فيتم ذلك في حضرة أكبر المواطنـين سنـا وثلاثة آخرين من «كبار» المستوطنة . عليهـم ان يطلبـوا من المنـادي ان يصيح ، ويدونون وثائقهم ويشيرون فيها : «طوال هذا الشهر صاح المنادي ثلاث مرات ، ومن لم يأت طوال هذا الشهر ومعه وثائقه ليعرضها على المراقب ، فانه يفقد حقوقه بالحقل والبيت ، انه من حق الشخص الذي طلب من المنادي النداء» . ويجب ان (يحصل) المراقبون على وثيقة واحدة من الوثائق الثلاث التي وضعـت حول نداء المنادي . . .

الفقرة (٨) - اذا اغتصب رجل حقلا كبيرا ملكا لجاره وثبت عليه ذلك بقسم اليمين وكانت الشهادة ضده ، فعليه ان يعيد ثلث المساحة التي اغتصبها زيادة على ما اغتصبه . ويجب ان تبتر احدى أصابعه ويجلد مائة جلدة بالعصا وان يعمل شهرا كاملا لحساب الملك .

الفقرة (٩) - اذا اغتصب رجل حقلا صغيرا من الاقتسام بالقرعة وثبت عليه ذلك بقسم اليمين وكانت الشهادة ضده ، فعليه ان يدفع وزنة واحد (= ١٥٠ كغ) من الرصاص وان يعيد ثلث المساحة التي اغتصبها زيادة على ما اغتصبه ، ويجب أيضا ان يجلد ٥٠ جلدة بالعصا وان يعمل شهرا كاملا لحساب الملك .

الفقرة (١٠) - اذا حفر رجل بئرا في حقل ليس ملكا له او اقام سدا فيه ، فانه يفقد بئره وسده ويجلد ٣٠ جلدة (بالعصا) ،ويعمل عشرين يوما لحساب الملك .

الفقرة (١٢) - اذا اقام رجل حديقة في حقل جاره ؟ او حفر فيه بئرا اوغرس أشجارا ورأى صاحب الحقل ذلك ولم يعارض ، فتكـون الحديقـة ملكـا للـذي اقامها ، ولكن عليه ان يعطي صاحب الحقل[٥٠١] حقلا بديلا .

الفقرة (١٣) - اذا اقام رجل في أرض بور ليست ملكه ، حديقة أو حفر فيها بئرا او غرس أشجارا أو زرع خضارا وشهد احد ضده باليمـين ، فان صاحـب الحقل يستطيع ، اذا اتى ان يأخذ الحديقة وجميع انتاج العمل .

---

٥٠١) لقد ورد خطأ في النص الأصلي «صاحب الحديقة» .

الفقرة (١٤) - اذا ثبت رجل حدود أرض بور ليست ملكا له وبنى (هناك) آجرّا وشهد احد ضده باليمين ، فيجب ان يعطي ثلث مساحة أرض بور زيادة على ماثبته ، ويؤخذ منه الآجر . ثم يجلد خمسين ؟ جلدة بالعصا ، وعليه ان يعمل شهرا كاملا لحساب الملك .

الفقرة (١٧) - اذا كان لا بد من جلب المياه من بئر الى أرض مستغلة ، فيجب ان يتعاون أصحاب الحقول بهذا الشأن . على كل منهم ان يقوم بالأعمال الخاصة به على أرضه ويروي أرضه . واذا لم يتم الاتفاق فيما بينهم ، فعلى الموافق للقيام بالأعمال من بينهم ، ان يوصل الأمر الى القضاة ، وان يحصل على وثيقة من القضاة وينفذ العمل ، وانه يستطيع ان يأخذ المياه لنفسه ويروي حقله ، لا يحق لاي انسان آخر ان يروي (حقله) .

الفقرة (١٨) - واذا كانت هذه هي مياه الاله حدد (أي مياه الامطار) ، التي تستخدم في الري ،فعلى أصحاب الحقول التعاون فيما بينهم ، على كل منهم ان يقوم بالاعمال الخاصة بحقله ويروي حقله . وعلى الموافق من بينهم أيضاً ان يحصل من القضاة على وثيقة ضد المعارضين [أكبر المواطنين سنا] وخمسة من كبار [مواطني المستوطنة يجب ان يكونوا حاضرين . . .] [ويجب] ان يجلد المعارض بالعصا . . . [جلدة] ويعمل [شهرا كاملا لحساب الملك] .

الدراسة الثانية عشرة
بلاد الشام حتى عام ١١٩٠ ق.م

أولا ـ الموقع الاستراتيجي

شكلت بلاد الشام خلال العصور القديمة جسرا عبرت عليه شعوب وقبائل كثيرة في هجراتها وتنقلاتها من والى بلدان غرب آسية الاخرى وجنوب شبه الجزيرة العربية ومصر وجزر البحر المتوسط وشمال افريقية والعالم الايجي (الخارطة : ١) .

وكان لهذا الموقع الاستراتيجي آثاره السلبية على الوضع السياسي في بلاد الشام ، اذ حال بين ممالكها ودويلاتها وبين جمع كلمتها والاندماج السياسي في كيان سياسي موحد كما في ارض «سومر» و«اكّاد» و «مصر» و «آسية الصغرى» .

وقد كانت هذه الممالك القوية تطمع دوما في ان تبسط نفوذها على بلاد الشام لتستغل ثرواتها الطبيعية من معادن وأخشاب وأحجار كريمة وان تحصل على خيراتها من المواد الغذائية كالحبوب وقطعان الماشية وان تستفيد من خبرة مواهب أهل البلاد الفنية والحرفية .

وفي نفس الوقت الذي كوّنت فيه هذه المنطقة من غرب آسية مواطن بؤر بشرية أصلية منذ اقدم عصور ما قبل التاريخ ، كانت أيضاً لفترات لاحقة محط أنظار قبائل وشعوب غريبة عنها كالعبريين وشعوب البحر . . . وجسرا عبرت عليه قبائل الهيكسوس في طريقها الى مصر .

ثانيا ـ آهم التنقيبات الاثرية في فلسطين وشرق الاردن[٥٠٢]
(الخارطة : ٥)

لقد نفذت أعمال تنقيب عن الآثار في أشهر التلال والمواقع الاثرية المعروفة في بلاد الشام . وركز المهتمون بعلم الآثار جهودهم في هذا المضمار ـ بادىء الأمر ـ

٥٠٢) راجع ايضا :

Jirku, A. Die Ausgrabungen in Palästina + Syrien.

على فلسطين قبل غيرها من مناطق بلاد الشام الاخرى .

ويعود السبب في ذلك الى «أهمية» التوراة البالغة في إطار الدراسات المسيحية واليهودية وخاصة في «اوروبا» . وقد هدف الباحثون من ذلك ان يجدوا الادلة التي تؤكد صحة ماورد فيها من اسماء مدن فلسطين القديمة . وبالاضافة الى ذلك هناك أهداف سياسية تمثلت في محاولة البعض الكشف عن آثار العبريين واليهود وعن تاريخهم في فلسطين . لذلك لاعجب ان تكون مدينة «القدس» قد شكلت بداية اعمال التنقيب في اطار علم الدراسات الاثرية في بلاد الشام :

كان أول المنقبين عن الآثار في مدينة القدس «وورن[٥٠٣]» من عام ١٨٦٧ حتى عام ١٨٧٠ وتبعه جيوثي Guthe[٥٠٤] و«شيك» في عام ١٨٨١ ثم المنقب «بْلِسْ»[٥٠٥] من عام ١٨٩٤ - ١٨٩٧ . ودخلت بعدها الاحتكارات الصناعية الكبيرة مثل مجمع باركِرْ حلبة السباق[٥٠٦] من عام ١٩٠٩ - ١٩١١ . وبعد ذلك بسنتين اجرى «ويل»[٥٠٧] خلال عامي ١٩١٣ و ١٩١٤ تنقيبات فيها ثم اوقفها مع اندلاع نار الحرب العالمية الأولى ، ثم استكملها خلال عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٤ . وقاد المنقبان الاثريان «دُنْكان» و «مَكَلِسْتر» خلال نفس الفترة حفريات في هذه المدينة ثم اجرى «كروفوت» و «فيتسكِرالد» تنقيبات مشابهة خلال عام ١٩٢٧[٥٠٨] . ثم جرب «هَملتون» حظه في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨[٥٠٩] ، فشملت حفرياته عدة أماكن في المدينة . وبالرغم من هذه الحملات الاثرية المتعاقبة في مدينة القدس ، فلم يوفق الباحثون في العثور فيها على مخلفات هامة للحضارة العبيرية واليهودية .

---

503) Wilson , CH . and Warren , The Recovery of Jerusalem , London , 1871 .

-) Warren , Ch . , Under - ground of Jerusalem , London 1876 .

-) Warren , Ch . , and Cander , C . R . , Jerusalem , 1884 .

504) ZDPV , 3 , p . 54 , 4 , P . 116 ff , 250 ff ; P . 7ff P . 271 ff .

505) Bliss , F . J . , Excavation at Jerusalem , 1894 - 1897 , London , 1898 .

506) Vincent , Jerusalem sous terre , 1911 .

-) RB , 1912 , P . 86 ff , 424 ff , 554 ff , T. 15 - 16 .

507) Weil , R . , La cite de David , 1920 , 1947 .

وفي نفس الوقت الذي كان فيه المنقبون عن الآثار يعملون في القدس ، كان آخرون يقومون بحفريات اثرية مماثلة في تلال ومناطق اثرية عديدة اخرى في فلسطين :

لقد اجرى «بتري»[510] حفرية اثرية في «تل الحصن» الواقع على بعد ٢٦ كم الى الشمال من مدينة «غزة» ثم أكملها «بْلِسْ»[511] من عام ١٨٩١ - ١٨٩٣ . وقد تأكد بان هذا التل كان آهلا بالسكان خلال الحقب بين ١٧٥٠ و ١١٩٠[512] ، ومن أهم المكتشفات الاثرية التي عثر عليها في هذا التل ، كان رقيما طينيا نقش عليه نص باللغة والكتابة البابليتين ويرقى تاريخه الى حوالي ١٤٥٠ - ١٣٥٠ ق .م . وهو نفس عصر «تل العمارنة»[513] .

ونفذ «كَرْسْتَنكْ» و«آدمس» خلال الاعوام من ١٩٢١ حتى ١٩٢٤ حفريات محدودة في عسقلان الواقعة على بعد ١٥ كم شمال غزة[514] . وأجرى شبيهها بها «آدمس» في «غزة» في عام ١٩٢٢ . وترأس «بتري» من عام ١٩٣٠ حتى ١٩٣٤ حفريات في «تل «العجول»[515] ، الذي يبعد مسافة ٧ كم الى الجنوب من غزة ثم قام بحفريات اخرى في عام ١٩٣٨ بنفس التل . وقد اعتقد المنقب ان هذا التل يحوي في باطنه اطلال مدينة «غزة» القديمة ، ولكن دون جدوى . ويتصف نشر نتائج هذه الحفريات بعدم الدقة وبالفوضى ، التي نجدها ايضا في الجزء الخامس ، بالرغم من الجهود التي بذلت لتنظيم هذه النتائج تنظيما علميا متقنا . واقيمت ايضا خلال الاعوام من ١٩٢٨ حتى ١٩٣٠ حفريات في «تل الفرعة» الواقع على بعد ٢٥ كم جنوب شرقي «غزة» . وقد رأى «بتري» في «تله» هذا المدينة المعروفة في النصوص القديمة باسم «بيت - بيليت» ، ولكنه دون ان يدعم ذلك ببراهين

508) Crowfoot and Fitzgerald , Excavations in the Tyropeon Valley , Jerusalem , 1929 .

509) Hamilton , R . W . , QDAP 10 , P . 1 .

510) Petrie , Fl . , Tell el Hesy , London , 1891 .

511) Bliss , F . J . , A Mound of many Cities , London , 1894 .

512) Schaeffer , Cl . , Stratigraphie Compary, P . 200 ff .

513) Kundtzon ,J . A . , Die El - Amarna - Tafeln , I , Nr . 333 .

514) Phylian - A dams , W . J . and Garstang , J . , Bulletin of the British School of Archaeology .

515) Petrie , Fl . , Ancient Gaza , I - IV , London 1931 - 1934 .
-) Mackay , E . , and Murrya , M . , Ancient Gaza , V . , 1952 .

مادية[516] . وفي عامي ١٩١٢ و ١٩١٣ اجرى «مَكَانْسي» حفريات[517] في التل المعروف حاليا بـ «عين شمس» (= بين شمس القديمة) ، الذي يبعد ٢٥ كم الى الغرب من مدينة القدس[518] . وقد اكدت هذه الحفريات ان المنطقة كانت آهلة بالسكان خلال جميع الحقب الممتدة من عام ٢١٠٠-٦٠٠ ق.م. ومن اهم المكتشفات الاثرية خلال هذه الحفريات ، قطعة من الكتابة السينائية يرقى تاريخها الى الحقب من ١٦٠٠ الى ١١٩٠ ق.م.

وشملت الحفريات تلا آخر هو المعروف بـ «تل الجمّه» ، على بعد ١٣ كم جنوبي غزة . واعتقد المنقب «بيتري» كعادته في التخمين والظن انه اكتشف مدينة «جرار» التي ترد في الكتابات القديمة[519] « . ثم اقام «اولباريت» حفريات اثرية خلال الاعوام ١٩٣٠ حتى ١٩٣٢ في «تل بيت مرسيم» الذي يقع على بعد ٢٠ كم غربي الخليل. وكان هذا المنقب يأمل عند بداية حفرياته هذه انه ينقب في «قرية سيفر» القديمة (= مدينة الكتابة) . ولكنه لم يوفق باكتشاف اية وثيقة مكتوبة يمكن اعتمادها برهانا على اعتقاده هذا ، غير انه عوض عن خيبة أمله باكتشاف مجموعات كبيرة من الفخار سهلت عليه دراسة فخار فلسطين وتصنيفه خلال الفترات من ٢٤٠٠ - ٢١٠٠ ق.م .

وفي عام ١٩٣٠ دخل الفاتيكان ميدان السباق على صعيد التنقيبات الاثرية ، اذ أرسل بعثة تمثل المعهد البابوي لدراسات العهد القديم في روما . وكانت البعثة برئاسة «مَلّون» و «كوبّلْ» و «نوفيل» الذين اجروا حفريات في منطقة «العيلات غزول» الواقعة شرقي الطرف الشمالي من البحر الميت واستمرت من عام ١٩٣٠ الى عام ١٩٣٨[520] :

---

516) Petrie , Fl. , Beth Pelet , I , London , 1930 .

-) Mcdonal d , J . S . , Starkey , and Harding , L . , Beth Pelet , II . London , 1932 .

517) Grant , E . , Bet Schemesh , 1929 .

518) Grant , E . , Ain Shems Excavations , I , 1929 , II , 1932 , III , 1934 , IV , 1938 , V , 1939 .

-) Grant , E . , Bet Shemesh , 1929 .

519) Petrie , FL . , Gerar , London , 1928 .

-) AASOR 7 , 17 , 21 , 22 .

520) Mallon , Köppel , R . and Neuville , R . , Tell allat Ghassul , I , Rom , 1934 .

وتتألف هذه المنطقة من ثلاثة تلال اثرية متجاورة الموقع . وقد برهنت اعمال التنقيب فيها انها كانت آهلة بالسكان خلال الحقب الممتدة من ٢١٠٠ الى ١٦٠٠ ق.م. ومن بين اهم مكتشفاتها الاثرية رسوم جدارية ملونة لم تزل حتى الآن فريدة من نوعها في فلسطين القديمة (اللوحة رقم ٢٤) . وتضفي على هذه الحفريات اهمية خاصة انواع الفخار التي اكتشفت في هذه التلال ومكنت علماء الآثار من وضع تأريخات منظمة متسلسلة لنماذج اخرى من الفخار ، التي اكتشفت في مناطق عديدة اخرى من فلسطين .

ويقوم بالقرب من«يافا» «تل الجسر»، الذي اجرى فيه «مَكَلِسْتِرْ»حفريات اثرية استمرت من عام ١٩٠٢ الى عام ١٩٠٩[٥٢١] ثم تابعه «روي» في عام ١٩٣٤[٥٢٢] . وقد برهنت هذه الحفريات ان «تل الجسر» كان عامرا بالسكان بدءا من عام ٣٧٠٠ ق.م. وحتى العصور المتأخرة التي سبقت الميلاد ، باستثناء بعض الفترات البسيطة[٥٢٣] . ومن اهم المكتشفات الاثرية التي عثر عليها خلال الحفريات ما يعرف بـ «تقويم الجسر»[٥٢٤] . واشرف «سِلِّنْ» على اعمال تنقيب عن الآثار جرت في مدينة «تل يرخ القديمة» (= اريحا = تل السلطان) من عام ١٩٠٧ الى عام ١٩٠٩[٥٢٥] . ويعتبر الفخار اهم اللقى الاثرية التي عثر عليها خلال هذه الحفريات . وحيث ان الفخار يحتل مكانة هامة في دراسة تسلسل الطبقات الاثرية في المستوطنات القديمة ، شجعت هذه النتائج المنقب «كَرْستَنكْ» لمتابعة الحفريات[٥٢٦] في هذا التل من عام ١٩٣٠ الى عام ١٩٣٥ . ثم استكملتها السيدة

---

521) M a c a l i s t e r, R.A.S., The Excavation of Gezer, I-II, 1912.

522) PEF. Quarterly Statement, 1934, B. 19 ff.

523) Schaeffer, Cl., Stratigraphie Compa. P.195.

524) M a a g, V., Kultugeschichte des Alten Orient, 1961, Dritter Abschmitt, «Synien - Palästina», S. 530, herausgegeben von H. Schmökel.

525) S e l l i n, E. and W a t z i n g e r, G., Jerichó; Leipzig, 1915.

526) Annals of Arcaeology and Anthropology, 19.P. 3 ff. 35 ff; 20.P. 99 ff; 22.P. 143 ff; 23.P. 67 ff.

526) Syria, 16, P. 353 ff.

«كنيون» بدءا من عام ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٥٥[٥٢٧] . واكدت هذه المواسم الاخيرة ان الانسان قطن هذا الموقع خلال العصر الحجري الحديث ، وعثر فيه على نماذج جصية لجماجم آدميين .

واجرى «بادي» خلال الاعوام من ١٩٢٥ الى ١٩٣٦ حفريات أثرية واسعة النطاق في «تل النصبة» الواقع على بعد ١٢ كم شمال مدينة القدس[٥٢٨] . ويعتقد انه عثر فيه على «نصبا القديمة» . وقد تأكد له ان هذه المدينة كانت مستوطنة عامرة ما بين ٢١٠٠ و ١٦٠٠ ق.م ، ثم هجرت من ١٦٠٠ حتى ١٣٥٠ ق.م. ثم اعيد استيطانها في الفترات ما بين ١٣٥٠ و ٦٠٠ ق.م. .

واقام «كجبر» و«شميت» خلال الاعـوام ١٩٣٦ و ١٩٢٧ و١٩٣٢ حفريات اثرية في منطقة «سيلون» . ويعتقد البعض انها هي «شيلو القديمة» التي تبعد مسافة ٣٠ كم الى الشمال من مدينة القدس[٥٢٩] . وقد ثبت انها كانت آهلة بالسكان خلال الحقب من ٣١٠٠ حتى ٦٠٠ ق.م. واجرى «اولبرايت» حفـريات خلال عامـي ١٩٢٢ و١٩١٣ وفي عام ١٩٣٣ في «تـل الفول» الذي يقع على بعـد ٥ كم شمال القدس[٥٣٠] وكذلك «سيلين» خلال الاعوام ١٩١٣ و ١٩١٤ و ١٩٢٦ و ١٩٣٤ في موقع «سيشيم القديمة» المعروف حاليا بـ «تل البلاطة» الواقع ايضا شمال القدس . وقد كشفت هذه الحفريات الاخيرة عددا من الرقم الطينية المكتوبة بالمسمارية[٥٣١] .

ثم اجريت حفريات برئاسـة «كراوزي» خلال الاعـوام من ١٩٣٣ الى ١٩٣٥ في منطقة تدعى «التل» على بعد ١٥ كم الى الشمال الشرقي من مدينة القدس . واعتقد المنقب ان «التل» هو مستوطنة «العج القديمة»[٥٣٢] . واكتشف فيها بقايا سكنية يرقى

---

527) PEQ, 1952-1955. -) Kenyon, Kathleen M., Digging up Jericho, London, 1957.

528) B a dé, F. G., Excavations at tell en-Nasbe, Berkely, 1928.

-) B a dé, F.G., Some Tombs of tell en - Nasbe, Barkely, 1931.

-) Chester, McCownandWampeler-Carson, Tell en - Nasbe, voll. I-III, Berkely, 1947.

529) PEF. Quarterly Statement, 1927, P. 202 ff, 1931, P.71 ff.

-) Journal of the Palestine Oriental Society, 1930, P.87 ff.

530) BASOR, No. 52, P.6ff. AASOR No. 4, P.1 ff.

531) S e l l i n, E., Anzeiger der Philologisch - historischen Klassee der Kaiserlischen Akademie der Wissenschaften in Wien, 1914, S. 35ff, S. 204ff.

532) M a r q u e t - Kra u s e, J., Les fouilles de' Aj, 1933 - 1935, Paris, 1949.

تاريخها الى الحقب الواقعة بين ٢٧٠٠ و ٢١٠٠ ق.م. وبين ١١٩٠ و ٩٠٠ ق.م. واجرى «اولبرايت» حفريات محدودة في «تيبن» الواقعة على بعد ١٧كم شمال القدس ، والتي يقال عنها انها «بيت ايل» القديمة[٥٣٣] . وحذا حذوه «اوري» حيث اقام حفريات خلال الاعوام من ١٩٣٤ الى ١٩٣٦ في «رأس العين» على بعد ١٥ كم شمال شرق «يافا» . وجرب ايضا «فري» حظه بحفريات اجراها في «تل دوتان» (دوتان القديمة) الواقع على بعد ١٥ كم شمال «السامرة» (نابلس)[٥٣٤] ومثله ايضا «مايْسلِرْ» الذي اجرى حفريات خلال عام ١٩٤٨ في «تل القصيل» الواقع الى الشمال من «مدينة يافا»[٥٣٥] وكذلك «توشينْكهَنْ» في «ديبان» (ديبون القديمة)[٥٣٦] .

وفي عام ١٩٣٠ اجرى «جونز» في «اتليت»[٥٣٧] الواقعة على بعد ١٤ كم جنوب «حيفا» حفريات تركزت بصورة خاصة في الحصن الصليبي ، الذي يرقى تاريخه الى القرن الثالث عشر ميلادي ، واكتشفت تحت الحصن مستوطنة قديمة يرقى تاريخها الى ١٦٠٠ ق.م. وظلت عامرة حتى العصر الهيلينيستي . وعثر ايضا على ادوات صوانية من العصر الحجري القديم ، وهي ذات اشكال معينة اكتشفت لاول مرة في هذه المنطقة واصبح يطلق عليهااسم «تيليت». واجرى ايضا «ديفو» الاعوام ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٥١ حفريات في «تل الفرعة»[٥٣٨] الواقع على بعد ١٢ كم شمال غرب «نابلس» ، وكان هذا التل عامرا بدءا من حوالي ٤٠٠٠ ق.م. الى ٢٦٥٠ ق.م. ومن ١٦٥٠ الى ٦٠٠ ق.م. .

واقيمت حفريات اخرى في الجزء الجنوبي الغربي من فلسطين . لقد اقامها «بْلِس» و«مَكَلِسْتر» خلال الاعوام من ١٨٩٨ الى ١٩٠٠ في «سان حنا» الواقع على

533) BASOR, No. 55, P-23ff; No 56, P. 2ff; No., 57, P. 27 ff.

534) BASOR., No., 131, 1953, P. 16f.

535) M e i s l e r, B., PEQ, 1950, P. 96 ff

–) Meisler, B., JNES, 1951.P.96 ff.

536) T u s h i n g h a n, A.D., BASOR, No. 140, P. 5f;No. 153, P. 6 ff.

537) J o h n s, C. M., QDAP 1932 ff.

538) de V a u x, Revue Biblique, No. 54, P..573 ff;No. 50, P. 544 ff; No 56, P. 102 ff; No. 58, P. 393 ff. a. 566 ff.; no. 59, P. 551 ff.; No. 62 P. 541 ff.

اعياد ٢٠ كا دقيق شعير (وقطعة) لحم واحدة ويعطيها ايضا نصف شيكل فضة كشاة حقل[٣٧٠] . وقع العقد امام شمش شيريبام وامام ايليشو بيشو ابـن شمش كارّاد وامام ليشار و ؟ ابنة لخوشينا (وامام) امات ـ شمش (. . .) .

و ـ تنفيذ القانون في عهد خلفاء حمّورابي :

وسار خلفاء «حمّورابي» على نهجه في تطبيق قانونه بدليل الوثيقة التالية التي يعود تاريخها الى السنة الثانية من عهد الملك «سمسو ـ ايلونا» ، وهي عبارة عن عقد ابرم بين والدة ورجل استأجر ابنها للقيام باعمال له[٣٧١] :

استأجر جيلجاميش ـ جميل ابن لاماسوم المدعـو ايليـو ـ شمش من والدتـه «لاماسوم» لمدة ثلاثة اشهر . وحدد اجره لثلاثة اشهر بـ ٥/٣ ٢ كور من الحبوب (واستلمت) من ذلك ١/٤ (شيـكل) ، ثم ترد اسماء الشهـود ، ومهـر الشهـود (الوثيقة) بالاختام . الشهر نيسان (الشهر الاول) ، اليوم العشرون منه ، عام السنة الجديدة للملك سمسو ـ ايلونا .

ويرقى تاريخ العقد التالي الى السنة الحادية عشرة من عهـد الملك سمسو ـ ايلونا والذي ينص على تأجير احد الناس لجهده[٣٧٢] :

استأجر نابودا مجالنونا المدعو ابيلا موريم بدءا من شهر دوموزي (= تموز = الرابع) ، اليوم الاول منه وحتى شهر نيسان (= الاول) مساء الثلاثين منـه . ويعطيه كل شهر ٦٠ كا حبوبا مؤونته ، ورداء بقيمة شيكل واحد من الفضة . ومهر الشهود (الوثيقة) بـ الخاتم مع اريدو ـ ليوير ومع سينيتالسا . (في) شهر دوموزي (الرابع) اليوم الاول منه . عام بناء الملك سمسو ـ ايلونا لسور اور .

وعثر ايضا على وثيقة اخرى يرقى تاريخها الى السنة الثالثة عشرة لحكم الملك امّي ـ سدوكا ، وهي عبارة عن عقد ابرم بين احد المواطنين ومواطن آخر ، استأجر

---

٣٧٠) يعود استخدام الرمز الكتابي الخاص بـ «حمل» او شاة» الى بقايا التقليد السومري في تلك العصور ، حيث لعب الحيوان الاهلي دور النقود في عمليات التبادل التجاري .

٣٧١) ريفتين ، ا،ن : نفس المصدر السابق ، رقم ٣٥ .

٣٧٢) ريفتين ، ا،ن : نفس المصدر السابق ، رقم ٣٦ .

بموجبه احد عبيده ليعمل طحانا لديه(٣٧٣) :

يستأجر مردوك ـ موبلّيط اريب ـ اوراش . . . من سيده ايـدين ـ اوراش كطحان لمدة شهرين . فعليه ان يطحن ٦٠ كا من الدقيق الناعم في اليوم ، ويعبيء يوميا عشرة اسطل من الماء . ويحصل يوميا (مقابل ذلك) على ٢ كا طعاما له و ٣ كا خمر تمور شرابه . ويكال لسيده ايدين ـ اوراش اضافة الى ذلك ٢/ ١ ٢ كور من الحبوب اجرته لمدة شهرين . واذا عثر على شيء في يده ، يفقد (سيـده) اجـره . ويحصل من اجره على ٣/ ٢ شيكل فضة (اسماء الشهود) الشهر ايار (الثاني) اليوم الاول منه ، السنة امّي ـ سدوكا ، عندما رفع الراية الملكية .

ز ـ قانون «حـمّورابي» ومجتمعات ممالك غرب آسية الاخرى :

وقد عبرت فقرات قانون «حـمّورابي» عن واقع الحياة الاجتماعية في بلاد ما بين النهرين خاصة ومناطق غرب آسية الاخرى عامة ، بدليل ان سكان المدن التي خضعت لسلطان عدوه الملك العيلامي «ريـم ـ سن» كانـوا يعملـون بموجبهـا في علاقاتهم الاقتصادية . والبرهان على ذلك نص الوثائق التالية التي يعود تاريخها الى عهد هذا الملك :

يرقى تاريخ الوثيقة الاولى الى السنة الحادية والثلاثين لحكـم «ريـم ـ سن» وجاء فيها(٣٧٤) :

اشترى ابيل اموريم ارضا بكرا مساحتها ١ اكو بالقرب (من حقل) ابيل اموريم الواقع في جوار الحقل الخاضع للضريبة ، بالقرب (من حقل) بيتوم ـ رابي واخيه شيب ـ سن ، والارض البكر هي ملك سن ـ اوبـلا . لقـد وزن السعـر الكامل ٣ شيكل فضة ، ولكي لا يخل بالعقد اقسم (بالاله) نانار وشمش وريم ـ سن الملك .

وامام المراسل مردوك ـ أيريش ، والوالي ماخيرو ووراد تيتورّو والطبيـب خابو ونيديتو وايبكو بابا وسن ـ انجوراني وبيرخوم الكاتب . اختام الشهـود .

---

٣٧٣) ريفتين ، ا،ن : رقم ٣٨ .

٣٧٤) ريفتين ، ا،ن : نفس المصدر السابق : رقم ١٦ .

تحريات اثريةوشاركه في بعض مراحلها «مكـون» و«بتـي»[551] في مغـاور وكهوف «السخول» و«الطابون» و«الواد» التي تقع على بعد ما بـين ١٥ و ٢٠ كم جنـوب «حيفا» ثم مغارة «الشوكية» التي تبعد مسافة ٣٠ كم شمال القدس ، وأكدت ان الانسان سكن في هذه المغاور والكهوف خلال حقب متعددة من عصـور ما قبـل التاريخ . وفي «تل العفول» الواقع على بعـد ١١ كم جنـوب «النـاصرة» اجـرى «سوكينيك»[552] تنقيبـات اثـرية خلال الاعـوام من ١٩٣١ الى ١٩٣٧ ثم تابعهـا الصهيوني «ابن ـ دور» خلال عام ١٩٥٢[553] . واجرى «تورفيل ـ بيتر» تحريات اثرية في مغارة «الكبارة» التي تبعد قرابـة ٣٥ كم الى الجنـوب من «حيفـا»[554] .

واقيمت ايضا حفريات اثرية في «تل ابو حوام» الواقع على بعد ٢ كم جنوب شرق حيفا برئاسة «هاميلتون» خلال عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٣ . وقد تأكد للمنقب ان هذا التل كان عامرًا خلال الفترات من ١٣٥٠ ق.م. الى ١١٩٠ ق.م. ثم هجر واعيد سكناه من ٩٠٠ ق.م. وحتى العصرين الروماني والبزنطي .

وفي «تل الدوير» الذي يبعد ٢٤ كم الى الجنوب من «حيفا» اجـرى معهـد الاثار البريطاني حفريات اكدت نتائجها ان هذا التل كان آهـلا بالسـكان خلال الالف الثاني قبل الميلاد[555] . واقيمت ايضا حفريات اثـرية في مدينـة «بيسـان» (= ربما بيت شآن القديمة) الواقعة جنوب بحيرة طبرية ,وتعرف اليوم بـ «تل الحصن» وبدأ «فيشر»[556] هذه التنقيبات في عام ١٩٢١ واستمرت حتى عام ١٩٢٣ ثم تابعها روي»من عام١٩٢٥ الى عام ١٩٢٨ وبعده «فيتسكرالد»[557] من عام ١٩٣٠ الى

---

551) G a r r o d and B a t e, D., The Stone Age of Mount Carmel, I-II, 1937 ff.

–) G a r r o d, D., vol. 62, P.267 ff.

552) S u k e n i k, E.L.,Archaeological Invest. at afful, Jerusalem, 1948

553) PEQ, 1952,P. 45.

554) T u r v i l l e - P e t r e, RAI, 62,P. 271 ff, 1932.

555) PEFQS, 1923, P. 21 ff.

556) R o w e, A., The Topography and History of Bet - Shan, 1930, 1931.

557) F i t z g e r a l d, G. M., The Four Cananite Temples of Bet - shan, the pottery, Philadelphia, 1931.

–) F i t z g e r a l d, G. M., Bet Shan Earliest Pottery (The museum Journal, 24,1,1935).

عام ١٩٣٣ . وقد تأكد خلال جميع اعمال التنقيب هذه ، ان التل كان عامرا بدون انقطاع منذ ٤٠٠٠ وحتى ٢٠٠ ق.م. واكتشف فيه اسس معابد وكتابات يرقى تاريخها الى عصر ملكي مصر «سيتوس» الاول و«رعمسيس» الثاني . ووجدت فيه ايضا كميات كبيرة من الفخار واللقى الاثرية الاخرى . وفي عامي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ قام «تورفيل بيتر»[٥٥٨] بتحريات اثرية في مغارتي «الزوتية» و«الاميرة» في وادي العمود الى الشمال الغربي من بحيرة طبرية . لقد عثر في مغارة «الزوتية» على جمجمة لانسان الـ «نياندرتال» من عصر الـ «موستيريان» . واجرى «نوفيل» و«ستكليس» حفريات محدودة في الـ «قفصة»[٥٥٩] على بعد ٣ كم جنوب الـ «ناصرة» خلال الاعوام من ١٩٣٣ الى ١٩٣٥ . واقام «كوبل» و«مدر» شبيهها خلال عام ١٩٣٢ في «تل العويجة» على الشاطيء الشمالي من بحيرة «طبرية»[٥٦٠] .

وجرب «سِلَرْز» حظه خلال عام ١٩٣١ في «خربة الطبقة» (بيت زور القديمة ؟) الواقعة على بعد ٧ كم شمال «حبرون»[٥٦١] . وفي شمال فلسطين ايضا اجريت في عام ١٩٤٥ احد اشهر اعمال التنقيب عن الآثار على الطرف الجنوبي من بحيرة «طبرية» وذلك في الموقع المعروف بـ «تل خربة كرك» ، الذي يبلغ طوله حوالي الكيلو ميتر وربما هو المعروف في النصوص القديمة بـ « بيت يرخ»[٥٦٢] . وكان هذا التل عامرا منذ بداية الالف الرابع قبل الميلاد . وقد عثر عليه ايضا على عدد كبير من الملتقطات السطحية الصوانية . وازدهرت فيه حضارة من ١٩٠٠ الى ١٧٥٠ ق.م. واكتشفت فيه ايضا مستوطنات يعود تاريخها الى العصر الهيللينيستي وقد بنيت عليها مدينة جديدة سميت «فيلوتيريا» . واحتل اسم هذا التل مكانا بارزا في علم آثار

---

558) T u r v i l l e - P e t r e, M., Researches in Prehistoric Gallile, 1927.

559) QDAP, 4, 1935, P. 202; 5, 1936, P. 129.

–) Biblica, 16, 1935, P. 58 ff.; 17, 1936, P. 85 ff.

560) The Citadell of Bet - Zur, Philadlphia, 1933.

561) BASOR No. 107, P. 141.

–) PEQ, 1948, P. 83.

–) Biblica, 35, P. 141.

562) S u k e n i k, E.L., JPOS, 2, P. 101 ff.

غرب آسية عامة وبلاد الشام خاصة ، بسبب العثور فيه على الفخار المصقول ذي اللون «الاحمر ـ البني» هو المعروف بـ «فخار خربة كرك» . واصبح هذا الاسم يطلق على جميع انواع الفخار المماثلة التي عثر عليها في مناطق عديدة في شمال بلاد الشام وامتدت حتى القوقاز[٥٦٣] واجرى «كَرْستَنكْ» خلال عام ١٩٢٨ في الجزء الشمالي من فلسطين حفريات في احد اشهر التلال الاثرية المعروفة هناك هو المعروف بـ «تل القاضي»[٥٦٤] . وقد اثبتت هذه الحفريات بان التل كان عامرا بلا انقطاع من عام ٣١٠٠ الى ٦٠٠ ق.م. وقد اعتقد المنقب انه عثر فيه على «خزورة القديمة» الواردة في النصوص القديمة ولكن بدون اي دليل مادي يشير الى صحة هذا «الاعتقاد» .

ثالثا ـ اهم التنقيبات الاثرية في النصف الشمالي من بلاد الشام (سوريا ولبنان)

(الخارطة : ٦)

شهد النصف الشمالي من بلاد الشام نشاطا كبيرا على صعدي اعمال التنقيب عن الاثار وشملت مناطق كثيرة منه :

لقد اجريت حفريات اثريةفي «تل النبي مند»[٥٦٥] (= قادش القديمة) الواقع على بعد ٢٦ كم الى الجنوب الغربي من مدينة «حمص» . ونفذ «دو منزيل دو بوسون» خلال عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٧ حفريات مماثلة في «المشرفة» (= قطنا القديمة) التي تبعد حوالي ١٨ كم الى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة «حمص» . واهم ما كشف في هذه الحفريات من منشآت معمارية اساسات معبد كبير للربة «البابلية» نين ـ اي ـ جال وعثر ايضا على رقم طينية بالكتابة المسمارية[٥٦٦] . واجرت بعثة

563) Sukenik, E. L., BASOR, 106, P. 9ff. - Woolley, L., Ein Vergessenes Königreich, 1954, S. 31 ff. + Schaeffer, Cl., Stratigraphie Compa...,

564) Garstang, AAA, 14, P. 35 ff.

565) Pezard, M., Qadesh, 1931.

566) Syria, 7, P. 1ff; 8, P. 277 ff; 9, P. 6ff; 11, P. 146 ff.

–) Le site Archéologique de Mishrife.

دانماركية برئاسة العالم «انكولت» حفريات واسعة النطاق خلال الاعوام من ١٩٣٢ الى ١٩٣٨ في مدينة «حماة» القديمة ، واثبتت هذه الحفريات ان «تل المدينة» كان آهلا بالسكان بدءا من عام ٥٠٠٠ الى ٦٠٠ ق.م. وكشف فيها المنقب عن عدد كبير من القبور وصل ١٦٧٠ قبرا[٥٦٧] . واجرى «دومنزيل دو بوسون» ايضا حفرية محدودة في «خان شيخون»[٥٦٨]. وقام «كاريير» و«باري» و«باريو» بحفريات في النيرب على بعد حوالي ٧ كم الى الجنوب الشرقي من «حلب» خلال عامي ١٩٢٦ و ١٩٢٧[٥٦٩] . وعثر في هذه المنطقة على سبعة وعشرين رقيا طينيا بالكتابة واللغة البابلية من القرنين السابع والسادس قبل الميلاد . ويدور مضمون جميعها حول الشؤون الاقتصادية .

واشرف «رُست» على اعمال التنقيب في كهوف «يبرود» شمال دمشق وعلى بعد حوالي ٤٥ كم الى الشمال الشرقي من «بعلبك» في جبال القلمون[٥٧٠] . وعثر فيها على مجموعة كبيرة من الادوات الصوانية التي تعود الى مختلف العصور الحجرية[٥٧١] .

واجرى «بريدوود» خلال عام ١٩٣٨ حفريات في «تبة الحمام» ، التي تبعد حوالي ٤٥ كم الى الشمال من «طرابلس» في الاراضي السورية الحالية [٥٧٢] . ثم نقب «اوري» خلال عام ١٩٣٤ في «تل سوكاس» الذي يبعد حوالي ٢٥ كم جنوب

---

567) Ingholt, H., Report preliminair sur sept Compangnes de Foullles à Hama en Syria, Kopenhagen, 1940.

-) Sept Compangnes de fouilles à Hama en Syria, 1949.

-) Riis, P. J., Hama, le cimetiéres à crémation, Kopenhagen, 1948.

568) Syria, 13, P. 171 ff.

569) Syria, 8, P. 126 ff.

-) Revue Biblique, 1927, P. 257 ff. 1928, P. 163 f.

-) Dhorme, E., Revue d'Assyriologie, 1928, P. 53 ff.

570) Rust, B., Prahistorische Zeitschrift, 24, B. 20 ff.

571) Rust , B., Die Hölenfunde von Jabrud, 1950.

572) Braidwood, R., Syria, 21, P. 183 ff.

مدينة «اللاذقية»[٥٧٣] . واجريت في نفس العام حفريات اخرى في «قلعة الروس» على بعد ١٤ كم الى الشرق من «اللاذقية»[٥٧٤] . وجرب «بريدوود» حظه في التل المسمى «سميريان» الواقع في جنوب مدينة «طرطوس»[٥٧٥] . كما اجرى حفريات اثرية في «طبارا الاكراد» في سهل «انطاكية» على بعد ١,٥ كم الى الشرق من «تل عطشانا»[٥٧٦] . واما الحفرية الهامة التي اقيمت في سهل انطاكية فقد نفذها «وولي» بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٧ في «تل عطشانا» (= الالخ القديمة) ، التي تقع على بعد ٢٥ كم الى الشرق من «انطاكية» . واكدت هذه الحفريات ان التل كان مستوطنة آهلة بالسكان منذ عام ٥٠٠٠ وحتى ١١٩٠ ق.م. وعثر خلالها المنقب على مئات من الرقم الطينية يرقى تاريخها الى القرون الاخيرة من عمر هذه المدينة[٥٧٧] . وقام «بريد وود» خلال عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ بعدد من الحفريات في مجموعة من التلال الاخرى الواقعة في سهل انطاكية ، ويعود تاريخ لقاها الاثرية الى العصر الحجري الحديث[٥٧٨] .

ومن اهم الحفريات التي اجريت في سائر انحاء بلاد الشام ، هي التي بدأها العالم الفرنسي «شيفر» في عام ١٩٢٩ في «تل رأس الشمرة» (= اوغاريت) الواقع في الجزء الشمالي من الساحل السوري الحالي ، كما نفذ حفريات في ميناء هذه المدينة البحري المعروف بـ «مينة البيضا» ، الواقع على ١٢ كم شمال اللاذقية . واستمرت هذه الحفريات حتى بداية الحرب العالمية الثانية حيث توقفت خلالها واستمرت بعدها ومازالت تقام حتى الان[٥٧٩] . ولم تكتسب هذه الحفريات شهرتها

---

573) Ory, J. QDAP, 5, P. 11ff; 6, P. 99 ff.

574) Forrer, Memoires of the American Philosophical Society, 13, P. 114 ff.

575) Braidwood, R., Syria, 21, 1953, P. 208 ff.

576) Hood, S., Anatolien Studies, I, 1951, P. 113 ff..

577) Woolley, L., Antiquities Journal, 28, P. 1 ff; 30, P. 1 ff..

-) Woolley, L., Ein vergessenes Königreich, 1954.

578) Braidwood, R., Synoptic Description of the Earliest Culture, 1945.

579) Schaeffer, Cl., Syria, 10, ex. 12-20, 28.

-) Schaeffer, Cl., Ugaritica, I-IV.

بواسطة اللقى الفخارية والتماثيل والكتابات والمراسلات ولا حتى بواسطة استيطان الناس المتواصل لهذه المدينة منذ ما قبل التاريخ وحتى عام ١١٩٠ ق.م. فحسب ، بل عن طريق المكتبة القيمة التي عثر على وثائقها باللغة والكتابة الاوغاريتية ، التي يرقى تاريخها الى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد .
وتمكن الباحثون بواسطة هذه اللوحات المكتوبة من القاء ضوء ساطع على عالم الديانة الكنعانية ، وتصحيح الكثير مما ورد في «اخبار العهد القديم» حول الكنعانيين وحضارتهم قبل استيطان العبريين جزءا من ارض كنعان بقرون عديدة . واشتهرت هذه المدينة ايضا بابجديتها المسمارية ، التي لم تزل تعتبر - حتى الان - اقدم ابجدية كاملة في العالم .

وقامت بعثة من المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية بحفريات اثرية في التل المعروف بـ «عين دارا» بالقرب من جبل سمعان شمال غرب حلب . وأجرت البعثة الموسم الأول في عام ١٩٥٦ ، ثم اعقبته بموسمين آخرين في عام ١٩٦١ وفي عام ١٩٦٤ . وبالرغم من أهمية اللقى الأثرية ، التي عثر عليها خلال الموسم الثالث(٥٨٠) ، التي تبرهن عن الصلة الحضارية الفنية الوثيقة ، التي ربطت مناطق شمال سورية بالحضارة الحثية ، نجد الفوضى ضاربة الاطناب في التقارير الأولية وكذلك خطا التأريخات ، التي حددها المنقبان لاعمار هذه اللقى . ونلاحظ من خلال تقارير المنقبين عدم دقتهما في ملاحظة تسلسل الطبقات في هذا التل الأثري الهام . وتحاول الآن بعثة تنقيب من المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية برئاسة الدكتور علي ابوعساف تصحيح بعض الأخطاء ومتابعة التنقيب في هذا التل الأثري الهام .
وأجرت بعثة تنقيب عن الآثار من معهد الدراسات الأثرية لآثار غرب آسية في جامعة برلين الحرة (في برلين الغربية) برئاسة مدير المعهد آنذاك المرحوم الاستاذ

---

579) Schaeffer, Cl. Stratigraphie Compa., P. 18 ff.

-) SChaeffer, Cl., AAAS (AAS), III, P. 117ff., 1953.

٥٨٠) الحوليات الأثرية (العربية) السورية ، المجلد الخامس عشر - الجزء الثاني ، القسم العربي ، ص : ١٠٧ وما بعدها ، والقسم الأجنبي ، ص : ٣ وما بعدها .

الدكتور«مورتكات» عدةمواسم تنقيب عن الاثارفي «تل الخويرة» الواقع في شمال شرق سورية في منطقة «رأس العين»[٥٨١] . وتتميز هذه الحفريات عن العديد من الحفريات الأخرى ، التي أجريت في بلاد الشام خاصة وغرب آسية عامة بدقة ملاحظة المنقبين بإشراف رئيس البعثة ، لتسلسل الطبقات الأثرية وبالتنظيم الرائع الذي تتصف به التقارير الأولية التي نشرت حتى الآن . وقد عثر خلال اعمال التنقيب هذه على لقى اثرية هامة أكّدت لأول مرة بشكل قاطع الصلات الحضارية الوثيقة ، التي كانت تربط هذه المنطقة بأرض «سومر» في جنوب بلاد ما بين النهرين . (راجع القسم الثاني : الحضاري) .

وفي عام ١٩٦٥ أجرت بعثة اميركية من معهد الدراسات الشرقية في جامعة شيكاغو برئاسة الدكتور «فان لون» ـ واشترك فيها الدكتور علي ابو عساف والدكتور توفيق سليمان وآخرون ـ حفريات في «تل المريبط» وفي «تل السلنكحية» الواقعين في حوض الفرات ، وفي المنطقة التي غمرتها مياه سد الفرات فيما بعد . وقد أكّدت حفريات «تل المريبط»[٥٨٢] استيطان الانسان لمنطقة هذا التل خلال الالفين التاسع والثامن قبل الميلاد . أما حفريات السلنكحية فتعود لقاها الاثرية المكتشفة الى نهاية العصر الاكّادي وحتى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد .

وتجري حتى الآن بعثة ايطاليةمن معهد الدراسات الاثرية في جامعة روما برئاسة «متيي» وعضوية «فلوراني» وآخرين حفريات اثرية في «تل مرديخ» (= ابلا) بالقرب من معرة النعمان . وكانت قد بدأت هذه الحفريات في عام ١٩٦٤ ، وبرهنت مكتشفاتها الاثرية الهامة[٥٨٣] على وجود علاقات حضارية فنية وثيقة بين هذه المنطقة وارض اكّاد في اواسط بلاد ما بين النهرين (راجع القسم الثاني : الحضاري)

---

581) Moortgat, A., Tell Chuéra in Nordsyrien. Vorläufiger Bericht über die Grabungen, 1958, 1959, 1960, 1963, 1964, 1967...

582) JNES, vol. 27, No, 4, october, 1968, P. 265-290, fig. 6, p. 271 ff. and from the Oriental Institute Chicago, (rep.), 1967-68.

٥٨٣) الحوليات الاثرية (العربية) السورية ، المجلد الخامس عشر ، الجزء الثاني ، القسم

وأجرى الدكتور علي ابو عساف باسم المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية تنقيبات اثرية في منطقة «يبرود» ، حيث كشف عن محتويات تسعة قبور هامة يعود تاريخها الى العصر الكنعاني خلال الحقب ما بين ٢١٠٠ و ١٤٠٠ ق.م .(٥٨٤) . وبدأ نفس المنقب في عام ١٩٦٦ حفريات جديدة في منطقة اثرية هامة تعرف بـ «تل عشترة»(٥٨٥) ، في منطقة «حوران» ، وقد اضطر المنقب لايقافها بسبب العدوان الاسرائيلي على الأمة العربية في الخامس من حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ .

وقد أجرت بعثات اجنبية عديدة حفريات في كثير من مناطق سورية الحالية ولكنها لا تفيدنا كثيراً ـ حتى الآن ـ في دراسة تاريخ المنطقة السياسي .

وشهدت ايضاً الأراضي اللبنانية الحالية وخاصة الساحل الفينيقي منها ، نشاطاً واسعاً على صعيد التنقيب عن الآثار . وقد بدأها «كونتنو» في عام ١٩١٤ في «تل الجرة» الواقع على بعد ٧ كم جنوب شرق «صيدا»(٥٨٦) وتابعها «جويجو» في عام ١٩٢٥(٥٨٧) ثم شملت حملة التنقيب مدينة «جبيل»(٥٨٨) بدءاً من عام ١٩٢٤ وتابعها «دونان» في عام ١٩٢٦(٥٨٩) .

الأجنبي ص : ٨٣ وما بعدها ، والعربي ، ص : ١٤٩ وما بعدها . والغريب في هذا الصدد ان البعض من العرب أثار زوبعة حول الرقم الطينية التي وجدت في «ابلا» وخاصة حول ذكرها اسماء العلم «ابراهيم وداؤد واسماعيل . . . الخ» ، لأنها اسماء وردت في نصوص العهد القديم حول اصول «العبريين» . وقد نسي هذا البعض ، ان اليهود تبنوا تراث منطقتنا العربية القديم وهو تراثنا ، الذي تنصلنا منه ، فقام اليهود فتبنوه .

٥٨٤) نفس المرجع السابق ، القسم العربي ، ص ٥٩ وما بعدها (انظر ايضا القسم الأجنبي) ، انظر ايضا المجلد السابع عشر ، الجزءان الأول والثاني (القسم العربي ص ١٦٧ ، القسم الأجنبي) .

٥٨٥) المرجع السابع عشر ، الجزءان الأول والثاني (القسم العربي ص ١٣٣ وما بعدها ، القسم الأجنبي ، ص : ١٠٣ وما بعدها) .

586) Syria, 1, P. 125; 5, P. 123.

587) Guigues, E., Bulletin du Musée de Beyrouth, 1-3.

588) Montet, P., Byblos et l'Egypt, 1928.

589) Dunand, M., Fouilles de Byblos, I, 1939, II, 1950.

ولا شك في ان تنفيذ هذه الحفريات كان صعباً وشاقاً بسبب اقامة الصليبيين تحصيناتهم الدفاعية في هذه المدينة ، ولذلك تغير الكثير من معالم طبقات هذه المدينة الأثرية عبر العصور القديمة . وبالرغم من اهمية النتائج التي اسفرت عنها هذه الحفريات في صلة المدينة مع «مصر» ، الا ان اعمال التنقيب كانت تحتاج الى عناية أكثر دقة ، من الصورة التي نفذت فيها . ومع ذلك فإن ظهور كتابات هامة لدراسة تطور الابجدية يكسب هذه الحفريات اهمية خاصة .

وقامت بعثة المانية من معهد دراسات ما قبل التاريخ وآثار غرب آسيا في جامعة «ساربروكن» الالمانية الاتحادية برئاسة الاستاذ الدكتور Hachmann حتى الغزو الصهيوني للبنان في عام ١٩٨٢ بحفريات دقيقة في «كامد اللوز» في سهل البقاع . وكانت هذه المدينة مقراً لاحد الولاة المصريين في سورية . ويعتبر تنفيذ هذه الحفريات من الناحية التكنيكية من أدق التنقيبات عن الآثار في غرب آسية(٥٨٩ - آ) .

589- A) Hachmann, R., Vademecum Ausgrabungen in Kamed el- Loz in Libanon.

راجع أيضاً بهذا الخصوص ، توفيق سليان :

الفن الحديث في التنقيب عن الآثار ، الجامعة الليبية ، ١٩٧٢ م .

رابعا ـ الوضع السياسي العام في بلاد الشام
خلال الالف الثالث قبل الميلاد

هناك خمسة مصادر نعتمدها في دراستنا التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الشام (= سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) ، وهي :

١ ـ المصادر المصرية القديمة .

٢ ـ المصادر الحثية .

٣ ـ الكتابات السورية القديمة وكتابات بلاد ما بين النهرين .

٤ ـ اللقى الاثرية .

٥ ـ التوراة . ولا نعتمد «أخبار التوراة» مصدرا علميا موثوقا ، الا اذا برهنت المصادر الاربعة الاولى على صحتها .

أ ـ أثر وادي النيل في بلاد الشام :

لقد قامت صلات وثيقة جدا بين الساحل الفينيقي وخاصة مدينة «جبيل» منه وبين «وادي النيل» ، لدرجة يحق لنا معها القول أن هذه المدينة كانت بمثابة احد الاقاليم المصرية في «وادي النيل» . اذ كان حكّامها تابعين مباشرة للبلاط المصري وحملوا القابا مصرية وكتبوا بالهيروغليفية المصرية . وتؤكد لنا وثيقة «ابوّر» المصرية ، التي يعود تاريخها الى نهاية عصر الدولة المصرية القديمة جانبا من هذه الصلات الوثيقة ، ومما جاء فيها : **لم يستطع أي انسان السفر بعد الآن باتجاه الشمال الى جبيل ، بماذا نستعيض عن خشب الصنوبر لمومياتنا . . .**[٥٩٠] .

وكانت علاقات وادي النيل قوية أيضاً بجنوب فلسطين وسيناء وعلى اتصال مباشر بهما منذ نهاية الالف الرابع قبل الميلاد . وتؤكد الكتابات المصرية من عصر لاحق ، من عهد فرعون «فيوبس» الأول من الاسرة السادسة (٢٦٢٥ ـ ٢٤٧٥ ق . م .) ، قوة تلك الصلات بين الوادي وتلك المناطق . وقد جهز هذا الملك

590) Helch , W , . Die Beziehungen Ägyptens zu Vorderasien im 3 . und 2 . Jht V . Chr . , S . 43 .

ـ راجع أيضاً الهامش رقم ٥٩٤

Klengel, H., Geschichte und Kultur Altsyriens, S. 26 42.

جيشا قويا وأرسله لصد هجمات البدو «الآسيويين» من صحراء سيناء على مناطق ديلتا النيل الشرقية . وكان «فرعون» مصر يكلف أيضا احد اصدقائه العسكريين البارزين بقيادة بعض الحملات العسكرية ضد سكان بلاد الشام . ويبدو ان المدعو «اونا» كان واحدا من ابرز هؤلاء القادة . وقد ذكر في بعض مذكراته حول مراحل احدى الحملات العسكرية التي قادها بنفسه ضد الآسيويين[591] قوله : . . . صد جلالته (ملك مصر) هجمات البدو الآسيويين ، وانه (اونا) كلف مرارا من قبل الملك للزحف ضد البدو ، وفي الحملة السادسة ابحرت السفن به وبجيشه إلى أن وصلت ساحل «فلسطين» .

ب ـ بلاد الشام تحت نفوذ دول ما بين النهرين :

لقد ذكرنا أن «لوجال ـزاجّيزي» ملك «أومّا» و«اوروك» وسع أراضي مملكته خارج حدود بلاد ما بين النهرين ، ويقول انه وصل في مقدمة جيشه الى شواطىء البحر المتوسط . غير انه يصعب علينا اعتماد صحة هذا القول بسبب عدم وجود القرائن المادية ، التي تثبت ذلك . خاصة وان الاكّاديين اجهضوا تطلعات هذا الملك السومري في التوسع . ولكن الملك الاكّادي «سرجون» حقق فعلا ما عجز عن تنفيذه هذه السومري . ويذكر «سرجون» عن نفسه انه حاكم البلدان من البحر الاعلى الى البحر الاسفل ، وبالفعل وسع حدود امبراطوريته حتى شملت جبال الارز والفضة، أي جبال لبنان وجبال طوروس على حد سواء. كذلك يؤكد الملك الحثي «خاتّوشيلي» الأول (القرن السابع عشر قبل الميلاد) حملة «سرجون» ضد هذه المناطق .

وقد بقيت معظم امارات وأراضي بلاد الشام تشكل جزءا من أراضي الامبراطورية الاكّادية منذ عهد «سرجون» وحتى نهاية امبراطوريته ، باستثناء تلك الفترات التي كان بعض امراء بلاد الشام يثورون فيها ضد السلطة الاكّادية .

وقد كشفت أعمال التنقيب عن الآثار في بعض مدن بلاد الشام القديمة عن انقطاع في تسلسل طبقاتها ، مثل «اوغاريت» وتلال «سهل العمق» في شمال غرب بلاد الشام وفي «جبيل» على الساحل . وهذا دليل على ان هجوما عسكريا شن على

---

591) Sehthe, K., Urkunden des Alten Reiches, Leipzig, 1903, I, S, 98 - 110.

هذه المناطق ، في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد . وتوجد أيضاً وثائق تؤكد ان علاقات وثيقة طيبة قامت بين ملك «اور» المدعو «امار - سن» (١٩٩١ - ١٩٨٣ ق . م .) وبين أمير جبيل المدعو «عبداتي» . أما الهجوم العسكري فيعتقد أنه حدث على يد «شولجي» السومري . ويبدو ان الصلات الطيبة بقيت قائمة بين ساحل بلاد الشام والامير «جوديا» الذي حصل من امرائه على الاخشاب الثمينة ، التي كان بامس الحاجة اليها لبناء المعابد .

خامسا - الوضع السياسي العام في بلاد الشام و بعض أهم منجزات شعوبها الحضارية خلال الالف الثاني قبل الميلاد حتى عام ١١٩٠ ق.م

أ - عودة نفوذ وادي النيل الى بلاد الشام :

لقد اقلق بال الفراعنة الأوائل من المملكة الوسطى في وادي النيل تعاظم نفوذ ممالك بلاد ما بين النهرين في بلاد الشام ، لذلك حاولوا ان يستعيدوا نفوذهم في مناطقها وخاصة في مدينتي «جبيل» و «صور» الكنعانيتين ، اللتين كانتا في الأصل - كما ذكرنا - على علاقات وثيقة جدا مع وادي النيل . وقد ورد اسمهما في نصوص الخزي الفرعونية بسبب خروجهما على ارادة فراعنة الوادي .

وقد استغل الفراعنة فرصة عودة الصراع بين مدن اواسط وجنوب بلاد ما بين النهرين ، بعد ان انتصرت مصر على ضعفها الداخلي ، وتبوأ عرش وادي النيل فرعون «امينيمحت» الأول (٢٠٠٠ - ١٩٧٠ ق . م .) ، الذي اعاد استثمار مناجم النحاس في سيناء .

واستخدم ملوك وادي النيل أسلوبا جديدا في علاقاتهم مع مدن بلاد الشام عندما ربطوا ملوكها وامراءها بهم ، وخاصة ملك «جبيل» من بينهم ، بواسطة اهدائهم منتجات فنية وحرفية من انتاج وادي النيل . فقد عثر في «بيروت» مثلا على تمثال في شكل «أبي الهول» للملك «امينيمحت» الرابع (١٧٩٨ - ١٧٩٠ ق .م .) . ووجد أيضاً تمثال آخر يمثل «امينيمحت» الثالث (١٨٤٢ - ١٧٩٧

ق . م .) . ووصلنا تمثال مجنح آخر لهذا الملك من منطقة بعيدة جدا عن الحدود المصرية التي تعرف بـ «النيرب» بالقرب من «حلب» . وعثر معه أيضاً على صور فنية صغيرة الحجم تمثل أفراد الحاشية الملكية الفرعونية والاشراف في وادي النيل .

وقوي نفوذ وادي النيل في مدينة «جبيل» في النصف الأول من الالف الثاني قبل الميلاد ، بحيث لم ينظر فراعنة الوادي خلاله الى ملوك «جبيل» الا برتبة «محافظ» أو «وال» على هذه المدينة . وكان فرعون يرمز لموافقته على تنصيب هؤلاء التابعين المحليين باهدائه الوالي الجديد مزهرية جميلة . وقد حمل هؤلاء الولاة اسماء كنعانية خالصة التركيب مثل «أبي - شيمو» و«يابا - شيموابي» و«ياكين - ابلوم» . . . . . وقد وصلتنا اسماء بعضهم على مخلفات اثرية اكتشفت على ساحل بلاد الشام ، كالمدفن الصخري ، الذي وجد في مدينة «جبيل» ويعود تاريخه الى عصر «أبي - شيمو» ، وكان فيه نعش مصنوع من الحجر الكلسي .

ولكن هذا الاسلوب الجديد ، الذي حاول به فراعنة الوادي ربط امراء وملوك بلاد الشام بهم، لم يمنع هؤلاء عن القيام بالثورة ضد النفوذ المصري، كلما سنحت لهم الفرصة ذلك . ولكن حاجة وادي النيل الماسة لثروات بلاد الشام الطبيعية ، التي تضررت بثورات الأهالي ضد الفراعنة ، حدت بفرعون «سيزوستريس» الثالث للزحف عسكريا ضد عدد كبير من دويلات بلاد الشام لاعادة اخضاعها لنفوذ وادي النيل . ويحدثنا أحد قادة جيشه الكبار المدعو «شو - سيبيك» في كتابة منقوشة على نصب تذكاري في «عبيدوس» ، انه رافق الملك في حملة عسكرية ضد بلاد «سيكيم» في بلاد الشام . ويقول فيها ان مليكه انتصر على «السوريين» وكافأة الملك على شجاعته فمنحه صولجانا من الفضة والذهب وقوسا وخنجرا مزخرفين بالذهب والفضة ، كما حصل على اسلحة الاسرى . وعندها صارت الوفود الشامية تأتي بصورة دورية الى بلاط فرعون محملة اليه بالجزية والاتاوات ولتقدم له الولاء والطاعة . كما صارت اللغة المصرية معروفة في المنطقة حيث تكلمها عدد كبير من السكان وخاصة الذين كانوا يتاجرون مع وادي النيل . اذ كان امراء بلاد الشام يرسلون الوفود التجارية الى وادي النيل بهدف اقامة علاقات تجارية مع أهله . وقد خلّد لنا الامير «ختوم - حوتيب» من «مدينة خوفو» قدوم أحد هذه الوفود من تجار بلاد الشام على جدران قبره المشهور في «بني - حسن» ، حيث

تألف الوفد من سبعة وثلاثين شخصا من الآسيويين . وتذكر الكتابة ان رئيس الوفد كان حاكم البلاد الجبلية المدعو «اسيشا» . ويحدثنا الامير «سنوحي» بعد هربه خارج وادي النيل ، انه وصل الى بلاد الشام وسمع الناس يتكلمون لغة بلاده ، وانه نزل ضيفا على «شيخ جبيل» ، ووجد جالية مصرية في هذه المدينة .

ب ـ النصف الشمالي من بلاد الشام خلال عصر مملكة «ماري» :

لقد كنا ذكرنا ان مملكة «ماري» كانت في علاقات ودية تارة وعدائية تارة اخرى مع مملكتي «يمخد» و «قطنا» (راجع ص : ١٦٥ وما بعدها) .

وكانت مدينة «اوغاريت» خلال عصر مملكة «ماري» تشكل مركزا تجاريا مزدهرا وهاما وارتبطت بعلاقات ودية متينة مع الملك البابلي «حمّورابي» ودبلوماسية مع عدد آخر من ملوك بلاد الشام . وكان يمثل الملوك والامراء مبعوثون دائمون في بلاطات ملوك الممالك الاخرى مثل رسل «مملكة ماري» الدائمين في بلاطي مملكتي «كركميش» و «يمخد» (= حلب) . ولذلك نظمت المراسلات الدورية بين هذه الممالك لايصال التعليمات الخطية والشفوية فيما بينها . وكانت الكتب تبعث مع موفدين كانوا بمثابة عمال البريد الرسميين . وكان الطريق الطويل مقسما الى عدة مراحل اختصت كل مجموعة من «عمال البريد» بحمل الكتب على طول واحدة منها لتسلمها في نهايتها الى المجموعة التالية وهكذا الى ان يصل البريد الى الجهة المقصودة . وكانت طرق «عمال البريد» هي نفسها طرق القوافل التجارية ، التي كانت تنطلق من جنوب واواسط بلاد ما بين النهرين الى حلب أو واحة تدمر ومنها الى ساحل بلاد الشام وخاصة الى مدينتي «جبيل» و «اوغاريت» ، ومن هنا كانت تنطلق الى العالم الايجي ووادي النيل . وبواسطة هؤلاء «الرسل» كان ملوك وامراء النصف الغربي من عالم الشرق القديم يتبادلون الهدايا (راجع الدراستين : الثامنة والعاشرة) .

١ ـ مملكة يمخد :

عثر عالم الآثار «ليونادر وولي» خلال عمليات تنقيب ناجحة عن الآثار في الطبقة السابعة من «تل عطشانا» في سهل العمق ، على عدد ضخم من الرقم الطينية

بالكتابة المسمارية يقارب الـ ٦٠٠ وتتعرض هذه الكتابات أيضاً لذكر الاحداث السياسية الهامة التي جرت في القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد . وظهرت في الطبقة الرابعة من هذا التل مجموعة اخرى من الرقم تروي كتاباتها بعض احداث القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وتقص علينا هذه النصوص أخبارا عن بعض حكام مملكة «يمخد» التي كانت عاصمتها مدينة «حلب» وعن حكام «الالخ» (= تل عطشانا) ، التي أقيمت على انقاض مدينة اقدم زمنا منها وعرفت باسم «تل عطشانا» .

ومن بين حكّام مملكة «يمخد» الذين وردت اسماؤهم في هذه النصوص هم : «ابّعل» و «نقمابا» و «اركابتوم» و «اميتاكوم» و «يريمليم» و «حمّورابي» (وهو غير حمّورابي البابلي) . وهي اسماء كلها «كنعانية» .

• وبالرغم من معرفتنا لاسماء هؤلاء الحكام ، الا اننا لا نستطيع وضع تنظيم دقيق لتأريخات حكمهم هذه المملكة . وكل ما نستطيع قوله في هذا الصدد انهم كانوا معاصرين خلال هذه الحقبة للملوك «ماري» . فقد تعاصر مثلا «ابّعل» و «زيمريليم» ملك «ماري» و«حمّورابي» ملك «بابل» .

وتذكر المصادر التاريخية أن «ابّعل» اخمد نار عصيان اندلعت ضده في المقاطعات التابعة لمملكته والواقعة على الجانب الآخر من نهر الفرات ، أي في الأطراف الشمالية الغربية من بلاد ما بين النهرين ، والتي لا بد انها تاخمت الحدود الغربية لـ «مملكة» ماري . وقد ورد في هذه المصادر انه خرب مدينة «أريتي» وعوض على أخيه ! «يريمليم» ، الذي كان حاكما على هذه المقاطعات ، أراض اخرى وقعت في سهل العمق ومناطق اخرى مجاورة لها . ومنذ ذلك الوقت حكم «يريمليم» وبعده ابنه «اميتّاكوم» في الالخ تابعين للملك الاكبر في «حلب» .

١ ـ آ ـ الوضع الاجتماعي في مملكة يمخد :

نستطيع ان نوضح صورة الوضع الاجتماعي الذي كان معروفا في مملكة يمخد عامة وفي «الالخ» بصورة خاصة ، من خلال الكتابات التي وصلتنا من عصر هذه المملكة . فالوضع الاجتماعي في مملكة «الالخ» ـ على سبيل المثال ـ لم يكن يختلف عن نظيره الذي كان سائدا في الممالك والامارات الاخرى التي عرفناها حتى الآن

خلال القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد في غرب آسية ، وخاصة المملكة البابلية ، التي نظم حمّورابي مجتمعاتها في قانونه المشهور .

وكما هو الحال في قانون «حمّورابي» فقد كوّن العبيد أيضاً المداميك السفلى في المجتمع الهرمي في مملكة «يمخد» . وقد كان هؤلاء العبيد هنا أيضاً من المدنيين والحرفيين والفلاحين والملاّكين الصغار الذين عجزوا عن سداد ديونهم مع الفوائد التي ترتبت عليها وتراوحت نسبتها بين ٢٠ و ٢٥٪ من رأس المال . وشكلت الحروب أيضاً احد المصادر الهامة ، التي حصل الميسورون منها على العبيد ، بسبب تحول اسراها من الجنود والمدنيين الى عبيد للمنتصرين .

والامر الواجب اثباته هنا ان وضع العبيد في مجتمعات غرب آسية القديمة عامة اختلف عما أصبح عليه خلال العصر الروماني . اذ ان العبيد في تلك المجتمعات كانوا بصورة عامة يخدمون في بيوت سادتهم وفي قصورهم ، وكان ابناؤهم وبناتهم ينشأون سوية مع أبناء وبنات سادتهم ويعملون أيضاً سوية في المزارع والحقول . وفي مملكة الالخ كان يمكن ان يصبح عبدا للمدين من عجز عن سداد دينه . ويبدو ان متوسط أسعار العبيد قد بلغ حوالي ٢٠ شيكلا من الفضة (١٦٨ غراما) . وفيما يلي ترجمة لنص وثيقة خطية من هذا العصر رهن احدهم فيها نفسه مقابل كمية من الفضة :

ان المدعو «ناشوا» ابن «تشاني» مدين بـ ٣٠ شيكلا من الفضة للملك «امیتاكوم» ، وعليه ان يقيم كرهينة في بيت الملك اميتاكوم . ويتعهد بذلك «نشائي» ابن «شامايا» انه سيدفع كمية الفضة في بيت الملك ، وعندها يستطيع (المدين) ان يذهب حيث يريد[٥٩٢] .

ويجب ان نشير هنا الى وجه الشبه الكبير بين مضمون هذه الوثيقة وبين مضمون فقرات قانون «حمّورابي» المتعلقة بالاعمال التجارية والديون . فقد ورد في الفقرة (١١٧) من قانون «حمّورابي» ان اسرة المدين تخدم ثلاث سنوات عند الدائن مقابل الدين المستحق . ولكن على المدين في وثيقتنا الآنفة الذكر ان يبقى عبدا ومدينا

492) Weisman , D. J. , The Alalach Tablets , No . 33 .

في آن واحد ، الى ان يسدد دينه . غير ان المبدأ واحد وهو عبودية المدين اذا لم يدفع الدين المستحق مع فوائده . وربما يحق لنا ان نعيد سبب وجود هذا الفارق ، الى ان العبيد لم يكونوا في «الالخ» بتلك الكثرة التي نتجت عن الحروب المظفرة ، التي خاضها حمّورابي ضد اعدائه .

١ ـ ب ـ بعض المخلفات المادية في النصف الشمالي من بلاد الشام من عصر «مملكة الالخ»

الجانب المعماري :

* الالخ

لقد كشفت خلال الحفريات الاثرية ، التي اجريت في «الالخ» بالاضافة الى الوثائق الخطية ايضاً اساسات احد القصور الكنعانية القديمة المعروف بـ «قصر يريمليم» . وكان الملك قد اقام قصره هذا في مكان مقر قديم سابق لعصره . وشغل أرضا بلغت مساحتها ثلاثة آلاف من الامتار المربعة (١٠٠ × ٣٠) ، بجوار سور المدينة ، بحيث كانت بعض جدرانه المشيدة بالطوب تستند عليه (اللوحة : ٢٦)(٥٩٣) .

وعند مقارنة النمط المعماري لهذا القصر بطراز عمارة قصر «كنوسس» في جزيرة «كريت» (اللوحة : ٢٥) نجد وجه شبه كبير بينهما . وهناك من يعتقد ان طراز عمارة قصر «يريمليم» ، الذي يرقى تاريخه الى حوالي ١٧٠٠ ق . م . اقتبس من العالم الايجي ، الذي ربطته علاقات تجارية وثيقة بغرب آسية . غير اني اعتقد ان مخطط قصر «كنوسس» في كريت هو الذي اقتبس من بعض مخططات قصور ملوك غرب آسية ، بواسطة الكنعانيين التجار ، الذين عرفوا جزر العالم الايجي . ثم ان مخطط قصر «كنوسس» يبقى الوحيد من نوعه في العالم الايجي ، في حين نجد اوجه شبه تجمع بين طراز عمارة «قصر يريمليم» وبين ما يسمى «قصر زيمريليم» في مدينة «ماري» .

---

593) Woolley, L., Alalakh, P. 92, fig. 35.

– –) Moortgat, A., Die Kunst des Alten Mesopotamien, S. 84, Abb. 56.

* جبيل

وظهرت في مدينة «جبيل» معابد يعود تاريخها الى عصر اقدم بقليل من تاريخ قصر «يريمليم» ، وهي برهان على ازدهار اقتصاد هذه المدينة في تلك العصور . ونصبت أيضاً المسلات المنحوتة من الحجر الرملي في بهو معبد «اله جبيل» وكانت باطوال مختلفة تراوحت بين نصف ميتر وثلاثة أمتار . وكانت مكسوة بطبقة من الجص . لذلك اطلق العلماء في ابحاثهم العلمية على هذا المعبد اسم «معبد المسلات» . وقد بلغ ارتفاع مذبح المعبد ١,٣ م وطول قاعدته ميترا واحدا وعرضها ٠,٧ م . والمذبح عبارة عن كتلة من الحجر سطحها العلوي مجوف بعض الشيء خصيصا لتقديم الاضاحي ووضع القرابين . وتنتصب كذلك منشأة معمارية طولها ٣,٥ م وعرضها ٣ م في شكل هرم مبتور الرأس وهي أيضاً مجوفة السطح ، وربما كان لها أيضاً نفس وظيفة المذبح أو وظيفة مشابهة له . وقد عثر على نماذج مصغرة لهذه المنشأة في عدد من بيوت جبيل السكنية ، كما وجدت مسلات صغيرة في هذه البيوت ، وربما رمزت للمسلات الكبيرة ، التي كانت منتصبة في شوارع المدينة وساحاتها العامة .

النحت وصب التماثيل :

* الالخ

لا شك في ان فن النحت قد بلغ مستوى رفيعا في مملكة «الالخ» خاصة ومملكة يمخد عامة . ويؤكد ذلك مجسمان لرأسين آدميين نحتا من الحجر ، وظهرا في الطبقة السابعة من مدينة «الالخ» . ويرينا الاول المصور على اللوحة ٢٧ «الأثر الفني لبلاد ما بين النهرين» ، بينما يشهد الثاني[٥٩٤] على قوة تأثير الفن المصري . لقد استطاع الفنان «الكنعاني» ان يسلك بمهارته الحرفية البارعة طريقا فنيا جديدا ، تميز بتوحيده تيارات فنية عديدة ، وهو الذي يطلق عليه بعض العلماء «الفن السوري» خلال الالف الثاني قبل الميلاد . (راجع القسم الثاني : الحضاري) .

---

٥٩٤) راجع في هذا الصدد :

Klengel, H,. Geschichte und Kultur Altsyriens, S. 26 - 42.

الذي اعتمدت عليه في تدوين بعض الملاحظات في هذ الدراسة .

* اوغاريت

وكلما اتجهنا في دراستنا وملاحظاتنا النقدية للفن «السوري !» الى الجزء الشمالي من ساحل بلاد الشام ، كلما خفت حدة تأثير فن بلاد ما بين النهرين الى ان يحتل المرتبة الثالثة بعد منزلتي الفنين المصري والايجي . ويتبين لنا ذلك من خلال قطع فنية رائعة في دقة نحتها ، وهي عبارة عن نصب حفرت عليها رسومات آلهة بالاسلوب المسطح .

ويعتبر النصب المصور على اللوحة : ٢٨ أجمل النصب التي عثر عليها في مدينة «اوغاريت» . وهذا النصب منحوت من الحجر الكلسي الأبيض بارتفاع يبلغ حوالي ١,٤٢ م . ونقش عليه رسم الاله «بعل» (= السيد) ، وكان اله العاصفة والمطر والصاعقة والرعد . ويشهر في رسمه هذا باليد اليمنى «صولجانا» ويمسك بيسراه «الرمح» ، الذي تنتهي قبضته برمز «الصاعقة» . وتغطي «خوذة» مدببة رأسه المزين فوق جبهته بالقرنين ، شعار الالوهية . ونرى أيضاً جديلتين من شعر رأسه تتدليان على صدغيه كما تغطي «لحية» كثيفة طويلة ذقنه حتى تصل صدره . ويتمنطق الاله سلاحا آخر هو «السيف» ، الذي يمتد رأسه المدبب الى ان يصل رأس شخص واقف أمامه بخشوع . ويعتقد الدكتور «كلينكل» ، انه يمكن أن يمثل «حاكم اوغاريت» . ولكن لا يخرج ذلك عن إطار الظن ، الذي لا تؤيده أية قرينة مادية . ويتمثل الأثر المصري في رسم الاله بوقفته ، التي تظهره وكأنه يخطو الى الأمام .

وقد وصلت أيضاً صناعة صب التماثيل من المعدن درجة راقية في مدن النصف الشمالي من ساحل بلاد الشام وخاصة في مدينتي «اوغاريت» و «جبيل» . ويظهر ذلك جلياً في مجموعة التماثيل البرونزية ، التي اكتشفت في هاتين المدينتين ، ومن بينها تمثال صغير لامرأة جالسة تلتف «أفعى» حول صدرها . وهناك أيضا من بين هذه التماثيل تمثال لاله واقف وعلى رأسه الغطاء «الكوني» (الوحة : ٢٩) ، وبالاضافة الى ذلك عثر على تماثيل اخرى من الفضة وعلى أطباق من البرونز والفضة والذهب تحمل مشاهد منقوشة بالاسلوب الغائر ، وتعتبر من أجمل مخلفات مدن ساحل بلاد الشام الفنية . وقد وجد خلال الحفريات في «اوغاريت» أيضاً أسلحة بعضها من صنع محلي وبعضها الآخر مستورد من العالم الايجي .

واكتشف في «معبد المسلات» الآنف الـذكر كنـز قيم من الانجـازات الفنية المعدنية الرائعة ومن بينها خنجر جميل متقن الصنع ذو قبضة هلالية الشكل تحمل على وجهيها مشاهد صيد منقوشة (اللوحة : ٣٠) . ومن بـين هذه اللقـى أيضـاً فأس نذرية مطعمة بالذهب والاحجار الكريمة . وهذه الفأس لم تستخدم في اغـراض عملية . ويوجـد أيضـا عدد من التماثيل يتـراوح ارتفاعهـا بـين ١٠ و ٤٠ سم ، وبعضها مكسو بالذهب وعدد آخر من الفضة والرصاص شبيهة بها .

ومن الانجازات الحضارية الخالدة للكنعانيين الكتابة التي عثر عليها في مدينة جبيل في عام ١٩٢٩ ، وتعتبر مرحلة متقدمة من مراحل تطور الابجدية الى جانب الكتابة «السينائية» .

ج - النصف الشمالي من بلاد الشام في عهد المملكة الحثية القديمة :

عثرت البعثة الالمانية للتنقيب عن الآثار في عام ١٩٥٧ في العاصمـة الحثية «خاتّوشا» (= بوغازكوي) ، التي اكتشفتها في عام ١٩٠٦ على نص مكتوب باللغتين الحثية والبابلية من الملك الحثي «خاتّوشيلي» الأول . وقد ذكر فيه الملك الحثي انه غزا شمال بلاد الشام (راجع أيضاً ص : ٢٦٩) ، بقوله : زحفت في السنة الثانية الى الخالخا (= الالخ) وخربتها . وهاجمت اورشو وتقدمت من اورشو الى اجاكاليش ومن مدينة اجاكاليش اتجهت الى تيشيخينا . ودمرت خلال عودتي بلاد اورشـو واملأت بيتي بالكنـوز . . . وزحفـت في السنـة السادسـة ضد مدينـة زارونتـي وخربت زارونتي وزحفت ضد مدينة هاشو ووقف في وجهه (أي الملك) العدو ، وكانت قوات حلب عنده (أي العدو) والحقت الهزيمة بهم على جبال ادالور[٥٩٥] .

يبين لنا مضمون هذه الكتابة المختصرة ان حلفا ما وقف في وجه «خاتّوشيلي» وكان بقيادة ملك «يمخد» . وبالرغم من انتصاره على الحلف ، الا انه لم ينجح

595) Otten , H . , Mitteilung der Deutschen Orientgesellschaft , 91 , 5 . 78 U . 82 , 1958 .

بغزو «حلب» أو باخضاعها لسلطانه . وقد ذكرنا على ص : ٢٦٩ ان الملك الحثي أصيب خلال تلك الحروب بجرح بالغ سبب وفاته في بلاده . ولكن ابنه «مورشيلي» الأول حقق فيما بعد امنية ابيه باخضاع الجزء الشمالي من بلاد الشام الى سلطانه ، وتمكن ايضا من غزو «حلب» ، التي سببت وفاة ابيه .

د ـ النصف الشمالي من بلاد الشام يعود الى دائرة نفوذ وادي النيل :

وادرك «تحوتموس» الأول (١٥١٨ ـ ١٥٠٢ ق .م) وجود الخطر ، الذي أخذ يهدد مصالح وادي النيل في فلسطين بل وأرض الوادي نفسه ، بعد ان انحسر نفوذ الفراعنة في النصف الشمالي من بلاد الشام . ولذلك جهز حملة عسكرية ضخمة قادها بنفسه ضد بلاد الشام ، فاعاد اولا اخضاع فلسطين لنفوذه وتوغل في اواسط بلاد الشام باتجاه شماله الى ان وصل نهر الفرات . واقام لنفسه بهذه المناسبة لوحة تذكارية ثبت عليها الحدود الشمالية لأراضي مملكته وصار على امراء بلاد الشام تقديم الاتاوات بانتظام الى البلاط المصري . ولكن بالرغم من هذه الانتصارات فقد أصبح على الفراعنة ان يجردوا الحملات العسكرية المتواصلة ضد امراء بلاد الشام ، وخاصة امراء النصف الشمالي منها ، الذين لم يتركوا فرصة تمر الا واغتموها للنهوض ضد السلطة المصرية في مناطقهم ، وخاصة في عهد الملكة «حتشيبسوت» .

هـ ـ الملك الكنعاني «ادريمي» في يمخد (١٥١٠ ـ ١٤٨٠ ق .م) :

كان قد انقضى على حكم «ادريمي» في «الالخ» حوالي ثلاثين عاما عندما امر كاتبه الحوري الاصل المدعو «شارّوا ـ وا» ان ينقش كتابة مسمارية على تمثاله النصفي المحفوظ حاليا في المتحف البريطاني (اللوحة : ٣١) . يبلغ ارتفاع هذا التمثال ١,٠٤ م وتتألف الكتابة من مائة وأربعة اسطر تغطي معظم الوجه الامامي لهذا التمثال . ويقص علينا الملك فيها تاريخ حياته والصعاب التي اعترضت سبيله خلالها . ويذكر في بداية الكتابة قصة هربه مع جميع افراد اسرته الملكية من «حلب» الى اخواله[٥٩٦] :

596) Albright , W . F . , BASOR 118 , P . 16 ff . , 1950 .

لقد اندلعت نيران العصيان في بيت والدي في حلب وهربنا الى اخوالي سكان امار وسكنا في امار . ويجوز لنا هنا القول بان يكون احد الملوك الحوريين ـ الميتانيين المبكرين هو الذي اوقد نار هذا العصيان ، الذي انهى حياة «ايليم ـ ايليمّا» والد الملك «ادريمي» . ولكن «ادريمي» لم يمكث طويلا في منفاه بين اخواله ، حيث يتابع سرد قصته :

وعاش معي اخوتي وكانوا يكبرونني سنا . ولكن لم يحمل اي منهم الأفكار التي كنت أحملها . وهكذا حدثت (نفسي) : من يملك بيتا يجب ان يسكنه ، ومن لا يمتلك بيتا ، عليه ان يسكن في ربوع أهالي امار . أخذت احصنتي وعربتي وقائد العربة وهربت . وعبرت الأراضي الصحراوية وأصبحت في مخيمات البدو سوتو ، وقضيت الليل معهم في عربتي ، ثم انطلقت في الصباح التالي متجها الى أرض كنعان .

يبدو ان «ادريمي» انفرد بين اخوته في تنفيذ مخططه وفضل ان يذهب الى منطقة اخرى بعيدة عن النفوذ الحوري ـ الميتاني ، وكانت هذه أرض كنعان . وربما جازلنا ان نعتقد انه قصد الاتصال بالمصريين ، الذين اقلقهم تعاظم النفوذ الميتاني في شمال بلاد الشام . وتوجد قرائن تشير الى صحة هذاالاعتقاد من اهمها وصول «تحوتموس» الأول بفتوحاته الى نهر الفرات ، ووصول «ادريمي» الى «الالخ» في الوقت الذي شن فيه «تحوتموس» هذه الحملة الناجحة ضد امراء اواسط وشمال بلاد الشام والمملكة الميتانية .

وامضى «ادريمي» سبع سنين متواصلة ، في ربوع قبائل «الحابيرو» ، يسأل كل يوم العرّافين عما يخبئه له المستقبل ، واذا ما كانت قد دقت ساعة الصفر للعودة الى أرض الوطن ، وتقررت العودة :

وصنعت سفنا ، ولم تتقاعس عساكري . . . ووضعتهم في السفن وعبرت البحر الى بلاد موكيش ، ووصلت الى أرض جرداء مقابل جبل هازي[٥٩٧] ونزلت الى البر وسمعت بلادي بقدومي فجلبت الي الثيران والنعاج[٥٩٨] . وخلال يوم واحد عادت الي بلاد نيّا وبلاد اماوء وبلاد موكيش ومدينة الالخ عاصمتي الحالية .

---

٥٩٧) جبل «الاقرع» الحالي .

٥٩٨) تعبيرا عن حسن الاستقبال .

ويرى البعض ان «ادريمي» عاد الى بلاده بعد ان تلقى أنباء من وطنه تفيد ان الملك الميتاني وافق على عودته بشرط ان يتنازل عن «حلب»[599] . ولكن هذا التفسير يناقض حقيقة تجريد «تحوتموس» الأول حملاته العسكرية الناجحةضد الدولة الميتانية ، وبذلك تكون حلب قد خضعت للسلطة المصرية وليس للنفوذ الميتاني .

واذا كانت «حلب» قد خضعت للنفوذ الميتاني ، فان ذلك لم يحدث الا في عهد ملكة وادي النيل «حتشيبسوت» ، وبعد ان عاد «ادريمي» الى بلاده . ثم كيف استطاع «ادريمي» ان يبني السفن ويجهز جيشه ضمن ممتلكات وادي النيل في غرب آسية خلال عهد «تحوتموس» الأول ، بدون علم هذا الملك أو موافقته ؟ ، ثم ابحرت هذه السفن به وبجيشه في البحر المتوسط حتى شمال ساحل بلاد الشام مقابل جبل «الاقرع» ، فاين كان الأسطول المصري في جبيل وفي صور ؟ ولماذا لم يعلم ملكاها فرعون وادي النيل بوجود «ادريمي» في أرض «كنعان» ؟ . لا شك في ان «ادريمي» لم يذكر شيئا عن المساعدة المصرية له ، كما انه لم يذكر بالمقابل شيئا عن موافقة الملك الميتاني على عودته . وكونه لم يتعرض لذكر مدينة حلب بين المدن والمقاطعات التي عادت للولاء له ، فمرده الى ان «حلب» أصبحت مملكة مستقلة رغم انف «ادريمي» وتابعة للمملكة الميتانية في عهد ملكة وادي النيل «حتشيبسوت» (١٥٠١ ـ ١٤٨٠ ق .م) ، أي خلال الثلثين الاخيرين من مدة حكمه (١٥١٠ ـ ١٤٨٠ ق .م) .

و ـ صراع الممالك الكبرى حول بلاد الشام ومحاولة توحيد ممالكها في مملكة قوية (١٥٠٢ ـ ١١٩٠ ق.م) :

١ ـ الصراع بين وادي النيل والمملكة الحورية ـ الميتانية :

وانفصل النصف الشمالي من بلاد الشام عن السلطة المصرية في عهد الملكة «حتشيبسوت» وتعاظم نفوذ المملكة الميتانية في شمال شرق بلاد الشام وتزعمت حلفا قويا ضد الملك «تحوتموس» الثالث (١٥٠٢ ـ ١٤٥٠ ق . م) ، الذي حكم مدة اثنين وعشرين عاما مع أخته «حتشيبسوت» . وعندما تسلم مقاليد الامور في وادي

599) Klengel . H . , Geschichte und Kultur Altsyriens , S . 48 .

النيل ، كان اول عمل قام به ، هو استعادة نفوذ وادي النيل في النصف الشمالي من بلاد الشام واذلال المملكة الميتانية .

ولذلك اشتهر هذا الملك بكثرة غزواته التي بلغت ست عشرة غزوة ضد النصف الشمالي من بلاد الشام . وقد تمكن خلال الحملة السادسة من احتلال مدينة وحصن «قادش» التي تزعمت المقاومة ضد وادي النيل في اواسط بلاد الشام . ولكن هذا لم يتم له الا بعد ان هزم حلفا آخر تشكل ضده في جنوب بلاد الشام (= أرض كنعان) بالقرب من مدينة «مجدّو» (= تل المتسلم) . وبالرغم من انتصاره على هذا الحلف واحتلاله «قادش» ، فان ذلك لم يحل بين امراء اواسط وشمال بلاد الشام وبين النهوض ثانية ضد فرعون وادي النيل . وهنا اضطر «تحوتموس» خلال السنة الثلاثين من حكمه غزو بلاد «ريتينو» (= النصف الشمالي من بلاد الشام) ، فدمر مملكة قادش للمرة الثانية وهدم حصن ومنازل المدينة وقطع أشجار غاباتها واغتصب محاصيلها الزراعية . ثم توغل في أراضي شمال بلاد الشام في مقاطعة سيشيريت[٦٠٠] ، ولاقت مستوطنات «جمي» و «ارتشيت» نفس مصير «قادش» وغنم فيها عددا كبيرا من الاسرى والاحصنة وعربات القتال . وأما بالنسبة للمملكة الحورية ـ الميتانية ، التي ظلت تشكل مصدر الخطر الرئيسي على مصالح وادي النيل في بلاد الشام ، فرأى «تحوتموس» ان لا بد له من تجريد حملة عسكرية ضدها . وقد نفذها فعلا في السنة الثالثة والثلاثين من حكمه ووصل الى نهر الفرات ، واقام لشخصه نصبا تذكاريا بالقرب من النصب ، التي كان قد اقامها «تحوتموس» الأول . وخرب خلال هذه الحملة مستوطنات العدو وحصل على غنائم كثيرة من الذهب والفضة والاسرى والماشية . ولا شك في انه لم يتوغل بعيدا داخل أراضي المملكة الحورية ـ الميتانية الاصلية ، وانما اكتفى بالاصطدام مع جيشها وتخريب مناطق حدودها الغربية والجنوبية .

ولذلك لم يكد «تحوتموس» يصل مصر أثر هذه الحرب ، حتى عادت المملكة الحورية الميتانية من جديد الى التدخل في شؤون مناطق شمال بلاد الشام الاخرى وتحريض سكانها للنهوض ثانية ضد سلطة فرعون فيها . وما كان من «تحوتموس» الا

---

٦٠٠) تقع شمال «قادش» .

ان جهز جيشا ضخما قاده أيضاً بنفسه خلال السنة السابعة والأربعين من حكمه واجتاح مناطق بلاد الشام حتى وصل الى نهر الفرات . وقد عبر هذه المرة النهر في سفن اتى بها خصيصا من مرفأ «جبيل»[٦٠١] ، ونقلها على عربات جرتها الثيران وعندها استطاع ان يصل الى الأرض الحورية ـ الميتانية الاصلية ويتوغل فيها . ويذكر «تحوتموس» في احدى كتاباته ، التي خلفها لنا في أرض «النوبة»[٦٠٢] ، انه دمر الجيش الميتاني خلال ساعة واحدة فقط . ويصف في هذه الكتابة أفعاله المدمرة في الأرض الميتانية بقوله :

وخربت مدنهم ومستوطناتهم وجعلتها طعاما للنيران وحولتها الى أماكن لم يعد باستطاعة الإنسان السكن فيها والقيت القبض على سكانها وجعلتهم من بين الاسرى . . . وغنمت مواشيهم واغتصبت منقولاتهم باعداد لا تحصى ، وأخذت حبوبهم واقتلعت شعيرهم من جذوره ودمرت حدائقهم واقتلعت أشجارها المثمرة . . . وورد في الكتابة أيضا انه حطم «نهارينا» وتحولت الى أرض لا تنبت (فيها) الأشجار .

ومات «تحوتموس» الثالث في عام ١٤٥٠ ق . م . وخلفه على عرش وادي النيل ابنه «امينحوتب» الثاني . واغتنمت هنا المملكة الحورية ـ الميتانية هذه الفرصة فحرضت امراء بلاد الشام من جديد ضد تواجد نفوذ وادي النيل في مناطقهم ، ولذلك شكل بعضهم حلفا قويا ضد فرعون الجديد . وعندها سارع «امينحوتب» الثاني في العام التالي لتربعه على العرش (١٤٤٩ ق . م) بالزحف في مقدمة جيشه الى بلاد الشام ، فوصل وسط ساحلها (= لبنان) واصطدم بقوات امرائه في معركة بالقرب من «شيخ آدوم»[٦٠٣] ، فانتصر عليها وتابع زحفه باتجاه الشمال واصطدم بجيش «نهارينا» ، ووقع سبعة من امرائها في الاسر وسيطر من جديد على مناطق ومدن عديدة في هذه البقاع . وحصل على غنائم كثيرة وقفل عائدا الى مصر محملا أيضاً بما يعادل زنة ٥٠ طنا من النحاس وحوالي ٨٣٠ كلغ من الآنية الذهبية .

601) Helch , W . , Urkunden der 18 . Dynastie (translation to Vol.17-22) Berlin , 1961 , S . 71 .

602) Reisner , M . B . , and Reisner , G . A . , The Granite Stela of Thutmosis III . Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde , Bd . 69 , 1933 .

603) Breasted, J.A., Die Geschichte Ägyptens, S. 197.

وتـوفي «امينحوتـب» الثانـي وخلفـه على العـرش ابنـه «تحوتمـوس» الرابـع (١٤٢٠ - ١٤٠٥ ق . م) ، حيث اضطر الى الزحف ضد «نهارينا» ومهاجمتها ، وانتصر على جيشها ، وعاد الى بلاده بغنائم وفيرة . وبعد هذه الحملة انتظم ارسال امراء بلاد الشام الجزية والاتاوات الى بلاد فرعون .

٢ - التقارب والصلح بين وادي النيل والمملكة الميتانية :

وبالرغم من الانتصارات التي احرزها فراعنة وادي النيل على المملكة الميتانية وامراء بلاد الشام ، فقد ادرك «تحوتموس» الرابـع أثـر حربـه الأولى ضد المملـكة الحورية - الميتانية وانتصاره عليهـا عدم جدوى شن الحـروب المتواصلـة ضد هذا العدو البعيد عن وادي النيل ، للاسباب التالية :

١ - بعد مواطن العدو عن وادي النيل .

٢ - بعد مصادر تموين جيش الفراعنة عن ساحات المعـارك في أقصى شمال وشمال شرق بلاد الشام .

٣ - عدم قدرة البلاط الملكي في وادي النيل على تمويل هذه الحروب الباهظة التكاليف .

ولذلك بدأ «تحوتموس» هذا عهدا جديدا من العلاقـات الحسنـة مع الملـوك الميتانيين ، اذ عندها يستطيع فرعـون ان يعتمـد على الصـديق الجـديد في تهدئـة الاوضاع في النصف الشمالي من بلاد الشام ، بدلا من ان يبقى محرضا امراءه أحيانا ومتحالفا معهم أحيانا اخرى ضد وادي النيل . لذلك تقرب «تحوتموس» من الملك الميتاني «شوتّارنا ابن ارتاتاما» وأخذ ابنته زوجة له التي أصبحت والدة خلفه الملك «امينحوتب» الثالث[٦٠٤] (راجع أيضاً ص : ٣١٤) . وعندما تسلم «امينحوتب» الثالث (١٤٠٥ - ١٣٧٠ ق . م) السلطة في وادي النيل ، فمن الطبيعي ان يزيد من قوة اواصر القرابة والصداقة مع اخواله . ولما عادت المملكة الحثية للظهور مرة اخرى كقوة عظمى على مسرح الاحداث السياسية والعسكرية في النصف الغربي من عالم الشرق القديم وبدأت بتوسيع مناطق نفوذها في شمال بلاد الشام ، وجد فرعون ان الوقت حان لتقسيم مناطق النفوذ في بلاد الشام مع المملكة الحورية -

604) Breasted, J. H., op. cit, S. 199.

الميتانية القريبة الصديقة . وهكذا انفردت المملكة الحورية ـ الميتانية على الارجح بالنصف الشمالي واكتفى فرعون بالسيطرة على النصف الجنوبي من بلاد الشام .

واعتقد ان خط التقسيم ، هو نفس الخط الذي يفترض لتقسيم بلاد الشام بين وادي النيل والمملكة الحثية اثر معاهدة الصلح بين «رعمسيس» الثاني وبين الملك الحثي «خاتّوشيلي» الثالث (راجع ص : ٣٠٤) . وربما كان الدافع الاساسي لعملية التقسيم هذه ، هو رغبة وادي النيل بعدم الصدام المباشر مع الحثيين ، وتركوا الامر للمملكة الحورية ـ الميتانية . وقد حدث ذلك فعلا فيما بعد ، كما ذكرنا حول الصدام العسكري بين المملكتين الحورية ـ الميتانية والحثية ، الذي انتهى لصالح الحثيين وبزوال الوجود السياسي للمملكة الصديقة لوادي النيل . ولكن بلاط وادي النيل اخطأ التقدير ، حيث وجد نفسه مضطرا للوقوف في وجه التغلغل الحثي في بلاد الشام ولكن بعد ان خسر حليفا قويا في زوال المملكة الحورية ـ الميتانية (راجع ص : ٢٧٦ وما بعدها) .

٣ ـ تنظيم بلاد الشام خلال عهد السيطرة الفرعونية ـ الميتانية :

كان على امراء بلاد الشام الخاضعين للفراعنة والآخرين التابعين للمملكة الحورية ـ الميتانية ، ان يجددوا ولاءهم لسادتهم من ملوك الجانبين ، فور اعتلاء كل من هؤلاء لعرش وادي النيل أو عرش المملكة الميتانية .

وكان على امراء مناطق نفوذ وادي النيل ان يدفعوا الجزية ويقدموا الاتاوات في بلاط فرعون وان يحفظوا الامن والنظام داخل مناطق نفوذهم . وتذكر لوائح «تل العمارنة» انه كان يوجد مراقبون فراعنة في هذه المناطق مهمتهم مراقبة تصرفات هؤلاء الامراء عن كثب وحسم النزاع الذي قد ينشب فيما بينهم . وكان يطلق على المراقب الفرعوني في الكتابات المسمارية تعبير «رابيسو» وفي النصوص الفرعونية تعبير **مراقب البلاد الشمالية الاجنبية** . وكان كل مراقب فرعوني يشرف في آن واحد على سير امور عدة امارات ، وشكلت مجتمعة حسب التقسيم الاداري الفرعوني «مقاطعة واحدة» . وتذكر لوائح «تل العمارنة» ان الممتلكات الفرعونية في بلاد الشام كانت مقسمة الى ثلاث مقاطعات ادارية (الخارطتان : ٥ و ٦) .

الأولى وكانت تسمى «عمورّو» ووقعت في الشمال ، وكان مقر المراقب الفرعوني في «سومورو» (= سيميرا) .

الثانية وعرفت باسم «اوبي» وشملت المناطق الواقعة الى الجنوب من الأولى ، وكان مقر المراقب الفرعوني في «قومودي» (= قامد اللوز) وتبعتها دمشق .

الثالثة وشملت القسم الجنوبي الاقصى من بلاد الشام (أرض كنعان) ، وكانت مدينة «غزة» مقر المراقب الفرعوني .

وتدلنا اسماء مقرات المراقبين الفراعنة ومواقعها ان هذه المقرات كانت تقوم في أرض محايدة بين امارات المقاطعة الواحدة ، لكي يظهر المراقب الفرعوني أمام امارات المقاطعة بمظهر المحايد بينهم . ويعتقد ان أراضي منطقة هذا المقر كانت تعتبر ملكا مباشرا لفرعون ، وعلى امراء المقاطعة حماية المراقب فيها .

وبالنسبة للامراء التابعين للمملكة الميتانية في بلاد الشام ، فيبدو ان الصلة الوحيدة التي كانت تربطهم بالملوك الميتانيين ، كانت «رابطة القسم» بالولاء لهم . ولذلك سرعان ما كان أكثرهم يحنث باليمين وينضم الى جانب الحثيين في صراع هؤلاء مع الميتانيين . وادرك الملوك الميتانيون خطورة هذه العلاقات الواهية ، لذلك استبدلوا «القسم» بنصوص معاهدات تؤكد على ولاء الامراء لهم .

٤ ـ اوضاع بلاد الشام خلال عهدي «امينوفيس» الثالث والرابع

ومحاولة توحيد مناطقها في مملكة قوية ، ووقوع النصف الشمالي منها تحت السيطرة الحثية :

٤ ـ آ ـ انهيار الوضع الداخلي في وادي النيل :

وعادت المملكة الحثية الى الظهور من جديد كقوة عسكرية عظمى ، واخذت توسع حدود مناطق نفوذها في شمال بلاد الشام ، حيث احتلت قواتها العسكرية المنطقة تلو الاخرى وسقط في يدها الحصن بعد الآخر في عهد ملكها المشهور «شوبّيلوليوما» . واغتنم امراء بلاد الشام الموالون ـ حتى ذلك الوقت ـ لفرعون هذه الفرصة وثاروا ضد السلطة الفرعونية واعلنوا الانضمام الى الجانب الحثي . وقد

سهل ذلك على القوات الحثية تقدمها داخل اواسط بلاد الشام الى ان وصلت المجرى الاسفل لنهر العاصي . وانضمت امارات منطقة «اوبي» الفرعونية بما فيها دمشق الى الحثيين . ولم يتخذ فرعون «امينوفوس» اي أجراء عسكري هجومي أو دفاعي ضد الجيش الحثي وامراء بلاد الشام الخونة . وبقي الحال في هذا الوضع الى ان توفي في عام ١٣٧٥ ق.م . وخلفه ابنه «امينوفيس» الرابع (اخناتون) - ١٣٧٥ - ١٣٥٢ ق.م .

وانشغل فرعون الجديد بتنفيذ براجه الدينية الاصلاحية الداخلية واهمل الشؤون الخارجية وخاصة أمور بلاد الشام . وقد حاول الملك الحثي «شوبّيلوليوما» التقرب من «اخناتون» ، ولكنه لم يعره اهتماما كبيرا . واستغرب الملك الحثي موقف «اخناتون» ، بالرغم انه ارسل وفدا الى وادي النيل لتقديم التهاني اليه بمناسبة تسلمه السلطة بعد ابيه .

ويمكننا ان نحصل على أحسن صورة لاوضاع بلاد الشام ، خلال حكم امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع ، من التركة الوثائقية الخطية المعروفة بـ «لوائح تل العمارنة» ، وتقع هذه المدينة على بعد حوالي ٣٠٠ كم الى الجنوب من «القاهرة» . ويعرف هذا العصر في علم آثار وتاريخ «الشرق القديم» بـ «عصر تل العمارنة» ، وتعود وثائقه الى الفترات من ١٣٨٠ الى ١٣٥٠ ق.م . وتكملها وثائق اخرى عثر عليها في العاصمة الحثية «خاتّوشا» ، وفي المدينة الكنعانية «اوغاريت» .

٤ ـ ب ـ ملك عمورّو «عبدي عشيرتا» وابنه «عزّيرو» ومحاولتهما توحيد امارات وممالك بلاد الشام في مملكة واحدة :

وكان يحكم مملكة «عمورّو» في عهدي امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع ، المدعو «عبدي - عشيرتا» وابنه «عزّيرو» . لقد ادرك «عبدي عشيرتا» خطورة القوة الحثية المتعاظمة في أقصى شمال بلاد الشام ، التي أصبحت تهدد وجود مملكته بالزوال . وكان أيضاً على دراية جيدة باوضاع مصر الداخلية في عهد «امينوفيس الثالث» وخليفته ابنه «امينوفيس الرابع» (اخناتون) .

ويظهر ان «عبدي عشيرتا» كان قدبلغ سن الشيخوخة ، لذلك سيرّ ابنه

«عزّيرو» شؤون المملكة ووجه سياستها الخارجية ، تحت اشرافه العام . وتدلنا رسائل «تل العمارنة» ان «عزّيرو» كان أيضاً هو القائد العام لجيش مملكة «عمورّو» ، كما انه لم يكن يقل عن أبيه ذكاء ودهاء . لقد كان «عزيرو» ديناميكيا في اجراءاته العسكرية ومحنكا في تصرفاته الديبلوماسية ، ولذلك عرف كيف يرضي الطرفين الحثي والفرعوني ، وفي نفس القوت كيف يستفيد من لعبته السياسية البارعة في توسيع رقعة مملكته على حساب الامارات والممالك الاخرى التي بقيت تعلن الولاء للتاج الفرعوني . يبدو ان «عزيرو» وضع نصب عينيه هدف توحيد ممالك وامارات بلاد الشام في مملكةواحدة قوية قادرةأن تقف على قدم المساواة مع المملكتين القويتين المتصارعتين الفرعونية في الجنوب والحثية في الشمال . ولذلك خطط بذكاء لانتزاع مدن بلاد الشام الموالية لفرعون الواحدة بعد الاخرى وضمها الى مملكته . ورأى ان هذا الأمر صعب المنال الا بالتقرب من الحثيين والتعاون ثم التحالف معهم . ثم وجد له حليفا آخر هو ملك «مملكة قادش» الكنعاني المدعو «اتكاما» .

وهاجم «عزيرو» بالاتفاق مع الحثيين مدن ساحل بلاد الشام الواحدة تلو الاخرى مبتدئا في الشمال بمدينة «ني» فاحتلها وقتل ملكها . وهنا خاف سكان مدينة «تونيب»[٦٠٥] الموالين لفرعون ، من هذا الانتصار للملك الطموح . فسارع مجلس شيوخها للانعقاد ، واتخذ فيه قرارا بطلب المساعدة من فرعون ضد «عزيرو» . وأرسل الى بلاط فرعون الوفد بعد الآخر وزوده بالرسائل ، التي طلب فيها النجدة السريعة ، لانقاذ مدينته من بطش «عزيرو» . وفيما يلي احد النماذج من رسائل أهالي مدينة «تونيب» ، التي تصور الحالة البائسة والوضع اليائس الذي كان فيه اهل المقاطعة ، وأملهم في الحصول على نجدة من سيدهم «فرعون»[٦٠٦] :

الى سيدنا ملك مصر ، يتكلم عبيدك سكان تونيب ، علّك بخير نلقي أنفسنا على قدميك . سيدنا ، تتكلم تونيب عبدتك : تونيب ! من هو الذي تجرأ فيما مضى على تدميرها ؟ دون ان يهب ماناخبيرا[٦٠٧] لتحطيمه فالآلهة و . . . نابريلان

---

٦٠٥) كانت تقع في شمال اواسط مناطق بلاد الشام الغربية ، وعلى وجه التقريب في وادي نهر العاصي ، بالقرب من مدينة «حماة» الحالية (انظر الخارطة : ٦) .

606) Kundtzon , J . A , Die EL - Amarna - Tafeln , Leipzig , 1915 , Nr . 59 .

٦٠٧) التسمية البابلية للملك «تحوتموس» الثالث ، قبل توليه العرش .

اننا نحن أيضاً اتباع ملك[٦٠٨] . والآن أرسلنا طوال عشرين عاما الى سيدنا الملك ، ووفودنا تجلس عند سيدنا الملك . والآن نرجو سيدنا الملك بأن يرسل ابن اكي - تيشوب[٦٠٩] ، فليتفضل سيدنا الملك بارساله .

آه يا سيدنا ، لقد استرجع ملك مصر[٦١٠] ، ابن اكي - تيشوب ، فلماذا استرجعه سيدنا الملك وهو في الطريق ؟ . والآن سيعلم عزيرو وضع عبيدك اليائسين في البلاد الحثية[٦١١] ، واذا استرجع (ملك مصر) اتباعه وعرباته[٦١٢] ، فسيفعل عزيرو بنا ، كما فعل بمدينة ني[٦١٣] .

واذا كنا نشكو امرنا ، فسيكون هناك (أيضاً) ما يدفعه[٦١٤] للشكوى بسبب الافعال التي سيقوم بها عزيرو معنا ، لانه سينهض ضد سيدنا .

واذا احتل عزّيرو سومورو (سيميرا) ، عندها سيفعل عزّيرو بنا كما يحلو له في دار سيدنا ، الملك ، ولذلك يجد نفسه مضطرا للشكوى .

والآن تزرف تونيب ، مدينتك ، الدموع . وتنهار دموعها ، ولا من مساعدة لنا . وبعثنا رسائل طوال عشرين عاما الى الملك ، سيدنا ، ملك مصر ، دون ان تصلنا من سيدنا كلمة واحدة ، ولا كلمة واحدة .

---

٦٠٨) «مازلنا على ولائنا لملك مصر» ، لان فرعون كان يشك بموقف الامراء التابعين له في بلاد الشام ، بسبب الاخبار المتناقضة ، التي كانت تصله باستمرار حول مواقفهم من الحكم المصري .

٦٠٩) رسول المدينة الى فرعون .

٦١٠) المقصود هنا فرعون سلف «اخناتون» .

٦١١) دلالة على موقف الملك الحثي المعادي لاهالي مدينة «تونيب» .

٦١٢) المقصود القوات التي ارسلها فرعون لنجدة «تونيب» ، التي لم تكن قد وصلت حتى تاريخ هذه الرسالة .

٦١٣) مدينة كانت تقع في شمال بلاد الشام ويعتقد انها كانت تقوم على الضفة اليسرى من نهر العاصي ويعتقد بعضهم خطأً نهر الفرات

٦١٤) المقصود هنا «عزّيرو» ، الذي سيسارع أيضاً الى الشكوى «كذبا» ضد أهالي تونيب ويدافع عن نفسه «ظلما» في بلاط فرعون .

وكان اهل «تونيب» محقين في قلقهم بشأن مصير «سومورو» ، لأن «عزّيرو» صمم فعلا على احتلالها ، بالرغم من انها كانت مقر المراقب المصري في مقاطعة «عمّورو» . وعلم ملك «جبيل» بأمر «عزيرو» ، وأرسل بدوره يطلب النجدة من فرعون في رسائل متتابعة ضد «عزيرو» . غير انه لم يكن احسن حظا من اهالي مدينة «تونيب» اذ انتظر وصول المساعدة دون جدوى . وكل ما فعله فرعون انه ارسل الوفود لتقصي الحقائق في مدينة «سومورو» ، بدلا من ان يقود جيشه بنفسه كما فعل آباؤه واجداده لتحطيم الخارجين فعلا على ارادته . ولكن «عزيرو» لم يأبه لمقدم هذه الوفود وتابع تنفيذ مخططه التوسعي ، حيث احتل مدينة «سومورو» ، ودفعته جرأته ايضا الى قتل المراقب المصري العام فيها . واصبح الطريق مفتوحا امامه للهجوم على «جبيل» واحتلالها . ثم عاد ملك «جبيل» الى ارسال الوفود مزودة بالكتب الى فرعون يطلعه فيها على الوضع المتوتر في المنطقة والخطر المباشر الذي تواجهه مدينته والمراقب المصري العام في «قومودي» (=قامد اللوز في وادي البقاع) .

وكان «عزيرو» الطموح يتبع سياسة المراحل ، فيحتل الجزء بعد الآخر من اراضي الامارات الموالية لفرعون . ولكنه مع ذلك لم يهمل توطيد علاقاته مع فرعون نفسه ، لذلك سارع هو ايضا بدوره الى ارسال الكتب للملك المصري يدعي «براءته» مما ينسب اليه ، وان كتب بعض امراء بلاد الشام للملك المصري ليست الا بدافع الوشاية والحقد عليه ، لأنه هو وحده من بينهم المخلص لفرعون ، ولا علاقة له بكل ما يحدث في بلاد الشام ضد سلطة وادي النيل . ويعتذر «عزيرو» في احدى رسائله الى فرعون مصر عن عدم استطاعته استقبال المبعوث الفرعوني المدعو «خاني» ، لأنه (عزيرو) كان اثناء وجوده في «تونيب» . وردا على اتهام فرعون له ، انه يستقبل الوفود الحثية ويكرمها ، ويهمل بالمقابل الوفود المصرية ، فلم ينف «عزيرو» انه استقبل الوفود الحثية ، بدليل عدم تعرضه في رسالته الجوابية لهذا الأمر ، واكتفى فقط باظهار الاسف البالغ بعدم استطاعته شخصيا مقابلة وفد وادي النيل ، راجيا فرعون ، ان يبعث ثانية الوفد ليسلمه الاتاوة ، التي كانت تقدمها له البلدان سابقا . وهذا دليل على ان «عزيرو» كان قد اخضع سائر هذه المناطق المعنية لسلطانه ، وانه انقطع لفترة طويلة عن ارسال الاتاوة الى فرعون ،

ويقول «عزيرو» في هذه الرسالة[٦١٥] :

الى الملك الكبير، سيدي ، الهي ، شمسي ،يتكلم عبدك عزيرو : سبع مرات في سبع مرات استلقي على قدميك ، سيدي ، الهي ، شمسي .

يا سيدي انا عبدك ، وعندما سأذهب الى حضرة الملك ، سيدي ، سأنطق بجميع كلماتي امام سيدي ، ايها السيد لا تسمع للأعداء ، اذ لا هم لهم الا الوشاية بي في حضرة الملك ، انا عبدك الى الأبد .

وفيما يخص كلام سيدي بشأن خاني : آه يا سيدي ، لقد كنت جالسا في تونيب ولم اعلم بقدومه : (ولكن) ما كدت اسمع بذلك حتى لحقت به ، ولكني لم احصله . والآن علّ خاني يصل بسلام ، وعندها ليسأله سيدي ، كيف اعتنيت به ، اذ استقبله اخوتي وباتّي - ايلو وقدموا له ثيرانا ونعاجا وطيورا وطعاما وشرابا .

واعطيته احصنة وحميرا من اجل سفره[٦١٦] ، علّ سيدي الملك يسمع كلماتي : عندما سأقدم الى حضرة سيدي الملك عندها سيكافئني خاني ويحيطني بالرعاية كأم وأب . والآن يقول سيدي : «لقد اهملت خاني» ، فآلهتك والشمس تعلم حقا اني كنت جالسا في تونيب .

وفيما يخص ، امر سيدي الملك (باعادة) بناء سومورو : ان ملوك نوخاشي يقفون مني موقفا معاديا وانتزعوا مني عدّتي ، بناء على امر (المدعو) خطيب ، ولهذا لم استطع ان اعيد بناءها ، اما الآن فسأعيد بناءها بسرعة . ويعلم سيدي حقا ان نصف التجهيزات ، التي تسلمتها من سيدي الملك ، اغتصبها مني خطيب ، وأخذ خطيب ايضا كل الذهب والفضة التي حصلت عليها من سيدي الملك ، وان سيدي يعلم ذلك حقا .

اما بخصوص ما قاله سيدي الملك : لماذا أحطت بالرعاية والعناية رسول الحثيين واهملت رسولي ؟، هذه الأرض ملك لسيدي ، وسيدي الملك هو الذي نصبني حاكما عليها . لعلّ يأتي رسول سيدي ، وسأعطيه كل شيء قال عنه سيدي ، تموينا وسفنا وزيتا وخشب اوكارينو واخشابا (اخرى) .

---

615) Kundtzon, J.A., op. cit, Nr. 161.

٦١٦) ليس المعني هنا ان «عزيرو» هو الذي سلم بنفسه الاحصنة والحمير ، بل اخوته بالنيابة ولو ان الضمير ورد باسم المتكلم .

وهدأت هذه الرسالة من غضب فرعون ، بدليل انه لم يتخذ اي اجراء ضد «عزيرو» ، بالرغم من ان كل الدلائل تؤكد صدق ما جاء في رسائل مدينة «تونيب» وبعدها رسائل ملك «جبيل» .

وصار «عزيرو» هو الموجه الفعلي لأمراء النصف الشمالي من بلاد الشام والمدبر لأمورهم ، واصبح يضع لهم الخطط العسكرية والديبلوماسية ، التي تحركوا ضمن اطارها في علاقاتهم مع فرعون ومع القوات الرمزية التي ارسلها فرعون لنجدة «ريب ـ عدّى» ملك جبيل . ولذلك كان هؤلاء الأمراء يظهرون ـ بناء على توجيهات عزيرو ـ الولاء لفرعون اثناء وجود هذه القوات ووفود فرعون في بلاد الشام . وكانت هذه القوات والوفود ، التي احسن «عزيرو» استقبالها تقتنع بالحجج التي يتذرع بها ، ثم تقنع هي بدورها فرعون بذلك . ولكن الحقيقة كانت بعكس ذلك تماما ، اذ لم تكد الوفود والقوات الرمزية تعود الى مصر ، حتى يتابع «عزيرو» تنفيذ خططه الطموحة لتوحيد امارات وممالك بلاد الشام تحت قيادته . وكان «عزيرو» قادرا على ان يحيط الوفود والقوات هذه بجو من التشويش والفوضى ، لدرجة لم تعد معها قادرة على معرفة الموالين حقا لفرعون من غير الموالين له من امراء وملوك بلاد الشام. والدليل على ذلك ان القوات التي ارسلها حاكم وادي النيل في جبال الجليل في ارض كنعان المدعو «بيخو» لنجدة ملك «جبيل» ، لم تذهب جهودها سدى فحسب ، وانما جلبت معها الدمار والويل للملك «جبيل» ، عندما قامت قوات النجدة هذه بالقضاء على ما تبقى للملك «جبيل» من فرق جيشه الخاص ، لأنها لم تتمكن من معرفة الاعداء الحقيقيين للملك «جبيل» وفرعون والتمييز بينهم وبين الموالين لهما . واصبح بعدها «ريب ـ عدّى» في حالة يرثى لها امام عدو نشيط ذكي ، ولذلك ارسل كتبا اخرى الى فرعون يرجو فيها ارسال النجدة ضد «عزيرو» . وبهذا الخصوص ورد في احدى هذه الرسائل مايلي[٦١٧] :

تكلم ريب ـ عدّى الى سيده ، ملك البلدان ، الملك الكبير ، ملك القتال :

علّ بعلات الجبلاوية تمنح القوة لسيدي الملك ، واستلقي سبع مرات في سبع مرات على قدمي سيدي ، شمسي . واعلم منذ وصول أمانابّا[٦١٨] نهض جميع اهالي

---

617) Kundtzon, J.A., op. cit. Nr. 79.

٦١٨) «امينحوتب» .

جاز ضدي ، بناء على اوامر عبدي ـ عشيرتا . لذلك علّ سيدي يصغي لكلمات عبده ويرسل لي قوات لتحمي مدينـة الملك ، ريثما قدم الجيش الوطـني . واذا لم يأت الجيش الوطني فستتحد جميع بلدان جاز . واسمع فمنذ ذلك الوقت ، عندما احتلت مدينة بيت ـ ارخا بناء على اوامر عبدى ـ عشيرتا ، وهم يحاولو ن احتـلال جو بـلا و بيروتا(٦١٩) بنفس الطر يقة . وستنضم جميع المناطق الى جانـب اهـل جاز الـذين يحاولو ن انتزاع المدينتين اللتين ما زالتا لي من يد الملك . ليرسل سيدي قوات حماية لمدينتيه ر يثما يظهر الجيش الوطني ، وعلّ سيدي يعطيني بعض التموين لها . لأني لا امتلك شيئا منه ، اني كالطير في القفص هكذا انا في «جو بلا » .

ثم اذا لم ينقذني الملك من يد اعدائه ، عندها ستنضم جميع البلدان الى جانب عبدى ـ عشيرتا ، ومن هو (هـذا) الكلـب ، الـذي ير يد اغتصـاب بلـدان سيدي الملك ؟ .

وتابع «عزيرو» زحفه نحو الجنوب وحاصر مدينة «جبيل» لمدة ثلاثـة اعـوام متواصلة وصمد ملكها واهلها طوال هذه المدة . ونفـذ صبـر الأهـالي واستهلك التموين في المدينة وانهارت مقاومتهم ونهضوا ضد «ريب ـ عدّى» ، الذي هرب الى «بيروت» وانتظر فيهـا وصـول المساعـدة من سيده فرعـون . ثم عاد الى «جبيل» وحاول ان يدخلها ولكنه فشل في ذلك ، لأن اخاه اغتنم فرصة هروبه الى بيروت واستولى على السلطة وسلم اطفاله الى «عزيرو» واغلق ابواب المدينة في وجهه .

وبعد ان احتل «عزيرو» مدينة «جبيل» ، زحف جنوبا الى «بيروت» . غير ان «ريب ـ عدّى» استطاع ان يعود ثانية الى «جبيل» وان يستعيد سلطته فيها لفترة من الزمن . ولكننا لا نعرف شيئا عن الوسيلة التي استخدمها في دخـول «جبيل» واستعادة عرشه . غير ان المؤكد هو ان ذلك حدث بدون اية معونة من وادي النيل بدليل ان «ريب ـ عدّى» عاد يطلب المساعدة ثانية من فرعون ، حيث اعتقد ان استعادته بنفسه السلطةفي «جبيل»سيرفع من شأنه في عين سيده فرعون مما سيدفعه الى ارسـال المساعـدات العسـكرية اليه . وانتظـر «ريب ـ عـدّى» طويلا دون جدوى . وعندها تدخلت زوجته واسرته بالأمر فطلبوا منه شق عصا الطاعـة على

---

٦١٩)ـ هما مدينتا «جبيل و«بيروت» الحاليتان .

فرعون والانضمام الى جانب «عزيرو» . ولكنه رفض ذلك بعناد، واصر على طلب المساعدة من فرعون ولوكانت هذه المساعدة بحدود ٣٠٠ جندي ليستعيد بها مدينة «بيروت» التي سقطت في يد قوات «عـزيرو» . ولـكن «عـزيرو» والحثيين عادوا فركزوا هجومهم على «جبيل» وعندها اختار «ريب ـ عدّى» الموت ، وفضلـه على الانضمام الى جانب «عزيرو» ، ضد ولي نعمته فرعون ، الذي تخلى عنه في وقت الشدة وسلمه الى اعدائه . وانتهى ، بمقتل «ريب ـ عدّى» وجود اخر امير وملك في النصف الشمالي من بلاد الشام مؤيد لفرعون او موال له . وبذلك انفصل كامـل النصف الشمالي عن السلطة المصرية ، التي بقيت ضعيفة مهلهلة في الجزء الجنوبي من بلاد الشام . وكانت مصر تمر خلال ذلك الوقت في مرحلة قاسية من الصراعات الداخلية بين انصار «اخناتون» وانصار الاله «عمـون» ، وانقطعـت اخبـار جيش فرعون عن فلسطين الى ان اعتلى عرش مصر «سيتـوس» الأول (١٣١٧ ـ ١٣٠١ ق . م .) . واصبحـت يد الحثيين طليقـة في النصف الشمالي من بلاد الشـام وحليفتها المملكة العموريّة بقيادة سلالة «عبدى ـ عشيرتا» ، في حين صار النصف الجنوبي من بلاد الشام مسرحا للصراعات العنيفة بين الكنعانيين في المدن من جهة وبين البدو الرحل والقبائل العبرية الغازية لأرض كنعان من جهة اخرى .

٤ ـ جـ ـ وضع شمال بلاد الشام في عصر السيطرة الحثية :

لم يجر الحثيون تعديلات هامة تستحق الذكر ، في حدود اراضي امارات بلاد الشام الموالية لهم ، اذ ابقوا عليها كما كانت قبلهم . ولذلك لم تثمر الجهود التي بذلها «عزيرو» في سبيل توحيد مقاطعات بلاد الشام في مملكة واحدة . وبقيت بلاد الشام مجزأة مفككة الأوصال مقسمة بين النفوذين الحثي والمصري .

وسلك الحثيون على الصعيد الاقتصادي نفس الطريق ، الذي ساروا عليه في «كبادوكيا» هو اسلوب **الاقطاع الزراعي** . حيث جعل الملك الحثـي نفسـه السيد الأول على جميع امراء النصف الشمالي من بلاد الشام والاقطاعي الأكبر فيها . وابقى الملك الحثي على سلطة الامراء الذين اعلنوا الولاء له . ولذلك اصبح هؤلاء الامراء اقطاعيين يرى كل منهم نفسه ممثلا للاقطاعي الكبير الذي هو الملك الحثي وعليهم ان يجددوا الولاء كل عام له ، اذا رغبوا البقاء في مناصبهم .

ولكي يضفي الملوك الحثيون الصبغة القانونية على هذه الرابطة ، وضعوا المعاهدات الخطية وأكدوا فيها تبعية هؤلاء الأمراء لهم ، وحددوا فيها بدقة ووضوح واجبات هؤلاء الأمراء تجاهه :

وكانت نصوص هذه المعاهدات تكتب باللغتين الحثية والبابلية وبكتابتيهما ، كما انها اتخذت في عهد الملك «شوبّيلوليوما» شكلا واحدا[٦٢٠] : ففي بداية نص المعاهدة كانت تسرد اسماء الملك الحثي والقابه واحيانا اسماء اجداده والقابهم ، وبطبيعة الحال فقدكان هو الذي يملي نص المعاهدة. ويلي ذلك مقدمتها التاريخية من وجهة النظر الحثية ، فيذكر فيها احداث الأزمنة الماضية والعلاقات بين «خاتّوشا» والامارة او المملكة المعنية ، حيث يؤكد فيها الفضل الحثي عليهما . ثم تسرد بنود المعاهدة ، التي على المتعاقد تنفيذها . وتذكر في الصدارة رابطة القسم مع الملك الحثي . وعلى المتعاقد ان يقدم المساعدات العسكرية في حالة حدوث اصطدامات مسلحة بين الحثيين واعدائهم من الدول المجاورة (راجع ايضا ص : ٢٨٢) في حالات الغزو والحملات التأديبية ضد الثائرين في المناطق الخاضعة للسلطة الحثية . وعلى الامير او الملك التابع ان يسلم اللاجئين من البلاد الحثية في حال اجتيازهم لحدود المناطق الاقليمية الحثية . وكان عليه ايضا ان يمثل كل عام بين يدي الملك الحثي لتمجيده مع بعض افراد اسرته الملكية واحيانا اشرافه ، ويحمل الجزية والاتاوة معه ، التي كانت تحدد كل عام في ملحق خاص بالمعاهدة . ونستطيع القول هنا ان هذه الصيغة العامة وترتيب بنود المعاهدات الحثية مع اتباعهم ، هما اللذان سادا نصوص المعاهدة الحثية ـ المصرية (راجع ايضا ص : ٢٩٤ وما بعدها وخاصة ص : ٣٠٢) .

فمثلا بعد ان فشل «عزيرو» في توحيد امارات وممالك بلاد الشام في مملكة قوية متحدة ووقعت مقاطعته ضمن مناطق النفوذ الحثي ، فرضت عليه وعلى خلفائه من بعده اتاوة سنوية قدرها ٣٠٠ شيكل من الذهب الخالص . وكذلك ورد التأكيد على ضرورة دفع الاتاوة في صدر المعاهدة التي ابرمها الملك الحثي «شوبّيلوليوما» مع «نيقمادو» الثاني ملك «اوغاريت» . ويفسر «كلينكل» ذلك ان الملك الحثي ادرك

---

620) Klengel, H., Geschichte und Kultur Altsyriens, S. 84-94.

الأرباح الكبيرة التي كانت تحصل عليها مدينة «اوغاريت» من تجارتها وصناعاتها الحرفية . وقد عثر في هذه المدينة على نص بالكتابة الأبجدية المطعمة بالأكّادية ، يذكر فيه ملكها كيفية فرض الاتاواة على سكان القرى في امارته . وهذا النص عبارة عن قائمة بأسماء ثمانين قرية ومستوطنة كانت خاضعة لملك «اوغاريت» . . وتراوح المبلغ الذي فرض على كل قرية بين ١٣ و ١٥٠ شيكلا كأتاوة «للشمس» (= الملك الحثي) . ولا شك في ان هذا التفاوت الكبير فيما بين المبالغ المفروضة ، مرده الى التباين في عدد سكان هذه القرى . وكان الملك الحثي يترك لهذه الممالك والامارات حرية التصرف في شؤونها الداخلية ، اما السياسة الخارجية والدفاعية فكانت توجه من البلاط الحثي .

واذا لم ينفذ الامير او الملك تعهده الوارد في نص المعاهدة ، كان الملك الحثي يزيحه من على عرشه او من منصبه ويسمي احد افراد اسرة المعزول مكانه . ويأتي بعد سرد بنود المعاهَدة ذكر اسماء الآلهة شهودا عليها وفي مقدمتها الآلهة الحثية التي تمثل الطبيعة كالجبال والانهار والجداول والغيوم . . . وتختتم المعاهدة بتوجيه اللعنات عل الأمير الذي ينكث بها ، والدعاء له بالنعم والبركات في حالة تنفيذه لها .

واذا ما توفي الامير التابع او عزل اثر قيامه بعصيان فاشل ، يوقع الملك الحثي معاهدة جديدة مع خلفه ، وكان النص الأصلي للمعاهدة يحفظ في «خاتوشا» ، واذا فقد لسبب ما ، امر الملك الحثي بوضع نص جديد بد لا عنه .

وتشهد الوثائق المتبقية ، التي وصلتنا حتى الآن ، ان مثل هذه المعاهدات ابرمت مع خلفاء «عزيرو» العمّوري «دوبّي - تيشوب» و «بينتيشينا» و «زاوشجا موّوا» ومع «تيتّي» امير «نوخاشّي» و «تالميشارّوما» امير حلب ، ومع «نيقمادو» الثاني و «نيقميبا» اميري «اوغاريت» . وحتى مع امير «كركميش» المدعو «تالميتيشوب» وقعت معاهدة شبيهة . ولكن الفارق بين هذه المعاهدة والمعاهدة الفائتة الذكر ، هو ان ملك كركميش وضع فيها على قدم المساواة مع الملك الحثي ، اي كحليف شرعي . ويذكرنا هذا الشكل الأخير من المعاهدات (مع ملك كركميش) بنص المعاهدة الذي وقع بين الملك الحثي «شوبّيلوليوما» وبين صنيعته ملك المملكة الحورية - الميتانية «ماتّي - وازا» (راجع ايضا ص : ٣١٦ وما

بعدها) . ويبدو ان الحثيين عقدوا المعاهدات ذات الطابع المشارك فقط مع امراء المقاطعات التي كانت تجاور بشكل مباشر الأرض الحثية الأم ، والتي كانت أكثرية سكانها من الحثيين او من الشعوب الجبلية الأخرى ، القريبة في حضارتها من الحضارة الحثية . وكان الحثيون يدمرون معابد الآلهة الغريبة عن طباعهم وحضارتهم ، كما فعل «مورشيلي» في مدينة «بابل» (راجع ص : ٢٧٠) ، وذلك على عكس مواقفهم من معابد وآلهة الامارات القريبة حضارياً منهم . فعندما غزا «شوبّيلوليوما» مدينة «كركميش» دمر المدينة السكنية وابقى على الحي الديني فيها دون ان يتعرض له بسوء . بل انه قدم الطاعة والاحترام لإلهها . ويمكننا ايضا ان نفهم هذا العمل من قبل الملك الحثي على انه تقرب من سكان المدينة ، وليظهر بمظهر الملك الشرعي لـ «كركميش» . ويذكرنا ذلك بظاهرة اخرى في تاريخ الاسكندر المكدوني في كل من مصر وبابل عندما اظهر الطاعة وقدم الاحترام لآلهتهما .

ولكي يضمن الملك «شوبّيلوليوما» سلامة مؤخرة جيشه المتقدم خلال العمليات العسكرية في بلاد الشام ، نصب احد ابنائه المدعو «بياشّيلي» نائبا له على «عرش» كركميش . واوكل اليه مهمة مراقبة اوضاع مناطق بلاد الشام الخاضعة للسلطة الحثية . ثم نصب احد ابنائه الآخرين في «حلب» كاهنا للآلهة «تيشوب» و «هيبات» و «شارّوما» . وهكذا ففي الوقت الذي افل فيه نجم مملكة «حلب» ، سطع بالمقابل نجم مدينة «كركميش» . وتبرهن الوثائق الخطية التي وجدت في «اوغاريت» أن نواب الملك الحثي في «كركميش» كانوا يتدخلون في الشؤون الداخلية للامارات التابعة في بلاد الشام ، وعلا شأنهم بحيث صاروا يذكرون الى جانب الملك الحثي في الاتفاقيات مع هذه الامارات .

٥ ـ النصف الشمالي من بلاد الشام يثور ضد الحثيين :

وثار امراء بلاد الشام التابعون للحثيين ضد التواجد الحثي «بعد وفاة الملك «شوبّيلوليوما» . ولكنهم فشلوا في التخلص من نير الحكم الحثي . لأن نائب الملك الحثي في «كركميش» قمع كل ثورة مضادة بمساعدة امارة «عمورّو» ، التي ظلت على ولائها التام للملك الحثي . وكما ذكرنا فقد امل هؤلاء بمساعدة مصر دون

جدوى . وفي اثناء ذلك تعاظمت قوة الآشوريين العسكرية وتوغل جيشهم في زحفه نحو الغرب الى ان وصل ضواحي مدينة «كركميش» ، ثم انسحب عائدا الى المناطق الآشورية ومعه عدد كبير من الأسرى الحثيين . ولما استعاد الحثيون قوتهم من جديد بتوليّ الملك «مورواتاليّ» السلطةفي المملكة الحثية عادت مناطق الجزء الشمالي من بلاد الشام الى الخضوع من جديد للسلطة الحثية .

٦ ـ اوغاريت خلال عهد النفوذ الحثي في بلاد الشام :

يتبين لنا من القوائم الملكية ، التي عثر عليها في «اوغاريت» ان هذه المدينة كانت مزدهرة على كافة المستويات الحضارية خلال عهد السيطرة الحثية ، التي بدأت في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد واستمرت حتى بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، اذ انتهت بزوال الوجود السياسي والعسكري للمملكة الحثية . ويدلنا تسلسل عهود ملوك «اوغاريت» المنتظم على استتباب الوضع السياسي في مملكة «اوغاريت» ، الذي انعكس ايجابيا على اقتصادها وازدهاره ، وهؤلاء الملوك هم على التوالي :

«اميّستامرو» الأول و «نيقمادو» الثاني و «ارخالبا» و «نيقميبا» و «اميّستامرو» الثاني و «ايبيرانو» و «نيقمادو» الثالث و «حمّورابي» (غير حمورابي البابلي) .

وكانت القوات الحثية قد دخلت مدينة «اوغاريت» خلال عهد ملكها «نيقمادو» الثاني الذي يؤرخ الاثريون تدوين الاساطير والملاحم الكنعانية الاوغاريتية في عهده . وانضمت مدينة «اوغاريت» في عهد ملكها «ارخالبا» الى جانب امراء بلاد الشام في ثورتهم ضد الحثيين . ولذلك خلعه «مورشيلي» الثاني عن عرش «اوغاريت» ونصب اخاه «نيقمابا» بدلا منه ، وابرم معه معاهدة جديدة . ثم وضعت «اوغاريت» تحت الاشراف المباشر لـ «كركميش» وفقدت حوالي ثلث ممتلكاتها الاقليمية . وصار امير «كركميش» يتدخل في شؤونها الداخلية ويصدر الأوامر بشأن حل بعض المشاكل الداخلية وخاصة عندما كان ينشب نزاع بين امارات بلاد الشام التابعة للحثيين . ومن الأمثلة النموذجية لذلك ، الذي حدث بين امارتي «اوغاريت» و «عمورّو» بسبب طلاق ملك «اوغاريت» المدعو

«امّيستامر و» الثاني ابنةملك «عمورّو» المدعو «بينتيشينا» . وكاد هذا النزاع يسبب نشوب الحرب بين الامارتين ويتوسع حتى يعم جميع الامارات التابعة للحثيين في بلاد الشام . لذلك رأى الملك الحثي الأكبر ضرورة تدخله شخصيا لحل الأمر بالطرق السلمية . وتروي لنا احدى الوثائق المكتوبة باللغة البابلية ، التي يرقى تاريخها الى عهد الملك الحثي «توتخاليا» الرابع (١٢٥٠ ـ ١٢٢٠ ق . م .) قصة تدخل الملك بالأمر[٦٢١] .

امام جلالتي ، انا «توتخاليا» الملك العظيم ، ملك خاتّوشا ، اخذ «امّيستامر و» ملك اوغاريت ابنة «بينتشينا» ملك عمّورو زوجة له . ولكنها لم تسبب لامّيستامر و الا المشاكل[٦٢٢] ، لذلك طلّق امّيستامر و ملك اوغاريت ابنة «بينتشينا» الى الأبد . وعلى ابنة «بينتشينا» ان تستعيد كل ما اتت به من جهاز الى بيت «امّيستامر و» ، وعليها ان تذهب من بيت «امّيستامر و» . اما ما تصرف «امّيستامر و» به (منه اوما ينكره منه) ، فعلى ابناء عمورّو القسم وعلى «امّيستامر و» ان يعوض عليهم ذلك . ويكون «اورتيشا رومّا» وليا للعهد في اوغاريت . ولكن اذا قال «اورتيشارّوما» اريد ان اتبع والدتي (ابنة بينتيشينا) ، فعليه ان يلقي ثوبه على العرش[٦٢٣] ، وعندها يستطيع «امّيستامر و» ان يسمي احد ابنائه الآخرين خلفا له على العرش . واذا توفي «امّيستامر و» وجعل «اورتيشا رومّا» منها الملكة الوالدة ، فعلى «اورتيشارّوما» ان يلقي ثوبه على العرش ويذهب الى حيث يريد . وعندها سأنصب ـ جلالتي ـ ابنا آخر من «امّيستامر و» ملكا . وفي المستقبل لن تدّعي ابنة «بينتيشينا» (بصلة قربى) لبناتها او ازواجهن ، لأنهن يتبعن «امّيستامر و» ملك اوغاريت . واذا رفعت ادعاء بذلك ، فتبرز هذه الوثيقة ضدها .

ولكن ما هو دور ملك «كركميش» في الموضوع ؟ . نلاحظ هنا ان الملك الحثي لم يتعرض بنفسه لتقسيم الجهاز ، ولذلك يرجح انه اوكل نائبه في «كركميش» امر تنفيذ هذه المهمة . ثم لا نعلم اذا ما كان ابن «امّيستامر و» قد تبع والدته ام انه بقي

---

621) Nougayrol , J . , Palais Royal d' Ugarit , IV , P . 126 F . .

٦٢٢) حرفيا «وجع الرأس» .

٦٢٣) أي ان يخلع الثوب الملكي ويتنازل عن العرش .

في «اوغاريت» . ولكن كونه انه لم يخلف والده على العرش، يعتبر قرينة على انه تبع والدته متنازلا عن وراثته العرش .

وكانت العقود والاتفاقيات والمعاهدات وغيرها من المعاملات الرسمية لا تمهر بالاختام الشخصية للمتعاقدين ، كما كان يحدث في كثير من انحاء غرب آسية القديمة ، فحسب ، وانما ايضا باختام الملك الحثي الأكبر في «خاتّوشا» ، او ملك «كركميش» وكان هذا يعني تصديقا على صحة ما ورد فيها . وفي هذا الخصوص وصلناخاتم اول ملك حثي احتل «اوغاريت» هو «شوبّيلوليوما» ، على وثيقة من اوغاريت نفسها. وتوجد أيضاً بعض الوثائق المهمورةبخاتم زوجته الأميرة البابلية الملكة «تاوانانّا» . وعثر كذلك على بعض الوثائق الأخرى المذيلة بختم الملك «مورشيلي» الثاني و «خاتّوشيلي» الثالث وزوجته «بودخيا» و «توتخاليا» الرابع ونائب الملك في «كركميش» وملك «عمورّو» .

٧ ـ عودة النصف الجنوبي من بلاد الشام الى سيادة وادي النيل :

وادرك فرعون «سيتوس» الأول (١٣١٥ ـ ١٣٠١ ق . م .) فور اعتلائه عرش وادي النيل ، الخطر الذي يهدد واديه بسبب الوجود الحثي في النصف الشمالي من بلاد الشام، ومن جرّاء توسيع القبائل العبرية مناطق نفوذهافي اعالي جبال ارض كنعان ، ثم تحضيرها نفسها لغزو السهول والأراضي الخصبة الكنعانية :

وبدأت التقارير تصل الى «سيتوس» الأول منذ السنة الأولى لاعتلائه عرش وادي النيل من ولاته في ارض كنعان . وهم يصفون فيها الحالة السيئة لبلاد الشام وخاصة ارض كنعان منها ، هذه الحالة التي دفعت كثيرين من الكنعانيين للهجرة الى منطقة شرقي دلتا النيل خائفين مذعورين ، من ملاحقة قبائل همجية ، لا شك في انها كانت هي القبائل العبرية .

ونتيجة لذلك قاد «سيتوس» الأول جيشه ضد هذه القبائل فاخضع اولا جنوب فلسطين لسلطانه وتقدم باتجاه الشمال ، واحتل «مجدّو» ثم تقدم غازيا المناطق الواقعة الى الشمال من «مجدّو» ووصل منطقة «حوران» واقام فيها نصبا تذكاريا تخليدا لهذه الفتوحات . ثم اتجه نحو الغرب الى ان وصل المنحدرات الجنوبية لجبال لبنان

ثم بلغ شواطىء البحر المتوسط ، فسارع امراء المناطق المجاورة لتقديم الولاء والطاعة له . ويقول «بريستد» انه ليس غريبا ان يكون سيتوس قد اتجه أيضاً نحو الشمال الى ان وصل سيميرا واولازا وأرسل له امير قبرص الجزية والهدايا الى المنطقة[٦٢٤] ، وقدمت أيضاً مدينتا «صور» و «اوتو» الولاء للملك المصري . ثم عاد الى بلاده .

ولم يكن هذا الهجوم الواسع النطاق الاخير من نوعه ، الذي قام به «سيتوس» الأول ، لان بعض امراء هذه المناطق عادوا الى النهوض في وجه التواجد الفرعوني في اماراتهم . ولذلك شن «سيتوس» هجوما آخر على مناطق جنوب بلاد الشام وركزه خاصة على جبال الجليل ، ثم دمر الحصون التي كانت مملكة «عمورّو» قد اقامتها في عهد ملكها «عبدي ـ عشيرتا» وابنه «عزيرو» . ويعتبر هذا الهجوم ناجحا من الوجهتين التكتيكية والاستراتيجية العسكريتين ، لان هذه الحصون كانت تشكل نقاط حماية متقدمة على الحدود الجنوبية لمناطق النفوذ الحثية في بلاد الشام . ولا شك في ان الحثيين تصدوا في عهد ملكهم «مورشيلي» الثاني لجيش «سيتوس» فتحرك جيشهم نحو الجنوب والتقى بجيش «سيتوس» على نهر العاصي . ويقول «بريستد» ان «سيتوس» لم يصطدم ـ على الارجح ـ بالجيش الحثي الرئيسي ، وانما فقط مع طلائعه الامامية .

والثمرة التي قطفها «سيتوس» الأول من عملياته العسكرية في النصف الجنوبي من بلاد الشام ، هي انه اعاد التواجد المصري في هذه المناطق ، بعد غياب دام عشرات السنين ، ووضع حدا ولو بصورة مؤقتة للتغلغل الحثي في مناطق النفوذ المصرية ، علما انه لم يستعد الا ثلث المناطق ، التي كانت خاضعة لوادي النيل خلال عهد «تحوتموس» الثالث .

ويبدو ان «سيتوس» الأول اختتم اعماله العسكرية هذه باتفاقية صلح ابرمها مع الملك الحثي «مورواتاليّ» ، التي اشير اليها في نصوص معاهدة الصلح المشهورة بين «رعمسيس» الثاني والملك الحثي «خاتّوشيلي» الثالث وقد كنا بحثنا في الحرب التي وقعت بين «رعمسيس» الثاني وبين الملك «الحثي» «موروتاليّ» في «قادش» ثم في

---

624) Breasted, J.H., Die Geschichte Ägyptens, S. 120.

معاهدة الصلح بين «رعمسيس» وبين الملك الحثي «خاتّوشيلي» الثالث ، التي قسمت بموجبها بلاد الشام بين مملكتيهما ، حيث عاد جنوب بلاد الشام الى دائرة نفوذ وادي النيل واحتفظ الحثيون بجزئها الشمالي .

ختــام

عاد الهدوء الى ربوع اقطار غرب آسية القديمة بتوقيع معاهدة الصلح والسلام والدفاع المشترك وتقسيم مناطق النفوذ في بلاد الشام بين الدولتين العظميين الحثية والمصرية . ولم تعكر صفو هذا الهدوء الهجمات العسكرية الآشورية بين الحين والآخر ضد مناطق النفوذ الحثية في الاراضي الميتانية وشمال سورية .

وهكذا ظهرت أقطار غرب آسية وكأنها تنعم بالاستقرار والهدوء في ظل المملكتين العظميين وبدأت مرحلة جديدة من مراحل تاريخ بنائها حضارتها الطويل . غير انه كان هدوءا مصطنعا بالرغم من حسن النية المتبادل بين هاتين المملكتين العظميين ، لانهما أصبحتا هرمتين لاسباب داخلية خاصة بكل منهما وبالتالي غير قادرتين الحفاظ على هذا السلام .

لقد كان النزاع والصراع في مناطق غرب آسية ينبعان دوما من داخلها ، وذلك على مر قرابة اربعة قرون من الزمن قبل عام ١١٩٠ ق . م . اذ كانت المناطق الشمالية الشرقية من آسية الصغرى ومرتفعات الهضبة الايرانية تشكل دوما موطن القبائل التي كانت تزرع الخراب والدمار في مناطق غرب آسية المتحضرة .
وأما الآن فقد اتى الخطر المدمر من خارج المنطقة بواسطة هجرة شعوب هندية غربية الى آسية الصغرى وبلاد الشام تزرع الخراب والدمار في هذه المناطق وهددت مصر عن طريق البحر .

ويبدو ان المغيرين الجدد قدموا هذه المرة في هجرتهم هذه من الغرب والشمال الغربي . فانطلق الشق الأول من البلقان وتألف من الفريجيين والمسيين حيث اتحدوا

مع الكاشكيين الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسية الصغرى وبخاصة السواحل الجنوبية من البحر الأسود . ودمرت هذه القبائل قلب الامبراطورية الحثية ولم تعد آسية الصغرى تحتل سوى مكانة ثانوية في هامش احداث تاريخ غرب آسية القديم .

واتجه في نفس الوقت الشق الآخر من هذه القبائل بسفنه وقواربه من كريت الى قبرص فدمر ممالكها بعد ان «هلّن» كامل البر اليوناني[٦٢٥] . وابحرت القبائل الـ «شاردانية» والـ «لوكية» والـ «ميسية» بسفنها باتجاه الجنوب حيث اتحدت مع الليبيين ضد مصر . وبالمقابل ابحرت قبائل اخرى وهي الفلسطينية اللسيرية والزّاكارية باتجاه ساحل بلاد الشام فدمرت جميع ممالكه وتوغلت في الجنوب وتصدى لها «رعمسيس» الثالث في معركتين على البحر وفي البر . وبالرغم من انه صدها عن ارض مصر الا انه لم يستطع ان ينقذ املاك امبراطوريته في بلاد الشام من براثنها . لقد استوطنت القبائل الفلسطينية في الجزء الجنوبي من ساحل ارض كنعان ، الذي صار يعرف باسم «فلسطين» ، واصبحنا نعرف المزيد من اخبارهم من خلال اصطداماتهم اللاحقة مع اليهود .

واضطرت المملكة الآشورية تحت ضغط القبائل البحرية الى التراجع داخل حدودها الاقليمية الاصلية . ولكن هذه المملكة اخذت تطمح لتصدر الزعامة في غرب آسية على انقاض الامبراطورية الحثية وممتلكات الامبراطورية المصرية في بلاد الشام . وبدأ العبريون ايضا يتأهبون لتوجيه الضربات الأخيرة الى الممالك الكنعانية في جنوب بلاد الشام مغتنمين فرصة انهيار الامبراطوريتين الحثية والمصرية . وزادت بعض القبائل الآرامية من شدة ضغطها على المدن واهالي الحضر واخذت تستقر في جوارها وهيأت نفسها لتأخذ دورها البارز في صنع تاريخ غرب آسية القديم . والى جانب هذه القوى ظهر الميديون في الهضبة الايرانية حوالي عام ١٠٠٠ ق . م . ليصبحوا القوة الرابعة في صنع هذا التاريخ خلال الالف الأول قبل الميلاد .

---

625) Moortgat, A., Geschishte Vorderasiens..., S. 384-386.

النسخة معربة بعنوان «تاريخ الشرق الأدنى القديم» ، د . توفيق سليمان ود . علي أبو عساف ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

-) Breaste d, J.H., Geschichte Ägyptens, S. 262-264.

وهكذا انتهت بظهور هذه القوى الجديدة حقبة طويلة من تاريخ غرب اسية بعد ان خلفت شعوبه للأجيال القادمة تراثا حضاريا يعتبر بحق المدماك الاساسي في بناء صرح الحضارة الانسانية . ولكن شعوب المنطقة التي عركتها التجارب وقاست ويلات المحن وعاشت الكوارث استطاعت ان تخرج من هذه المحنة القاسية وان تنتصر في احداثها المريرة . حيث تابعت مسيرتها الكبرى وبنت الممالك وانشأت الامبراطوريات التي خصصت لبحثها «الجزء الثاني» من هذا القسم ، في سلسلة من «الدراسات في حضارات غرب آسية القديمة» .

مختصرات بعض المراجع الأجنبية الواردة في الهوامش :

AAA: Annals of Archaeology and Anthropology.

AAAS: Annales Archéologiques Arabes Syriennes.

AASOR: Annual of the Amenican Schools of Oriental Research

AO: Der Alte Orient.

AZ: Archäologische Zeitschrift.

BASOR: Bulletin of the American Schools of Research.

Découvertes: Découvertes en Chaldée.

Encyclopédie: Encyclopédie Photographie de L' Art.

Iraq: Published by the British School of Archaeology in Iraq.

JNES: Joumal of Near Eastem Studies.

JPOS: Journal of the Palestine Oriental Society.

MDP: Mémoires de la Délègation en Perse (Mission archéologique de Perse).

OIC: Oriental Institute Comunication.

OLZ: Orientaliche Literaturzeitung.

PEF: Palestine Exploration Fund.

PEQ: Palestine Exploration Quarterly.

QDAP: Quarterly of the Department of Antiquities in palestine.

RA: Revue d' Assyriologie.

RAI: Royal Anthropological Institut.

RB: Revue Biblique.

UVB: Uruk Vorläufige Berichte.

VR: Vorderasiatische Rollsiegel.

WVDOG: Wissenschaftliche Vereinigung der Orient-Geslischaft.

ZA: Zeitschrift der Assyriologie.

ZDMG: Zeitschrift der Morgenlandischen Gesellschaft.

ZDPV: Zeitschrift der Deutschen Palastina Verein.

المحتوى

من ص إلى ص

الدراسة الثالثة

شعوب غرب آسية القديمة

الدراسة الرابعة

دول المدن السومرية خلال عصرها الاول

(٢٦٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق. م.)

من ص إلى ص

الدراسة الخامسة

الامبراطورية الاكّادية

(٢٣٥٠ ـ ٢١٥٠ ق.م.)

الدراسة السابعة

المملكة البابلية

وأهم القوانين السومرية والعموريّة

الدراسة الثامنة
الكاشيون
(١٥٣٠ ـ ١٢٣٨ ق.م)

من ص إلى ص

الدراسة التاسعة

الحثيون

(... ـ ١١٩٠ ق.م.)

الدراسة العاشرة

المملكة الحورية ـ الميتانية

(من حوالي ١٥٠٠ ـ ١٣٣٠ ق.م.)

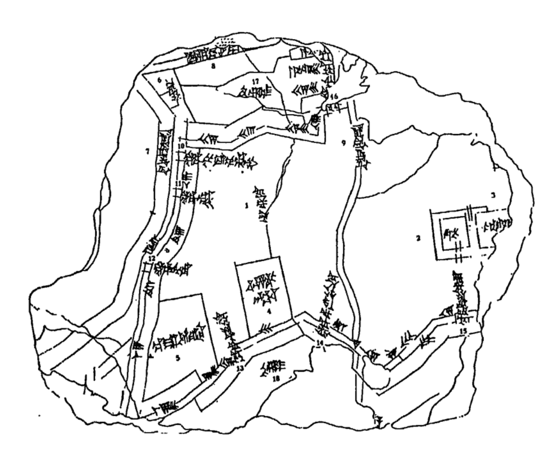
من ص إلى ص

الدراسة الحادية عشرة
الآشوريون
(١٥٣٠ ـ ١١٩٠ ق.م.)

الدراسة الثانية عشرة
بلاد الشام في عام ١١٩٠ ق.م.

من ص إلى ص

لوحة ١



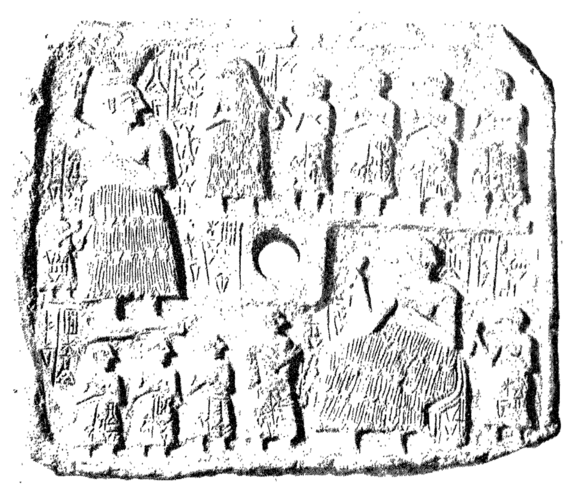
المخطط القديم لمدينة نيبُّور

لوحة ٢



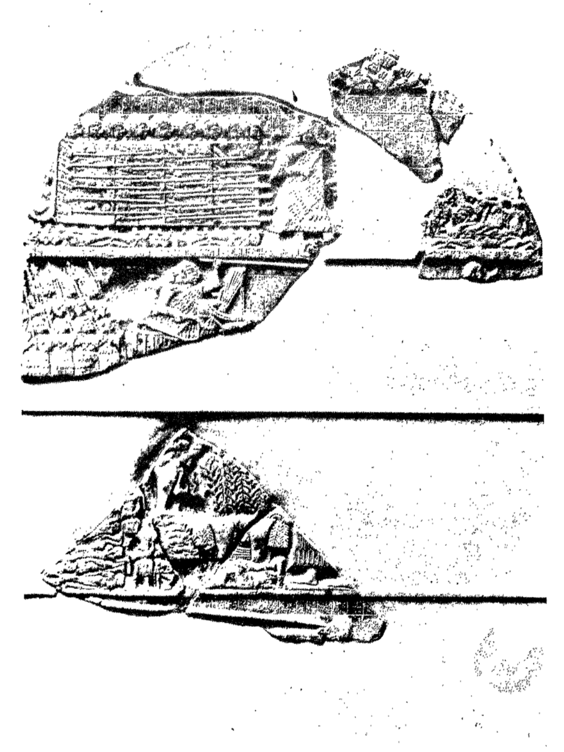
رأس دبسة الملك «ميزيليم» ، عثر عليه في «لاجـاش» ، من الحجر الكلسي الابيض ، الارتفاع ١٩ سم ، متحف اللوفر ـ باريس .

لوحة ٣



اللوحة النذرية للملك «اور ـ نانشي» ، عثر عليها في «لاجاش» ، من الحجر الكلسي ، الارتفاع ٤٠ سم ، متحف اللوفر ـ باريس .

لوحة ٤

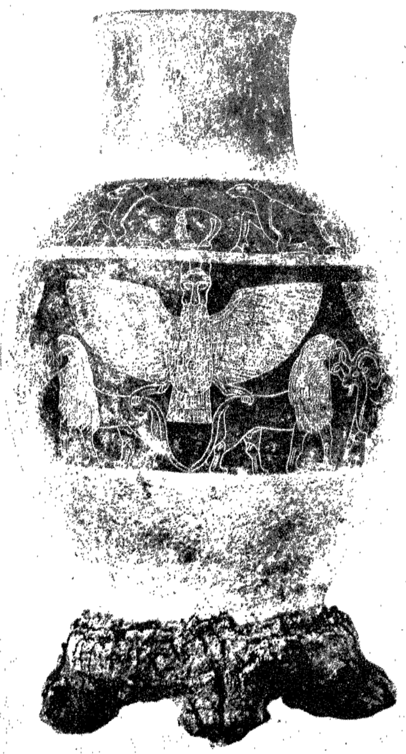


نصب النصر المسمى بـ «نصب العقبان» للملك «أي ـ انّا توم» عثر عليه في «لاجاش» ، من الحجر الكلسي ، الارتفاع ١,٨٠ م والعرض ١,٣٠ م ، متحف اللوفر ـ باريس .

لوحة ٥

احد المشاهد على «نصب العقبان» يمثل الاسرى من جيش «اومّا» محصورين في الشبكة .

لوحة ٦



مزهرية من الفضة للملك «ان ـ تيمينا» ، القاعدة من النحاس ، الارتفاع **٣٥** سم ، متحف اللوفر ـ باريس .

لوحة ٧



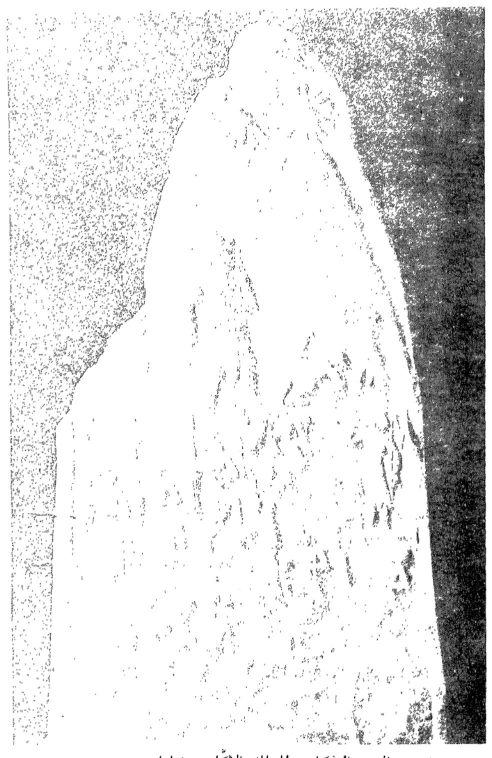
جزء من نصب تذكاري للملك الاكّادي «سرجون» عثر عليه في العاصمة العيلامية «سوزا» غنيمة حرب من «بابل» ، من حجر الديوريت ، متوسط الارتفاع ٥٠ سم ، متحف اللوفر - باريس .

لوحة ٨



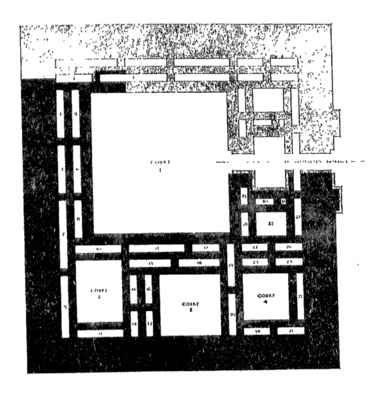
تمثال لشخص الاكّادي «مانيشتوسو» ، من حجر الديوريت ، الارتفاع ٩٤ سم ، متحف اللوفر - باريس .

لوحة ٩



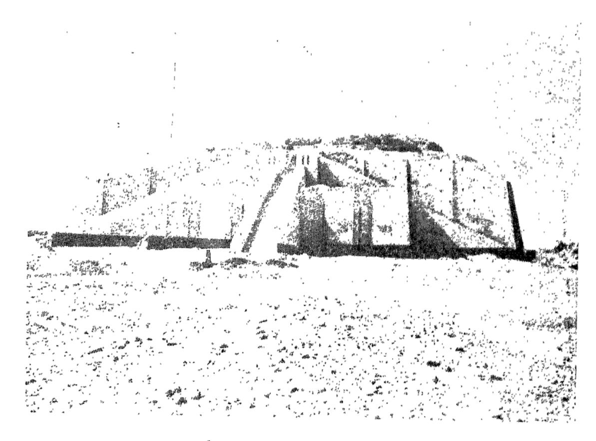
نصب النصر التذكاري للملك الأكادي «نـارام ـ سن» ، من الحجر الرملي ، الارتفـاع حوالي ٢ م ، متحف، اللوفـر ـ باريس .

لوحة ١٠



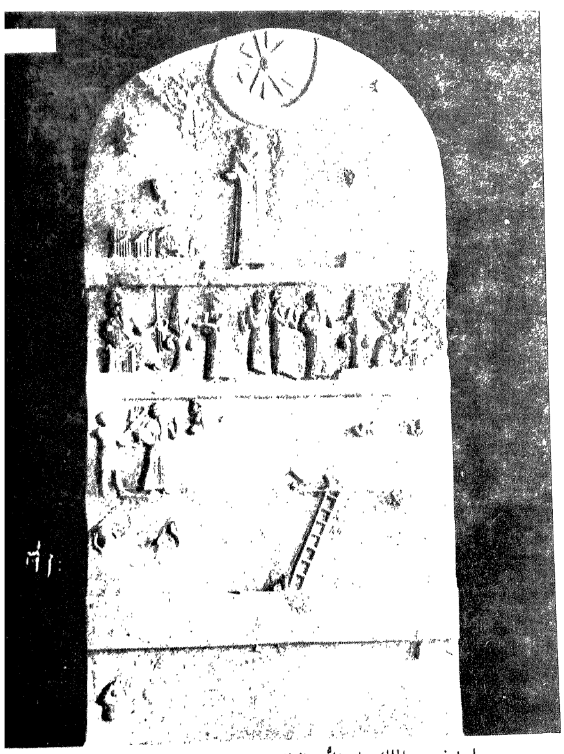
مخطط الحصن الـذي شيده الملك الاكّادي «نـارام سن» في تل براك .

لوحة ١١



الزقورة (المعبد المرتفع) ، شيدها الملك «اورنامّو» ، باسم اله القمر «نانّا» في مدينة «اور» ، الواجهة الشمالية ـ الشرقية مع المدارج ، رممت اجزاء منها .

لوحة ١٢



احد نصب الملك «اورنامُّو» التذكارية (الواجهة الامامية) ، عثر عليه في مدينة «اور» ، من الحجر الكلسي ، الارتفاع بعد الترميم حوالي ٣ م ، فيلادلفيا - متحف الجامعة

لوحة ١٣

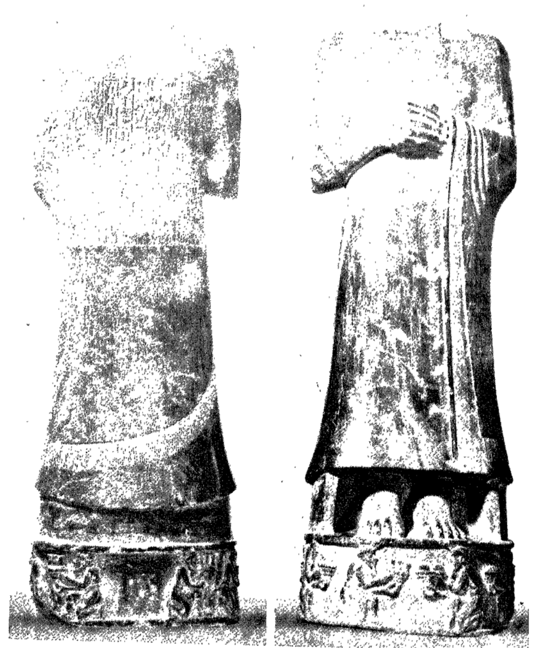


«اسطوانة بناء» من عهد «جوديا» ، تمثل الها راكعا وبين يديه «مسمار بناء» ، عثر عليه في مدينة «لاجاش» ، من النحاس ، الارتفاع ٢١ سم ، متحف اللوفر ـ باريس .



تمثال لشخص الملك «جوديا» في وضع الجلوس ، عثر عليه في مدينة «لاجاش» ، من حجر الديوريث ، الارتفاع ٤٥ سم ، متحف اللوفر - باريس

لوحة ١٥



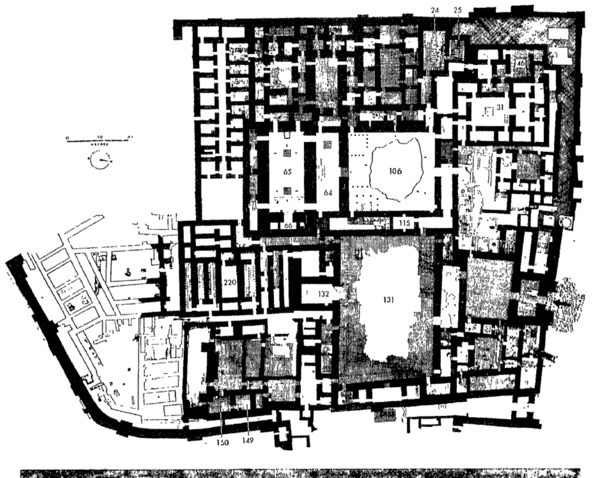
تمثال لشخص الملك «اور ـ نينجيرسو» ابن «جوديا» ملك «لاجاش» ، الواجهتان الامامية والخلفية ، من حجر الالباستر ، الارتفاع ٤٦ سم ، متحف اللوفر ـ باريس

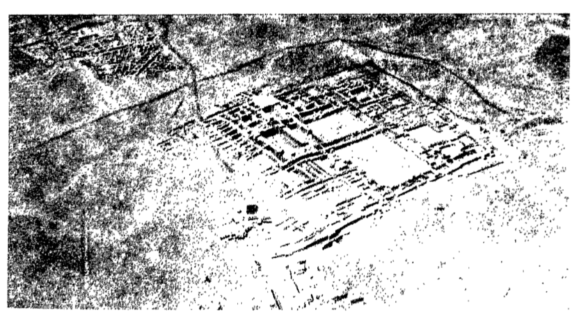
لوحة ١٦



جزء من لوحة حجرية وعليها كتابة لـ «بوزور ـ شوشيناك» . يرينا المشهد الها وبيده «مسمار بناء» ، من الحجر الكلسي ، عثر عليه في «سوسا» ، الارتفاع ٥٧ سم . متحف اللوفر ـ باريس .

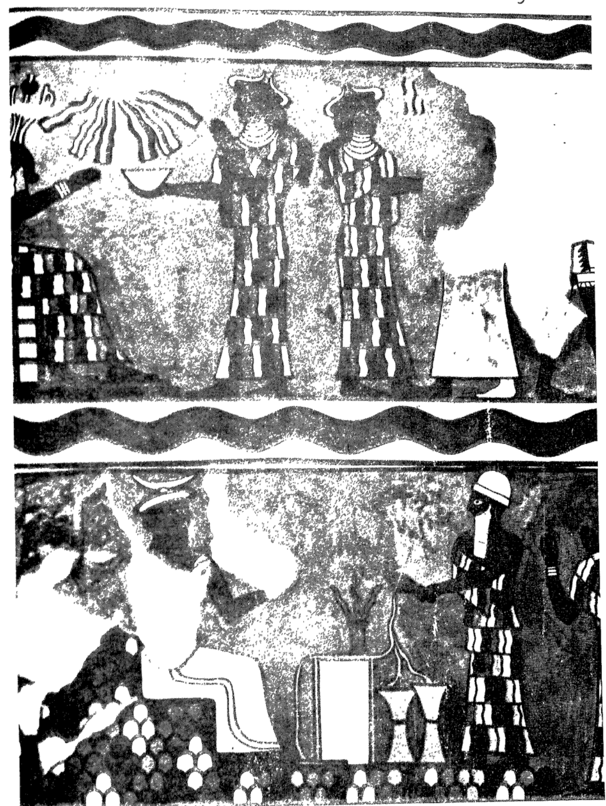
لوحة ١٧





مخطط قصر الملك «زيمريليم» في مدينة «ماري» مع صورة جوية
له ولمعبد عشتار

لوحة ١٨



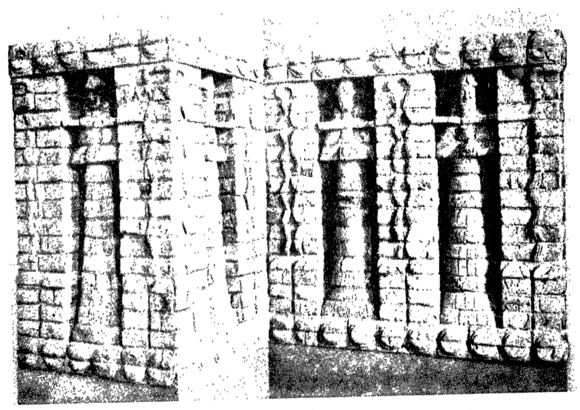
مشهدان من اللوحات الجدارية الملونة في قصر «زيمري ليم»

لوحة ١٩



الجزء العلوي من مسلة «حمُورابي» التي نقش عليها نص شريعته . يرينا «حمُورابي» واقفاً أمام اله العدالة «شمش» ، وهو يهم بتسلم ملف العدالة منه ، من حجر الديوريت ارتفاع القسم المنقوش بالصورة ٦٥ سم ، متحف اللوفر - باريس .

لوحة ٢٠



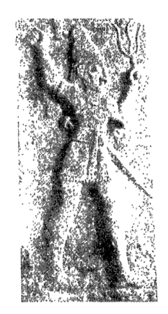
منظر لجزء من واجهة معبد «انّين» في «اوروك» ، من الآجر ،
الارتفاع ٢,٠٥ م ، متحف غرب آسية في برلين

لوحة ٢١

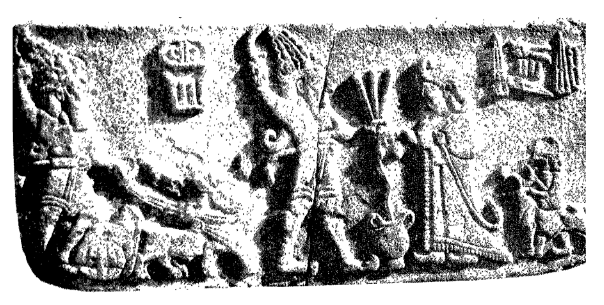


كودورّو (= حجر طابو) كاشية ، من الحجر الكلسي ،
الارتفاع ٧١ سم ، متحف اللوفر - باريس

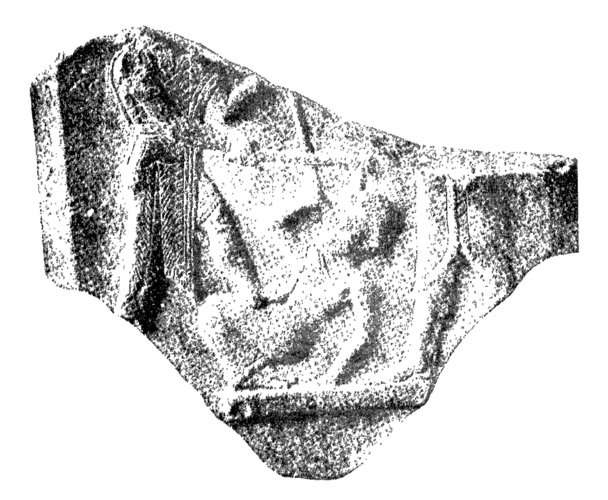
لوحة ٢٢



(آ) نقش نافر لاله الطقس الحثي «تيشوب» على لوحة من حجر البازلت . اكتشف خلال حفريات أثرية في مدينة «زيند شيرلي»

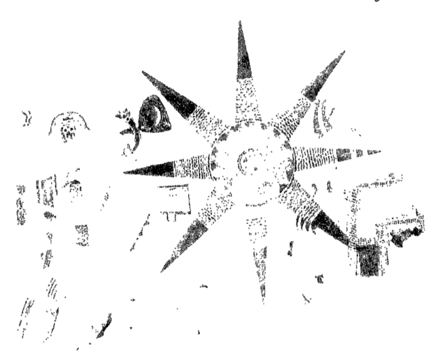


(ب) نقش نافر الطقس الحثي «تيشوب» في وسط عرض ديني على لوحة من حجر البازلت ، اكتشف خلال حفريات أثرية في مدينة «مالاطيا»



الواجهة الامامية لجزء من نصب للملك الآشوري «شمشي - حدد» الاول ؟ ترينا رسما للملك وهو يصرع احد اعدائه عثر عليها في مدينة «ماردين» ؟ ، من حجر البازلت ، الارتفاع ٤٠ سم ، متحف اللوفر - باريس

لوحة ٢٤



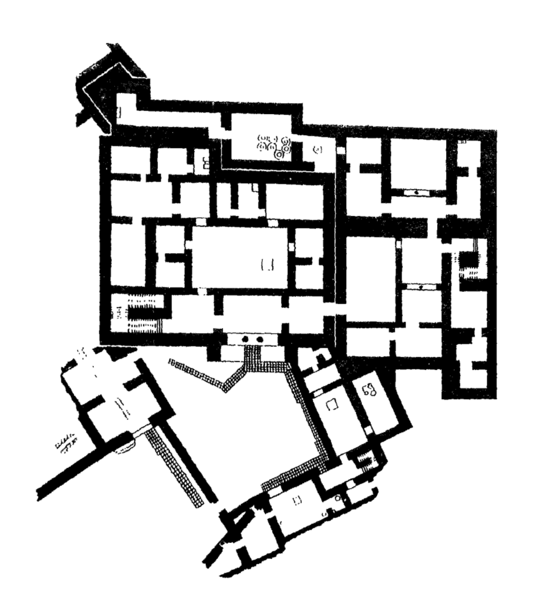


(في الاعلى) رسوم جدارية ملونة من العيلات ـ غزول . (في الاسفل) اسس بناء مستديرة من الطبقة الاولى في مدينة «اريحا»

لوحة ٢٥



مخطط لقصر «كنوسس» في جزيرة كريت



مخطط لاسس قصر الطبقة الرابعة في مدينة «الالخ»
(قصر يريمليم)

لوحة ٢٧



رأس آدمي (المسمى رأس يريمليم) من «الالخ» ، يبين لنا الاثر
الفني لبلاد ما بين النهرين في «الالخ»

لوحة ٢٨



نصب نقش عليه رسم للاله «بعل» من «اوغاريت» (= رأس الشمرة)

لوحة ٢٩



تمثال من النحاس من شمال سورية لاله واقف وعلى رأسه الغطاء الكوني

لوحة ٣٠

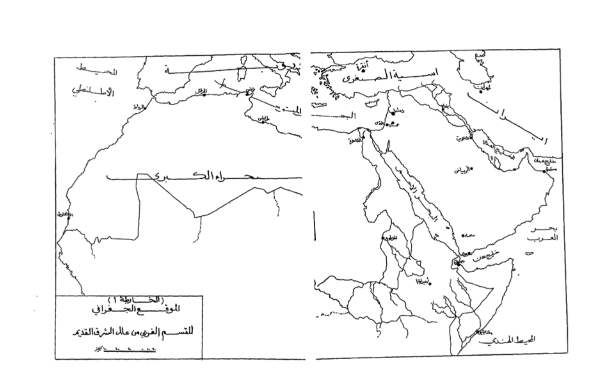


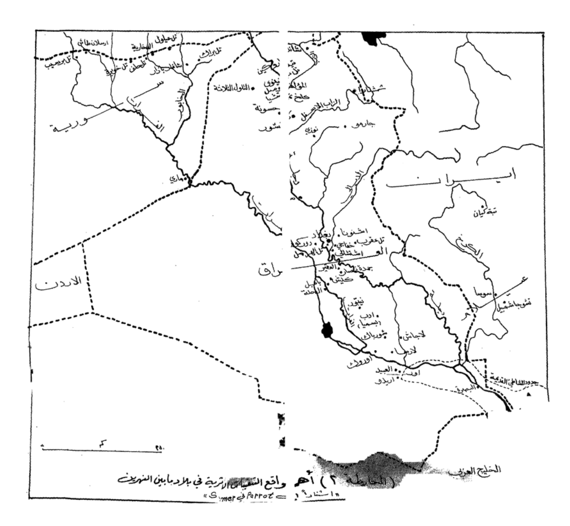
خنجر من الذهب متقن الصنع ذو قبضة هلالية عثر عليه في ما يسمى بـ «معبد المسلات» في مدينة جبيل» ، تحملُ قبضته نقوشاً نافرة لمناظر صيد

لوحة ٣١



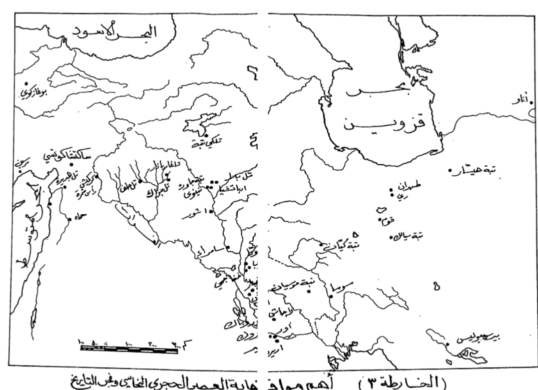
تمثال للملك «ادريمي» في وضع الجلوس . عثر عليه في «الالخ» ، من الحجر ، الارتفاع ١,٠٤ م ، المتحف البريطاني ـ لندن


(الخارطة ١)
الموقع الجغرافي
للقسم الغربي من عالم الشرق القديم
المحيط
الأطلنطي
اسية الصغرى
أنقرة
دمشق
القاهرة
الرياض
بحر
العرب
خليج عدن
المحيط الهندي



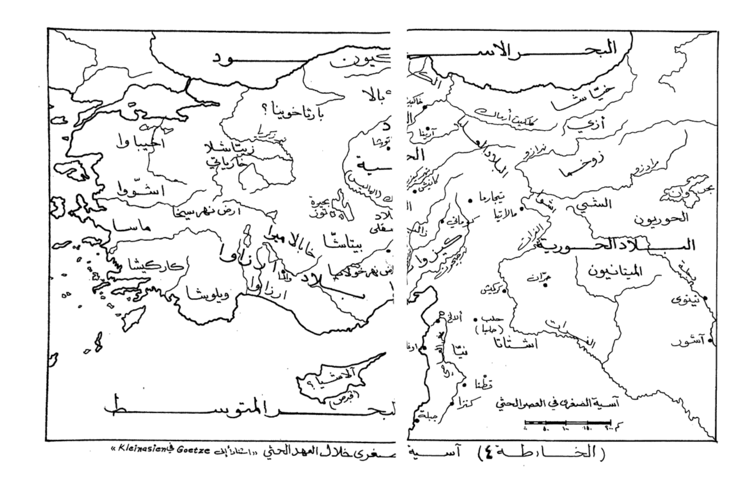
(الخارطة ٢) أهم مواقع التنقيبات الاثرية في بلاد ما بين النهرين

«استناداً الى Parrot في Sumer»

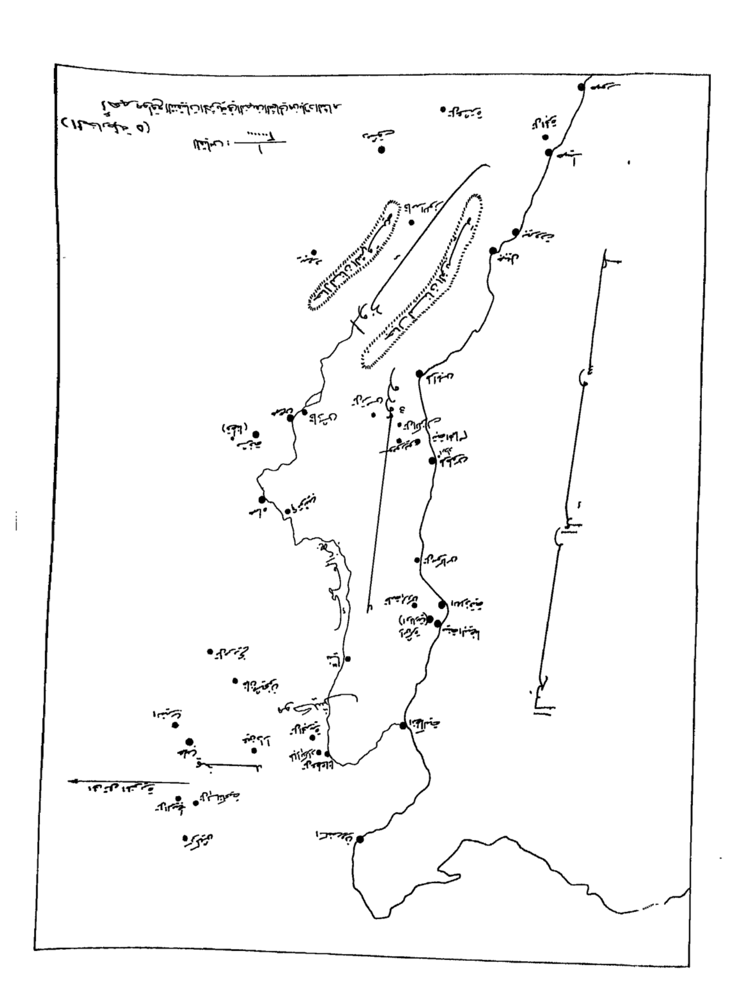


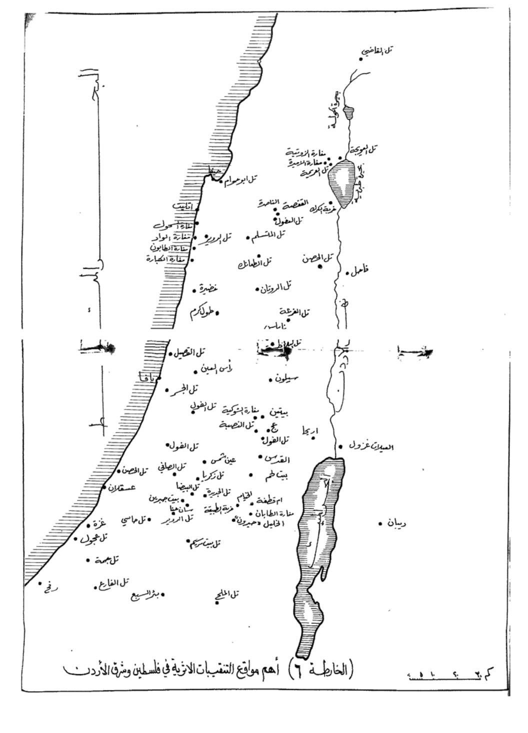
(الخارطة ٣) أهم مواقع نهاية العصر الحجري الخامسي وفجر التاريخ

" Entstehung d. Sumerischen Hochku[...] Moortgat الخ "



(الخـــارطـة ٤) آســـيـة الصغرى خلال العهد الحثي «استناداً إلى Goetze في Kleinasien»





(الخارطة ٦) أهم مواقع التنقيبات الاثرية في فلسطين وشرق الأردن